بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان[1]

[2]مقصودها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم[3] الحكيم من الخير و البركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة، و على ذلك دل اسمها[4] الدخان إذا تؤملت آياته و إفصاح ما [5]فيها و إشاراته[5].

﴿ بسم الله ﴾ الملك الجبار الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة[6] النذارة ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى [خص -[7]] أهل وداده برحمة البشارة.

/ ﴿ حم ج ﴾ تقدمت الإشارة إلى شيء من أسرار أخواتها. ٧٢٦ /

لما[8] ختمت الزخرف ببشارة باطنة و نذارة ظاهرة، وكان ما بشر به سبحانه من علم العرب و سلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعدا، ١٠ افتتح هذا بمثل ذلك مقسما عليه فقال: ﴿ و الكتب ﴾ [أى -[7]] الجامع

---

(١) الرابعة و الأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها تسع و خمسون عند الكوفين و سبع عند البصريين، و ست عند المدنيين و المكى و الشامى (٢) زيد في الأصل: قال رحمه الله تعالى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) ليس في ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اسمه. (٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل: راته (٦) من مد، و في الاصل و ظ: بنعمته (٧) زيد من مد (٨) في الأصول: و لما، و ما أثبتناه ينسجم مع ما داب عليه المؤلف في أوائل السور.

لكل خير ﴿ المبين ه ﴾ أى البين فى نفسه، الموضح لما تقدم من دقيق البشارة[١] لأهل الصفاء و البصارة، واضح[٢] النذارة بصريح العبارة، و غير ذلك من كل ما يراد منه، و لأجل ما ذكر من الاستبعاد أكد جواب القسم و أتى به فى مظهر العظمة فقال[٣]: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة

٥ ﴿ انزلنه ﴾ أى الكتاب إما[٤] جميعا إلى بيت العزة فى سماء الدنيا أو ابتدأنا إنزاله إلى الأرض ﴿ فى ليلة مبركة ﴾ أى ليلة القدر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[٥] أو النصف من شعبان، فلذلك يتأثر[٦] عنه من التأثيرات[٧] ما لم تحط به الأفهام فى الدين و الدنيا، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: ينزل إلى سماء[٨] الدنيا كل سنة بمقدار ما كان جبريل

١٠ عليه السلام ينزله على الرسول صلى الله عليه و سلم فى تلك السنة، و سماها "مبركة" لأنها ليلة افتتاح الوصلة و أشد الليالى بركة ليلة يكون [٩]العبد فيها[٩] حاضرا بقلبه مشاهدا لربه، يتنعم فيها بأنوار الوصلة [١٠]و يجد فيها[١٠] نسيم القربة، و قال الرازى فى اللوامع: و أعظم الليالى بركة ما كوشف[١١] فيها بحقائق الأشياء.

---

(١) من مد، و فى الأصل: البصارة (٢) من مد، و فى الأصل: اوضح.
(٣) العبارة من « والكتاب » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) فى مد: الى - خطا.
(٥) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١١٩ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: تباشر (٧) من مد، و فى الاصل و ظ: التأثرات (٨) فى مد: السماء (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها العبد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بحذفها (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: كشف.

و لما

و لما كان هذا موضحا لما لوح به آخر تلك من البشارة فى ظاهر النذارة، علل الإنزال أو[1] استأنف ما فيه من واضح النذارة الموصل إلى المعانى المقتضية للبشارة ، فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم: ﴿ انا ﴾ أى على ما [2]نحن عليه[2] من الجلال ﴿ كنا ﴾ بما لنا من العظمة دائما لعبادنا ﴿ منذرين ه ﴾ لانؤاخذهم[3] من غير إنذار ، فلأجل رحمتنا لهؤلاء القوم ٥ و هم أرق الناس طبعا و أصفاهم[4] قلوبا و أوعاهم [سمعا - [5]] نوصلهم بما هيأناهم به من ذلك إلى ما لم يصل غيرهم إليه و لم يقاربه من المعالى فى الأخلاق و الشمائل و الاكتساب لجميع الفضائل .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت [سورة - [5]] حم السجدة و سورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه مما ١٠ لم تنطو[6] سورة غافر على شيء منه ، وحصل[7] من مجموع ذلك الإعلام بتنزيله[8] من عند الله و تفصيله و كونه قرآنا عربيا إلى ما ذكر تعالى من خصائصه إلى قوله " و انه لذكر لك و لقومك / و سوف تسئلون " و تعلق الكلام بعد[9] هذا بعضه ببعض إلى آخر السورة ، افتتح[10] تعالى سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض ، و هو التعريف بوقت إنزاله إلى ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنا (٣) فى مد : لانأخذهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اطفاهم (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم تنطوى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاصل (٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : بمزيلة (٩) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (١٠) فى مد : استفتح .

سماء الدنيا فقال تعالى "انا انزلنه فى ليلة مبركة" ثم[١] ذكر من فضلها
فقال "فيها يفرق كل امر حكيم" لحصل وصف / الكتاب بخصائصه ٧٢٧ /
و التعريف بوقت إنزاله إلى سماء [الدنيا -[٢]] و تقدم الأهم من ذلك
فى السورتين قبل، و تأخر التعريف بوقت إنزاله[٣] إلى سماء[٤] الدنيا إذ
٥ ليس فى التأكيد كالمتقدم، ثم وقع إثر هذا تفصيل[٥] وعيد قد أجمل
فى قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلم فسوف يعلمون" و ما تقدمه
من قوله "ام ابرموا امرا فانا مبرمون" و قوله سبحانه "ام يحسبون انا
لانسمع سرهم و نجوٰىهم" و تنزيهه سبحانه و تعالى نفسه عن عظيم افترائهم
فى جعلهم الشريك و الولد - إلى آخر السورة، ففصل بعض[٦] ما أجملته
١٠ هذه الآى فى[٧] قوله تعالى فى صدر سورة الدخان "فارتقب يوم تاتى
السماء بدخان مبين" و قوله تعالى "يوم نبطش البطشة الكبرى"،
و الإشارة إلى يوم بدر، ثم ذكر شأن غيرهم فى هذا و هلاكهم بسوء
ما ارتكبوا ليشعروا[٨] أن لا فارق [٩]إن هم[٩] عقلوا و اعتبروا، ثم عرض
بقرنهم[١٠] فى مقالته ما بين لابتيها أعز منى و لا أكرم، ثم[١١] ذكر تعالى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من مد (٣) فى مد: نزوله.
(٤) من ظ، و فى الأصل: السماء، و هذه الكلمة مع ما قبلها و ما بعدها ساقطة
من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التفصيل (٦) من ظ و مد، و فى
الأصل: بعد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٨) من مد، و فى الأصل
و ظ: حتى يشعروا (٩-٩) من مد، و فى الأصل و ظ: انهم (١٠) من مد،
و فى الأصل و ظ: بفرعون هم (١١) فى مد «و»

شجرة الزقوم" إلى قوله " ذق انك انت العزيز الكريم" و التحم هذا كله التحاما يبهر العقول، ثم اتبع بذكر حال المتقين جريا على المطرد من شفع الترغيب و الترهيب ليبين حال الفريقين و يتج[1] علم الواضح من الطريقين، ثم قال لنبيه صلى الله عليه و سلم " فانما يسرنه بلسانك لعلهم يتذكرون" و قد أخبره مع بيان الأمر و وضوحه أنه " انما يتذكر ٥ من يخشى" ثم قال " فارتقب" وعدك و وعيدهم " انهم مرتقبون".

و لما وصف ليلة إنزال هذا القرآن بالبركة، و أعلم أن من أعظم بركتها النذارة، [2]و كانت النذارة[2] مع أنها [3]فرقت من[3] البشارة أمرا عظيما موجبا لفرقان ما بين المحاسن و المساوئ من الأعمال قائدة إلى كل خير بدليل أن اتباع ذوي البركة من العلماء، و إذا تعارض عندهم أمر العالم ١٠ و الظالم، قدموا أمر الظالم لما يخافون من نذارته، و أهملوا أمر العالم و إن عظم الرجاء لبشارته، قال معللا لبركتها بعد تعليل الإنزال فيها، و معمما لما يحصل فيها من بركات التفصيل[4]: ﴿ فيها ﴾ أي الليلة المباركة سواء قلنا: إنها ليلة القدر أو ليلة النصف أصالة أو مآلا ﴿ يفرق ﴾ أي ينشر و يبين و يفصل و يوضح مرة بعد مرة ﴿ كل امر حكيم ﴾ أي ١٥ محكم الأمر لا يستطاع أن يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب و غيرها و الأرزاق و الآجال و النصر و الهزيمة و الخصب

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ينتهيج (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٣-٣) من مد، و في الأصل: فرقة مع، و في ظ: فرقة من (٤) من ظ و مد، و في الأصل: التفصيل.

و القحط و غيرها من جميع أقسام[1] الحوادث و جزئيا[2] في أوقاتها و أماكنها .
و يبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها [3]من العام المقبل
فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيمانا . قال البغوي[4] رحمه الله : قال ابن
عباس رضي الله عنهما : يكتب من أم الكتاب [في ليلة القدر - [5]]
٥ ما هو كائن في السنة من الخير و الشر ، و الأرزاق و الآجال ، قال :
و روى أبو الضحى عنه أن الله تعالى يقضي الأقضية في ليلة النصف من
شعبان فيسلمها إلى أربابها [6] في ليلة القدر . و قال الكرماني : فيسلمها
إلى أربابها[6] و عمالها من الملائكة ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان .
و لما كان هذا مفهما لأمور لاحصر لها ، بين أنه لا كلفة عليه سبحانه
١٠ فيه ، و لاتجدد عنده في وقت من الأوقات لشيء لم يكن قبل إلا تعليق
القدرة بالمقدور على وفق الإرادة ، فقال مؤكدا [7]لفخامة ما[7] تضمنه وصفه
بأنه حكيم : ﴿ امرا ﴾ أي حال كون هذا كله مع انتشاره و عدم
انحصاره أمرا عظيما جدا واحدا لا تعدد فيه[8] دبرناه في الأزل و قررناه
و أتقناه و اخترناه ليوجد في[9] أوقاته بتقدير ، و يبرز[9] على ما له من

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الاشياء (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : جريتها .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : قبلها (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٢٠ .
(٥) زيد من مد و المعالم (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من مد ،
و في الأصل و ظ : لما (٨) زيد في الأصل : و نحن قد ، و لم تكن الزيادة في
ظ و مد فحذفناها (٩ - ٩) من مد ، و في الأصل و ظ : اوقات بتقدير
امرنا و برز .

الإحكام فى احيانه فى[1] أقل [من -[2]] لمح البصر ، و دل على أنه ليس مستغرقا لما تحت قدرته سبحانه باثبات الجار فقال: ﴿ من عندنا[4] ﴾ أى من العاديات و الخوارق و ما وراءها . و لما بين [حال -[3]] الفرقان الذى من جملته الإنذار، علله بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من أوصاف الكمال و كمال العظمة ﴿ كنا ﴾ أى أزلا وأبدا ٥ ﴿ مرسلين ۚ ﴾ أى لنا صفة الإرسال بالقدرة عليها فى [كل -[3]] حين و الإرسال لمصالح العباد، لابد فيه من الفرقان بالبشارة و النذارة و غيرهما حتى لايكون لبس ، فلا يكون لأحد على الله حجة [4]بعد الرسل[4] ، و هذا الكلام المنتظم و القول الملتحم بعضه[5] ببعض ، المتراصف[6] أجمل رصف فى وصف ليلة الإنزال دال على أنه لم تنزل[7] صحيفه و لا كتاب[8] إلا ١٠ فى هذه الليلة ، فيدل على أنها ليلة القدر للأحاديث الواردة فى أن الكتب كلها نزلت فيها كما بينته فى كتابى " مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور " و كذا قوله فى سورة القدر " تنزل الملئكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر " فان الوحى الذى [هو -[2]] مجمع ذلك هو روح الأمور الحكيمة[9] ، و بين سبحانه حال الرسالات ١٥

---

(١) من مد ، و فى الأصل وظ : من (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ ومد.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعض .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : المراصف (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم ينزل (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : كتابا (٩) فى الأصل و ظ : الحكمية ، و فى مد : الحكيم .

بقوله : ﴿ رحمة ﴾ و عدل لأجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من أسلوب التكلم بالعظمة [1]من قوله[1] "منا" إلى قوله : ﴿من ربك ط﴾ أي المحسن[2] إليك بارسالك و إرسال كل نبي مضى[3] من قبلك، فان رسالاتهم[4] كانت لبث الأنوار في العباد، و تمهيد الشرائع في العباد، حتى استنارت

٥ القلوب، و اطمأنت النفوس، بما صارت تعهد من شرع الشرائع و توطئة الأديان، فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملأت أنوارك الآفاق، فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق.

و لما كانت الرسالة لابد فيها من السمع و العلم، قال : ﴿انه هو﴾ أي وحده ﴿ السميع ﴾ أي فهو الحي المريد[5] ﴿ العليم لا ﴾ فهو القدير

١٠ البصير المتكلم، يسمع ما يقوله رسله و ما يقال لهم، وكل ما يمكن أن يسمع و إن كان بحيث لايسمعه غيره من الكلام النفسي و غيره الذي هو بالنسبة إلى سمعنا كنسبة ما تسمعه من الكلام إلى سمع الأصم و سمعه ليس كأسماعنا، بل هو متعلق / بالمسموعات على ما هي عليه قبل وجودها كما أن علمه متعلق بالمعلومات كما هي قبل كونها.

١٥ و لما ذكر إنزال الكتاب على تلك الحال العظيمة البركة لأجل الإرسال، و بين أن معظم ثمرة الإرسال[6] الإنذار لما للرسل إليهم من أنفسهم

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل : بقوله (٢) في مد : المرسل (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : رسالته (٥) من مد، وفي الأصل وظ : الفريد (٦) زيد في الأصل : الانزال و ثمرة الإنزال، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

من التوار[1]، دل على ذلك من التدبير المحكم الذى اقتضته حكمة التربية فقال : ﴿ رب ﴾ أى مالك[2] ومنشئ[3] و مدبر ﴿ السمٰوٰت ﴾ أى جميع الأجرام العلوية[3] ﴿ و الارض ﴾ [4]و ما فيها[4] ﴿ و ما بينهما ﴾ مما تشاهدون من هذا الفضاء، و ما فيه من الهواء و غيره، مما تعلمون من اكتساب العباد، و غيرهما مما لاتعلمون، و من المعلوم أنه ذو العرش و الكرسى فعلم ٥ بهذا أنه مالك الملك كله .

و لما كانوا مقرين بهذه الربوبيـــة و يأنفون[5] من وصفهم بانهم غير محققين لشيء يعترفون[6] به، أشار إلى ما يلزمهم[7] بهذا الإقرار إن كانوا [كما -[8]] يزعمون من التحقيق [فقال -[9]] : ﴿ان كنتم موقنين ﴾ أى إن كان لكم إيقان[10] بأنه الخالق لما ركز[11] فى غرائزكم و جبلاتكم ١٠ رسوخ العلم الصافى السالم عن شوائب الأكدار من حظوظ النفوس و عوائق[12] العلائق، فأنتم تعلمون أنه لابد لهذه الأجرام الكثيفة جدا المتعالى بعضها عن بعض بلا ممسك تشاهدونه مع تغير كل منها[13] بأنواع الغير من رب، و أنه لايكون و هى على [هذا -[9]] النظام إلا و هو

---

(١) كذا من مد، و فى الأصل و ظ : التوارد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : مبدى (٣) فى ظ و مد : العالية (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : تابعون (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : يعرفونه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يكرمهم (٨) زيد من ظ و مد . (٩) زيد من مد (١٠) سقط من مد (١١) فى مد : ذكر (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ : عرائق (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ : منهما .

كامل العلم شامل القدرة ، مختار في تدبيره ، حكيم في شأنه كله و جميع
تقديره ، و أنه لا يجوز في الحكمة أن يدع من فيها من العلماء[1] العقلاء
الذين هم خلاصة ما فيها هملا يبغي بعضهم على بعض من غير رسول معلم
بأوامره ، و أحكامه و زواجره ، منبه لهم على أنه ما خلق هذا الخلق
٥ كله إلا لأجلهم ، ليحذروا سطواته و يقيدوا[2] بالشكر على [3]ما حباهم[3] به
من أنواع هباته .

و لما ثبت بهذا النظر الصافي ربوبيته ، و بعدم[4] اختلال التدبير
على طول الزمان وحدانيته ، و بعدم الجري على نظام واحد من كل
وجه فعله بالاختيار و قدرته ، صرح بذلك منبها لهم على أن النظر
١٠ الصحيح أنتج ذلك و لابد فقال تعالى : ﴿ لآ اله الا هو ﴾ [أي -[5]]
و إلا لنازعه في أمرهما أو بعضه منازع ، أو أمكن أن ينازع فيكون
محتاجا لا محالة ، و إلا لدفع عنه[6] من يمكن نزاعه له و خلافه إياه ، فلا
يكون صالحا للتدبير و القهر لكل من يخالف رسله ، و الإنجاء[7] لكل من
يوافقهم على مر الزمان و تطاول الدهر و مد[8] الحدثان على نظام مستمر ،
١٥ و حال ثابت مستقر[9] .

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يصدوا .
(٣ - ٣) من مد ، و في الأصل : من حياهم ، و في ظ : من حباهم - كذا .
(٤) من ظ و مد ، و في الأصل : بعد (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و في
الأصل و ظ : نزاعه (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : الايحاء (٨) في ظ ومد :
مر (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : مستمر .

و لما

و لما ثبت أنه لامدبر للوجود غيره، ثبت قوله تعالى: ﴿يحي و يميت﴾ لأن ذلك من أجل ما فيهما من التدبير، و هو تنبيه على تمام دليل الوحدانية لأنه لاشيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير[1] إليه، و يحال شيء من الأمور عليه، فهما جملتان: الأولى نافية لما أثبتوه من الشركة، و الثانية مثبتة لما نفوه من البعث. ٥

و لما ثبت أنه المختص بالإفاضة[2] و السلب، و كان السلب / أدل على القهر، ذكرهم ما له من[3] ذلك في أنفسهم فقال سبحانه: ﴿ ربكم ﴾ أي الذي [4]أفاض عليكم[4] ما تشاهدون من النعم في الأرواح و غيرها ﴿ و رب آبائكم ﴾ و لما كانوا يشاهدون[5] من ربوبيته لأقرب[6] آبائهم ما يشاهدون لأنفسهم، رقى[7] نظرهم إلى النهاية فقال: ﴿ الاولين ﴾ أي الذين[8] أفاض عليهم ما أفاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون، فلم يقدر أحد منهم على ممانعة و لا طمع في منازعة بنوع مدافعة. ١٠

/ ٧٣٠

و لما كان أكثرهم منكرا لما لزمه القطع به بهذا البرهان الزاهر[9] و السلطان الظاهر[10] القاهر عنادا و لددا و إن كان باطنه على غير ذلك،

(١) من مد، و في الأصل و ظ: التربية (٢) من مد، و في الأصل و ظ: بالاضافة (٣) من ظ ومد، و في الأصل: ما (٤-٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: يشاؤن (٦) من ظ و مد، و في الأصل: لاقرى (٧) من مد، و في الأصل و ظ: و في (٨) من مد، و في الأصل و ظ: الذى (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الظاهر (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: الباهر.

فكان[1] فعله فعل[2] الشاك اللاعب ، كان التقدير لأجل ما يظهر [من حالهم - [3]] : لكنكم غير موقنين بعلم من العلوم ، بنى عليه قوله مع الصرف إلى الغيبة إعراضا عنهم[4] إيذانا بالغضب ، و [5]أنهم أهل[5] للعاجلة بالعطب : ﴿ بل هم ﴾ أي بضمائرهم ﴿ فى شك ﴾ لأنهم لا يجردون أنفسهم ٥ من شوائب المكدرات لصفاء العلم ، ثم أعلم نبيه صلى الله عليه و سلم أن الشاغل لهم عن هذا المهم حال الصبيان مع ادعائهم الكمال بأخلاق الأجلاء من[6] الرجال [فقال - [3]] : ﴿ يلعبون ﴾ أي يفعلون دائما فعل التارك[7] لما هو فيه من أجد الجد الذى لا مرية فيه إلى اللعب الذى لا فائدة فيه و لا ثمرة [له - [3]] بوجه بعد فعل الشاك بالإعراض و عدم ١٠ الإسراع إلى التصديق و الايفاض[8] .

و لما كان هذا موضع أن يقول الرسول صلى الله عليه و سلم المفهوم من [9] السياق : فما ذا صنع فيهم بعد هذا البيان[9] ، الذى لم يدع لبسا لإنسان[10] ؟ سبب عن ذلك قوله تسلية له و تهديدا لهم : ﴿ فارتقب ﴾ أي انتظر[11] بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لأحوالهم نظر من هو حارس

(١) زيد فى الأصل و ظ : اصله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان هم اهلا (٦) زيد فى الأصل و ظ : اخلاق ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : المشارك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا - كذا مع بياض بعده (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : لانشان (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انظر .

لها، متحفظا من مثلها بهمة كهمة الأسد الأرقب، و الفعل متعد و لكنه قصر تهويلا لذهاب الوهم فى مفعوله كل مذهب، و لعل المراد فى الأصل ما يحصل من أسباب نصرك و موجبات خذلانهم ﴿يوم تاتى السمآء﴾ أى فيما يخيل للعين لما يغشى البصر من شدة الجهد بالجوع إن كان المراد ما حصل [لهم -[1]] من المجاعة الناشئة عن القحط ٥ الذى سببه قوله صلى الله عليه و سلم " اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف" و روى فى الصحيح[2] أن الرجل منهم كان يرى ما بين السماء و الأرض كهيئة الدخان، و فى الواقع[3] ان المراد عند قرب الساعة و عقب قيامها، فانه ورد أنه يأتى إذ ذاك فيغشى الناس و يحصل للمؤمن منه كهيئة الزكام. و يجوز أن [يكون -[1]] المراد [4]عم[4] من ذلك ١٠ كله و أوله[5] وقت القحط [و كان آية على ما بعده، أو منه ما يأتى عند خروج الدخان من القحط -[6]] الذى يحصل قبله[7] أو غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن صياد: إنى قد خبأت لك خبأ [8]فما هو؟ قال[8]: الدخ، ففسر بالدخان، فلذلك قال تعالى: ﴿بدخان مبين﴾ أى واضح [9]لا لبس[9] فيه عند رائيه[10] و مبين[11] لما سواه من الآيات للفطن ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) راجع ٢/٧١٤ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: المراقع.
(٤) من مد، و فى الأصل وظ: اعلم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ادله.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: قوله (٨ - ٨) من مد، و فى الأصل و ظ: قال فما هو (٩ - ٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: رايه (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين.

﴿ يغشى الناس ط ﴾ أى المهددين بهـذا . و هم الذين رضوا بحضيض النوس / و الاضطراب عن اوج الثبات فى رتبة الصواب[١]، روى مسلم فى صحيحه[٢] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : بادروا بالأعمال ستا : الدجال و الدخان و دابة الأرض[٣] و طلوع ٥ الشمس من مغربها و أمر العامة و خويصة أحدكم .

/ ٧٣١

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون عند إتيانه جريا على عادة جهلهم : ما هذا ؟ أجيبوا بقوله تعالى حكاية [٤]عن لسان[٤] الحال ، أو قول بعضهم أو بعض أولياء الله : ﴿ هذا عذاب اليم ه ﴾ يخلص وجعه إلى القلب فيبلغ فى ألمه بما كنتم تؤلمون دعاتكم إلى الله برد مقولهم و الاستخفاف[٥] باغترارکم[٦] ١٠ بكثرة العدد [و القوة -[٧]] و المدد .

و لما كان كأنه قيل : فما قالوا حين تحققوا ذلك ؟ قيل[٨] : قالوا[٩] و قد انحلت عرى تلك العزائم . و وهت تلك القوى من كل [عازم -[٧]] ، و سفلت[١٠] بعد العلو تلك الشوامخ من الهمم[١١] مدعين أنهم لغاية الإذعان من أهل القرب و الرضوان : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المبدع لنا و المحسن

(١) زيدت الواو بعده فى الاصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) راجع صحيحه ٢/٤٠٦ (٣) سقط من مد (٤-٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لبيان . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاستحقاق (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : باغراءكم (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : قال (٩) العبارة من « حين تحققوا » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الاصل و ظ : شغلت (١١) من مد ، و فى الاصل و ظ : الهم .

إلينا

إلينا ﴿ اكشف عنا العذاب ﴾ ثم عللوا[1] ذلك بما علموا أنه الموجب كشفه، فقالوا مؤكدين لما لحالهم من المنافاة لخبرهم: ﴿ انا مؤمنون ﴾ أى عريقون فى وصف الإيمان واصلون إلى رتبة الإيقان، و هذا يصح أن يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها، روى الشيخان[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لاتقوم الساعة ٥ حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون، و ذلك حين لاينفع نفسا إيمانها، ثم قرأ الآية، و إن [كان -[3]] المراد بالعذاب ما حصل [4]من القحط[4] كان هذا الإيمان على سبيل الوعد.

و لما كان كشف الآيات و إظهار العذاب لايفيد فى الدلالة على الحق أكثر مما أفاده الرسول صلى الله عليه و سلم بما أقامه من المعجزات ١٠ بل إفادة الرسول أعظم، أجيب من[5] كأنه سأل عن حالهم عند ذلك بقوله معرضا عن خطابهم، إيذانا بدوام مصابهم. لئلا يظن ظان أنه ما كشف عنهم العذاب إلا لظن أنهم صادقون: ﴿انى﴾ أى كيف و من أين ﴿ لهم الذكرى ﴾ أى هذا التذكر[6] العظيم الذى وصفوا به[7] أنفسهم ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه[8] قد ﴿ جاءهم ﴾ ما هو أعظم من ذلك بما ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: علل (٢) راجع صحيح البخارى تفسير سورة الأنعام و صحيح مسلم - أبواب الإيمان (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بالقحط (٥) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لتذكر. (٧) من مد، و فى الأصل: فيه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: انهم.

لايقايس ﴿رسول مبين ۙ﴾ أى ظاهر غاية الظهور أنه رسولنا، و موضح غاية الإيضاح لما جاء بـــه عنا بما أظهر من الآيات، و غير ذلك من الدلالات.

و لما كان الإعراض عنه مع ما له من العظمة بالبيان استخفافا به ٥ و بمن جاء من بعده، أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿ثم﴾ أى بعد ما له من عليّ الرتبة فى نفسه و بالإضافة إلى من أرسله. و لما كانت الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على الحق، نازعة إلى الانقطاع [1]إلى الله و العكوف ببابه، و اللجاء إلى جنابه، إلا بجهد من[2] النفس [3] فى النفور[3] و علاج دواعى الثبور، أشار[4] إلى ذلك / بالتعبير بصيغة التفعل فقال: ٧٣٢ /

١٠ ﴿تولوا عنه﴾ أى أطاعوا ما دعاهم إلى الإدبار[5] عنه من دواعى الهوى و نوازع الشهوات و الحظوظ ﴿و قالوا﴾ أى زيادة على إساءتهم[6] بالتولى: ﴿معلم﴾ أى علمه غيره من البشر ﴿مجنون ۘ﴾ فلم[7] يبالوا بالتناقض البين الأمر، و هذا يدل على أن من لايبالى بعرضه و لاحياء له لا طيب لدائه لأنه لاوجود لدوائه، و أنه إذا مس بما يلينه و يرده ١٥ و يهينه لايؤمن [من -[8]] رجوعه إلى الحال [9]السئ عند[9] كشف ذلك

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٢) زيد فى الأصل و ظ: الحق، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣-٣) من مد، و فى الأصل وظ: بالنفور - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: اشارة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الاباء (٦) زيد فى الأصل و ظ: بالقول، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و لم (٨) زيد من مد (٩-٩) من مد، و فى الأصل و ظ: المسى عنه.

الضر عنه .

و لما لفت سبحانه الخطاب عنهم إهانة لهم، بين أن سببه أن داءهم عضال، فليس له أبدا زوال، فقال مؤكدا لاستبعادهم زوال ما هم فيه: ﴿انا﴾ أى على ما لنا من العظمة [1]بالعلم المحيط[1] وغيره ﴿كاشفوا العذاب﴾ [أى -[2]] عنكم بدعاء رسولكم صلى الله عليه و سلم فى القول بأن ٥ الدخان ما كانوا يرونه بسبب[3] الجوع من القحط ﴿قليلا﴾ إقامة للحجة عليكم لا لخفاء ما فى ضمائركم علينا . و لما كانوا[4] قد أكدوا الإخبار بأيمانهم[5]، و هو باطل، أكد سبحانه الإخبار بكذبهم، و من أصدق منه سبحانه قيلا[6]، فقال تحقيقا لقوله تعالى "و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه" و "انهم لكاذبون": ﴿انكم عآئدون[7]﴾ أى ثابت عودكم بعد ١٠ كشفنا عنكم فى ذلك الزمن القصير إلى الكفران و إن أكدتم حصول الإيمان [بأكيد الأيمان -[2]] لما فى جبلاتكم من العوج و لطباعكم من المبادرة إلى الزلل، فإيمانكم هذا الذى أخبرتم برسوخه عرض زائل و خيال باطل، و إن كان هذا فى آخر الزمان فلا بدع أن يكون الخطاب لهم على حقيقته بملك أو غيره ممن يرده الله تعالى لأن ذلك زمان خرق ١٥ العادات و نقض المطردات إقامة للحجة عليهم و له الحجة البالغة، و تأديبا

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ: بالمحيط (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: سبب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كان وا - كذا. (٥) فى مد: بكذبهم بايمانهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قليلا (٧) من ظ و مد و القرآن، و فى الأصل: لعايدون.

لنا و تعليما .

و لما كان اليوم قد يراد به الزمن المجتمع فى حكم من الأحكام، وكان زمان الدخان [إن - [1]] كان المراد به القحط الذى كان قبل يوم بدر أو[2] ما يقرب من الساعة يسمى[3] يوما واحدا لاتحاد ذلك الحكم، ٥ أبدل من " يوم الدخان " قوله تهديدا يشق الأكباد : ﴿ يوم نبطش ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و البطش : الأخذ بقوة[4] ﴿ البطشة الكبرى ج ﴾ [أى - [5]] التى تنحل لها عراهم و تنخل بها[6] عزائمهم و قوام، و لا يحتملها حقائقهم و لا منامهم ، سواء كانت البطشة يوم بدر أو غيره فيخسر[7] هنالك من كشف حال الابتلاء عن طغيانه ، وتمرده على ربه و عصيانه ، و يجوز ١٠ أن يكون هذا ظرفا لعائدون . و لما كان ما له سبحانه من الحلم و طول الإمهال موجبا لأهل البلادة و الغلظة الشك فى وعيده ، قال مؤكدا : ﴿ انا منتقمون ه ﴾ أى ذلك صفة ثابتة لم نزل نفعلها بأعدائنا لنسر أضدادهم من أوليائنا .

و لما كان التقدير : فلقد فتناهم بما أرسلناك إليهم ليكشف ذلك لمن ١٥ لا يعلم الشىء إلا بعد وقوعه عما / نعلمه[8] فى الأزل ، و فيما لا يزال[9] و لم يزل، /٧٣٣

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سيجى - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالقوة . (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس فى ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : نعله (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا نزل .

من

من بواطن أمورهم، فتقوم الحجة على من خالفنا على مقتضى عاداتكم[1]،
عطف عليه محذرا لقريش و مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم قوله:
﴿ و لقد فتنا ﴾ أى فعلنا على ما لنا من العظمة فعل الفاتن و هو المختبر[2]
الذى يريد أن يعلم حقيقة الشيء بالإملاء و التمكين ثم الإرسال[3].

و لما كان من المعلوم أن قوم فرعون لم يستغرقوا الزمان و لا كانوا ٥
أقرب الناس زمانا إلى قريش، نزع الجار قبل الظرف لعدم[4] الإلباس
أو أنه عظم فتنتهم لما كان لهم من العظمة و المكنة، فجعلها لذلك كأنها
مستغرقة لجميع الزمان فقال: ﴿ قبلهم ﴾ أى قبل هؤلاء العرب ليكون
ما مضى من خبرهم عبرة لهم و عظة.

و لما كان فرعون من أقوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من ١٠
الجنود و الأموال و المكنة، [5]و كان[5] الرسول الذى أتاه قد جمع له -
صلى الله عليه و سلم - [6]الآيات التى اشتملت على التصرف فى العناصر
الأربعة. فكان[7] فيها الماء و التراب و النار و الهواء، و كانوا إذا[8] أتتهم
الآية قالوا: يا أيها الساحر! ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون،

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: عوايدكم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: المخبر (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بالارسال (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: نظرا الى (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فكان (٦) زيد فى الأصل و ظ: علم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: فكانوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لما.

فاذا[1] كشف عنهم ذلك عادوا[2] إلى ما كانوا عليـــه كما أخبر تعالى عن هؤلاء عند مجيء الدخان - إلى [غير - [3]] ذلك مما شابهوهم فيه من الأسرار[4] التي كشفها هذا المضمار ، و كان آخر ذلك أن[5] أهلكهم أجمعين ، فكانوا أجلى مثل لقوله تعـالى في التي قبلها " فاهلكنا اشد ٥ منهم بطشا " خصهم بالذكر من [بين - [6]] المفـــتونين قبل فقـال : ﴿ قوم فرعون ﴾ أي مع فرعون لأن ما كان فتنة لقومه كان فتنة له[7] لأن الكبير أرسخ في الفتنة بما أحاط[8] به من الدنيا[9] . و سيأتي التصريح به في آخر القصة ﴿ و جآءهم ﴾ أي المضافين و المضاف إليه[10] في [زيادة - [6]] فتنتهم ﴿ رسول كريم لا ﴾ أي يعلمون شرفه نسبا و أخلاقا ١٠ و أفعالا ، ثم زاد بيان كرمه بما [11] ظهر لله[11] به من العناية بما أيده به من المعجزات .

و لما أخبر بمجيئه إليهم بالرسالة التي لا تكون إلا بالقول ، فسر ما بلغهم منها بقوله : ﴿ ان ادوآ ﴾ أي أوصلوا مع البشر و طيب النفس ، و أبرز ذلك في صيغة الأمر الذي لا يسوغ مخالفته و لما كان بين ١٥ موسى عليه الصلاة و السلام و بين تصرفه في قومه حائل كشف من

---

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : فلما (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : حادوا . (٣) زيد من مد (٤) في مد : الاشرار (٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد : لهم (٨) في مد : احاطه (٩) من ظ و مد ، و في الاصل : الدين (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : اليهم (١١-١١) من ظ و مد ، و في الأصل : اظهر الله .

ظلم فرعون و قومه، أشار [إليه - [1]] بحرف الغاية [2] فقال: ﴿ الىّ ﴾ و نبهه على أنه لا حكم له عليهم بقوله. ﴿ عباد الله ط ﴾ أى بنى إسراءيل الذين استعبدتموهم ظلما و ليست [3] عليهم عبودية [4] إلا للذى أظهر فى أمورهم صفات جلاله و جماله بما صنع مع آبائهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و من بعده و ما سيظهر مما ترونه و ما [5] يكون بعدكم. ٥

و لما كان لهم به من النفع إن تبعوا ما جاءهم به و الضر إن ردوه ما ليس لغيرهم، و كان لا يقدر على تأدية [6] بنى إسراءيل إليه من أهل الأرض غيرهم لاحتوائهم عليهم، كان تقديم الجار فى أحكم مواضعه / ٧٣٤ فلذلك [7] قال مؤكدا لإنكارهم لرسالته عليه الصلاة و السلام: ﴿ انى لكم ﴾ أى خاصة بسبب ذلك ﴿ رسول ﴾ أى [من - [1]] عند من لا تكون ١٠ الرسالة الكاملة إلا منه. و لما كان الإنسان لا يأتمن على السياسة إلا ثقة كافيا، قال واصفا لنفسه [بما - [1]] يزيل عذرهم و يقيم الحجة عليهم: ﴿ امين لا ﴾ اى بالغ الأمانــة لأن الملك الديان لا يرسل إلا من كان كذلك.

و لما كان استعباد [8] عبد الغير بغير حق فى صورة العلو على مالك ١٥ العبد قال: ﴿ و ان لا تعلوا ﴾ أى تفعلوا باستعبادكم لبنى إسراءيل نبى الله

---

(١) زيد من مد (٢) فى الأصول بياض (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عبودته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تاويه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: فكذلك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اسعار.

ابن خليل الله فعل العالى ﴿ على الله ج ﴾ الذى له مجامع العظمة و معاقد[1] العزة بنفوذ الكلمة و جميع أوصاف الكمال فانكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته و دمركم بعظمته .

و لما كان علو من يتصرف[2] فى العبد[3] على مالك العبد لا يثبت ٥ إلا بعد ثبوت[4] أنه ملكه و أنه لايجب التصرف فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل [أن ـ[5]] ما أتى به بصدد أن ينكروه[5] لأن النزوع عما استقر فى النفس و مضى عليه الإلف[6] بعيد : ﴿ انى اٰتيكم ﴾ و هو يصح أن يكون اسم فاعل و أن يكون فعلا مضارعا . و لما كان فعلهم فعل العالى على السلطان ، قال : ﴿ بسلطٰن ﴾ أى أمر باهر قاهر من ١٠ عند مالكهم ، لايسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره[7] ﴿ مبين ج ﴾ أى واضح فى نفسه سلطنته و مظهر لغيره ذلك .

و لما كان من العجائب أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا[8] منهم ثم يأتى إليهم لاسيما إتيانا يقاهرهم فيه فى أمر عظيم من غير أن يقع بينهم و بينه ما يمحو ما تقدم منه ، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال ١٥ آيـة أخرى دالة على السلطان ، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه فى قبضتهم : ﴿ و انى عذت ﴾ أى اعتصمت و امتنعت ﴿ بربى ﴾ الذى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقاعد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالعبد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبوته (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينكرونه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الانف (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يامر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : نارا .

ربانى على ما اقتضاه لطفه بى[1] و إحسانه إلىّ ﴿ و ربكم ﴾ الذى أعاذنى من قتلكم[2] لى بكم على[3] ما دعت إليه حكمته من جبروتكم و تكبركم و قوة مكنتكم ﴿ ان ترجمون ﴾ أى أن[4] يتجدد[5] فى وقت من الأوقات قتل منكم لى ، ما أتيتكم حتى توثقت من ربى فى ذلك ، فانى قلت[6] "انى اخاف ان يقتلون" فقال "سنشد عضدك باخيك و نجعل لكما سلطانا ه فلا يصلون اليكما بايتنا[7]" فهو من أعظم آياتى أن لا تصلوا [8]على قوتكم[8] و كثرتكم إلى قتلى مع أنه لا قوة لى بغير الله الذى أرسلنى .

و لما كان التقدير : فان آمنتم بذلك و سلمتم لى أفلحتم ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان لم تؤمنوا لى ﴾ أى تصدقوا لأجلى ما أخبرتكم به ﴿ فاعتزلون ه ﴾ أى : إن لم تعتزلونى هلكتم ، و لا تقدرون[9] على قتلى ١٠ بوجه و أنا واحد ممن تسومونهم[10] سوء العذاب ، و ما قتلتم أبناءهم إلا من أجلى ، فربانى على كف من ضاقت عليه الأرض بسببى و سفك الدماء فى[11] شأنى ، و منعه الله / من أن يصل [12]إلىّ منه[12] سوء قبل أن ٧٣٥ /

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : به (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : قبلكم .
(٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد فى الأصل : منكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : علمت .
(٧) زيد فى الأصل : انتما و من اتبعكما ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بقوتكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقدروا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسومونه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١٢-١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه إلى .

أعوذ به، فكيف به بعد أن أرسلني و عذت به فأعاذني، و استجرت به فأجارني.

و لما كان التقدير: لم يؤمنوا به و لا لأجله و لم يعتزلوه، بل بغوا[1] له الغوائل و راموا أن يوافعوا به الدواهي و القواصم، فلم يقدروا على ذلك و آذوا قومه و طال البلاء، سبب عنه قوله: ﴿ فدعا ربه ﴾ ٥
الذي أحسن إليه و ضمن له سياسته و سياسة قومه. ثم فسر ما دعا به بقوله: ﴿ ان هؤلاء ﴾ [أي -[2]] الحقيرون الأراذل الذليلون[3] ﴿ قوم ﴾ أي لهم قوة على القيام بما[4] يحاولونه ﴿ مجرمون ﴾ أي عريقون[5] في قطع ما أمرت به أن يوصل، و ذلك متضمن وصل ما أمرت[6] به ان يقطع، فكان المعنى: فدعا بهذا المعنى، و لذلك[7] أتى "بان" الدالة على المصدرية. ١٠
و لما كان ممن يستجيب دعاءه و يكرم نداءه، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاسر ﴾ أي فقلنا[8] له: سر عامة الليل - هذا على قراءة المدنيين و ابن كثير[9] بوصل الهمزة، و على قراءة غيرهم بالقطع المعنى[10]: أوقع السرى[11] و هو السير عامة الليل ﴿ بعبادي ﴾ الذين هم أهل لإضافتهم إلى جنابي، قومك الذين أرسلناك لإسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم و تفريغهم لعبادتي ١٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: نعوا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) في مد: فيما (٥) في مد: موصوفون بالعراقة (٦) من مد، و في الأصل و ظ: امر (٧) من ظ و مد، و في الأصل: كذلك (٨) من مد، و في الأصل و ظ: قلنا (٩) راجع نثر المرجان ٦/٤٧٦ (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: المنع (١١) من ظ و مد، و في الأصل: في السير.

[1]لا لعبادة غيرى[1] .

و لما كان سبحانــه قد تقدم[2] إلى بنى إسراءيل فى أن يكونوا متهيئين فى الليلة التى أمر بالسرى فيها بحيث لايكون لأحد منهم عاقة أصلا كما تقدم بيانه فى الأعراف عن التوراة، بين تاكيده لذلك[3] بقوله: ﴿ ليلا ﴾ فصار تاكيدا بغير اللفظ، و إنما أمره بالسير فى الليل لأنه ٥ أوقع بالقبط موت الأبكار ليلا، فأمر فرعون موسى عليه الصلاة و السلام أن يخرج بقومه فى ذلك خوفا من أن يموت القبط .

و لما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى [4]أن يطلع[4] الفجر و يرتفع عنهم الموت، منعوهم[5] الخروج، و إن تأخروا إلى آخر الليل أدركوهم قبل الوصول إلى البحر فيقتلوهم، علل هذا الأمر [بقوله - [6]] مؤكدا ١٠ [7]له لأن[7] حال القبط عند ما أمروهم بالخروج كان[8] حال من لايصدق له ترجع[9] فى قوله: ﴿ انكم متبعون ﴾ أى مطلوبون بغاية الشهوة و الجهد من عدوكم، فلا يغرنكم ما هم فيه عند أمركم بالخروج من الجزع من إقامتكم[10] بين أظهرهم و سؤالهم لكم فى الخروج عنهم بسبب وقوع الموت الفاشى[11] فيهم، فان القلوب بيد الله، فهو يقسى قلب فرعون ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يقدم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٤ - ٤) فى مد: مطلع. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: سفوهم (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ و مد. وفى الأصل: لهم لا (٨) زيد فى الأصل وظ: حالهم، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مرجم (١٠ - ١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: باقامتكم (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: الناشى .

بعد رؤية هذه الآيات حين يرتفع عنهم الموت و يفرغون من دفن موتاهم فيطلبكم لما دبرته فى القدم من سياستكم باغراقهم أجمعين ليظهر مجدى بذلك و أدفع[1] عنكم روع[2] مدافعتهم فانى أعلم أنه لاقوة لكم و لا طاقة[3] بهم، فلم أكلفكم لمباشرة شيء من أمرهم .

ولما أمره بالإسراء وعلله، أمره بما يفعل فيه و علله فقال: ﴿ و اترك البحر ﴾ أى اذا أسريت[4] بهم و تبعك العدو و وصلت إليه و أمرناك بضربه لينفتح لتدخلوا [فيه - [5]] فدخلتم و نجوتم[6] ﴿ رهوا[4] ﴾ بعد خروجكم منه بأجمعكم أى منفرجا واسعا ساكنا بحيث يكون المرتفع من مائه مرتفعا و المنخفض منخفضا كالجدار، و طريقه الذى سرتم[6] به ١٠ يابسا[7] ذا سير سهل على الحالة التى دخلتم فيها ليدخل فيه عدوكم فتمجد باغراقهم كما وعدناكم، و قال البغوى[8] : راهيا أى[9] ذا رهو[9] فسمى بالمصدر - و عزاه إلى مقاتل - انتهى . و لما كانت هذه أسبابا لدخول آل فرعون فيه، علل بما يكون عنها تسكينا لقلوبهم فى ترك البحر طريقا مفتوحا يدخله العدو . فقال مؤكدا لأجل استبعاد بنى إسراءيل مضمون ١٥ الخبر لأنه[10] من خوارق العادات مع ما لفرعون و آله فى قلوبهم من

/٧٣٦

(١) فى مد : ارتفع (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ردع (٣) زيد فى الأصل لكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : سريت (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : نجيتم (٧ - ٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالليل - كذا (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٢٢ (٩-٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : اذا رهوا (١٠) فى مد : لأن .

الهيبة

الهيبة الموجبة لأن يستبعدوا معها عمومهم بالإهلاك: ﴿انهم جند معرقون ه﴾ أى متمكنون فى [هذا - [1]] الوصف و إن كان لهم وصف القوه و التجمع الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الأمور.

و لما أرشد السياق و لابد إلى تقدير: فأسرى موسى بعباد الله كما أمره [2] الله فتبعهم آل فرعون كما اخبر سبحانه، ففتح الله البحر يامر ٥ قدرته و أمسك ماءه كالجدران [3] بقاهر عظمته و تركه بعد طلوعهم منه على حالته فتبعهم عباد الشيطان [4] بما فاض عليهم من شقاوته فأغرقهم الله بعزته لم يفلت منهم أحد. عبر سبحانه عن هـــذا كله بقوله على طريق الاستئناف: ﴿ كم تركوا ﴾ أى الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا ﴿ من جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الأرض ١٠ و كثرة الأشجار و زكاء [5] الثمار و النبات و حسنها الذى [6] يسر المهموم و [6] يسترّ الهموم، و دل على كرم الأرض [بقوله - [1]]: ﴿ و عيون لا و زروع ﴾ أى بما هو دون الأشجار . و لما كان ذلك لا يكمل إلا بمنازل و مناظر فى الجنان [7] و غيرها فقال: ﴿ و مقام كريم لا ﴾ أى مجلس شريف هو أهل لأن يقيم [8] الإنسان فيه، لأن النهاية فيما يرضيه . ١٥

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: امر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كالجمدان (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: السلطان (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكاه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٧) فى مد: الجنات (٨) فى مد: يقوم.

و لما كان ذلك قد يكون بتعب صاحبه[1] فيه، دل على أنه كان بكد غيرهم و هم فى غاية الترف، و هذا هو الذى حملهم على اتباع من كان يكفيهم[2] ذلك حتى أداهم إلى الغرق قال: ﴿ و نعمة ﴾ هى بفتح النون اسم للتنعم بمعنى الترفه و العيش اللين الرغد. و أما التى بالكسر ٥ فهى الإنعام ﴿ كانوا فيها ﴾ أى دائما ﴿ فٰكهين لا ﴾ أى فعلهم فى عيشهم فعل المترفه لا فعل من يضطر إلى إقامة نفسه.

و لما كان هذا أمرا عظيما لايكاد يصدق أن يكون لأحد، دل على عظمه[3] و حصوله لهم بقوله: ﴿ كذلك قف ﴾ أى الأمر كما أخبرنا به من تنعيمهم[4] و إخراجهم و إغراقهم و أنهم تركوا جميع ما كانوا فيه ١٠ لم يغن[5] عنهم شيء منه، فلا يغترن[6] أحد[7] بما ابتليناه به من النعم لئلا ٧٣٧/ يصنع به من الإهلاك ما صنعنا بهم. و لما أفهم سوق الكلام هكذا إغراقهم كلهم، زاده إيضاحا بالتعبير بالإرث الذى[8] حقيقته الأخذ عن الميت[9] أخذا لامنازع فيه فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد اسم الإشارة: ﴿ و اورثنٰها ﴾ أى تلك الأمور العظيمة ﴿ قوما ﴾ أى ناسا

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: انسان (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يكفهم (٣) زيد فى الأصل بعده: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: نعيمهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لن يغنى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا يغتر (٧) زيد فى الأصل: منهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ: هو، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ميت.

ذوى قوة فى القيام على ما يحاولونـــه . و حقق أنهم غيرهم تحقيقا لإغراقهم بقوله : ﴿ ءاخرين ﴾ قال ابن برجان : و قال فى سورة الظلة : "و عيون و كنوز" مكان "و زروع" لما[1] كان المعهود من الزرع الحصد فى أقرب المدة أورث زروعها و جناتها و ما فيها من مقام كريم قوما ليسوا بآل فرعون فانهم أهلكوا و لا بنى إسرائيل فانهم قد عبروا البحر، ٥ و لما توطد[2] ملكهم فى الأرض المقدسة اتصل بمصر، فورثوا الأرض بكنوزها و أموالها و نعمتها و مقامها الكريم - انتهى .

و لما كان الإهلاك يوجب أسفا على المهلكين و لو من بعض الناس و لاسيما إذا كانوا جمعا[3] فكيف إذا كانوا أهل مملكة[4] و لاسيما إذا كانوا فى نهاية الرئاسة . أخبر بأنهم[5] كانوا لهوانهم عنده[6] سبحانه ١٠ و تعالى على خلاف ذلك ، فسبب عما مضى قوله : ﴿ فما بكت عليهم ﴾ استعارة لعدم الاكتراث [7]بهم لهوانهم[7] ﴿ السمآء و الارض ﴾ و إذا لم يبك السكن فما ظنك بالساكن الذى هو بعضه، روى أبو يعلى فى مسنده و الترمذى[8] فى جامعه - و قال : غريب و الربذى[9] و الرقاشى[10] يضعفان

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : توطن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميعا (٤) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد : انهم (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عندهم (٧-٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهوانهم (٨) راجع جامعه ٢ / ١٥٨ (٩) من التهذيب ، و فى الأصل : الزيدى ، و هو موسى بن عبيدة (١٠) هو يزيد بن أبان .

فى الحديث - عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما من مسلم إلا و له فى السماء بابان ، باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ، و تلا هذه الآية ، و قال على[1] رضى الله عنه : إن المؤمن إذا مات بكى [2]مصلاه من الأرض و مصعد ٥ عمله من السماء .

و لما جرت العادة بأن العدو قد يستمهله عدوه فى بعض الأوقات لمثل وصية و قضاء حاجة فيمهله ، أخبر تتميما لعدم الاكتراث بهم أنهم كانوا دون ذلك فقال : ﴿ و ما كانوا ﴾ و لما كان هذا لكونه[3] خيرا عنهم بعد مضيهم المقصود منه تحذير[4] من بعدهم فقط ، لم يذكر التقييد ١٠ [5]بذلك الوقت باذن[5] و نحوها دلالة على أن ما كانوا فيه من طويل الإمهال [6] كان كأنه[6] لم يكن لعظم[7] هذا الأخذ بخلاف ما مر فى الحجر من التخويف من إنزال الملائكة عليهم ، فان [تقييد -[8]] عدم الإنظار بذلك الوقت لرد[9] السامعين عن طلب إنزالهم فقال تعالى : ﴿ منظرين ﴾ أى ممهلين عما أنزلنا بهم من المصيبة[10] من ممهل [ما - [8]] لحظه فما

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٣١ (٢) ليس فى ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكون (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يحذر . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : لوقت باذن (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الاصل : كأنه كان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لعظيم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، و فى الاصل و ظ : كرر (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعصية .

فوقها

فوقها ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه و ينظروا في شيء مما يهمهم بل كان أخذهم لسهولته علينا في أسرع من اللمح، لم يقدروا على [١]دفاع، فنالهم [١] عذاب الدنيا و صاروا [٢] إلى عذاب [٢] الآخرة فخسروا الدارين و ما ضروا غير أنفسهم [٣].

و لما / كان إنقاذ بني إسرائيل من القبط أمرا [٤] باهرا لا يكاد ٥ / ٧٣٨ يصدق فضلا عن أن يكون باهلاك أعدائهم، أكد [٥] سبحانه الإخبار بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيها على أنه قادر أن يفعل بهذا النبي صلى الله عليه و سلم [٦] و أتباعه كذلك و إن [٧] كانت قريش [٨] يرون ذلك محالا و أنهم في قبضتهم [٩] فقال: ﴿ و لقد نجينا ﴾ [أي - [١٠]] بما لنا من العظمة [١١] تنجية عظيمة [١١] مع كونها بسبب الآيات المتفرقات كانت ١٠ على التدريج ﴿ بني اسرآءيل ﴾ عبدنا الخاص لنا ﴿ من العذاب المهين لا ﴾ بسبب أنهم كانوا عندهم في عداد العبيد يستخدمون الرجال و النساء بل أذل للزيادة على التصرف في العبيد بالتذبيح [١٢] للأبناء.

(١-١) من مد، و في الأصل و ظ: دفاعه ما لهم (٢-٢) من مد، و في الأصل و ظ: في عذاب (٣) زيد في الأصل: فقط، و لم تمكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) زيد في الأصل: ظاهرا. و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٥) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٦) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من مد، و في الأصل و ظ: فان (٨) من مد، و في الأصل و ظ: قريشا (٩) من ظ و مد، و في الأصل: قبضته. (١٠) زيد من مد (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من مد (١٢) من مد، و في الأصل و ظ: بالتدريج.

و لما تشوف السامع إلى صاحب ذلك العذاب قال مبدلا مما قبله إفهاما لأن فرعون نفسه كان عذابا لإفراطه في أذاهم[1] : ﴿ من فرعون[2] ﴾ ثم علل ذلك بما يعرف منه صحة الوصف للعذاب فقال مؤكدا لأن حال قريش في استدلال المؤمنين حال من يكذب[2] بأن الله أنجى بني ٥ إسرايل على ضعفهم فهو ينجي غيرهم من الضعفاء أو يكذب بأن فرعون كان قويا ﴿ انه كان عاليا ﴾ في جبلته العراقة في العلو ﴿ من المسرفين ﴾ [3] أي العريقين في مجاوزة الحدود[3] .

و لما كانت قريش[4] تفتخر بظواهر[5] الأمور من الزينة و الغرور و يعدونه تعظيما من الله و يعدون ضعف الحال في الدنيا شقاء[6] و بعدا ١٠ من الله ، رد عليهم قولهم بما آتى بني إسرائيل على ما كانوا فيه من الضعف و [7]سوء الحال[7] بعد إهلاك[8] آل فرعون بعذاب الاستئصال ، فقال مؤكدا لاستبعاد قريش أن يختار من قل[9] حظه من[10] الدنيا : ﴿ و لقد اخترنهم ﴾ أي فعلنا بما لنا من العظمة في جعلنا لهم[11] خيارا فعل من اجتهد في ذلك ، و عظم أمرهم بقوله بانيا على ما تقديره : اختيارا

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : اذيتهم (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : تكذيب (٣ - ٣) من مد ، و في الأصل : المجاوزين في الحدود حد التجاوز ، و في ظ : المجاوزين في الحدود (٤) و من هنا استأنفت نسخة م (٥) من م ومد ، و في الأصل و ظ : بظاهر (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : مقتا . (٧-٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ما سوء (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اهلاكهم اى (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قلة (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : في (١١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هم .

مستعليا

مستعليا ﴿ على علم ﴾ أى منا بما يكون منهم من خير و شر ، و قد ظهر من آثاره أنكم صرتم تسألونهم و أنتم صريح ولد إسماعيل عليه الصلاة و السلام عما ينوبكم و تجعلونهم قدوتكم فيما يصيبكم و[1] تضربون إليهم أكباد الإبل ، و هكذا يصير عن قليل كل من اتبع رسولكم صلى الله عليه و سلم منكم و من غيركم . و لما بين[2] المفضل ، بين المفضل ٥ عليه فقال : ﴿ على العلمين ج ﴾ أى الموجودين فى زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب و ارسلنا إليهم من الرسل .

و لما أعلم باختيارهم ، بين آثار الاختيار فقال : ﴿ و اتينهم ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ من الأيت ﴾ أى العلامات الدالة على عظمتنا و اختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه الصلاة و السلام فرعون[3] ١٠ إلى أن فارقهم بالوفاة و بعد وفاته على أيدى الأنبياء المقررين لشرعه عليهم الصلاة و السلام ﴿ ما فيه بلٓؤا ﴾ / أى اختبار مثله يميل من ينظره ٧٣٩ / أو يسمعه أو يحيله إلى غير ما كان[4] عليه ، و ذلك بفرق البحر و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى و غير ذلك مما رأوه[5] من الآيات التسع ، و فى هذا ما هو رادع[6] للعرب عن بعض أقوالهم من خوف التخطف ١٥

---

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٢) زيد فى الأصل : حال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : لعنه الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طلبوه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ردع .

من العرب[1] و الفقر لقطع الجلب عنهم و غير ذلك ﴿ مبين ه ﴾ أى بين لنفسه موضح لغيره، و[2] ما أنسب هـذا الختم لقوله أول قصتهم "و لقد فتنا قبلهم قوم فرعون".

و لما ثبت بما مضى أنه سبحانه متصف بالإحياء و الإماتة، و كان ٥ إنكار ذلك عنادا لايستطيع أحد[3] يثبت الإله أن ينكره، و كان الاقرار بذلك فى بعض و إنكاره [4]فى بعض[4] تحكما و مخالفا[5] لحاكم العقل و صارم النقل، و كان من الآيات التى أوتوها إحياؤهم بعد إماتتهم حين طلبوا الرؤية فأخذتهم الصاعقة، و حين خرجوا من ديارهم و هم ألوف حذر الموت، و كان ذلك هو البعث بعينه، و كان العرب ينكرونه و يبالغون ١٠ فى إنكارهم [له -[5]] و لا يسألونهم عنه، قال موبخا لهم مشيرا بالتأكيد إلى أنه لايكاد يصدق أن أحدا ينكر ذلك لما له من الأدلة : ﴿ ان ﴾ و حقرهم بقوله : ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى الأدنياء الأقلاء الأذلاء ﴿ ليقولون ﴾ أى بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين فى الإنكار فى نظير تأكيد الإثبات : ﴿ ان ﴾ أى ما . و لما كان قد تقدم قوله تعالى "يحيي و يميت" ١٥ و هم يعلمون أن المراد به أنه يتكرر منه الإحياء للشخص الواحد،

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : القرب (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣) زيد فى الأصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من م و مد. و فى الأصل و ظ : لبعض (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مخالف (٥) زيد من م و مد.

و كان

و كان تعالى قد قال و لا يخاطبهم إلا بما يعرفونه " و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " أى بالانتشار[١] بعد الحياة [و - [٢]] قال " امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين " قالوا : ما ﴿ هى الاموتتنا ﴾ على حذف مضاف أى ما الحياة إلا حياة موتتنا ﴿ الاولى ﴾ أى التى كانت قبل نفخ الروح - كما سيأتى فى الجاثية " [ان هى - [٣]] إلا[٤] حياتنا الدنيا " ٥ و[٥] عبروا عنها بالموتة[٦] إشارة إلى أن الحياة فى جنب الموت المؤبد على زعمهم أمر متلاش لانسبة لها منه ، و ساق سبحانه كلامهم على [٧]هذا الوجه[٧] إشارة إلى أن الأمور [إذا قيس - [٢]] غائبها على شاهدها ، كان الإحياء بعد الموتة [الثانية أولى لكونه بعد حياة من الاحياء بعد الموتة - [٢]] الأولى ، لحط[٨] الأمر على[٩] أن الابتداء[١٠] كان من موت ١٠ لم يتقدمه حياة ، و القرار[١١] يكون على حياة لايعقبها موت .

و لما كان المعنى : و ليس وراءها حياة ، أكدوه بما يفهمه [١٢]تصريحا فقالوا[١٢] برد ما أثبته[١٣] الله على [لسان - [١٤]] رسوله صلى الله عليه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الانتشار (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثم (٦) فى مد : بالموت . (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محط (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : إلى (١٠) من هنا سقطت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (١١) من ظ و م ، و فى الاصل : الفرار . (١٢-١٢) من م ، و فى الأصل و ظ : تصريحا فقالوا (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : انزله (١٤) زيد من م .

وسلم: ﴿ وما نحن ﴾ وأكدوا النفي فقالوا: ﴿ بمنشرين ۝ ﴾ أي من منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوي حركة اختيارية ننتشر بها بعد الموت، يقال: نشره وأنشره - إذا أحياه.

ولما كانوا يزعمون أن دعوى الإحياء لايصح إلا إذا[1] شاهدوا
٥ أحدا[2] من الأموات الذين يعرفونه حيا[3] بعد أن تمزق [4]جلده وعظامه[4]، سببوا عن إنكارهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه: ﴿ فاتوا ﴾ أي أيها الزاعمون[5] أنا نبعث بعد الموت إيذانا بأنهم لايصدقون بذلك وإن كثر معتقدوه [4]من جنس بشرهم وتبعهم[4] ﴿ بآبائنا ﴾ أي لكوننا نعرفهم ونعرف وفور عقولهم[6] فلا نشك [في -[7]] أن ذلك إحياء
١٠ لمن مات ليكون ذلك آية لنا على البعث، وأكدوا تكذيبهم بقولهم: ﴿ ان كنتم صدقين ۝ ﴾ أي ثابتا صدقكم.

ولما أخبروا على هذه العظمة تنطعا[8] لأنها لو وقعت لم يكن بأدل على ثبوت النبوة المستلزمة لتصديق كل ما يقول لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وما يأتيهم به من الآيات، غير خائفين من الله
١٥ وهم يعلمون[9] قدرته وإهلاكه للماضين لأجل تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكأنهم يدعون خصوصية في مكنة من عين أو معنى

---

(١) في م: ان (٢) من ظ وم، وفي الأصل: من هو (٣) في م: في.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: الانبياء والمرسلين الزاعمين (٦) من م، وفي الأصل و ظ: عقلهم (٧) زيد من م.
(٨) من ظ وم، وفي الأصل: سعفا - كذا (٩) من ظ وم، وفي الأصل: على.

يحجون بها من مساواة من قبلهم فى ذلك . فقال تعالى منكرا عليهم : ﴿ ا هم خير ﴾ أى فى الدين و الدنيا ﴿ أم قوم تبع لا ﴾ أى الذين ملك بهم تبع الأرض بطولها و العرض و حير الحيرة و بنى قصر سمرقند و كان مؤمنا ، و قومه حمير و من تبعهم أقرب المهلكين[1] إلى قريش زمانا و مكانا . و كان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار ، و قال الرازى ٥ فى اللوامع : هو أول من كسى البيت و نحر بالشعب ستة آلاف بدنة و أقام به ستة أيام[2] و طاف به و حلق . و قال البغوى[3] بعد أن ذكر قصته مع الأنصار لما قتل ابنه غيلة بالمدينة[4] الشريفة و ما وعظته به اليهود فى الكف عن إخراب المدينة لأنها مهاجر نبى [من -[5]] قريش : فصدقهم و تبع دينهم ، و ذلك قبل نسخه . و قال عن الرقاشي : آمن ١٠ تبع بالنبى صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث بسبعمائة[6] عام . و عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا .

و لما كان ذلك[7] فى سياق التهديد بالإهلاك[8] لأجل مخالفتهم ، و كان الإهلاك لذلك إنما كان لبعض من تقدم زمانهم لا لجميع الخلق ، أدخل الجار فقال : ﴿ و الذين من قبلهم ط ﴾ أى [من -[5]] مشاهير ١٥ الأمم كمدين و أصحاب الأيكة و الرس و ثمود و عاد .

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : المهلين (٢) من م و معالم التنزيل ، و فى الأصل وظ : الاف (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٢٣ (٤) فى م : فى المدينة (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : سبعمائة (٧) سقط من ظ وم . (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : و الاهلاك .

و لما كان كأنه قيل : ما لهؤلاء الأمم ؟ قيل : ﴿ اهلكنهم ﴾ أى بعظمتنا[1] و إن كانوا عظماء لايعشرهم[2] هؤلاء فيما[3] لهم من المكنة لقطعهم من أمر الله به أن يوصل من الرسل و أتباعهم ، و تكذيبهم بما أتوا به ، و لذلك علل الإهلاك تحذيرا للعرب بقوله مؤكدا لظنهم أن هلاكهم[4] ٥ إنما هو على عادة الدهر : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مجرمين ﴾ أى عريقين فى الإجرام ، فليحذر هؤلاء إذا[5] ارتكبوا مثل أفعالهم[6] من مثل حالهم[7] و أن يحل بهم ما حل بهم[7] .

و لما كان التقدير للاستدلال على الجزاء الذى جامعه التكفل بجميع أنحائه[8] يوم القيامة : فانا ما خلقنا الناس عبثا يبغى بعضهم على ١٠ بعض ثم لايؤاخذون[9] ، / عطف عليه ما هو أكبر فى الظاهر منه فقال : ﴿ و ما خلقنا السموت ﴾ أى على عظمها[10] و اتساع كل واحدة منها و احتوائها لما تحتها ، و جمعها[11] لأن العمل كلما زاد كان أبعد من العبث[12] مع أن إدراك تعددها مما يقتضى[13] المشاهدة بما فيها من الكواكب ، /٧٤١

(١-١) من م . و فى الأصل و ظ : لعظمتنا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لايعسرهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فما (٤) من م ، و فى الأصل وظ : اهلاكهم (٥) فى م : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فعالهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انحاله - كذا . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لايواخذا - كذا (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : عظمتها (١١) من م ، و فى الاصل و ظ : جميعها (١٢) من م ، و فى الأصل و ظ : البعث (١٣) زيد فى م : به .

و وحد

و وحد فى سورة الأنبياء تخصيصا بما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته لما ذكر هناك[1] من اختصاص "لدن" بما بطن .

و لما كان الدليل على تطابق الأراضى دقيقا [2]وحدها فقال[2] : ﴿و الارض﴾ أى على ما فيها من المنافع ﴿و ما بينهما﴾ أى النوعين و بين كل واحدة منهما [و ما -[3]] يليها ﴿لعبين ه﴾ أى على ما لنا ٥ من العظمة [4]التى يدرك من[4] له أدنى عقل تعاليها عن اللعب لأنه لايفعله إلا ناقص ، و لو[5] تركنا الناس يبغى بعضهم على بعض كما تشاهدون ثم لا نأخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا لهم لعبا ، بل اللعب أخف [منه -[3]]، و لم نكن على ذلك التقدير مستحقين لصفة القدوسية ، فانه " لا قدست أمة لايؤخذ لضعيفها بالحق من قويها غير متعتع[6] - رواه ابن ١٠ ماجه عن أبى سعيد و ابن جميع فى معجمه عن جابر ، و صاحب الفردوس عن أبى موسى رضى الله عنهم رفعوه ، و هو شيء لايرضى به لنفسه أقل حكام[7] الدنيا ، فكان هذا برهانا قاطعا على صحة الحشر ليظهر هناك الفصل بالعدل و الفضل .

و لما نفى أن يكون خلق ذلك اللعب الذى هو باطل ، أثبت ما ١٥ خلقه له و لم يصرح بما فى البين لأنه تابع ، و قد نبه عليه ما مضى ،

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حد هناك (٣) زيد من م (٤ - ٤) من م ، و فى الاصل و ظ : الذى نر - كذا . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٦) من م و سنن ابن ماجه ص : ١٧٧ ، و فى الاصل و ظ : متقنع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : احكام .

فقال مستأنفا : ﴿ ما خلقنهما ﴾ أي[1] السماوات و الأراضي مع [ما -[2]] بينهما ﴿ الا بالحق ﴾ من الحكم بين من فيهما ، [فمن -[3]] عمل الباطل عاقبناه و من عمل الحق أثبناه ، و بذلك يظهر غاية الظهور إحاطتنا بجميع أوصاف الكمال كما نبهنا عليه أهل الكمال في هذه الدار بخلقهما الذي واقعه مطابق ٥ للحق ، و هو ما لنا من تلك الصفات المقتضية للبعث لإحقاق الحق و إبطال الباطل بما لا خفاء فيه عند أحد .

و لما كان أكثر الخلق لا يعلم ذلك لعظمته عن النظر في دليله و إن كان قطعيا بديهيا قال : ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى أكثر هؤلاء الذين أنت بين اظهرهم وهم يقولون " ان هى الا موتتنا الاولى " و كذا ١٠ من [3]نحا نحوهم ﴿ لايعلمون ﴾ [أى -[4]] أنا خلقنا الخلق بسبب إقامة الحق فهم لأجل ذلك يجترؤن على المعاصي و يفسدون في الأرض لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا ، و لو تذكروا ما ركزناه[5] في جبلاتهم لعلموا علما ظاهرا أنه الحق الذي لا معدل عنه[6] كما يتولى[7] حكامهم المناصب لأجل إظهار[8] الحكم بين رعاياهم ، و يشرطون الحكم بالحق ، ١٥ و يؤكدون على أنفسهم أنهم لا يتجاوزونه . و لما كان[9] كأنه قيل : إنا

(١) من ظ و م . و في الاصل : في (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من م ، وفي الأصل و ظ : يخاوهم و هم (٤) زيد من م (٥) في الأصول : ذكرناه . (٦) من ظ و م ، و في الأصل : معه (٧) من م ، و في الأصل و ظ : يتوالى . (٨) من ظ و م . و في الأصل : اظهارهم (٩) من ظ و م ، و في الأصل : كانه .

نرى أكثر المظلومين يموتون بمرير غصصهم مقهورين، و اكثر / الظالمين / ٧٤٢
يذهبون ظافرين بمطالبهم مسرورين، فمتى يكون هذا الحق؟ قال جوابا
لذلك[١] مؤكدا لأجل تكذيبهم: ﴿ان يوم الفصل﴾ [٢]عند جمع[٣] الأولين
و الآخرين من جميع المكلفين الذين ينتظره كل أحد للفرق[٤] بين كل
ملبس، فلا يدع نوعا منه[٥] حتى أنه يميز بين المكاره و المحاب و دار ٥
النعيم و غار الجحيم، و بين أهل[٦] كل منهما بتمييز المحق من المبطل بالثواب
و العقاب و هو بعد البعث من الموت ﴿ميقاتهم﴾ أى وقت جمع
الخلائق للحكم بينهم الذى ضرب لهم فى الأزل و أنزلت [٧]به الكتب[٧]
على ألسنة الرسل ﴿اجمعين ﴾ لايتخلف عنه أحد ممن مات من الجن
و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات. ١٠

و لما ذكر هذا اليوم الذى دل على عظمته بهذه العبارة إفرادا
و تركيبا، ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف و الرجاء، فقال مبدلا
منه: ﴿يوم لايغنى﴾ بوجه من الوجوه ﴿مولى﴾ بقرابة أو غيرها
بحلف أو رق من أعلى أو أسفل ﴿عن مولى﴾ أريد أخذه بما وقع
منه ﴿شيئا﴾ [٨]من الإغناء. و لما كان الإغناء تارة يكون بالرفق و أخرى ١٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ: كذلك (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل و ظ: الخلق، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: العرف (٥) من م، و فى الأصل و ظ: منهم (٦) سقط من م (٧ - ٧) من م، و فى الأصل و ظ: الكتب به (٨) زيد فى م: أى.

بالعنف، صرح بالثاني[1] لأنه أعظمهما[2] و السياق للاهلاك و القهر فقال: ﴿و لا هم﴾ أي القسمان ﴿ينصرون ﴿٤١﴾﴾ أي من[3] ناصر ما لو أراد بعضهم نصرة بعض، أو أراد غيرهم لو فرض أن ينصرهم، و عبر بالجمع الذي أفاده الإبهام للولي ليتناول[4]القليل و الكثير[4] منه لأن النفي عنه نفي عن ٥ الأفراد من باب الأولى.

و لما نفي الإغناء استثنى منه فقال: ﴿الا من رحم الله﴾ أي أراد إكرامه الملك الأعظم و هم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله في الشفاعة لأحدهم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته و يكرمه بقبول الشفاعة فيه. و لما كان ما تقدم دالا على تمام القدرة في الإكرام و الانتقام، ١٠ و كان الإكرام قد يكون عن ضعف، قال نافيا لذلك و مقررا لتمام القدرة اللازم منه الاختصاص بذلك مؤكدا له تنبيها على أنه مما ينبغي أن يجعل نصب العين[5] و تعقد عليه الخناصر، و لأن إشراكهم[6] و تكذيبهم بالبعث يتضمن التكذيب بذلك: ﴿انه هو﴾ أي وحده ﴿العزيز﴾ أي المنيع الذي لا يقدح[7] في عزته عفو و لا عقاب، بل ذلك دليل على عزته فانه ١٥ يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة بأحد. و لما كان العزيز [قد –[8]] لا يرحم قال: ﴿الرحيم ﴿٤٢﴾﴾ أي الذي لا تمنع عزته أن يكرم

---

(١) زيد في الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٢) في الأصول: اعظمها (٣) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤ – ٤) من ظ و م، و في الأصل: الكثير و القليل (٥) من م، و في الأصل و ظ: لعين (٦) من ظ و م، و في الأصل: اشركهم (٧) من م، و في الأصل و ظ: لا يقدر (٨) زيد من م.

من[1] يشاء.

و لما كان السياق للانتقام ، أخبر عن حال الفجار على سبيل الاستئناف ، فقال مؤكدا لما [2]يكذبون به[2] : ﴿ ان شجرت الزقوم لا ﴾ التى تقدم من وصفها ما يقطع القلوب من أنها تخرج من أصل الجحيم ، و أن طلعها كأنه رؤس الشياطين ، و غيره مما لايعلمه حق علمه إلا الله ٥ تعالى و الذى تعرفونه من ذلك فى الدنيا أنها شجرة / صغيرة الورق /٧٤٣ ذفرة[3] أى شديدة النتن ـ مرة ، من الزقم ، اى اللقم الشديد و الشوب المفرط ، و قال عبد الحق فى كتابه الواعى : الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لاشوك لها ذفرة[3] لها كعابر فى سوقها أى عقد كالأنابيب و لها ورد تجرسه النحل ، و راس ورقها قبيح جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل[4] ، ١٠ قال ابن برجان : و هى فى النار فى مقابلة شجرة طوبى فى الجنة ، يضطرون إلى أكلها و إلى شرب الغسلين كما يضطر أهل الدنيا[5] لإدخال الطعام و الشراب ﴿ طعام الاثيم صلى ج ﴾ أى المبالغ[6] فى اكتساب الآثام[7] حتى مرن عليها فصارت به إلى الكفر ﴿ كالمهل ج ﴾ أى القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد أو دردية ، روى أحمد[8] و الترمذى[9] ـ و قال : ١٥

---

(١) من م ، و فى الأصل وظ : ما (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يكذبونه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : زفرة (٤) من م ، و فى الأصل : المشهل ، و فى ظ : المسهل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اللانيا ـ كذا . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : طعام الطامع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الاثم (٨) راجع المسند ٣/٧٠ - ٧١ (٩) راجع الجامع ٢ / ٨٢ .

لانعرفه إلا من حديث رشدين[1] ـ و ابن حبان فی صحیحه و الحاكم من وجه آخر ـ و قال الحاكم: صحيح الإسناد ـ عن أبي سعيد رضی الله عنه عن النبي صلی الله عليه و سلم فی قوله "كالمهل" قال: كعكر[2] الزيت فاذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه. ﴿تغلی﴾ أی الشجرة ـ على قراءة الجماعة بالتأنيث، و الطعام على قراءة ابن كثير[3] و حفص عن عاصم و رويس[4] عن يعقوب بالتذكير و لايعود الضمير على المهل لأنه [5]مشبه به[5] ﴿فی البطون لا﴾ أی من شدة الحر[6].

و لما كان التذكير بما يعرف شأن عظيم فی الإقبال أو التنفير و إن كان دون ما شبه[7] [به ـ[8]] قال: ﴿كغلی﴾ أی مثل غلی ﴿الحميم﴾ أی الماء الذی تناهی حره بما يوقد تحته، فهو يثبت كأنه يريد أن يتخلص عما هو فيه من الحر، روی الترمذی ـ و قال حسن صحيح ـ و النسائی و ابن ماجه و ابن حبان فی صحيحه و الحاكم ـ و قال صحيح[9] على شرطهما ـ عن ابن عباس رضی الله عنهما ان النبی صلی الله عليه و سلم قال: [لو ـ[10]] أن قطرة من الزقوم قطرت فی الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا

---

(١) من م و الجامع، و فی الأصل و ظ: رشد (٢) فی م: لعكر (٣) راجع نثر المرجان ٤٨٦/٦ (٤) من ظ و نثر المرجان، و فی الأصل و م: روش. (٥ ـ ٥) من م، و فی الأصل و ظ: مشبهه (٦) من م، و فی الأصل و ظ: حره (٧) من ظ و م، و فی الأصل: «و» (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من م و جامع الترمذی ٨٢/٢.

معائشهم فكيف بمن يكون هذا[1] طعامه[2] . و لما كان كأنه قيل : ما للأثيم
يأكل هذا الطعام ، و ما الحامل له عليه و على مقاربة مكانه ، أجيب بأنه
مقهور عليه بما يقتضيه صفة العزة[3] فيه الرحمة[4] لاعادته بأن[4] يقال
للزبانية : ﴿ خذوه ﴾ أى أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره شيئا .
﴿ فاعتلوه ﴾ أى جروه بقهر بغلظة و عنف و سرعة إلى العذاب و الإهانة ٥
بحيث يكون كأنه محمول ، و قال الرازى فى اللوامع : و العتل أن يأخذ
بمجامع ثوبه عند صدره يجره ، و قراءة الضم[5] أدل على تناهى الغلظة
و الشدة من قراءة الكسر ﴿ إلى سوآء ﴾ أى وسط ﴿ الجحيم قلى ﴾ أى
النار التى هى فى غاية الاضطرام و التوقد ، و هى موضع خروج الشجرة
التى هى طعامه . ١٠

و لما أفهم هذا أنه صار فى موضع يحيط به العذاب فيه من جميع
الجوانب ، بين أن له نوعا آخر من النكد رتبته فى العظمة مما يستحق
العطف بأداة / التراخى فقال : ﴿ ثم صبوا ﴾ أى فى جميع الجهة التى هى / ٧٤٤
﴿ فوق رأسه ﴾ ليكون المصبوب محيطا بجميع جسمه ﴿ من عذاب الحميم ، ﴾
أى العذاب الذى يغلى به [الحميم -[6]] أو الذى هو الحميم نفسه ، و التعبير ١٥
عنه بالعذاب أهول[7] ، و هذا فى مقابلة ما كان لهم من البركة بما ينزل

---

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : و شرابه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٥) راجع نثر المرجان ٦/٤٨٧ .
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل .

من السماء من المطر ليجتمع[1] لهم حر الظاهر بالحميم و الباطن بالزقوم .

و [لما ـ[2]] علم بهذا أنه لا يملك من أمر نفسه شيئا، بل وصل إلى غاية الهوان، دل عليه بالتهكم[3] بما [4]كان يظن في[4] نفسه من العظمة التي كانت يترفع[5] بها في الدنيا على أوامر الله ، فقيل بناء على ما تقديره:

٥ يفعل به ذلك مقولا له: ﴿ ذق ﴾ أي من هذا أوصلك إليه تغررك على أولياء الله . و لما كان أولياء الله من الرسل و أتباعهم يخبرون في الدنيا أنه ـ لإبائه[6] أمر الله ـ هو الذليل، و كان [هذا ـ[2]] الأثيم و أتباعه يكذبون بذلك و يؤكدون قولهم المقتضي لعظمته لإحراق أكباد الأولياء حكى له[7] قولهم على ما كانوا يلفظون به زيادة في تعذيبه بالتوبيخ

١٠ و التقريع[8] معللا للأمر بالذوق: ﴿ انك ﴾ و أكد بقوله: ﴿ انت ﴾ وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك ﴿ العزيز ﴾ [أي ـ[2]] الذي يغلب و لا يغلب ﴿ الكريم ﴾ أي الجامع إلى الجود شرف النفس و عظم الإباء، فلا تنفعك عن ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها[9] فلست بلئيم أي بخيل مهين النفس خسيس الإباء، فهو كناية عن مخاطبته

١٥ بالخسة[10] مع إقامة الدليل على ذلك بما هو فيه من المهالك، و قراءة

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ : ليجمع (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : النهكم (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : يكون من (٥) من م ، و في الأصل وظ :يرتفع (٦) من م ، و في الأصل و ظ : لابانه (٧) من م ، و في الأصل و ظ : لهم (٨) زيد في الأصل و ظ : موبخا ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٩) من م ، و في الأصل و ظ : معاليه (١٠) من م ، و في الأصل و ظ : تخسة .

الكسائي[١] بفتح " ان " دالة على هذا العذاب قولا و فعلا على ما كان يقال له من هذا [فى الدنيا -[٢]] و يعتقد [هو -[٢]] أنه حق .

و لما دل على أنه يقال هذا لكل من الآثماء و يفعل[٣] به على حدته، دل على ما يعمون به، فقال مؤكدا ردا لتكذيبهم سائقا لهم على وجه مفهم أنه علة ما ذكر من عذابهم : ﴿ ان هذا ﴾ أى العذاب قولا ٥ و فعلا و حالا ﴿ما كنتم﴾ أى جبلة و طبعا طبعناكم عليه لتظهر قدرتنا فى أمركم دنيا و أخرى ﴿ به تمترون ه﴾ أى تعالجون أنفسكم و تحملونها على الشك فيه و تردونها[٤] عما لها من الفطرة الأولى من التصديق بالممكن لاسيما لمن جرب صدقه و ظهرت خوارق العادات على يده[٥] بحيث كنتم لشدة ردكم له كأنكم تخصونه بالشك . ١٠

و لما وصف سبحانه ما للبالغ فى المساوئ و أفرده أولا إشارة إلى قليل فى قوم هذا النبى الكريم الذين تداركهم [الله -[١]] بدعوته تشريفا له و إعلاء لمقداره، و جمع آخرا ذاكرا من آثار ما استحق به ذلك من مشاركة فى أوزاره، ففهم أن وصفه انقضى، و مر و مضى، فتاقت[٦] النفس إلى تعرف ما لأضـــداده الذين خالفوه فى مبدأه ١٥ و معاده، قال مؤكدا لما لهم من التكذيب[٧] : ﴿ ان المتقين ﴾ أى

---

(١) راجع نثر المرجان ٦/٤٨٧ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يعقل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : تمرونها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يديه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فعافت (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : التأكيد فى الكذب .

الفريقين فى هذا الوصف ﴿ فى مقام ﴾ أى موضع إقامة لا يريد الحال فيه تحولا عنه ﴿ امين ﴾ أى يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه .

/٧٤٥ و لما كان الوصف بعد الوصف شديد الترغيب / فى الشيء ، قال مبدلا من ٥ "مقام" : ﴿ فى جنٰت ﴾ أى بساتين تقصر العقول عن إدراك وصفها كل وصفها ﴿ و عيون ﴾ كذلك بحيث تقر بها العيون ، و لما [1]كان قد[1] أشار [2]إلى وصف[2] ما للباطن من لذة النظر و لباس الأكل و الشرب ، أتبعه كسوة الظاهر و ما لكل من القرب فقال : ﴿ يلبسون ﴾ .

و لما وصف ما أعد لهم من اللبس فى الجنة[3] ، دل على الكثرة ١٠ جدا بقوله : ﴿ من سندس ﴾ و هو ما رق من الحرير يعمل وجوها ، [1]و زاد صنفا آخر فقال : ﴿ و استبرق ﴾ و هو ما غلظ منه يعمل بطائن ، و سمى بذلك لشدة بريقه . و لما كان وصف الأثماء بما لهم من القبض[3] الشاغل لكل منهم عن نفسه و غيره بعد ما تقدم فى الزخرف فى آية الأخلاء ما أعلم بكونهم مدابرين وصف أضدادهم بما لهم من البسط مع ١٥ الاجتماع فقال : ﴿ متقبلين ﴾ أى ليس منهم[4] أحد يدابر[5] الآخر لا حسا و لا معنى ، و ود [أن - [6]] كلا منهم يقابل الآخر ناظرا إليه ، فاذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بالوصف (٣) زيد فى الأصل : الشامل ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيهم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : مداير .
(٦) زيد من م .

أرادوا النساء[1] حالت الستور بينهم .

و لما كان هذا أمراً يبهر العقل، فلا يكاد يتصوره، قال مؤكدا له: ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما ذكرنا سواء لا مرية [فيه] . و لما كان ذلك لايتم السرور به إلا بالأزواج[2] قال: ﴿ و زوجنهم ﴾ أى قرناهم كما تقرن الأزواج، و ليس المراد به العقد لأنه فعل متعد بنفسه و هو لا يكون ٥ فى الجنة لأن[3] فائدته الحل، و الجنة ليست بدار كلفة من تحليل أو تحريم، و ذكر مظهر العظمة تنبيها على كمال الشرف ﴿ بحور ﴾ أى [على -[4]] حسب[5] التوزيع بجوارى بيض حسان نقيات الثياب ﴿ عين ﴾ أى واسعات[6] الأعين .

و لما كان الإنسان فى الدنيا يخشى كلفة النفقات، وصف ما هنالك ١٠ من سعة الخيرات فقال: ﴿ يدعون ﴾ أى يطلبون طلبا هو بغاية المسرة ﴿ فيها بكل ﴾ لايمتنع عليهم صنف من الأصناف ببعد مكان و لافقد أوان، و لاغير ذلك من الشأن، و قال: ﴿ فاكهة ﴾ [6] إيذانا بأن ذلك مع سعته ليس فيها شيء لإقامة البنية و إنما هو للتفكه و مجرد التلذذ .

[7]و لما كان التوسع فى التلذذ[7] يخشى منه غوائل جمة قال: ﴿ امنين ﴾ أى ١٥ و هم فى غاية الأمن من كل مخوف .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م: النساء (٢) من م ، و فى الأصل و ظ: بالزواج (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: لأنه فانه (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ: واسعة (٦) زيد فى الأصل: اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما ذكر الأمان، و كان أخوف ما يخاف أهل الدنيا[1] الموت، قال: ﴿ لايذوقون فيها ﴾ أي[2] الجنة[3] ﴿ الموت ﴾ أي لايتجدد لهم أوائل استطعامه فكيف بما وراء ذلك. و لما كان المراد نفي ذلك على وجه يحصل معه القطع بالأمن[4] على أعلى الوجوه، و كان الاستثناء

٥ معيار العموم، و كان من المعلوم أن ما كان في الدنيا من ذوق الموت الذي هو معنى من المعاني قد استحال عوده، قال معللا معلقا على هذا المحال[5]: ﴿الا الموتة﴾ و لما كان المعنى مع إسناد[6] الذوق إليهم لايلبس لأن ما قبل نفخ الروح ليس مذوقا، عبر بقوله: ﴿ الاولى ج ﴾ و قد أفهم التقييد بالظرف أن / النار يذاق فيها الموت، و الوصف بالأولى أن المذوق /٧٤٦

١٠ موتة ثانية، فكان كأنه قيل: لكن غير المتقين ممن كان عاصيا فيدخل النار فيذوق فيها موتة أخرى - كما جاء في الأحاديث الصحيحة، و يجوز أن يجعل وصف المتقين أعم من الراسخين و غيرهم، فيكون الحكم على المجموع، أي أن الكل لايذوقون، و بعضهم - و هم من أراد الله من العصاة - يذوقونه في غيرها و هو النار، و يجوز أن تكون الموتة الأولى

١٥ كانت في الجنة المجازية فلا يكون تعليقا بمحال، و ذلك أن المتقي لم يزل

---

(١) و من هنا استأنفت نسخة مد (٢) زيد في الأصل: دار النعيم و هي، و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٣) زيد في الأصل: لايعود إليهم. و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٤) من ظ وم و مد، وفي الأصل: بالامل (٥) زيد في الأصل: انه لايعود، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: إستناد.

فيها فى الدنيا مجازا بما له من التسبب و بما سبق من[1] حكم الله له بها، قال صلى الله عليه و سلم[2] «المؤمن إذا عاد أخاه لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع، قيل[3]: و ما خرفة الجنة، قال: جناها، و إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» و كذا المحكوم له بما هو فيها عند الموت و بعده بما له من التمتع بالنظر و نحوه من الأكل للشهداء و غير ذلك مما ورد فى الأخبار ٥ الصحيحة، و من ذلك ما رواه[4] البخارى عن أنس رضى الله عنه أن عمه النضر رضى الله عنه قال يوم أحد: يا سعد[5] بن معاذ الجنة و رب النضر إنى لأجد[6] ريحها من دون أحد، ثم قاتل حتى قتل. ثم يكون تمام ذلك النعيم بالجنة بعد البعث، قال ابن برجان: الدنيا إذا تحققت فى حق المؤمن المتقى و تتبع النظر فيها فانها جنة صغرى لتوليه [7]سبحانه ١٠ إياهم[7] فيها و قربه منهم و نظره إليهم و ذكرهم له و عبادتهم إياه و شغلهم به و هو معهم أينما كانوا.

و لما كان السياق للتقين قال: ﴿ ووقىهم ﴾ أى جملة[8] المتقين [9]فى جزاء ما اتقوه[9] ﴿عذاب الجحيم ﴾ أى التى تقدم إصلاء[11] الآثم لها، وأما غير المتقين من العصاة فيدخل الله من أراد منهم النار فيعذر كلا منهم ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له فى (٢) راجع مسند أحمد ٥/٢٧٧ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فسيل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: روى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سعيد (٦) فى م و مد: اجد. (٧-٧) من م مد، و فى الأصل و ظ: اياهم سبحانه (٨) سقط من ظ و م و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصل و - كذا.

على قدر ذنوبه ثم يميتهم [فيها - [1]] و يستمرون إلى أن يأذن الله فى الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم أهل الجنة من ماء الحياة، روى الإمام أحمد فى مسنده[2] و مسلم فى الإيمان[3] من صحيحه و ابن حبان فى الشفاعة من سننه و الدارمى[4] فى صفة الجنة و النار من سننه المشهور بالمسند، و ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال[5] : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أما أهل النار الذين هم أهلها - و قال الدارمى : الذين هم للنار - فانهم لا يموتون فيها و لا يحيون، و لكن ناس منكم[6] أصابتهم النار بذنوبهم، - أو قال بخطاياهم - فأماتهم الله إماتة، و قال [الإمام أحمد : فيميتهم إماتة، و قال - [7]] الدارمى[8]: فان النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها حتى إذا كانوا فحما أذن فى الشفاعة فجئ[9] بهم [و قال الدارمى - [7]] : فيخرجون من النار ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة، ثم قيل : يا أهل / الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون، و قال الدارمى[10] فتنبت لحومهم نبات [11] الحبة فى حميل السيل. الضبائر[11] قال عبد الغافر الفارسى[12] فى مجمع الرغائب :

/ ٧٤٧

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع ٣ / ٣٨٠ (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤) راجع مسنده ص : ٣٨٠ (٥) سقط من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : منهم (٧) زيد من م و مد. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الرازى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فيجى (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الغازى. (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ابلحنة فى حمل السنبلة (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الغازى.

جمع ضبارة مثل عمارة و عمائر: جماعات الناس، و روى أبو يعلى عن
أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: يدخل ناس فى
النار حتى إذا صاروا لحما أدخلوا الجنة، فيقول أهل الجنة: من هؤلاء،
فيقال: هؤلاء الجهنميون، و لأحمد بن منيع عن أبي سعيد الخدرى
رضى الله عنه [عن النبي صلى الله عليه و سلم -[1]] قال: يوضع الصراط ٥
فذكر شفاعة المؤمنين فى إخوانهم بعد جواز الصراط و إذن [الله -[1]]
لهم فى إخراجهم، [قال -[1]]: فيخرجونهم منها فيطرحونهم فى ماء الحياة
فينبتون [نبات -[2]] الزرع[3] فى [غثاء - [2]] السيل[4]، و لابن أبي عمر
عن[5] عبيد بن عمير رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:
يخرج الله قوما من النار بعد ما امتحشوا فيها و صاروا لحما فيلقون[6] ١٠
فى نهر على باب الجنة يسمى نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت [7]الحبة
فى حميل السيل[7]- أو كما تنبت الثعارير - فيدخلون الجنة، فيقال: هؤلاء
عتقاء الرحمن. الثعارير- بالثاء المثلثة و العين و الراء المهملتين: نبات[8]
كالهليون، و روى الترمذى - و قال: حسن صحيح - و روى من غير
وجه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى مد: الزرعة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السنبل (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ابن (٦) زيد فى الأصل: على باب الجنة فيلقون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنة فى حمل السنبل. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نباتا.

يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة [فيخرجون - [1]] و يطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء[2] فى حمالة السيل[3] ثم يدخلون الجنة .

٥ و لما كان السياق للتقين ، فكان ربما ظن أن هذا الذى فعل بهم حق لهم لابد و [لا - [4]] محيد عنه ، بين أن الأمر على غير ذلك ، و أنه سبحانه لو واخذهم و لم يعاملهم بفضله و عفوه لهلكوا ، فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى فعل بهم ذلك [لأجل - [1]] الفضل ، و لذلك عدل عن مظهر العظمة فقال تعالى : ﴿ من ربك[5] ﴾ أى المحسن [إليك - [1]] بكمال ١٠ إحسانه إلى أتباعك إحسانا يليق بك[6] ، قال الرازى فى اللوامع : أصل الإيمان رؤية الفضل فى جميع الأحوال . و لما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة إليه صلى الله عليه و سلم ، زاد فى تعظيمه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الفضل العظيم الواسع ﴿ هو ﴾ [أى - [1]] خاصة ﴿ الفوز ﴾ أى الظفر بجميع المطالب ﴿ العظيم ه ﴾ الذى لم يدع ١٥ جهة الشرف إلا ملأها .

و لما قدم سبحانه فى هذه السورة ما للقرآن[6] من البركة بما اشتمل عليه من البشارة و النذارة و الجمع و الفرق ، و ذكرهم بما يقرون به من

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السنبل (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمقامهم و (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القرن .

أنه

أنه مبدع هذا الكون مما يستلزم إقرارهم بتوحيده المستلزم لأنه يفعل ما يشاء من إرسال و إنزال و تنبيه و بعث و غير ذلك، و هددهم بما لايقدر عليه غيره من الدخان و البطشة، و فعل بعض ذلك، وذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قروم القرون و أنهم مع ذلك كله[1] / أنكروا البعث، ثم ذكر ما يقتضي[2] التحذير و التبشير[3] - كل ذلك في ٥ / ٧٤٨ أساليب فأتت كل المدى، فأعجزت جميع القوى، مع ما لها من المعاني الباهرة، و البدائع الزاهرة القاهرة، سبب عن قوله فذلكة للسورة[3]: ﴿فانما يسرنه﴾ أي جعلنا[4] له يسرا عظيما و سهولة كبيرة.

و لما كان الإنسان كلما زادت فصاحته و عظمت بلاغته، كان كلامه أبين و قوله أعذب و أرصن و أرشق و أمتن، وكان صلى الله ١٠ عليه و سلم أفصح الناس و أبعدهم لذلك من التكلف، أضافه إليه فقط فقال: ﴿بلسانك﴾ أي هذا[5] العربي المبين و هم عرب تعجبهم[6] الفصاحة ﴿لعلهم يتذكرون ﴾ أي ليكونوا عند من يراهم و هو عارف بلسانهم عن شأنه كشأنهم على رجاء[7] من أن يتذكروا[7] أن هذا[8] القرآن شاهد[9]

---

(١) زيد في الأصل: آمنون، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٢-٢) من مد، و في الأصل و ظ و م: التحذر و التبشير (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: السورة (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: جعلناه.
(٥) زيد في الأصل: القرآن، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) من م و مد، و في الأصل: يعجبه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: لهذا (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: شاهدا.

سورة الجاثية و تسمى[2] الشريعة[1]

مقصودها الدلالة على أن منزل [3] هذا الكتاب[3] ـ كما دل عليه في[4] الدخان ـ ذو العزة لأنه لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء، و الحكمة لأنه[5] لم يضع شيئا إلا في أحكم مواضعه، فعلم أنه المختص بالكبرياء، فوضع شرعا [هو ـ[6]] في غاية الاستقامة لا تستقل العقول بإدراكه و لا يخرج شيء منه عنه[7]، أمر فيه و نهى، و رغب [و رهب ـ[7]] ثم بطن حتى أنه لا يعرف، ثم ظهر حتى أنه لا يجهل، فمن المكلفين [من حكم ـ[8]] عقله و جانب هواه فشهد جلاله فسمع و أطاع، و منهم من تبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ و أضاع[8] فاقتضت الحكمة و لابد أن يجمع سبحانه الخلق ليوم الفصل فيظهر كل الظهور و يدين عباده ليشهد رحمته المطيع و كبرياءه العاصي، و ينشر العدل و يظهر الفضل، و يتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه، و على ذلك دل اسمها الشريعة، و اسمها الجاثية واضح

---

(١) الخامس و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آيها ثلاثون و سبع عند الكوفيين و ست عند المدنيين و المكي و البصريين و الشامي - راجع نثر المرجان ٧ / ٤٩٢ (٢) زيد في الأصل: سورة، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: الكتاب هذا. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: و فاته (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: عن (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: ضاع.

الدلالة فيه إذا تؤمل كل من آيتيها - و الله سبحانه و تعالى الهادى .

﴿ بسم الله ﴾ الذى تفرد بتمام العز و الكبرياء ﴿ الرحمن ﴾ الذى أحكم رحمته بالبيان العام للسعداء و الأشقياء ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص بملابس طاعته الأولياء ﴿ حمٓ ﴾ أى حكمة محمد إليها المنتهى[1] كما تقدم فى الدخان ما أفهم إنزاله من أم الكتاب جملة إلى بيت العزة ، و دل على بركته عما دل على حكمة منزله و عزته[2] بالبشارة و النذارة و الإيقاع بالمجرمين بعد طول الحلم[3] و الأناة و النجاة للتقين و غير ذلك من أمور هى فى غاية الدلالة على ذلك لأنها راجعة إلى الحس لمن ألقى السمع ، و هو شهيد ، و أشار إلى سهولتها [4]عز من[4] تأمل هذا الذكر المترجم بلسان أعلى الخلق[5] و أكملهم و أشرفهم خلائق[5] و أفضلهم ، ابتدأ [6]هذه ١٠ بالإعلام[6] بأنه زاد ذلك يسرا و سهولة بإنزاله منجما بحسب الوقائع مطابقا لها أتم مطابقة بعد إنزاله جملة من أم الكتاب ثم مرتبا لما أنزل منه ترتيبا يفهم علوما و يوضح أسرارا غامضة مهمة فقال : ﴿ تنزيل الكتٰب ﴾ أى إنزال الجامع لكل خير مفرقا لزيادة التسهيل فى التفهيم[7] و الإبلاغ فى اليسر [8]فى التعليم[8] و غير ذلك من الفضل العميم[9] ١٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتسمى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غره (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحكم (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمن (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خلقا و خلقا (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و انتهاء هذه الإعلام (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التعميم (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعميم (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العظيم .

و زاده عظما بقوله: ﴿ من الله ﴾ أى كائن من المحيط بصفات الكمال.

و لما كان - كما مضى - للعزة و الحكمة أعظم بركة هنا قال[١]: ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فكان كتابه عزيزا حكيما لا كما تقول الكفرة من أنه شعر أو كذب أو كهانة لأنه لا حكمة لذلك و لا عزة[٢] بحيث يلتبس ٥ أمره بأمر هذا الكتاب المحيط [بدائرة الحكمة -[٣]] و الصواب، و دل بشواهد القدرة و آثار الصنعة من نسخة هذا الكتاب على الصفتين و على وحدانيته فيهما اللازم منه تفرده[٤] المطلق وقال[٥] مؤكدا لأجل من ينكر ذلك و لو بالعمل، و ترغيبا فى تدقيق[٦] النظر بتأمل آيات الوجود التى هذا الكتاب شرح[٧] لمغلقها و تفصيل لمجملها، و إيماء إلى ١٠ أنها [أهل -[٣]] لصرف الأفكار[٨] إلى تأملها ﴿ ان فى ﴾ [٩]و لما كانت الحواميم - كما روى أبو عبيدة فى كتاب الفضائل عن ابن عباس رضى الله عنهما - لباب القرآن، حذف ما ذكر[١٠] فى البقرة من قوله "خلق" ليكون ما هنا أشمل فقال: ﴿ السموٰت ﴾ أى ذواتها[١١] بما لها من الدلالة

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقال (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غيره (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تفوذه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فكان (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دقيق (٧) زيد فى الأصل: و مفتاح، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الانكار (٩) وقع فى الأصل بعده بياض، و فى ظ: خلق (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذكره (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذاتها.

[على صانعها -[1]] و خلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع و عظيم الصنعة[2] و ما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب ﴿و الارض﴾ كذلك [و -[1]] بما حوت من المعادن و المعايش[3] و المنابع و المعاون ﴿لأيٰت﴾ أى دلائل على وحدانيته و جميع كماله، فان من المعلوم أنه لابد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك ٥ ﴿للمؤمنين﴾ أى لأنهم برسوخهم فى هذا الوصف الشريف أهل للنظر لأن[4] ربهم يهديهم بإيمانهم فشواهد[5] الربوبية لهم منها[6] لائحة، و أدلة الإلهية فيها واضحة، و لعله أشار بالتعبير بالوصف إلى أنه لابد فى رد شبه أهل[7] الطبائع من تقدم الإيمان، و أن [من -[1]] لم يكن راسخ الإيمان لم يخلص من شكوكهم[8]. ١٠

و قال الإمام أبو جعفر[9] ابن الزبير: لما تضمنت السور[10] المتقدمة إيضاح أمر الكتاب و عظيم بيانه[11] و أنه شاف كاف و هدى[12] و نور، كان [13]أمر من[13] كفر من العرب أعظم شيء لانقطاعهم و عجزهم و قيام

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصفة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المنافع (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لانهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بشواهد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: منهما (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لاهل (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شكوكه (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ابن جعفر (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدم فتضمنت السورة. (١١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هوى (١٣-١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرين.

الحجة به عليهم حتى رضوا بالقتل و الخزى العاجل و ما [1]قاموا بادعاء[1] معارضته[2] و لاتشوفوا[3] إلى الإسناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك [تعالى - [4]] تنبيها لنبيه[5] و المؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواه مما[6] صد المعرض عن[7] الاعتبار بها أو ببعضها بمجرد هواه، و من أضل
٥ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين "ان فى السمٰوٰت و الارض لاٰيٰت للمؤمنين" أى [8]لو لم تجئهم يا محمد[8] بعظيم آية[9] الكتاب فقد كان لهم [10]فيما نصبنا[10] من الأدلة أعظم برهان و أعظم تبيان "اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى" فلما نبه بخلق السماوات و الأرض،
١٠ أتبع بذكر ما بث فى الارض فقال "و فى خلقكم و ما بث فيها [11]من دابة اٰيٰت لقوم يوقنون و اختلاف اليل و النهار" أى فى دخول أحدهما على الآخر بألطف[12] اتصال[13] و أربط انفصال[14] "لا الشمس ينبغى لها ان

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قاوا باعاء - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : معارضة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاتشو - كذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى الأصل و ظ : نبته - كذا ، و فى م و مد بياض (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يوم تجيبهم . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آيات (١٠ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيه نسبة (١١) ليس فى مد (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالطف (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ايصال (١٤) زيد فى الأصل و ظ : للشمس ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

تدرك القمر و لا اليل سابق النهار " ثم نبه على الاعتبار بانزال الماء من السماء و سماه رزقا بحط القياس فقال " و ما انزل الله من رزق فاحيا به الارض بعد موتها " ثم قال " و [1]تصريف الرياح [1]ايٰت لقوم يعقلون " الاستدلال بهذه الآى[2] يستدعى بسطا يطول، ثم قال " تلك [3]ايٰت الله نتلوها عليك بالحق " أى علاماته و دلائله " و ان من شيء الا يسبح ٥ بحمده "، ثم قال " فباى حديث بعد الله و [3]ايٰته يؤمنون " أ[4]بعد[4] ما شاهدوه[5] من شاهد الكتاب / و ما تضمنه خلق السماوات و الأرض و ما فيهما[5] / ٧٥١ و ما بينهن من عجائب الدلائل الواضحة لأولى الألباب، فاذا لم يعتبروا[6] بشيء من ذلك فبماذا يعتبر[7]، ثم أردف تعالى بتقريعهم و توبيخهم فى تصميمهم[8] مع وضوح الأمر فقال " ويل لكل افاك اثيم[9] " الآيات ١٠ الثلاث، ثم قال " هذا هدى " و أشار إلى الكتاب و جعله[10] نفس الهدى لتحمله[11] كل أسباب الهدى و جميع جهاته، ثم توعد من كفر به

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تصرف الآيات (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الاية الذى (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اى بعده (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : شهدوه (٥) من ظ و م، و فى الأصل و مد : فيها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لم يعبروا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يعبر (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م : تصميم (٩) زيد فى الأصل و ظ : يسمع آيات الله تتلى عليه، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : جعل (١١) زيد بعده فى الأصل و ظ : اسباب، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

ثم أردف ذلك بذكر نعمه و آلائه ليكون ذلك زائدا فى توبيخهم ، و التحمت الآى عاضدة هذا الغرض تقريعا و توبيخا و وعيدا و تهديدا إلى آخر السورة ـ انتهى .

و لما ذكر سبحانه بالنظر فى آيات الآفاق، أتبعها آيات الأنفس
٥ فقال : ﴿و فى خلقكم﴾ أى المخالف لخلق الأرض التى أنتم منها بالاختيار و العقل و الانتشار و القدرة على السار و الضار ﴿ و ما يبث ﴾ أى [ينشر و-[1]] يفرق بالحركة الاختيارية بثا على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ من دآبة ﴾ [2]مما تعلمون و مما لاتعلمون بما فى ذلك من مشاركتكم فى الحركة بالاختيار و الهداية للمنافع بادراك الجزئيات و مخالفتكم فى الصورة
١٠ و العقل و إدراك الكليات و غير ذلك من مخالفة الأشكال و المنافع و الطبائع و نحوها ﴿ ا'يٰت ﴾ [أى ـ [1]] على صفات الكمال و لاسيما العزة و الحكمة ، و هى على قراءة حمزة و الكسائى و يعقوب[3] بالنصب هنا ، و فى الذى بعده عطف الآيتين على حيز[4] "ان" [فى ـ[1]] الآية الاولى من الاسم و الخبر ، فلهذه الآية نظر إلى التأكيد ، و هو على
١٥ قراءة الجماعة مبتدأ بالعطف على «ان» و ما فى حيزها[5]، و هى أبلغ لأنها تشير إلى أن[6] ما فى تصوير الحيوان و جميع شأنه من عجيب الصنع

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) راجع نثر المرجان ٦/٤٩٣ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خبر (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خبرها (٦) سقط من مد .

ظاهر[1] الدلالة على الله [فهو - [2]] بحيث لا ينكره أحد، فهو غنى عن التأكيد، و يجوز أن تكون الآية على قراءة النصب من الاحتباك: حذف أولا الخلق بما دل عليه ثانيا، و ثانيا ذوات الأنفس بما دل عليه من ذوات السماوات أولا.

و لما كانت آيات الأنفس أدق و أدل على القدرة و الاختيار ٥ بما لها من التجدد و الاختلاف، قال: ﴿ لقوم ﴾ أى فيهم أهلية القيام بما يحاولونه ﴿ يوقنون ﴾ أى يتجدد لهم العروج فى درجات الإيمان إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان، فلا يخالطهم[3] شك فى وحدانيته؛ قال الحرالى فى تفسير "اوكالذى مر على قرية": اية النفس منبهة على آية الحس، و آية الحس منبهة على آية النفس. إلا أن آية النفس ١٠ أعلق، فهي لذلك أهدى، غاية آية الآفاق الإيمان، و غاية آية النفس اليقين.

و لما ذكر الظرف و ما خلق لأجله من الناس، ضم إليهم بعض ما خلقه لأجلهم / [لشرفه - [2]] بالحياة، أتبعه ما أودع الظرف من /٧٥٢ المرافق لأجل الحيوان فقال: ﴿ و اختلاف اليل و النهار ﴾ بذهاب ١٥ أحدهما و وجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة على القدرة على الإيجاد بعد الإعدام بالبعث و غيره، و جر «اختلاف» بتقدير «فى» فينوب حرف العطف مناب عامل واحد للابتداء عند من

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظاهره (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا يخالفهم.

رفع «آيات»، و مناب «ان» عند من نصب. فلم يلزم نيابته مناب عاملين مختلفين فى الابتداء فى الرفع و فى "أن" فى النصب.

و لما كان المطر أدل مما مضى على البعث و العزة، لأن الشيء كلما قل الإلف له كان أمكن للتأمل فيه، اوِلاه أياه فقال: ﴿و ما انزل الله﴾

٥ أي الذى تمت عظمته فنفذت كلمته. و لما كان الإنزال قد يستعمل فيما أتى من علو معنوى و إن لم يكن حسيا، بين أن المراد هنا الأمران فقال: ﴿من السمآء﴾[2].

و لما كانت منافع السماء غير منحصرة فى الماء قال: ﴿من رزق﴾ أي مطر و غيره من الأسباب المهيئة لإخراج الرزق ﴿فاحيا به﴾

١٠ أي بسببه و تعقبه ﴿الارض﴾ أي الصالحة للحياة[3]، و لذلك قال: ﴿بعد موتها﴾ أي يبسها[4] و تهشم ما كان فيها من النبات و انقلابه بالاختلاط[5] بترابها ترابا، فاذا نزل عليها الماء جمعه[6] منها فأخرجه على ما كان عليه كلما تجدد نزوله، و لذلك لم يأت بالجار[7] إشارة إلى دوام

(١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: اى (٢) زيد فى الأصل: فيه مناسبة لقوله صلى الله عليه و سلم فى بعض حديث « و رزقتم من سبعم » و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بسببها.
(٤) زيد فى الأصل و ظ: لذلك، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من الاختلاط (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميعه (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها.

الحياة بالقوة إن لم يكن بالفعل .

و لما ذكر [ما يشمل الماء، ذكر -[1]] سبب السحاب الذي يحمله فقال: ﴿ و تصريف الريح ﴾ في كل جهة [2]من جهات الكون[2] و في كل معنى من رحمة و عذاب و غير ذلك من الأسباب ، و لم يذكر الفلك و السحاب كما في البقرة لاقتضاء اللبابية[3] المسماة بها الحواميم، ٥ ذلك لأنها[4] من جملة منافع التصريف ، و توحيد حمزة و الكسائي[5] أبلغ لأن تصريف الشيء الواحد في الوجوه الكثيرة أعجب ﴿ ايٰت ﴾ قراءة الرفع أبلغ لإشارتها بعدم الحاجة إلى التأكيد إلى أن ما في الآية ظاهر الدلالة على القدرة و الاختيار للصانع بما في التصريف من الاختلاف ، و الماء بما يحدث عنه من الإنبات[6] أوضح دلالة من بقيتها ١٠ على البعث ، و لأجل شدة ظهورها ناط الأمر فيها بالعقل فقال: ﴿ لقوم يعقلون ه ﴾ و قال القالي[7] : و المعنى أن المنصفين[8] لما نظروا في السماوات و الأرض و أنه لابد لهما من صانع آمنوا . فاذا نظروا في خلق أنفسهم و نحوها ازدادوا إيمانا فأيقنوا . فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا و استحكم علمهم . ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اللبابة (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لأنها (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٩٤ (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الاثبات (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : العالي (٨) من مد ، و في الأصل و ظ و م : المصفين .

و لما ذكر هذه الآيات العظيمات ، و كانت كلها مشتركة فى العظم ، بعد ما أشار إلى تباين رتبها فى الخفاء و الجلاء بفواصلها[1] ، قال مشيرا إلى علو رتبها[2] بأداة البعد : ﴿تلك﴾ أى الآيات الكبرى ﴿ءايٰت الله﴾ أى دلائل المحيط بصفات الكمال التى لاشىء أجلى[3] و لا أظهر و لا أوضح[3] منها[4] /٠ و لما كان كأنه قيل : ما لها؟ قال ، أو يكون المراد : نشير إليها ٧٥٣/ ٥ حال كوننا ﴿ نتلوها ﴾ أى نتابع قصها ﴿ عليك ﴾ سواء كانت مرئية أو مسموعة ، متلبسة[5] ﴿ بالحق ج ﴾ أى الأمر الثابت الذى لا يستطاع تحويله فليس بسحر و لا كذب ، فتسبب عن ذلك حينئذ الإنكار عليهم ، على من يطلب إجابتهم إلى المقترحات طمعا[6] فى إيمانهم فى قوله ١٠ تعالى : ﴿فبأىّ حديث﴾ أى خبر عظيم صادق يتجدد علمهم به يستحق أن يتحدث به ، و استغرق كل حديث فقال : ﴿بعد الله﴾ أى الحديث الأعظم عن[7] الملك الأعلى ﴿ و ءايٰته ﴾ أى و الحديث عن[8] دلالاته العظيمة[8] ﴿ يؤمنون ﴾ من خاطب - و هم الجمهور[9] - ردوه على قوله " و فى خلقكم " و هو أقوى تبكيتا ، و غيرهم و[10] هم أبو عمرو و حفص[10] عن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبعوا اصلها (٢) من م و مد ، و فى الأصل : رتبتها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل وظ : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٥) فى مد : ملتبسة. (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جمعا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : من (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالته العظيم به (٩) راجع نثر المرجان /٤٩٦ (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : هو أبو حفص و عمرو .

عاصم و روح عن يعقوب رأوا ان ذلك الخطاب صرف إلى خطاب النبي صلى الله عليه و سلم فى قوله " نتلوها عليك بالحق ".

و لما كان لايبقى على الكفر نوع بقاء فضلا عن الإصرار بعد هذا البيان إلا من يستحق النكال لمجاهرته بالعناد[1]، قال على وجه الاستنتاج مهددا : ﴿ويل﴾ [2] أى مكان معروف فى جهنم [2] ﴿لكل أفاك﴾ أى مبالغ فى صرف الحق عن وجهه ﴿ اثيم ۙ ﴾ أى مبالغ فى اكتساب الإثم و هو الذنب ، و عمل ما لايحل مما يوجب العقاب ، و فسر هذا بقوله : ﴿ يسمع ءايت الله ﴾ أى دلالات الملك الأعظم ظاهرة حال كونها ﴿ تتلى [3] ﴾ أى يواصل [4] استماعه لها [4] بلسان القال أو الحال ، من أى تال كان ، عالية ﴿ عليه ﴾ بجميع ما فيها من سهولة فهمها و عذوبة ألفاظها ١٠ و ظهور معانيها و جلالة مقاصدها مع الإعجاز فكيف إذا كان التالى أشرف الخلق .

و لما كانت تلاوتها موجبة لإقلاعه فكان [5] إصراره مع بعد رتبته فى الشناعة [6] مستبعدا كونه قال : ﴿ ثم يصر ﴾ اى يديم دواما عظيما على قبيح ما هو فيه حال كونه ﴿ مستكبرا ﴾ أى طالبا الكبر عن الإذعان ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجدال و العناد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استماعها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الساعة .

و موجدا له . و لما كان مع ما ذكر من حاله يجوز أن يكون سماعه لها[1]
خفف من[2] مبالغته فى الكفر، بين أنها لم تؤثر فيه نوعا من التأثير، فكان
قلبه أشد قسوة من الحجر [فقال -[3]] : ﴿ كان ﴾ أى كأنه ﴿لم يسمعها[4]﴾
فعلم من ذلك و من الإصرار و ما قيد به من الاستكبار أن حاله عند
٥ السماع و قبله و بعده على حد سواء، و قد علم بهذا الوصف أن [كل -[3]]
من لم ترده آيات الله تعالى كان مبالغا فى الإثم و الإفك ، فكان له الويل .
و لما كان الإصرار معناه الدوام المتحكم، لم يذكر الوقر الذى هو من
الأمراض الثابتة كما ذكره فى سورة لقمان، قال ابن القطاع[4] و ابن
ظريف فى أفعالهما : أصر على الذنب و المكروه : أقام ، و قال [عبد -[3]]
١٠ الغافر الفارسى فى المجمع : أصررت على الشيء أى أقمت و دمت عليه[5]،
و قال ابن فارس[6] فى المجمل : و الإصرار : العزم على الشيء و الثبات
عليه[7]، و قال أبو[8] عبد الله القزاز فى ديوانه و نقله عنه عبد الحق فى واعيه :
/ و أصل الصر الإمساك ، و منه يقال : أصر فلان[9] على كذا ، أى أقام /٧٥٤
عليه و أمسكه فى نفسه [و عقده لأنه قد يقول ما ليس فى نفسه -[3]]
١٥ و ما لا يعتقده ، و الرجل مصر على الذنب أى ممسك له معتقد عليه ، ثم

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : له (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن. (٣) زيد من م و مد (٤) راجع كتاب الأفعال ٢/٢٥١ (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فارسى (٧) سقط من ظ و م. و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابن (٩) زيد فى الأصل : اى أمسك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

قال

قال : من الإصرار عليه و هو العزم على أن لايقلع عنه ، و قال الأصفهانى[1] تبعا لصاحب الكشاف : و أصله من أصر الحمار على العانة[2] ، و هو أن ينحنى عليها صارا أذنيه .

و لما أخبر عن ثباته على الخبث ، سبب عنه تهديده فى أسلوب دال - بما فيه من التهكم - على شدة الغضب و على أنه إن كان له بشارة ٥ فهى العذاب فلا بشارة له أصلا فقال[3] تعالى : ﴿فبشره﴾ أى على هذا الفعل الخبيث ﴿ بعذاب ﴾ [4] لايدع له عذوبة أصلا ﴿ اليم ٥ ﴾ أى بليغ الإيلام .

و لما بين تعالى كفره بما يسمع من الآيات ، أتبعه ما هو أعم منه فقال : ﴿و اذا علم﴾ أى أىّ نوع كان من أسباب العلم ﴿من ا'يتنا﴾ ١٠ أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا ﴿ شيئا ﴾[5] [و راءه -[6]] و كان كلما رأوا الإنسان فى غاية التمكن منه ، قال مبينا للعذاب : ﴿ جهنم ج﴾ أى تأخذهم[7] لامحلة و هم فى غاية الغفلة عنها بترك الاحتراز منها ، و يحسن التعبير بالوراء[8] أن الكلام فى الأفاك ، و هو انصراف[9]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الأصبهانى (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الصانة - كذا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لذلك قال (٤) وقع فى مد بياض من هنا إلى «جهنم أى تأخذهم» قدر صفحة مطبوعة و بضعة أسطر .
(٥) وقع فى الأصل و ظ و م بياض من هنا قدر صفحة مطبوعة ، و ينتهى إلى «و كان كلما رأوا» و سقطت من الآية «اتخذها هزوا ط اولّئك لهم عذاب مهين ه من ورآئهم» (٦) زيد من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخذهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالواو (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صرف .

الأمور عن اوجهها[1] إلى اقفائها[2] فهو ماش أبدا إلى ورائه فهو ماش إلى النار بظهره[3]، و يستعمل، " وراء " فى الأمام، فيكون حينئذ مجازا عن[4] الإحاطة أى تأخذهم من الجهة التى هم بها[5] عالمون و الجهة التى هم بها[5] جاهلون، فتلقاهم غاية التجهم و العبوسة و الغيظ و الكراهة ضد ما
٥ كانوا عليه عند [العلم -[7]] بالآيات المرئية و المسموعة من الاستهزاء الملازم للضحك و التمايل[8] بطارا و أشرا، و مثل ما كانوا عليه عند الملاقاة للمصدقين بتلك الآيات.

[و -[7]] لما كانوا يظهرون الركون إلى ما بأيديهم من الأعراض الفانية، قال: ﴿و لا يغنى عنهم﴾ أى فى دفع[9] ذلك ﴿ما كسبوا﴾ أى حصلوا[10]
١٠ من الأمور التى أفادتهم العز الذى / أورثهم الاستهزاء[11] ﴿شيئا﴾ أى من إغناء[12]. و لما[13] كان هؤلاء لما هم عليه من العمى[13] يدعون إغناء آلهتهم[14] عنهم، قال[15] مصرحا بها: ﴿و لا ما اتخذوا﴾ أى كلفوا أنفسهم

/ ٧٥٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: وجهها (٢) فى الأصل: اقولها، و فى ظ و م و مد: اقوالها - كذ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بظهر. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ. فى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لها (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القايل (٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ: رفع (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حصو، (١١) زيد فى الأصل: و لم يغن عنهم الاستهزاء، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (١٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ: الاغناء (١٣-١٣) فى ظ و م و مد: كانوا (١٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الالهة (١٥) زيد فى الأصل و ظ: نجيا مبينا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

بأخذه مخالفين لما دعتهم إليها فطرهم الأولى السليمة من البعد عنها .

و لما كان كفرهم إنما هو الإشراك ، فكانوا يقولون "الله" أيضا ، قال معبرا بما يفهم[1] سفول ما سواه : ﴿[2]من دون الله[2]﴾ أى أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم ﴿أولياء ج﴾ أى يطمعون فى أن يفعلوا معهم ما يفعله القريب من النفع و الذب و الدفع[3] ﴿ و لهم ﴾ [4]مع عذابهم[5] بخيبة[6] ٥ الأمل ﴿عذاب عظيم ط﴾ لا يدع جهة من جهاتهم و لا زمانا[7] من أزمانهم و لا عضوا من أعضائهم إلا ملأه .

و لما أخبر عما لمن أعرض [8]عن الآيات[8] بما [هو - [9]] أجل موعظة و أردع زاجر عن الضلال ، قال مشيرا إلى ما افتتح به الكلام من المتلو الذى هذا منه : ﴿ هذا ﴾ أى التنزيل المتلو عليكم ﴿ هدى ج ﴾ أى[10] عظيم ١٠ جدا بالغ [فى - [9]] الهداية كامل فيها ، فالذين اهتدوا بآيات ربهم [لأنهم - [11]] لم يغتروا بالحاضر لكونه زائلا فاستعملوا عقولهم فآمنوا

(١) زيد فى الأصل و ظ : سفولهم و ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢-٢) من م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : دونه .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرفع (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تخيبة - كذا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زمنا (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالآيات (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : هدى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) زيد من ظ و م و مد .

به لهم نعيم مقيم ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم[1] عليه مرائى عقولهم به - هكذا كان الأصل، و لكنه نبه على أن كل جملة من جمله، بل كل[2] كلمة من كلماته[3] دلالة واضحة عليه سبحانه فقال: ﴿ بايٰت ربهم ﴾ أى و هذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن
٥ إليهم فضلوا عن السبيل لتفريطهم[4] فى النظر[5] لغرورهم بالحاضر الفانى ﴿ لهم عذاب ﴾ [كائن -[6]] ﴿ من رجز ﴾ [أى عقاب -[7]] قذر[8] شديد جدا عظيم القلقلة[9] و الاضطراب[10] متتابع[11] الحركات، قال القزاز: الرجز و الرجس واحد ﴿ اليم ﴾ أى بليغ الإيلام. و الآية من الاحتباك: ذكر الهدى أولا دليلا على الضلال ثانيا، و الكفر و العذاب ثانيا دليلا[12]
١٠ على ضدهما أولا، و سره أنه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه، و المشقى ترهيبا منه.

و لما ذكر سبحانه و تعالى[13] صفة الربوبية، ذكر بعض آثارها و ما

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دلهم (٢) سقط من م و مد (٣) فى مد: كلمات (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بتفريطهم (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) وقع فى الأصل و ظ بعد «رجز» و الترتيب من م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قدو - كذا (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القاقة. (١٠) زيد فى الأصل و ظ: موقع، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: متابع (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دالان (١٣) زيد فى الاصل: السبب المسعد ترغيبا فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

فيها من آياته، فقال مستأنفا دالا على عظمتها[1] بالاسم الأعظم : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات[2] الكمال . و لما كان آخر الآيات التى قدمها الرياح، ذكر ما يتصرف بتسييرها فقال : ﴿ الذى سخر ﴾ أى وحده من غير حول منكم فى ذلك بوجه من الوجوه ﴿ لكم ﴾ أيها الناس برکم و فاجركم ﴿ البحر ﴾ [3]بما جعل فيه مما لايقدر عليه[4] إلا واحد ٥ لاشريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير[5] فيه بالرقة و الليونة و الاستواء مع الريح الموافقة و أنه يطفو[6] عليه ما كان من الخشب مع ما علم من صنعته على هذا الوجه الذى تم به المراد ﴿ لتجرى الفلك ﴾ أى السفن ﴿ فيه بامره ﴾ و لو كانت موقرة[7] بأثقال[8] الحديد الذى يغوص فيه[9] أخف شيء منه كالإبرة / و ما دونها . ١٠ /٧٥٦

و لما كان التقدير: لتعبروا بذلك فتعلموا أنه بقدرته خاصة لتؤمنوا به، عطف عليه قوله : ﴿ و لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا بشهوة نفس و اجتهاد بما تحملون فيه من البضائع[10] و تتوصلون إليه من الأماكن و المقاصد

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عظمها (٢) زيد فى الأصل : الجلال و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) و من هنا إلى ما سننبه عليه سقطت نسخة م (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : بالسير (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : مطعوا - كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : موقورة . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : باثقال (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : فى البحر (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : الصنائع .

بالصيد و الغوص و غير ذلك ﴿ من فضله ﴾ لم يصنع شيئا [منه -] سواه . و لما كان التقدير: لتظهر عليكم آثار نعمته ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و لعلكم تشكرون ﴾ أى و لتكونوا بحيث يرجو منكم من ينظر حالكم ذلك شكر من أنعم عليكم به ليزيدكم من فضله فى ٥ الدنيا و الآخرة .

و لما ذكر آية البحر لعظمتها ، عم بمنافع الخافقين دلالة على أنه ما خلق ذلك كله على عظمه إلا لنا ، تنبيها على أن الأمر عظيم فقال تعالى: ﴿ و سخر لكم ﴾ أى خاصة و لو شاء لمنعه ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ بانزاله إليكم منها على أنها بحيث لا يمكنكم الوصول إليها بوجه ، و أكد ١٠ باعادة الموصول لأن[1] السياق للدلالة على عزته و حكمته الدالتين على توحده باستحقاق العبادة الذى هم له[2] منكرون كما دلتا[3] على توحده بالإيجاد و السيادة و هم معترفون بذلك بألسنتهم[4] ، و أفعالهم[5] أفعال من ينكره ، فقال : ﴿ و ما فى الارض ﴾ و أوصلكم إليه و لو شاء لجعلكم كما فى السماء لا وصول لكم إليه ، و أكد ما دل على ما مضى من العموم بقوله : ١٥ ﴿ جميعا ﴾ حال كون ذلك كله من أعيان تلك الأشياء و من تسخيرها[6] ﴿ منه ﴾ لاصنع لأحد غيره فى شيء منه فى ذلك ، قال الرازى فى اللوامع : قال أبو يعقوب النهرجورى[7] : سخر لك الكل لئلا يسخرك منها شيء ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : دالا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : افعال (٦) من مد ، و فى الاصل و ظ : تسخير (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : المهرجورى .

و تكون مسخرا لمن سخر لك الكل و هو الله تعالى ، فانه يقبح بالمخدوم أن يخدم خادمه ، و قال القشيرى : ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا و [من - [1]] وجه للانسان به انتفاع ، فمن أن يستسخرك ما هو مسخرلك .

و لما صح أنه لاشريك له فى شيء من الخلق لامن الذوات و لامن ٥ المعانى ، حسن جدا قوله ، مؤكدا لأن[2] عملهم يخالفه : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم و هو تسخيره [3]لنا كل شيء فى[3] الكون ﴿ لأيٰت ﴾ أى دلالات[4] واضحات على أنهم فى الالتفات إلى غيره فى ضلال مبين بعد تسخيره لنا ما لنا من الأعضاء و القوى على هذ الوجه البديع مع أن من هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا ﴿لقوم﴾ أى ناس فيهم ١٠ أهلية للقيام بما يجعل إليهم ﴿يتفكرون ۝﴾ أنه المتوحد باستحقاق[5] الإلهية فلا[6] يشركون به شيئا .

و لما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه على جميع خلقه طائعهم و عاصيهم ، فعلمت بواسطة ذلك الأخلاق الفاضلة و الأفعال الحميدة ، وكان على المقبل عليه المحب [له -[7]] التخلق بأوصافه ، ١٥ أنتج قوله مخاطبا لأفهم خلقه عنه و أطوعهم له الذى الأوامر إنما هى

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : علمهم و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكل شيء من (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك الايات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاستحقاقات (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلما (٧) زيد من مد .

له من شدة طواعته تكوين لا تكليف[1] : ﴿ قل ﴾ أى بقالك و حالك
﴿ للذين امنوا ﴾ أى ادعوا التصديق بكل ما جاءهم من الله : اغفروا / ٧٥٧
تديناً[2] به من أساء إليكم . و لما كان هذا الأمر فى الذروة من اقتضاء
الإحسان إلى المسيء فكيف بالصفح عنه ، كان كأنه علة مستقلة فى
٥ الإقبال عليه و القبول منه و الإعراض عن مؤاخذة المسيء ، فان ذلك
يقدح فى كمال الإقبال عليه مع أن من كان يريد هو سبحانه الانتقام
منه فهو يكفى أمره ، و من[3] لم يرد ذلك منه فلا[4] حيلة فى كفه بوجه
فالاشتغال[5] بـه عبث ، فنبه على ذلك بأن جعل جواب الأمر قوله :
﴿ يغفروا ﴾ أى يستروا ستراً بالغاً .

١٠ و لما كان العاقل من سعى جهده فى نفع نفسه ، و كان الأذى
لعباد الله مظنة لتوقع الغضب منه و قادحاً فيما يرجى من إحسانه قال :
﴿ للذين ﴾ و عبر فى موضع " أساؤا إليهم " بقوله تعالى : ﴿ لا يرجون ﴾
أى حقيقة و مجازاً ، و التعبير فى موضع الخوف بالرجاء لما فيه من
الاستجلاب و الترغيب و التأليف و الاستعطاف ، و قال بعد ما نبه
١٥ [عليه - [6]] بتلك العبارة من جليل الإشارة : ﴿ ايام الله ﴾ أى مثل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايخلف ، و زيد بعده فى الأصل : صلى الله عليه و على آله و اصحاب الكرام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تدبيا (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن .
(٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : قال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاشتغال (٦) زيد من مد .

وقائع

وقائع الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال فی[1] الأمم الخالية بادالة الدول تارة لهم و أخرى عليهم، و فيه أعظم ترغيب[2] فی الحث على الغفران للموافق[3] فی الدين، و تنبيه على أنه لا يقدم على الإساءة إلى[4] عبيده إلا من أعرض عنه، فصار حاله حال الآئس من صنائعه[5] سبحانه فی جزائه للمسيء و المحسن فی الأيام و الليالی، و عبر بالاسم الشريف تنبيها على ما ٥ له من الجلال و الجمال فی معاملة كل منهما، قال [ابن -[6]] برجان: و هذه الآية و شبهها من النسی المذكور فی قوله تعالى "ما ننسخ من آية او ننسها[7]" و ليس بنسخ بل هو حكم يجيء[8] و يذهب بحسب القدرة على الانتصار، و كان ينزل مثل هذا بمكة و المسلمون فی ضعف، و نزل بعد الهجرة آية الجهاد و الأمر بالمعروف، و تركت[9] هـذه و أمثالها ١٠ مسطورة فی القرآن[10] لما عسى أن يدور من دوائر أيام الله و من أيامه إزالة أهل الكفر تنبيها للمسلمين ليراجعوا أمرهم و يصلحوا ما بينهم و بين ربهم[11].

---

(١) من مد، و فی الاصل و ظ: من (٢) من مد، و فی الأصل و ظ: الترغيب (٣) من مد، و فی الأصل و ظ: الموافق (٤) من ظ و مد، و فی الأصل: على (٥) من مد، و فی الاصل وظ: صانعه (٦) زيد من مد (٧) زيد فی الأصل و ظ: نات، و لم تكن الزيادة فی مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فی الأصل: يحی (٩) من ظ و مد، و فی الأصل: ترك (١٠) زيد فی مد: موصدة (١١) من مد، و فی الاصل و ظ: الله تعالى.

و لما كان من قوصص على جنايته فى الدنيا ، سقط [1]عنه أمرها[1] فى الآخرة ، و كان المسلط للجانى فى الحقيقة إنما هو الله تعالى و كان تسليطه إياه لحكم بالغة تظهر غاية الظهور فى الآخرة ، علل الأمر بالغفران مهددا[2] للجانى و مسليا للمجنى عليه : ﴿ ليجزى ﴾ أى الله فى قراءة الجماعة[3] ٥ بالتحتانية و البناء للفاعل ، و نحن بما لنا من العظمة فى قراءة ابن عامر و حمزة و الكسائى بالنون ، و بناه أبو جعفر للفعول فيكون النائب عن الفاعل الخير أو الشر[4] بتقدير حرف الجر لجزائهم فى الدنيا و فى الآخرة حيث يظهر الحكم و ينجلى الظلم .

و لما كان ربما جوزى جميع الجناة ، و ربما عفى عن بعضهم بالتوبة ١٠ عليه أو غيرها فضلا / لحكم أخرى و يثاب المظلوم على ظلامته لمثل[5] ٧٥٨ / ذلك قال : ﴿ قوما ﴾ أى من الجناة و إن كانوا فى غاية العلو و الكبرياء[6] و الجبروت و من المجنى عليهم و إن كانوا فى غاية الضعف ﴿ بما ﴾ أى بسبب الذى ﴿ كانوا ﴾ أى فى جبلاتهم و أبرزوه إلى الخارج ﴿ يكسبون ﴾ أى يفعلون على ظن أنه ينفعهم أو بسبب كسبهم من ١٥ خير أو شر ، و الحاصل أنه تعالى يقول : أعرض عمن ظلمك و كل أمره إلى فانى لا أظلمك [7]و لا أظلم[7] أحدا ، فسوف أجزيك على صبرك

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل و ظ : امرها عنه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقول مهدد (٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : لمثل (٦) من ظ ، و فى الأصل : الكبر ، و ليس واضحا فى مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أجزيه على بغيه و أنا قادر. و أفادت قراءة أبى جعفر[١] الإبلاغ فى تعظيم الفاعل [و - [٢]] أنه معلوم، و تعظيم ما أقيم مقامه و هو الجزاء بجعله عمدة مسندا إليه لأن عظمته على حسب ما أقيم مقامه. فالتقدير لكون الفعل يتعدى إلى مفعولين كما قال تعالى "و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا": ليجزى الملك الأعظم الجزاء الأعظم من الخير للمؤمن و الشر للكافر ٥ قوما، فجعل الجزاء كالفاعل و [إن - [٢]] كان مفعولا كما جعل "زيد" فاعلا فى مات زيد و إن كان مفعولا فى المعنى: تنبيها على عظيم تأثير الفعل فانه لا انفكاك عنه لأنه يجعل متمكنا من المجزى [تمكن المجزى - [٣]] من جزائه و محيطا به لأن الله تعالى[٤] بعظيم قدرته يجعل عمل الإنسان نفسه جزاء له، قال الله تعالى "سيجزيهم وصفهم" ١٠ بما[٤] كانوا يعملون، و يجوز أن يكون النائب عن الفاعل ضمير "الذين" بالنظر إلى لفظه فيكون المعنى: سيجزى الذين آمنوا ناسا كانوا أقوياء على القيام فى أذاهم بسبب أذاهم [لهم - [٥]] فيجعل كلا[٦] منهم فداء لكل منهم من النار، و ربما[٧] رأوا بعض آثار ذلك فى الدنيا، روى مسلم و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه ١٥ و سلم قال: ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا[٧] بعفو إلا عزا، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز و جل. و لأحمد و الترمذى -

---

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: محيطا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى م: ما، و استأنفت النسخة من هنا (٥) زيد من م و مد (٦) فى م: كل (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٧) فى م: عبيد، و الحديث مضى قريبا.

و اللفظ له و قال: حسن صحيح[1] عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ثلاث أقسم عليهن و أحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد[2] من صدقة، و ما ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا، و لا فتح عبد باب مسألة إلا ٥ فتح الله باب فقر - أو كلمة نحوها، و روى الحاكم و صحح إسناده، قال المنذري: و فيه انقطاع عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: من سره أن يشرف له البنيان و ترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه و يعط من حرمه و يصل من قطعه[3].

و لما رغب سبحانه و رهب و تقرر أنه لابد من الجزاء، زاد في ١٠ [الترغيب و -[4]] الترهيب بأن النفع و الضر لايعدوهم فقال شارحا للجزاء: ﴿من عمل صالحا﴾ قل أو جل ﴿فلنفسه ج﴾ أي خاصة عمله يرى جزاءه في الدنيا [5]أو في[5] الآخرة ﴿و من أسآء﴾ أي[6] كذلك [7]إساءة قلت أو جلت[7] ﴿فعليها ز﴾ خاصة إساءته كذلك، و ذلك في غاية الظهور لأنه لايسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع[9]

---

(١) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: احد (٣) بهامش م: روى مسلم عن أبي موسى رفعه: اذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا او نصرانيا يقال: هذا فكاكك من النار (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) من م و مد، و في الاصل و ظ «و» (٦) سقط من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: رشع، و في م: روع.

عبيده من غير جزاء و لا سيما إذا كان حكيما و إن كانت نقائص
النفوس[1] قد غطت على كثير / من العقول ذلك و من جزائه أنه يديل[2] / ٧٥٩
المسيء على المحسن لهفوة[3] وقعت له[4] ليراجع حاله بالتوبة .

و لما كان سبحانه قادرا[5] لا يفوته شيء كان بحيث لا يعجل فأخر
الجزاء [6]إلى اليوم[6] الموعود : ﴿ ثم ﴾ أى بعد الابتلاء بالإملاء[7] فى الدنيا ٥
و الحبس فى البرزخ ﴿ الى ربكم ﴾ أى المالك لكم وحده لا إلى غيره
﴿ ترجعون ﴾ .

و لما علم بهذه[8] الحكم ما افتتحت به السورة من [أن - [9]] منزل
هذا الكتاب عزيز حكيم ، فكان التقدير فذلكة[10] لذلك : فلقد آتيناك
الكتاب و الحكم و النبوة و فضلناك و أمتك على العالمين و أرسلناك ١٠
لتنبه الناس على ما أمامهم و كان قومه[11] بعد ائتلافهم على الضلال قد
اختلفوا بهذا الكتاب الذى كان ينبغى لهم أن يشتد اجتماعهم به
و استنصارهم[12] من أجله ، عطف عليه مسليا قوله : ﴿ و لقد اتينا ﴾ أى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لنفوسهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بدليل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمنموة (٤) سقط من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قادر ان - كذا (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لليوم (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : بإملاء. (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بهذا (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فذلك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قومهم (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : استبصارهم .

على ما لنا من العظمة [1]و القدرة[1] الباهرة ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ نبى الله ابن عمكم إسحاق نبى الله ابن أبيكم إبراهيم خليل الله عليهم الصلاة و السلام ﴿ الكتب ﴾ الجامع للخيرات و هو يعم التوراة و الإنجيل و الزبور و غيرها[2] مما أنزل على أنبيائهم ﴿ و الحكم ﴾ أى العلم و العمل الثابتين ثبات الاحكام
٥ [بحيث -[3]] لا يتطرق إليهما[4] فساد بما للعلم من الزينة بالعمل، و للعمل من الإتقان[5] بالعلم ﴿ و النبوة ﴾ التى تدرك بها الأخبار العظيمة التى لا يمكن اطلاع الخلق عليها بنوع اكتساب منهم، فأكثرنا فيهم من الأنبياء ﴿ و رزقنهم ﴾ بعظمتنا لإقامة أبدانهم ﴿ من الطيبت ﴾ من المن و السلوى و غيرهما من الأرزاق اللدنية و غيرها ﴿ و فضلنهم ﴾ بما لنا من العزة
١٠ ﴿ على العلمين ج ﴾ و هم الذين تحقق إيجادنا لهم فى زمانهم و ما قبله فانا آتيناهم من الآيات المرئية و المسموعة و أكثرنا فيهم من الأنبياء ما لم نفعله لغيرهم ممن سبق، و كل ذلك فضيلة ظاهرة ﴿ و ءاتينهم ﴾ مع ذلك[6] ﴿ بينت من الامر ج ﴾ الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية و الأحكام و المواعظ المؤيدة بالمعجزات. و من صفات الأنبياء الآتين
١٥ بعدهم و غير ذلك مما هو فى غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته، و ذلك أمر يقتضى الألفة و الاجتماع و [قد -[7]] كانوا متفقين و هم فى زمن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : غيرهما (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اليها. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الاتفاق (٦) زيد فى الأصل : ايضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد من مد.

الضلال لايختلفون إلا اختلافا يسيرا لايضر مثله و لا يعد اختلافا.

و لما كان حالهم بعد هذا الإيتاء مجملا، فصله فقال تعالى: ﴿ فما اختلفوآ ﴾ أى أوقعوا الاختلاف و الافتراق بغاية جهدهم. و لما لم يكن اختلافهم مستغرقا لجميع الزمن الذى بعد الإيتاء، أثبت الجار فقال: ﴿ الا من بعد ما جآءهم العلم لا ﴾ الذى من شأنه الجمع على المعلوم، ٥ فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم فى الافتراق لأن الله تعالى أراد ذلك و هو عزيز.

و لما كان هذا عجبا، بين علته محذرا من مثلها فقال: ﴿ بغيا ﴾ - أى للمجاوزة[1] فى الحدود التى اقتضاها لهم طلب الرئاسة و الحسد و غيرهما من نقائص النفوس. و لما كان / البغى على البعيد مذموما، زاده عجبا ١٠ / ٧٦٥ بقوله: ﴿ بينهم ط ﴾ واقعا فيهم لم يعدهم إلى غيرهم، و قد كانوا قبل ذلك و هم تحت أيدى القبط فى غاية الاتفاق و اجتماع الكلمة على الرضا بالذل، و لذلك إستأنف قوله الذى اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من أفعال الملوك فيمن[2] خالف أوامرهم[3]، مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن اليك بارسالك و تكثير أمتك و حفظهم مما[4] ١٥ ضل به القرون الأولى و بيان يوم الفصل الذى هو محط الحكمة بيانا لم يبينه على لسان أحد ممن سلف ﴿ يقضى بينهم ﴾ باحصاء الأعمال و الجزاء

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: المجاوزة (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ممن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من.

عليها، لأن هذا مقتضى الحكمة و العزة ﴿ يوم القيمة ﴾ الذى ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك مع أنه لايجوز فى الحكمة إنكاره[1] ﴿ فيما كانوا ﴾ أى بما هو لهم كالجبلة[2] ﴿ فيه يختلفون ﴾ بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فانه يجوز فى الحكمة أن ٥ يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم أنه لايجوز فى الحكمة أصلا أن يترك المختلفون من [3]غير حكم[3] بينهم لأن هذا لايرضاه أقل الملوك فانه لايعرف الملك إلا بالقهر و العزة و لا يعرف كونه حكيما إلا بالعدل، و إذا كان هذا لايرضاه ملك فيكف [4]يرضاه ملك[4] الملوك، و إذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس و ناس، فهو يقتضى ١٠ بينكم أيضا كذلك[5]، و من التأكيد للوعد بذلك اليوم[6] التعبير باسم الرب مضافا إليه صلى الله عليه و سلم.

و لما كان معنى هذا أنه سبحانه و تعالى جعل بنى إسراءيل على شريعة و هددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديدا لنا، قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام و غيره من تهديدنا منبها على علو شريعتنا: ١٥ ﴿ ثم ﴾ أى بعد فترة من رسلهم و مجاوزة رتب[7] كثيرة عالية على

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انكارها (٢) زيد فى الأصل: بل هو جبلة لها و طبعا، و لم تكن الزيادة فى ظ م و مد فحذفناها (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بحر حكم - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الملك (٥) من مد، و فى الأصل وظ وم: لذلك (٦) فى مد: الوعد. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رسل.

رتبة

[رتبة - [1]] شريعتهم ﴿ جعلنك ﴾ أي [2] بعظمتنا ﴿ على شريعة ﴾ أي طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هي جديرة بأن يشرع الناس فيها و يخالطوها مبتدئة [3] ﴿ من الامر ﴾ الذي هو وحينا و هو حياة الأرواح كما أن الأرواح حياة الأشباح .

و لما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها ، سبب عنه ٥ قوله موجها الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين [4] ليكون أدعى إلى اجتهادهم ، فان أمرهم تكليف و أمر إمامهم تكوين : ﴿ فاتبعها ﴾ أي بغاية جهدك . و لما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذي أخبر الله أنه به يأخذ و به يعطي ، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى ، و لما كان أحاد الأمة غير معصومين أشار إلى العفو [5] عن هفواتهم بقوله تعالى : ١٠ ﴿ و لاتتبع ﴾ أي تتعمدوا أن تدعوا ﴿ اهوآء الذين لايعلمون ه ﴾ أي لاعلم لهم أو لهم علم و لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار العرب و غيرهم ، فان من تعمد أتباعهم [6] فعلت بهم [6] ما فعلت ببني [7] إسرائيل / حيث لعنتهم على لسان داود و عيسى بن مريم عليهما /٧٦١ الصلاة و السلام [8] بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة و السلام ، ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد في الأصل : تامة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : المأمومون (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عفوه (٦ - ٦) من ظ وم و مد ، و في الأصل : فعل (٧) من مد ، و في الاصل وظ و م : بني .
(٨) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها .

ثم علل هذا النهي مهددا بقوله [مؤكدا تنبيها على أن من خالف أمر الله لأجل أحد كان عمله عمل من يظن أنه يحميه -[1]]: ﴿انهم﴾ وأكد[2] النفي فقال تعالى: ﴿ لن يغنوا عنك ﴾ أي لايتجـــدد لهم نوع إغناء مبتدئ ﴿ من الله ﴾ المحيط بكل شيء قدرة و علما واصل إليه ، وكل ٥ ما لا يكون ذا وصلة به فهو عدم ﴿ شيئا[4] ﴾ من إغناء إن تبعتهم كما أنهم لن[3] يقدروا لك على شيء من أذى إن خالفتهم و ناصبتهم .

و لما كان التقدير : فانهم ظلمة لايضعون شيئا في موضعه ، و من اتبعهم فهو منهم ، قال تعالى عاطفا عليه : ﴿ و ان ﴾ وكان الأصل : و إنهم ، و لكنه[5] أظهر للاعلام[6] بوصفهم فقال: ﴿الظلمين﴾ أي[6] العريقين ١٠ في هـذا الوصف الذميم[7] ﴿ بعضهم اولياء بعض ج ﴾[8] فلا ولاية - أي قرب - بينهم و بين الحكيم أصلا لتباعد ما بين الوصفين فكانت أعمالهم [كلها -[9]] باطلة لبنائها على غير أساس خلافا لمن يظن بها غير ذلك تقيدا بالأمور الظاهرة في هذه الدار ﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع صفات [9]الجلال و الجمال و العز[9] و الـــكمال ﴿ ولي المتقين ه ﴾ الذين ١٥ همهم[10] الأعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) في مد : لم (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لكن (٥) من مد ، و في الأصل و ظ و م : الاعلام (٦) زيد في الأصل : فان الظالمين ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) زيد في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها . (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ و م : همتهم .

و لا ولاية بينه و بين الظالمين .

و لما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان، الفائت لقوى الإنسان، قال مترجما عنه: ﴿ هذا ﴾ أي الوحي المنزل . و لما كان في عظم بيانه [1]و إزالة[1] اللبس عن كل ملبس دق أو جل بحيث لايلحقه شيء من [2]خفاء، جعله[2] نفس البصيرة، مجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع كما جعله ٥ روحا فقال: ﴿بصآئر للناس﴾ اى الذين هم في أدنى المراتب، يبصرهم بما يضرهم و ما ينفعهم، فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يؤمنون و من فوقهم .

و لما بين ما هو لأهل السفول، بين ما هو لأهل العلو فقال تعالى: ﴿و هدى﴾ أي قائد[3] إلى كل خير، مانع[4] من كل زيغ ﴿ و رحمة ﴾ ١٠ أي كرامة و فوز[5] و نعمة ﴿لقوم يوقنون ۝﴾ أي ناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت و تجديد الترقي في درجاته إلى ما لا نهاية له أبدا[6] . و لما كان[7] التقدير بعد هذا البيان الذي لم يدع لبسا في أمر الحساب بما حده من الملك الذي يوجب [ما له -[8]] من العظمة و الحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن و عقاب المسيء: أعلم[9] هؤلاء المخاطبون - لأنهم ١٥

(١-١) من م و مد، و في الأصل و ظ: مازاله - كذا (٢-٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: الخفاء جعلت (٣) من ظ، و في الأصل و م و مد: قائدا. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: و مانعا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: فوزا (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد في الأصل و ظ: هذا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) زيد في الأصل و ظ: ان، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها .

لايعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم
من حسن الغرائز المعلية[1] لهم عن حضيض الحيوان إلى أوج الإنسان
- أنا نفرق[2] بين[3] المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض و بين المحسنين الذين
نحن أولياؤهم، عطف عليه سبحانه و تعالى قوله: ﴿ام﴾ قال الأصبهانى:
٧٦٢ / ٥ قال الإمام / : كلمة وضعت للاستفهام عن شىء حال كونه معطوفا على
آخر سواء كان المعطوف مذكورا أو مضمرا - انتهى. وكان الأصل:
حسبوا[4]، و لكنه [عدل - [5]] عنه [6]للتنبيه على أن ارتكاب[6] السوء
معم للبصيرة مضعف للعقل كما أفاده التعبير بالحسبان كما تقدم بيانه
فى البقرة فقال: ﴿ حسب الذين اجترحوا ﴾ أى فعلوا[7] بغاية جهدهم
١٠ ونزوع[8] شهواتهم ﴿ السيات ان نجعلهم ﴾ مع ما لنا من العظمة المانعة
من الظلم المقتضية للحكمة ﴿ كالذين امنوا و عملوا ﴾ تصديقا لإقرارهم
[9]ظاهرا و باطنا و سرا و علانية[9] ﴿ الصلحت ﴾ بأن نتركهم بلا حساب
للفصل بين المحسن و المسىء.

و لما كانت المماثلة مجملة، بينها استئنافا بقوله [10]مقدما ما[10] هو عين

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: العلية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نفرق (٣) زيد فى الأصل: المستثنين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احسبوا (٥) زيد من م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى التنبيه إلى اركاب (٧) فى م و مد: فعملوا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وردع (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مبينا لما.

المقصود من الجملة الأولى : ﴿ سوآء ﴾ أى مستو استواء عظيما ﴿ محياهم و مماتهم ﴾ أى حياتهم و موتهم و زمان ذلك و مكانه فى الارتفاع و السفول و اللذة و الكدر و غير ذلك من الأعيان و المعانى[1] . و لما كان هذا مما لا يرضاه أحد لمن تحت يده و لا لغيره ، قال معبرا بمجمع الذم : ﴿ سآء ما يحكمون ﴾ أى بلغ حكمهم هذا فى نفسه و لاسيما و هم ٥ باصرارهم عليه فى تجديد [له -[2]] كل ساعة أقصى نهايات السوء ، فهو مما يتعجب منه ، لأنه لا يدرى الخامل عليه ، و ذلك أنهم نسبوا الحكيم الذى لا حكيم فى الحقيقة غيره إلى ما لا يفعله أقل الناس فيمن تحت يده .

و لما أنكر التسوية و ذمهم على الحكم بها ، أتبع ذلك الدليل القطعى على أن الفريقين لا يستويان و إلا لما كان الخالق لهذا الوجود ١٠ عزيزا و لا حكيما ، فقال دالا على إنكار التسوية و سوء حكمهم بها ، عاطفا على ما تقديره : فقد خلق الله الناس كلهم بالحق و هو الأمر الثابت الذى يطابقه[3] الواقع ، و هو ثبات أعمال المحسنين و بطلان أفعال[4] المسيئين ، عطف عليه قوله : ﴿ و خلق الله ﴾ أى الذى له جميع أوصاف الكمال و لا يصح و لا يتصور أن يلحقه نوع نقص ﴿ السموٰت و الارض ﴾ ١٥ اللتين هما ظرف لكم و ابتدئت [السورة -[2]] بالتنبيه على آياتهما ، خلقا ملتبسا[5] ﴿ بالحق ﴾ فلا يطابق الواقع فيهما [أبدا -[2]] شيئا باطلا ،

---

(١) زيد فى الأصل : و ما كان هذا مناسبا له ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يطابقه .
(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعمال (٥) فى ظ : متلبسا .

فمتى وجد سبب الشيء و انتفى مانعه وجد ، و متى وجد مانع الشيء و انتفى سببه انتفى ، لايتخلف ذلك أصلا ، و لذلك جملة ما وقع من خلقهما طابقه الواقع الذى هو[1] قدرة الله و علمه و حكمته و جميع ما له من صفات الكمال التى دل خلقهما[2] عليها ، فاذا كان الظرف على هذا الإحكام فما الظن بالمظروف الذى ما خلق الظرف إلا من أجله ، هــل[3] يمكن فى الحكمة أن يكون على غير ذلك فيكون الواقع الذى هو تفضيل المحسن على المسيء غير مطابق لأحوالهم ، و من جملة المظروف ما بينهما فلذا لم يذكر هنا ، و لو [كان -[5]] ذلك من غير بعث و مجازاة[6] بحسب الأعمال[7] لما كان هذا الخلق العظيم بالحق بل بالباطل / الذى تعالى[8] عنه الحكيم فكيف و هو أحكم الحاكمين .

٧٦٣ /

و لما كان التقدير : ليكون كل مسبب مطابقا لأسبابه ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتجزى ﴾ [بأيسر أمر -[5]] ﴿ كل نفس ﴾ أى منكم و من غيركم ﴿ بما ﴾ أى بسبب الأمر الذى . و لما كان السياق للعموم ، و كان المؤمن لايجزى إلا بما عمله[9] على عمد منه و قصد ليكتب فى أعماله ،

(١) زيد فى الأصل : تفضيل المحسن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من م ، و فى الأصل و مد : خلقها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلذلك (٥) زيد من م و مد .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مجاوزة (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يتعالى.
(٩) زيد فى الأصل و ظ و م : وهو ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

[زعبر -[1]] بالكسب الذى هو أخص من العمل فقال : ﴿ كسبت ﴾ أى[2] كسبها من خير أو شر ، فيكون ما وقع الوعد به مطابقا لكسبها ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ لايظلمون ه ﴾ أى لا يوجد من [3]موجد ما[3] فى وقت [4]من الأوقات جزاء لهم فى غير موضعه ، و هذا [على - [5]] ما جرت به عوائدكم فى العدل و الفضل ، و لو وجد منه سبحانه غير ٥ ذلك لم يكن ظلما منه لأنه المالك المطلق و الملك الأعظم ، فلو عذب[6] أهل سماواته و أهل أرضه كلهم لكان غير ظالم لهم فى نفس الأمر ، فهذا[7] الخطاب إنما هو على ما[8] نتعارفه[9] من إقامة الحجة بمخالفة[10] الأمر .

و لما بين غاية البيان أنه الإله وحده بما له من الإحاطة بجميع صفات الكمال ، و أنه لابد [11]من جمعه[11] الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم ١٠ بما له من الحكمة[12] و القدرة ، و حقر الهوى و نهى عن اتباعه ، و كانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودا ، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله ، و لم يرجعوا عن ضلالهم ، تسبب عن ذلك [13]التعجيب ممن[13] يظن أنه يقدر

---

(١) زيد من م مد (٢) فى م و مد : او (٣-٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عذاب . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وهذا (٨) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متعارفة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مخالفة (١١-١١) من مد ، و فى و ظ و م : بجمعه . (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الحكم (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التعجب من .

على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء فقال: ﴿ افرءيت ﴾ أى أعلمت علما هو فى تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى أثبت الحواس ﴿من اتخذ﴾ [أى -[1]] بغاية جهده [2]و اجتهاده[2] ﴿ الهه هوىٰه ﴾ أى حول وصف الإله حتى صار هوى لنفسه، فهو تابع لهواه ليس غير، ٥ فهو فى أودية الضلال يهيم على غير سنن فهو معرّض لكل بلاء، فخسر أكثر من ربحه لكونه بلا دليل، و الدليل على أنهم لا يعبدون إلا مجرد الهوى ما رواه البخارى فى وفد بنى حنيفة من المغازى من صحيحه[3] عن أبى رجاء العطاردى و هو مخضرم ثقة[4] أدرك الجاهلية و مات سنة خمس و مائة عن مائة و عشرين سنة، قال: كنا نعبد الحجر، فاذا ١٠ وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه و أخذنا الآخر، فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا[5] عليه ثم طفنا به - انتهى . و مع ذلك فكيفما قلبت أمرهم وجدته شعبة يسيرة من كفر الاتحادية، و كل متشبثات[6] قريش التى عابهم الله بها تشبثت[7] بها الاتحادية حتى قولهم "ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى" و لو قدم الهوى لكان المعنى أنه ١٥ حول و صفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، و لم يبق إلا ما ينسب إلى

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٣) راجع ٢/٦٢٨ . (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: رفة (٥) من ظ ومد و الصحيح، و فى الأصل وم: فحلبناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مستبات (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تيشت .

الإلهية كما اضمحل الطين فى : احذت الطين حرقا، فصار المعنى أن[1] العابد لايتحرك إلا بحسب[2] ما يأمره به الإله[3] و يصير التركيب يفيد تعظيمه بغلبة الإثبات و إذهاب الهوى غاية الإذهاب. و لو كان التقديم فى هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم[4] هنا [الهوى - [5]] لأن السياق و السباق [له - [5]] و قد تقدم فى سورة الفرقان ما ينفع [هنا -[6]] ٥ و مفعول "راى" الثانى مقدر يدل عليه قوله آخر الكلام "فمن يهديه" تقديره: أيمكن أحدا[7] غير الله هدايته ما دام هواه موجودا، و عن ابن عباس رضى الله عنهما: ما ذكر الله هوى فى القرآن إلا ذمه - انتهى. و معناه أنه يهوى بصاحبه فى الهواء الممدود[8] و هو الفضاء ، أى ينزل[9] به عن[10] درجة عليا إلى ما دونها. فهو فى سفول ما دام [11]تابعا له[11] لأنه ١٠ بحيث [12]لاقرار و لا تمكن، فلذلك هو يوجب الهوان، قال [13]الأصبهانى: سئل ابن المقفع[13] عن الهوى. فقال: هوان سرقت نونه[14]، فنظمه من قال[15]:

(١) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) فى مد: على حسب (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الالهية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م: تقدم (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من م و مد . وفى الأصل وظ : احد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المدود (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م: نزل (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تابعه (١٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : الا (١٣-١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابن المقفع سيل الأصبهاى سيل ابن المقفع و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نون (١٥) زيد فى=

نون الهوان من الهوى مسروقة و أسير كل هوى أسير هوان

وقال آخر[1] و لم يخطئ[2] المعنى و أجاد[1] :

إن الهوى لهو الهوان بعينه فاذا هويت فقد[3] لقيت هوانا

﴿ وأضله الله ﴾ أي بما[3] له من الإحاطة ﴿ على علم ﴾ منه بما فطر عليه

٥ من أنه لا يكون أثر بلا مؤثر، و من أنه لا يكون منفردا بالملك[4] إلا و هو

مستحق للتفرد بالعبادة. و هو أنه[5] لم يخلق الكون إلا حكيم، و أن الحكيم

لا يدع من تحت يده يبغي بعضهم[6] على بعض[6] من غير فصل [بينهم -[7]]

لاسيما و قد وعد بذلك و لاسيما و الوعد بذلك في أساليب الإعجاز

التي هم أعرف الناس بها، أو على[8] علم من المضل بأن الضال مستحق

١٠ لذلك لأنه جبله جبلة شر.

و لما كان الضال أحوج إلى سماع صوت الهادي[9] منه إلى غيره،

و كان من لا ينتفع بما هو له في حكم العادم له قال: ﴿ وختم ﴾ أي زيادة

= الأصل: شعر، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: فلقد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: لما (٤) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: لا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: اعلى (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: المنادي.

على الإضلال الحاضر ﴿ على سمعه ﴾ فلا فهم [له - [1]] فى الآيات المسموعة . و لما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال[2] : ﴿ و قلبه ﴾ أى فهو لا يعى بما[3] من حقه وعيه . و لما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره[4] و منافعه فيباشرها مباشرة البهائم قال : ﴿ و جعل على بصره غشوة[5] ﴾ فصار لا يبصر الآيات المرئية ، و ترتيبها هكذا لأنها فى سياق الإضلال ٥ كما[5] تقدم فى البقرة .

و لما صار هذا الإنسان الذى [صار [1]] لا يسمع الهادى فيقصده و لا يعى المعانى لينتفع بما تقدم له علمه ، و لا يبصر حق البصر ليهتدى[6] ببصره دون رتبة الحيوان ، قال تعالى منكرا مسببا للانكار [7] عما تقدمه[7] : ﴿ فمن يهديه ﴾ و أشار إلى قدرة الله عليه بقوله : ﴿ من بعد الله[5] ﴾ أى ١٠ إضلال الذى له الإحاطة بكل شىء . و لما كان من المعلوم قطعا أنه لا هادى له غيره ، سبب عنه الإنكار لعدم التذكر[8] حثا على التذكر[9] فقال[10] مشيرا بادغام تاء التفعل إلى[11] عدم الاحتياج بسبب وضوحه إلى كثير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣) فى مد : مما (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مضره (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يهدى . (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على تقدم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التنكير (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التذكير (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قال (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

تذكر: ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى يكون لكم نوع تذكر فتذكرون[1] أنهم لايسمعون الآيات المتلوة و لايعتبرون بالآيات المرئية مع ما لكل منها من الظهور، / و أن من كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته .

/٧٦٥

٥ و لما كان التقدير للدلالة على الختم على مشاعرهم ، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرده تعالى بخلقهم و رزقهم و خلق جميع الموجودات فى إنكار الوحدانية : إن له شركاء[2]، عطف عليه قوله : ﴿ و قالوا ﴾ أى فى إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه[3] قادر على كل شيء و معرفتهم أنه قد وعد بذلك فى الأساليب المعجزة[4] و أنه[4] لايليق بحكيم أصلا أن يدع من ١٠ تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم : ﴿ ما هى ﴾ أى الحياة[5] ﴿ الا حياتنا ﴾ أى أيها الناس ﴿ الدنيا ﴾ أى هذه التى نحن فيها[6] مع أن تذكر مدلول هذا الوصف الذى هو أمر نسبى لايعقل إلا بالإضافة[7] إلى حياة أخرى بُعْدَىٰ كافٍ[8] فى إثبات البعث .

و لما أثبتوا[9] بادعائهم الباطل هذه[9] الحياة أتبعوها حالها فقالوا :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تذكرون (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شريكا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فانه (٥) زيد فى الأصل و م : الدنيا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ و م و مد : بها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بدون الاضافة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

﴿ نموت و نحيا ﴾ أى تنزع الروح من بعض فيموت ، و تنفخ فى [بعض -[1]] آخر فيحيى ، و ليس وراء الموت حياة أخرى للذى مات ، [2]فقد[2] أسلخوا أنفسهم بهذا القول[3] من الإنسانية إلى[3] البهيمية لوقوفهم مع الجزئيات . و لما كان هلاكهم فى زعمهم لا آخر له ، عدوا الحياة [4]فى جنبه[4] عدما فلم يذكروها و قالوا بجهلهم[5] : ﴿ و ما يهلكنآ ﴾ أى بعد هذه[6] الحياة ٥ ﴿ الا الدهر ج ﴾ أى الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد إقباله و تجدد إدبارنا بنزول الأمور المكروهة بنا ، من دهره - إذا غلبه . و لما[7] أسند إليهم هذا القول الواهى ، بين حالهم عند قوله فقال تعالى : ﴿ و ما ﴾ أى قالوه و الحال أنه ما ﴿ لهم بذلك ﴾ أى القول البعيد من الصواب و هو أنه لاحياة بعد هذه ، و أن الهلاك منسوب إلى الدهر على أنه مؤثر بنفسه ، ١٠ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من علم ج ﴾ أى كثير و لا قليل ﴿ ان ﴾ [8]أى ما ﴿ هم الا يظنون ﴾ [9]بقرينة أن الإنسان كلما تقدم فى السن ضعف ، و أنه لم يرجع أحد من الموتى[10] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسلخوا بهذا القول أنفسهم (٣) زيد فى الأصل : الحالة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ثنى حسه (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما اذا (٧) زيد فى الأصل و ظ : هم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ : إلى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المولى .

و لما كان هذا من قولهم عجبا، زاده عجبا بحالهم عند سماعهم للبراهين القطعية، فقال عاطفا على[1] "قالوا": ﴿و اذا تتلى﴾ أى تتابع[2] بالقراءة من أىّ تال كان ﴿عليهم ءايتنا﴾ أى[3] على ما لها من العظمة [4]فى نفسها[4] و بالإضافة إلينا حال كونها ﴿بيّنت﴾ أى فى غاية المكنة فى الدلالة

٥ على البعث، فلا عذر لهم فى ردها ﴿ما كان﴾ أى[5] بوجه من وجوه الكون[6] ﴿حجتهم﴾ أى قولهم الذى ساقوه مساق الحجة، و هو لا يستحق أن يسمى شبهة ﴿الا ان قالوا﴾ [7]قولا ذميما و لم ينظروا إلى مبدئهم[7] ﴿ائتوا﴾ أيها التالون للحجج البينة[8] من النبي - صلى الله عليه و سلم - و أتباعه [7]الذين اهتدوا بهداه[7] ﴿بابآئنا﴾ الموتى، و حاصل هذا

١٠ أنه ما كان لهم حجة إلا أن أتوا بكلام معناه: ليس لنا حجة لأنه ليس فيه شبهة فضلا عن حجة، و ما كفاهم مناداتهم[9] على أنفسهم بالجهل حتى غرضوا[10] لأهل البينات بالكذب فقالوا: ﴿ان كنتم صدقين ه﴾ أى عريقين فى الكون فى أهل الصدق / الراسخين فيه[11] من أنه سبحانه /٧٦٦ و تعالى يبعث الخلق بعد موتهم، و ذلك استبعاد منهم لأن يقدر على

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تتابع (٣) سقط من م و مد (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : نفسها (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل : لكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : البينة. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مادانهم (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تعرضوا (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى الصدق.

جمع الجسم بعد ما بلى ، و هم يقرون بأنه الذى خلق ذلك الجسم ابتداء ، و من المعلوم قطعا أن من قدر على إنشاء شيء من العدم قدر[1] على إعادته بطريق الأولى .

و لما كان سبحانه و تعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره ، و ذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم[2] إلى إحياء آبائهم إكراما لهذه الأمة[3] ٥ لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة و السلام [4]لأن سنته[4] الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما فعل بالأمم الماضية ، فرفعهم [5]عن الحس إلى[5] التدريب على[6] الحجج العقلية فقال آمرا[7] له صلى الله عليه و سلم بالجواب بقوله تعالى : ﴿ قل الله ﴾ أى المحيط [8]بكل شيء قدرة و علما[8] و حكمة ﴿ يحييكم ﴾ أى يجدد هذا[9] ١٠ تجديدا لايحصى كما أنتم [به - [10]] مقرون إحياء لأجساد يخترعها من غير أن يكون لها أصل فى الحياة ﴿ ثم يميتكم ﴾ بأن يجمع أرواحكم من أجسادكم فيسلها منها لايدع [11]شيئا منها[11] فى شيء من الجسد [12]و ما[12]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قادر (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لم يجيبهم (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاسنة (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الى الحسن عن (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : عن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : امر (٨-٨) فى م و مد : علما و قدرة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذه الحياة (١٠) زيد من م . (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منها شيئا (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

[1]ذلك على الله بعزيز[1] فاذا هو[2] كما كان قبل الإحياء كما تشاهدون، و من قدر على هذا الإبداء [3]على هذا[3] الوجه من التكرر ثم على تمييز ما بث من الروح فى حال سلبها من تلك الأعضاء الظاهرة عادة مستمرة كان المخبر عنه بأنه يجمع الخلق بعد موتهم من العريقين فى الصدق، فلذلك
٥ قال من غير تأكيد: ﴿ثم يجمعكم﴾ أى بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت[4] بعد طول مدة الرقاد، منتهين ﴿الى يوم القيٰمة﴾ أى القيام الأعظم لكونه عاما لجميع الخلائق الذين أماتهم.

و لما صح بهذا الدليل القطعى المدعى، أنتج قوله: ﴿لاريب﴾ أى[5] شك بوجه من الوجوه ﴿فيه﴾ بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا
١٠ ﴿و لكن اكثر الناس﴾ [6]بما لهم من السفول بما ركبنا فيهم من الحظوظ و الشهوات التى غلبت على غريزة العقل فردوا[7] بها أسفل سافلين فى حد النوس و هو التردد لم يرتقوا [إلى سن الإيمان -[8]] ﴿[9]لايعلمون[9] ع﴾ [أى لايتجدد لهم علم لما لهم من النوس و التردد و السفول - [8]] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣ - ٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٥) زيد فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مراوا. (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد «اكثر الناس» و الترتيب من م و مد.

أوج العقل إلى حضيض الجهل ، فهم واقفون مع المحسوسات ، لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور لتظهر قدرتنا و يتحقق اسمنا الباطن [1] كما تحقق الظاهر عند من هديناه لعلم ذلك .

و لما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل [1] الخاص الذى تقديره : فالله الذى [ابتدأ - [2]] خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على ٥ إعادتكم ، عطف عليه دليلا آخر جامعا فقال تعالى : ﴿ و لله ﴾ [أى - [3]] الملك الأعظم وحده ﴿ ملك السموٰت ﴾ كلها ﴿ و الارض [4] ﴾ التى ابتدأكم منها ، و من تصرف فى ملكه بشىء من الأشياء ، كان قادرا على مثله ما دام ملكا .

و لما كان التقدير : له ملك ذلك أبـــدا ، فهو يفعل فيه اليوم ما ١٠ تشاهدون / مع رفع هذا و خفض هذا ، فلو أن الناس سلموا لقضائه / ٧٦٧ لوصلوا [4] إلى جميع ما وصلوا إليه بالبغى و العدوان ، فانه لا يخرج شىء عن أمره و لكن [5] أكثر الناس [5] اليوم فى [6] ريبهم يترددون ، بنى عليه قوله تعالى : ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾ أى توجد و تتحقق تحقق التمام الذى هو [7] على كمال تمكنه و تمام أمره الناهض بأعباء ما يريد ، و كرر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و زيد بعده فى الأصل بالباطن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توصلوا (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكثرهم (٦) فى م : فهو (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد .

سبحانه للتهويل و التأكيد قوله : ﴿ يومئذ ﴾ [أي -[1]] إذ تقوم يخسرون ـ هكـــذا كان الأصل، و لكنه قال للتعميم و التعليق بالوصف: ﴿ يخسر المبطلون ﴾ أي الداخلون في الباطل العريقون في الاتصاف به، الذين كانوا لا يرضون بقضائي فيستعجلون فيتوصلون إلى مراداتهم بما

٥ لم آمر به، و لا يزالون يبغون إلى أن يأتي الوقت[2] الذي[3] قدرت وصولهم إليها فيه، فيصلون و يظنون أنهم وصلوا بسعيهم، و أنهم لو تركوا لما كان لهم ذلك فيخسرون لأجل سعيهم بمـــا جعلت لهم من الاختيار [4]بمرادي فيهم[4] على خلاف أمري، خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك لهم عنها و[5] يفوز المحقون[6].

١٠ و لما كان ذلك من شأن اليوم مهولا، عم في الهول بقوله مصورا لحاله: ﴿ و ترى ﴾ أي في[7] ذلك اليوم ﴿ كل امة ﴾ من الأمم الخاسرة فيها و الفائزة ﴿ جاثية ﴾ أي مجتمعة لا يخالطها غيرها، و هي مع ذلك باركة على الركب رعبا و استيفازا لما لعلها[8] تؤمر به، جلسة المخاصم بين يدي الحاكم، ينتظروا القضاء الحاتم، و الأمر الجازم اللازم، لشدة ما يظهر لها من

١٥ هول[9] ذلك اليوم . و لما كان كأن قيل: هم[10] مستوفزون، قال: ﴿ كل امة ﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في الأصل بياض ملأناه من م و مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ و م . التي (٤-٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: عدادي منهم (٥) زيد في الأصل: مع ذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: المحققون (٧) سقط من م و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: يعلها (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: شدة (١٠) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

أى من الجاثين ﴿ تدعى[٢] الى كتٰبها[١] ﴾ أى الذى أنزل إليها و تعبدها الله به و الذى نسخته الحفظة من أعمالها ليطبق أحدهما بالآخر، فمن وافق[١] كتابه ما أمر به من كتاب ربه نجا، و من خالفه هلك، و يقال لهم حال الدعاء: ﴿ اليوم تجزون ﴾ على وفق الحكمة بأيسر أمر ﴿ ما ﴾ أى عين[٢] الذى ﴿ كنتم ﴾ بما هو لكم كالجبلات ﴿ تعملون ه ﴾ أى مصرين عليه ٥ غير راجعين عنه [من -[٣]] خير أو شر.

و لما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال و كتاب الأعمال، فما حكم به كتاب الإنزال أنفذه الكبير المتعال، فقال مشيرا إلى كتاب الإنزال بأداة القريب[٤] لقربه و سهولة فهمه: ﴿ هذا كتٰبنا ﴾ [أى -[٥]] الذى أنزلناه على ألسنة رسلنا ﴿ ينطق ﴾ أى يشهد شهادة ١٠ [هى -[٥]] فى بيانها كالنطق ﴿ عليكم بالحق[١] ﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع من أعمالكم، و ذلك بأن يقول: من عمل كذا فهو كافر، و من عمل كذا فهو عاص، و من عمل كذا فهو مطيع، فيطبق ذلك على ما عملتموه فاذا الذى أخبر به الكتاب مطابق لأعمالكم[٦] لازيادة[٦] فيه و لانقص، كل كلى ينطبق على جزئيه سواء بسواء كما نعطيكم علم ١٥ ذلك فى ذلك اليوم، فينكشف أمر جبلاتكم / و ما وقع منكم من جزئيات /٧٦٨ الأفعال لايشذ عنه [٧]منه ذرة[٧]، و تعلمون أن هذا الواقع منكم مطابق

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و افق (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غير (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القرب (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان سياقه (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مرة.

لما أخبر به[1] الكتاب الذى أنزلناه ، فهو حق لأن الواقع طابقه ، هذا نطقه عليكم ، وأما نطقه لكم فالفضل : الحسنة بعشر أمثالها إلى ما فوق ذلك .

ولما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق[2] ، ٥ وكانوا كأنهم يقولون : من يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة وبعد الزمان ، وكانوا ينكرون أمر الحفظة وغيره مما أتت به الرسل ، أكد قوله مجيبا بما يقرب إلى عقل من يسأل عن ذلك : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من [3]القدرة و[3] العظمة الغنية عن الكتابة[4] ﴿ كنا ﴾ على الدوام ﴿ نستنسخ ﴾ أى نأمر ملائكتنا بنسخ أى نقل ﴿ ما كنتم ﴾ طبعا لكم ١٠ وخلقا ﴿ تعملون ه ﴾ قولا وفعلا ونية ، فان كان المراد بالنسخ مطلق النقل فهو واضح[5] ، وإن كان النقل من أصل فهو إشارة إلى لوح الجبلات المشار إليه بكنتم أو من اللوح المحفوظ ليطابق به ما يفعله العامل ، ومن المشهور بين الناس أن كل احد يسطر[6] فى جبينه ما يلقاه من خير أو شر .

١٥ ولما صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم ، وأشار

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : من (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الونايق (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الكتاب أيضا (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أوضح (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ينظر .

إلى المحققين[١]، صرح بما لوح إليه من أمر [المحققين -[٢]] و [عطف -[٢]] عليهم أضدادهم، فقال بادئا بهم على طريق النشر المشوش مفصلا: ﴿فاما الذين امنوا﴾ أي من الأمم الجاثية ﴿و عملوا﴾ تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصّٰلحت فيدخلهم﴾ أي في ذلك اليوم[٣] الذي ذكرنا عظمته و شدة هوله[٣] ﴿ربهم﴾ الذي أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال[٤] الصالحة ٥ المرضية الموصلة[٤] ﴿في رحمته[٥]﴾ أي تقريبه [٥]و إكرامه[٥] بجليل الثواب و حسن المآب، و تقول لهم الملائكة تشريفا[٦]: سلام عليكم أيها المؤمنون، و دل على عظيم الرحمة بقوله: ﴿ذٰلك﴾ أي الإحسان العالي المنزلة ﴿هو﴾ [أي -[٢]] لا غيره ﴿الفوز﴾ .

و لما كان السياق لغباوتهم و خفاء الأشياء عليهم قال تعالى: ﴿المبين ۝﴾ ١٠ الذي لا يخفى على أحد شيء من أمره، لأنه لا يشوبه كدر أصلا و لا نقص، بخلاف ما كان من أسبابه[٧] في الدنيا، فانها - مع كونها كانت فوزا - كانت خفية جدا على غير الموقنين ﴿و اما الذين كفروا قف﴾ أي ستروا ما جلته لهم مرائي عقولهم و فطرهم الأولى من الحق الذي أمر الله به و لو عملوا جميع الصالحات غير الإيمان، فيدخلهم الملك ١٥

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: المتقين (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥-٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: و بإكرامه (٦) زيد في الأصل و ظ: لهم، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: اشيايه.

الأعظم فى لعنه .

و لما كان هذا الستر[1] سببا واضحا فى تبكيتهم[2] قال: ﴿ أفلم ﴾ أى فيقال لهم: ألم يأتكم رسلى، و أخلق لكم [3]عقولا تدلكم[3] على الصواب من التفكر فى الآيات المرئية من المعجزات التى أتوكم بها[4] و أنزل عليكم بواسطتهم [5]آيات مسموعة[5] فلم[6] ﴿ تكن ايتى ﴾ على / ما لها من عظمة[7] ٥ / ٧٦٩ الإضافة إلىّ و عظمة[8] الإتيان إليكم على ألسنة رسلى الذين هم أشرف[9] خلق .

و لما كانت [10]هذه الآيات[10] توجب الإيمان لما لها من العظمة بمجرد تلاوتها[11]، بنى للمفعول قوله : ﴿ تتلى ﴾ أى تواصل[12] قراءتها من ١٠ أىّ تال كان ، فكيف إذا كانت بواسطة الرسل، تلاوة مستعلية ﴿ عليكم ﴾ لاتقدرون على رفع[13] شيء منها بشيء يرضاه منصف

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التستر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبكتهم (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عقلا يدلكم ، و فى ظ : عقلا تدلكم (٤) زيد فى الأصل بعده : رسلى عليهم الصلاة و السلام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من الآيات المسموعة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هى كلامى وزادها وضوحا بقوله (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : العظمة . (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظمته (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشرف (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تلاوتنا (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تتواصل (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دفع .

﴿ فاستكبرتم ﴾ أي[1] فتسبب عن تلاوتها التي من[2] شأنها إيراث الخشوع[3] و الإخبات و الخضوع أن طلبتم الكبر لأنفسكم و أوجدتموه على رسلي و آياتي ﴿ و كنتم ﴾ خلقا لازما ﴿ قوما ﴾ أي ذوي قيام و قدرة على ما تحاولونه ﴿ مجرمين ه ﴾ أي[4] عريقين في قطع ما يستحق الوصل ، و ذلك هو الخسران المبين . [5]و الآية[5] من الاحتباك : ذكر ٥ الإدخال في الرحمة أولا دليلا على الإدخال في اللعنة ثانيا ، و ذكر التبكيت ثانيا دليلا على التشريف أولا ، و سره أن ما ذكره أدل على شرف الولي و حقارة العدو ﴿ و اذا ﴾ أي و كنتم ذا إ﴿ قيل ﴾ [6]من أي قائل كان و لو على سبيل التأكيد : ﴿ ان وعد الله ﴾ الذي [7]كل أحد يعلم[7] أنه محيط بصفات الكمال ﴿حق﴾ أي ثابت لا محيد عنه يطابقه الواقع ١٠ من البعث و غيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن[8] يخلف وعده فكيف به سبحانه و تعالى [9] فكيف إذا[9] كان الإخلاف فيه مناقضا للحكمة ﴿و الساعة﴾ التي هي مما وعد به و هي محط الحكمة فهي أعظم ما تعلق

---

(١) زيد بعده في الأصل : عند سماعها من الرسل و غيرهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ما (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الخضوع (٤) سقط من م و مد (٥-٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فالآية (٦) زيد في الأصل و ظ : اي ، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد ، و في الاصل و ظ : يعلم كل احد (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ان (٩-٩) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

به الوعد ﴿لاريب فيها﴾ بوجه من الوجوه لأنها محل إظهار الملك لما
له من الجلال و الجمال أتم إظهار ﴿قلتم﴾ راضين لأنفسكم بحضيض
الجهل: ﴿ما ندرى﴾ أى الآن دراية علم و لو بذلنا جهدنا فى محاولة
الوصول إليه ﴿ما الساعة لا﴾ أي نعرف حقيقتها فضلا عما تخبروننا[1] به
٥ من أحوالها .

و لما كان أمرها مركوزا فى الفطر لايحتاج إلى كبير نظر، بما
يعلم كل أحد من تمام قدرة الله تعالى ، فمتى نبه عليها نوع تنبيه سبق
إلى القلب علمها، سموا[2] ذلك ظنا عنادا و استكبارا، فقالوا مستأنفين فى
جواب من[3] كأنه يقول: أفلم تفدكم[4] تلاوة هذه الآيات البينات [5]علما
١٠ بها[5]: ﴿ان﴾ أى ما ﴿نظن﴾ أى نعتقد ما تخبروننا به عنها ﴿الا ظنا﴾
و أما وصوله إلى درجة العلم فلا . و لما كان المحصور لابد و أن يكون
أخص من المحصور فيه[6] كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد، و لعله عبر
عنه بلفظ الظن تأكيدا لمعنى الحصر، و لذلك عطفوا عليه - تصريحا
بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم - قولهم: ﴿و ما نحن﴾ و أكدوا
١٥ النفى فقالوا: ﴿بمستيقنين ه﴾ أى بموجود[7] عندنا اليقين فى أمرها و لا بطالبين

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يخبرون (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سواه (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلم تفدهم (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قبل قالوا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لموجود .

له[1] - هذا مع ما تشاهدونه من الآيات [في الآفاق و في أنفسكم و ما يبث من دابة و ما ينبهكم على ذلك من الآيات -[2]] المسموعة، و هذا لاينافي [آية -[2]] "ان هي [الا -[2]] حياتنا الدنيا" لأن آخرها مثبت للظن، فكأنهم كانوا / تارة يقوى عندهم ما في جبلاتهم و فطرهم الأولى / ٧٧٠ من أمرها فيظنونها، و[3] تارة تقوى[3] عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من ٥ الشبه المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به[4] لما للنفس إليه من الميل، أو كانوا فرقتين - و الله أعلم .

و لما وصلوا إلى حد[5] عظيم من العناد، التفت إلى أسلوب الغيبة إعراضا عنهم إيذانا بشديد[6] الغضب فقال تعالى: ﴿ و بدا ﴾ أي و لم يزالوا يقولون ذلك إلى أن بدت لهم الساعة بما فيها من الأوجال، ١٠ و الزلازل [7]و الأهوال، و ظهر[7] ﴿ لهم ﴾[8] غاية[9] الظهور ﴿ سيئات ما ﴾ و لما كان السياق للكفرة، وكانوا مؤاخذين بجميع[10] أعمالهم فانه ليس

---

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ترى سوى (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : بها (٥) في م : حظ (٦) زيد في الأصل : العطب و ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الأموال (٨) زيد في الأصل : اى في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد في الأصل : الاشتهار و ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بجميع .

لهم أساس صالح يكون سببا [1]لتكفير شيء[1] مما تقلبوا[2] فيه و لم يقتض[3] السياق خصوصا مثل الزمر، عبر بالعمل الذى هو[4] أعم من الكسب فقال: ﴿ عملوا ﴾ فتمثلت لهم و عرفوا مقدار جزائها و اطلعوا[5] على جميع ما يلزم على ذلك ﴿و حاق بهم﴾ أى أحاط [على -[6]] حال القهر و الغلبة، قال أبو حيان: و لا يستعمل إلا فى المكروه. ﴿ ما كانوا ﴾ جبلة و خلقا ﴿ به[7] يستهزءون ه ﴾ أى يوجدون الهزء به على غاية الشهوة و اللذة إيجاد من هو طالب لذلك ﴿و قيل﴾ أى لهم على قطع الأحوال و أشدها قولا لا معقب له، فكأنه بلسان كل قائل: ﴿ اليوم ننسكم ﴾ أى نفعل معكم بالترك من جميع ما يصلحكم [فعل -[6]] المنسى الذى نقطع[8] عنه جميع إحساننا فيأتيه كل شر ﴿ كما نسيتم ﴾ و أضاف[9] المصدر إلى ظرفه لما فيه من الرشاقة و البلاغة فقال تعالى: ﴿لقآء يومكم هذا﴾ أى الذى[10] عملتم فى أمره عمل الناسى له، و من نسى لقاء اليوم نسى[11] لقاء الكائن فيه بطريق الأولى، و قد عابهم[12] الله سبحانه تعالى بذلك أشد

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم لنكفر شيئا (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: انقلبوا (٣) من م و مد. و فى الأصل و ظ: لم يقتضى. (٤) زيد فى الأصل: اعم و. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اطلقوا (٦) زيد من م و مد. (٧) ليس فى الأصل و ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقطع (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اضافة (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انسى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاتبهم.

العيب[١] لأن ما عملوه ليس من فعل الحزمة أن يتركوا ما ضرره محتمل لايعتدون له، و إنما هذا فعل الحمق الذين هم عندهم أسقاط [لا - ٢] عبرة بهم و لا وزن لهم، و عبر بالنسيان لأن عمله مركوز فى طباعهم، و عبر فى فعله بالمضارع ليدل على [الاستمرار، و فى فعلهم بالماضى ليدل على - ٢] أن من وقع [٣]منه ذلك[٣] وقتا ما و إن قل كان على خطر ٥ عظيم بتعريض نفسه لاستمرار الإعراض عنه .

و لما كان تركه على هذا الحال يلزم منه استمرار العذاب، صرح به إيضاحا له لئلا يظن غير ذلك، فقال مبينا لحالهم: ﴿ و ماوٰكم النار ﴾ ليس لكم براح عنها أصلا، لأن اعمالكم أدخلتكموها، و لايخرج منها إلا من اذنا فى إخراجه، نحن قد جعلناكم فى عداد المنسى فلا يكون ١٠ من قبلنا لكم فرج ﴿ و ما لكم ﴾ فى نفس الأمر سواء أفكرتم و أنتم مكذبون[٤] فى مدافعة هذا اليوم أو تركتموه ترك المنسى ﴿ من نصرين ۝ ﴾ ينقذونكم من ذلك بشفاعة و لامقاهرة .

و لما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوى[٥] لأعمالهم طبق الفعل بالفعل، علله بما لزم على[٦] أعمالهم فقال: ﴿ ذٰلكم ﴾ أى العذاب العظيم ١٥ ﴿ بانكم اتخذتم ﴾ أى بتكليف منكم لأنفسكم و قسر على خلاف

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العتب (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣ - ٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ذلك منه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مكذبين (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التساوى .
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : من .

ما أدى إليه العقل، و جاءت به الرسل، و ساعدت عليه الفطر الأول[1]

/ ﴿ ءايٰت الله ﴾ أى الملك الأعظم [2]الذى لا شيء أعظم منه[2] ﴿هزوا﴾ ٧٧١ /

أى جعلتموها عين ما أنزلت للابعاد منه ﴿ و غرتكم ﴾ لضعف عقولكم

﴿ الحيوٰة الدنيا[4] ﴾ أى الدنية فآثرتموها لكونها حاضرة و أنتم كالبهائم

٥ لا يعدو نظركم المحسوس فقلتم : لا حياة غيرها و لا بعث و لا حساب، و لو

تعقلتم وصفكم لها لأداكم إلى الإقرار بالأخرى .

و لما أوصلهم إلى هذا الحد من الإهانة، سبب عنه زيادة فى

إهانتهم و تلذيذا لأوليائه الذين [3]عادوهم فيه[3] و إشماتا لهم بهم : ﴿فاليوم﴾

بعد إيوائهم فيها ﴿لا يخرجون﴾ بمخرج ما ﴿منها﴾ لأن الله لا يخرجهم

١٠ و لا يقدر غيره على ذلك ﴿و لا هم﴾ خاصة[5] ﴿ يستعتبون ه ﴾ أى يطلب

من طالب ما منهم الإعتاب، و هو الاعتذار بما يثبت لهم العذر و يزيل

عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الأعمال الصالحات لأنهم فى دار

الجزاء لا دار العمل .

و لما أثبت سبحانه بعده باثبات الآيات المرئية و المسموعة و إعزاز

١٥ أوليائه و إذلال أعدائه من غير مبالاة بشيء و لا عجز عن شيء مع

الإحاطة التامة بكل[6] شيء قدرة و علما، تسبب عن ذلك حتما قوله تعالى :

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الاولى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣-٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ : عاهدوهم (٤) زيد فى الأصل : لتغيظهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : لكل .

فلله

﴿فلله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿الحمد﴾ اى الإحاطة بجميع صفات[1] الكمال . و لما أبان سبحانه[2] أن ذلك ثابت له لذاته لا لشىء آخر ، أثبت أنه له بالإحسان و التدبير فقال تعالى: ﴿ رب السمٰوٰت ﴾ أى ذات العلو و الاتساع و البركات . و لما كان السياق لإثبات الاختصاص بالكمال ، و كانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل [على -[3]] أنهم لاشبهة لهم فى عبادتهم ٥ بحصر[4] أمرهم فى الهوى ، أعاد ذكر الرب تأكيدا و إعلاما أن له فى كل واحد من الخافقين أسرارا غير ما له فى الآخر[5] ، فالتربية متفاوتة بحسب ذلك ، و أثبت العاطف إعلاما بأن كمال قدرته فى ربوبيته [6]للاعلى و الأسفل[6] على حد سواء دفعا لتوهم أن حكمه فى الأعلى أمكن لتوهم الاحتياج إلى مسافة فقال تعالى[7]: ﴿ و رب الارض ﴾ أى ذات القبول للواردات . ١٠

و لما خص الخافقين تنبيها على الاعتبار بما فيهما من الآيات لظهورها ، عم تنبيها على [8]أن له[8] وراء ذلك من الخلائق ما لايعلمه إلا الله [9]سبحانه و تعالى[9] فقال مسقطا العاطف لعدم الاحتياج إليه بعد إثبات استواء الكونين الأعلى و الأسفل فى حكمه من حيث العلم و القدرة للتنزه عن المسافة ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوصاف (٢) سقط من م و مد . (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لحصر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الآخرة (٦-٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الاعلى للاسفل (٧) زيد فى الأصل : مبينا و هو هنا لهذا الاشكال الواهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨-٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : انه (٩-٩) فى م و مد : هو .

و ذلك لايخرج عنه شيء من الخلق لأنه إما أن يكون علويا أو سفليا
﴿ورب العٰلمين﴾ لجمع ما مفرده يدل على جميع الحوادث لأن العالم
ما سوى الله - تنبيها على أصنافه و تصريحا بها و إعلاما بأنه أريد به
مدلوله المطابق لا البعض بدلالة التضمن، و أعاد ذكر الرب تنبيها على
٥ أن حفظه للخلق و تربيته لهم ذو ألوان بحسب شؤن[1] الخلق، لحفظه
لهذا الجزء على وجه يغاير حفظه [لجزء آخر، و حفظه للكل من حيث
هو كل على وجه يغاير حفظه -[2]] لكل جزء على جدته، مع أن الكل
بالنسبة إلى تمام القدرة على حد سواء.

/٧٧٢ و لما أفاد / ذلك غناه[3] الغنى المطلق وسيادته و أنه لا كفوء له،
١٠ عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما
يتوهمونه من ادعاء الشركة التى [لا -[4]] يرضونها لأنفسهم فقال: ﴿وله﴾
أى وحده[4] ﴿الكبرياء﴾ أى الكبر الأعظم الذى لانهاية له[5]:
﴿فى السمٰوٰت﴾ كلها ﴿والارض﴾ جميعها[6] اللتين فيهما آيات
للمؤمنين[7]، روى مسلم و أبو داود[8] و ابن ماجة[9] عن أبى هريرة و مسلم

---

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: سوىل - كذا (٢) زيد من م ومد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غنى (٤) زيد فى الأصل: لامناف له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: لمكانه، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميعا (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٨) راجع السنن أبواب اللباس (٩) راجع السنن أبواب الزهد.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يقول الله عز و جل: الكبرياء ردائي و العظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار، و في رواية: عذبتـــه، و في رواية: قصمته. ﴿ و هو ﴾ وحده ﴿ العزيز ﴾ الذي يغلب كل شيء و لايغلبه شيء ﴿ الحكيم ع ﴾ الذي يضع الأشياء في أتقن مواضعها و لايضع شيئا ٥ إلا كذلك[1] كما أحكم أمره و نهيه و جميع شرعه، و أحكم نظم هذا القرآن جملا و آيات، و فواصل و غايات، بعد أن حرر معانيه و تنزيله جوابا لما كانوا يعتنون به، فصار معجزا في نظمه و معناه و إنزاله طبق أجوبة[2] الوقائع على ما اقتضاه الحال، فانطبق آخرها[3] على أولها بالصفتين المذكورتين، و بالحث على الاعتبار بآيات الخافقين، و التصريح بما لزم ذلك من الكبرياء ١٠ المقتضية لإذلال الأعداء و إعزاز الأولياء - و الله الهادي [4]إلى الصواب و إليه المرجع و المآب - و الله أعلم بمراده[4].

* * *

(١) من ظ و مد، و في الأصل و م: لذلك (٢) زيد في الأصل: الواقع من، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: آخر السورة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

سورة الأحقاف[1]

مقصودها إنذار الكافرين بالدلالة علـــى صدق الوعد فى قيام الساعة
اللازم للعزة و الحكمة الكاشف لها أتم كشف بما وقع الصدق فى الوعد
به من إهلاك المكذبين بما يضاد حال[2] بلادهم[3] و أنه لا يمنع من شيء
٥ من ذلك مانع لأن فاعل ذلك لا شريك له فهو المستحق للافراد بالعبادة ،
و على ذلك دلت تسميتها بالأحقاف الدالة على هدوء الريح و سكون الجو[3]
بما دلت عليه قصة [قوم -[4]] هود عليه الصلاة و السلام من التوحيد
و إنذارهم بالعذاب دنيا و أخرى و من إهلاكهم و عدم إغناء ما عبدوه[5]
عنهم و لا يصح تسميتها بهود و لا تسمية هود بالأحقاف لما ذكر من
١٠ المقصود بكل منهما[6] ﴿ بسم الله ﴾ الذى لا يذل من والى و لا يعز من
عادى ﴿ الرحمن ﴾ الذى سبقت رحمته غضبه بزواجر الإنذار ﴿ الرحيم ه ﴾
الذى خص حزبه بعمل الأبرار للفوز فى دار القرار بدخول الجنة و النجاة
من النار ﴿ حٰمٓ ه ﴾ حكمة محمد صلى الله عليه و سلم التى هى النهاية[7] فى
الصواب و السداد أحكمها الذى أحاطت قدرته فهو لا يخلف الميعاد .

٧٧٣ / ١٥ لما[8] بنيت الجاثية على النظر فى آيات الخافقين / خطابا لأهل الإيمان

---

(١) السادسة و الأربعون من سور القرآن الكريم ، و عدد آيها ٣٥ عند الكوفيين و ٣٤ عند غيرهم ، و زيد بعده فى الأصل : الدالة عـلى صدق الوعد بالساعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : رجال (٢-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد من م و مد .
(٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عبدوه (٦) زيد فى الأصل : و الله اعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نهاية (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و لما .

استدلالا

استدلالا على يوم الفصل المدلول عليه [1]في الدخان[1] بآيـــة " و ما خلقنا السموٰت و الارض و ما بينهما لعبين " و التى بعدها ، فأنتجت العلم بأن الكبرياء لخالقها بما يشاهد من قهره للملوك فمن سواهم بالموت و ما دونه من غير مبالاة بأحد[2] و بينت ـ بما[3] أفهمه الملك و الكبرياء و الحكمة لأن عادة من كان بهذا الوصف ألا يكون [كلامه -[4]] إلا بحسب الحاجة ـ ٥ أن الكتاب منزل نجوما لبيان ما [5]يحاولون به[5] مدحض لحجتهم[6] هادم[7] لعزتهم بحكمته و عزته ، فثبت الحشر و حق النشر[8] ، و ختم بصفتى[9] العزة و الحكمة . ذكر بما ثبت[10] من ذلك كله[11] تأكيدا لأمر البعث و تحقيقا لليوم الآخر على وجه مبين[12] أن الخلق كله آيات و حكم و اعتبارات لأنه أثبت أنـــه كله حق ، و نفى عنه كل باطل ، فقال خطابا لأهل ١٠ الأوثان من سائر الأديان الصابية و المجوس و غيرهم [13]الذين افتتحت[13] السورة بهم و ختمت بالفسق الجامع لهم الموجب لكفرهم: ﴿تنزيل الكتٰب﴾ أى [14]الجامع لجميع[14] الخيرات بالتدريج على حسب المصالح ﴿من الله﴾

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالدخان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باخذ (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ما (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يحاولونه (٦) زيد فى الأصل : بل و لحججهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هاديا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الشر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصفاء (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكر (١١) سقط من م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبين (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فتحت (١٤-١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جامع .

أى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال[1] الذى هو[2] الحمد بما دلت عليه ربوبيته، و ختم بقوله: ﴿ العزيز الحكيم ه ﴾ تقريرا لأنه[3] لم يضع شيئا إلا فى أوفق محاله، و أنه الخالق [للشر كما أنه الخالق -[4]] للخير و لجميع الافعال[5] و أنه يعز أولياءه و يذل أعداءه و يحكم أمر دينه فيظهره على ٥ الدين كله من غير أن يقدر أحد على معارضته فى شيء منه فصارت آية[6] الجاثية مقدمة لهذه و هذه نتيجة .

و لما ثبت فى الجاثية مضمون قوله تعالى فى الدخان "[و ما خلقنا -[4]] السمٰوٰت و الارض و ما بينهما لٰعبين" بما ذكر فيهما من [الآيات و -[4]] المنافع و الحكم، أثبت [هنا -[4]] مضمون [ما بعد - [4]] ذلك بزيادة ١٠ الأجل فقال دالا على عزته و حكمته: ﴿ ما خلقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ على ما فيهما من الآيات التى فصل بعضها فى الجاثية . و لما كان من المقاصد هنا الرد على المجوس و غيرهم ممن ثبت خلقا لغير الله قال[7]: ﴿ و ما بينهمآ ﴾ أى من الهواء المشحون بالمنافع و كل خير و كل شر[8] من أفعال العباد ١٥ و غيرهم، و قال ابن برجان فى تفسيره[9]: جميع الوجود أوله و آخره نسخة

(١) زيد فى الأصل: و الجمال و الكبرياء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بانه (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأعمال (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: آيات (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فقال (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيء. (٩) زيد فى الأصل و ظ: كل هواء ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

لأم الكتاب و السماوات و الأرض إشارة إلى بعض الوجود[1] . و بعضه يعطى من الدلالة على المطلوب ما يعطيه الكل بوجه ما ، غير أن ما علا أصح دلالة و أقرب شهادة و أبين إشارة ، و ما صغر من الموجودات دلالته بجملة يحتاج المستعرض فيه إلى التثبت و [2]تدقيق النظر[2] و البحث - انتهى .
﴿ الابالحق ﴾ أى الأمر الثابت من القدرة التامة و التصرف المطلق . ٥
لخلق [الباطل - [3]] بالحق لأنه[4] تصرف فى ملكه الذى لاشائبة لغيره فيه للابتلاء و الاختبار للمجازاة بالعدل و المن بالفضل إلى غير ذلك من الحكم التى لايعلمها / سواه ، و فى خلق ذلك على هذا الوجه أعظم دلالة / ٧٧٤
على وجود الحق سبحانه . و أنه واحد لاشريك له ، و دل على قهره بقوله :
﴿ و اجل مسمى[5] ﴾ أى لبعث الناس إلى دار القرار لفصل أهل الجنة ١٠
من أهل النار ، و فناء الخافقين و ما نشأ عنهما من الليل و النهار .

و لما كان التقدير : و أمرنا الناس بالعمل فى ذلك الأجل بطاعتنا و وعدناهم عليها جنان[5] النعيم ، فالذين آمنوا على ما أنذروا مقبلون ، و من غوائله مشفقون ، فهم بطاعتنا عاملون ، عطف عليه ما السياق له من قوله : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا من أعلام الدلائل ما ١٥
لو خلوا أنفسهم و ما فطرناها عليه لعلموه ، فهم لذلك[6] ﴿ عمآ انذروا ﴾

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الموجودات (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التدقيق (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جنات (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كذلك .

ممن هم عارفون [1]بأن إنذاره[1] لايتخلف ﴿ معرضون ۝ ﴾ و من غوائله آمنون، فهم بما يغضبنا فاعلون، شهدت عندهم شواهد الوجود فما سمعوا لها و لا [2]أصغوا إليها و أنذرتهم الرسل و الكتب من عند الله فأعرضوا عنها و اشمأزوا منها .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قدم ذكر[3] الكتاب و عظيم الرحمة به و جليل بيانه ، و أردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعلقهم و أنه سبحانه و تعالى قد نصب من دلائل السماوات و الأرض [إلى - [4]] ما ذكر في صدر السورة ما كل قسم منها[5] كاف في الدلالة و قائم بالحجة ، و مع ١٠ ذلك فلم يجر[6] عليهم التمادى على ضلالهم و الانهماك في سوء حالهم و سيء عالهم، أردفت[7] بسورة الأحقاف تسجيلا بسوء مرتكبهم و إعلاما بأليم[8] منقلبهم فقال تعالى " ما خلقنا السموٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى " و لو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الحق و إحكامه و إتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثا[9]، و لكنهم عموا عن الآيات و تنكبوا عن ١٥ انتهاج الدلالات " و الذين كفروا عما انذروا معرضون " ثم أخذ

(١ - ١) من مد ، و في الأصل و ظ و م : بانذاره (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : صغوالها ولا (٣) في مد : ذلك (٤) زيد من مد (٥) في مد : منه. (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فلم يحرم (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اردف (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لهم - كذا . (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : غثا .

سبحانه و تعالى فى تعنيفهم و تقريعهم فى عبادة ما لايضر و لاينفع فقال "افرايتم ما تدعون[1] من دون الله - إلى قوله : و كانوا بعبادتهم كٰفرين" ثم ذكر عنادهم عند[2] سماع الآيات فقال "و اذا تتلى عليهم ءايٰتنا بيّنٰت" الآيات، ثم التحم الكلام و تناسج إلى آخر السورة - انتهى.

٥ و لما قرر سبحانه الأصل الدال على التوحيد و إثبات العدل و الرحمة بالبعث للفصل[3]، و كانوا يقولون: إنهم أعقل الناس، و كان العاقل لا يأمن [4]غوائل الإنذار[4] إلا أن أعد لها ما يتحقق [5]دفعه لها[5] و كان لايقدر على دفع المتوعد[6] إلا من يساويه أو زيد عليه بشركة أو غيرها، و كانوا يدعون فى أصنامهم أنها[7] شركاء، بنى على ذلك[8] الأصل تفاريعه[9]، و بدأ بإبطال ١٠ متمسكهم فقال سبحانه و تعالى آمرا له صلى الله عليه و سلم بأن ينبههم على سفههم بأنهم أعرضوا عما قد يضرهم من غير احتراز منه دالا على عدم إلهية ما دعوه آلهة بعدم الدليل على إلهيتها من عقل أو نقل، لأن منصب الإلهية لايمكن أن يثبت [و-[10]] له من الشرف / ما هو معلوم /٧٧٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعبدون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عن (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: للفضل (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الغوائل (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دفعها به (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتوحد (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: انهم (٨) زيد فى الأصل و ظ: قوله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تقاويعه (١٠) زيد من ظ و م و مد.

بغير دليل قاطع: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطر منكرا عليهم تبكيتا و توبيخا: ﴿ارءيتم﴾ أى أخبرونى بعد تأمل و رؤية باطنة ﴿ما تدعون﴾ أى دعاء عبادة، و نبه على سفولهم بقوله تعالى: ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعظم الذى كل شيء دونه، فلا ٥ كفوء له.

و لما كان من المعلوم أن الاستفهام عن رؤية ما [١]مشاهدتهم له[١] معلومة لايصح إلا بتأويل[٢] أنه عن بعض الأحوال، و كان التقدير: أم[٣] شركاء فى الأرض. استأنف قوله: ﴿اروني ما﴾ و أكد الكلام بقوله سبحانه و تعالى: ﴿ماذا خلقوا﴾ أى اخترعوه ﴿من الارض﴾[٤] ليصح ١٠ ادعاء[٤] أنهم شركاء فيها[٥] باختراع ذلك الجزء. و لما كان معنى الكلام و ترجمته: أرونى أم شركاء فى الأرض؟ عادله بقوله: ﴿ام لهم﴾ أى الذين تدعونهم ﴿شرك[٧] فى السموات[٦]﴾ أى نوع من أنواع الشركة: تدبير - كما يقول أهل الطبائع، أو خلق أو غيره، أرونى ذلك الذى خلقوه منها ليصح ادعاؤكم فيهم و اعتمادكم عليهم بسببه. فالآية من الاحتباك: ذكر ١٥ الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا، و الشركة ثانيا دليلا على حذفها أولا.

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شاهدتهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتأمل و تاويل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هم. (٤-٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لايصح الادعاء (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الارض (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تدعون انهم شركاء (٧) ورد فى الأصل بعده «ام لهم» و الترتيب من ظ و م و مد.

و لما كان الدليل أحد شيئين : سمع و عقل ، قال تعالى : ﴿ايتونى﴾ [أى -[1]] حجة على دعواكم فى هذه الأصنام أنها خلقت شيئا ، أو أنها تستحق أن تعبد ﴿ بكتٰب ﴾ أى[2] واحد يصح التمسك به ، لا أكلفكم إلى[3] الإتيان بأكثر من كتاب واحد . و لما كانت الكتب متعددة و لم يكن كتاب قبل القرآن عاما لجميع ما سلف من الزمان، أدخل ٥ الجار فقال تعالى : ﴿من قبل هذآ ﴾ [أى -[4]] الذى نزل علىّ كالتوراة و الإنجيل و الزبور ، و هذا من أعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية ، لو أتى بها آت لشهدت عليه .

و لما ذكر الأعلى الذى لا يجب التكليف إلا به ، و هو النقل القاطع ، سهل عليهم فنزل إلى ما دونه الذى منه العقل ، و أقنع [منه -[5]] ببقية ١٠ واحدة و لو كانت أثرا لا عينا فقال[6] : ﴿ او اثٰرة ﴾ أى بقية رسم صالح للاحتجاج ، قال ابن برجان : و هى[7] البقية من أثر[8] كل شيء يرى [9]بعد ذهابه[9] و حال رؤيته بأثرها [10]خلف عن سلف[10] يتحدثون بها فى آثارهم ، قال البغوى[11] : و أصل الكلمة من الأثر و هو الرواية . ﴿ من علم ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ و م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى الأصل : مبينا لذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : هو (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : اثار (٩-٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعددها به (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سلف عن خلف (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٣٠ .

أى قطعى بضرورة أو تجربة أو مشاهدة أو غيره و لو ظنا يدل على ما
ادعيتم فيهم من الشركة . و لما كان لهم من النفرة من الكذب
[و استهجانه -[1]] و استبشاعه و استفظاظه ما ليس لأمة من الأمم،
أشار إلى تقريعهم بالكذب إن لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله تعالى:
٥ ﴿إن كنتم﴾ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿صدقين ه﴾ أى عريقين فى الصدق
على ما تدعون لأنفسكم .

و لما أبطل سبحانه و تعالى قولهم فى الأصنام بعدم[2] [3]قدرتها على
إتيان شيء من ذلك لأنها من جملة مخلوقات فى الأصل[3]، أتبعه إبطاله
بعدم علمها ليعلم قطعا أنهم اضل الناس حيث ارتبطوا فى أجل الأشياء
١٠ - / و هو أصول الدين - بما لا دليل عليه أصلا ، فقال تعالى منكرا[4] أن ٧٧٦ /
يكون أحد أضل منهم ، عاطفا على ما هدى السياق حتما إلى[5] تقديره و هو:
فمن أضل ممن يدعى شيئا من الأشياء و إن قل بلا دليل: ﴿و من اضل ممن﴾
يدعى أعظم الأشياء بغير دليل ما[6] عقلى و لا نقلى، فهو[7] ﴿يدعوا﴾
ما لاقدرة له و لا علم، و ما انتفت[8] قدرته و علمه لم تصح عبادته يديهة
١٥ العقل، و أرشد إلى سفولها بقوله تعالى: ﴿من دون الله﴾ أى من أدنى

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لعدم .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل و ظ : عليهم،
و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م :
اتى (٦) زيد فى الأصل و ظ : لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : و هو و هو (٨) من م و مد، و فى
الأصل و ظ : انبعث كذا .

وتبة [من رتب - ١] الذي له جميع صفات ٢ الجلال و الجمال و الكمال ٢، فهو سبحانه يعلم كل شيء و يقدر على كل شيء بحيث يجيب الدعاء و يكشف البلاء و يحقق الرجاء إذا شاء، و يدبر عبده لما ٣ يعلم من سره و علنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه [به - ٤]، و يريد العبد في كثير من الأشياء ما لو وكل [العبد - ٥] فيه إلى نفسه و أجيب ٦ إلى طلبته ٥ كان فيه حتفه، فيدبره سبحانه بما تشتد كراهيته ٧ له فيكشف الحال عن أنه لم يكن له فرج إلا فيه ﴿من لا يستجيب له ٨﴾ أي لا يوجد الإجابة و لا يطلب إيجادها من الأصنام و غيرها لأنه لا أهلية له لذلك .

و لما كان أقل الاستجابة مطلق الكلام، و كانوا في الآخرة يكلمونهم في الجملة و إن كان بما يضرهم، غيى هذا النفي ٩ بوقت لا ينفع فيه استجابة ١٠ أصلا و لا يغني أحد عن أحد أبدا ١٠ فقال تعالى: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ أي الذي صرفنا لهم من أدلته ما هو أوضح من الشمس و لا يزيدهم ١١ ذلك [إلا - ١] إنكارا و ركونا إلى ما لا دليل عليه أصلا و هم يدعون الهداية و يعيبون ١٢ أشد عيب ١٢ الغواية . و لما كان من لا يستجيب قد يكون له [علم - ١] بطاعة الإنسان له ترجى معه إجابته يوما ما، نفى ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : بما (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من مد (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : اجب (٧) في الأصل و مد ظ : كراهته (٨) ليس في الأصل و م (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ : النفم (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل : لازيدهم (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : اشار بحيث كذا .

ذلك بقوله زيادة فى عيبهم فى دعاء ما لا رجاء فى نفعه : ﴿ و هم عن دعآئهم ﴾ أى دعاء المشركين إياهم ﴿ غفلون ٥ ﴾ أى لهم هذا الوصف ثابت لا ينفكون عنه ، لا يعلمون من يدعوهم و لا من لا يدعوهم ، و عبر بالغفلة التى هى من أوصاف العقلاء للجماد تغليبا إن كان المراد أعم من الأصنام و غيرها ممن

٥ عبده من عقلاء الإنس و الجن و غيرهم و اتصافا إن كان المراد الأصنام خاصة ، أو تهكما كأنه قيل : هم علماء فانكم أجل مقاما من أن تعبدوا ما لا يعقل ، و إنما عدم استجابتهم لكم دائما غفلة دائمة كما تقول لمن[1] كتب كتابا كله فاسد : أنت عالم لكنك كنت ناعسا - و نحو هذا .

و لما غيي سبحانه يوم القيامة فأفهم أنهم يستجيبون لهم فيه ،

١٠ بين ما يحاورونهم به[2] إذ ذاك فقال : ﴿ و اذا حشر ﴾ أى جمع بكره على أيسر[3] وجه و أسهل أمر[4] ﴿ الناس ﴾ أى كل من يصح منه النوس - أى التحرك - يوم القيامة ﴿ كانوا ﴾ أى المدعون[5] ﴿ لهم ﴾ أي للداعين ﴿ اعدآء ﴾ و يعطيهم الله قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه ﴿ و كانوا ﴾ أى المعبودون ﴿ بعبادتهم ﴾ أى

١٥ الداعين ، و هم المشركون - إياهم ﴿ كفرين ٥ ﴾ [6]لأنهم كانوا عنها غافلين كما قال سبحانه و تعالى / فى سورة يونس عليه الصلاة و السلام /٧٧٧

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) فى م : فيه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : احسن (٤) زيد فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المدعون . (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

"و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون" .

و لما بين أنهم [1] فى غاية السفه فى عبادة ما لا دليل بوجه على عبادته ، أتبعه بيان أنهم [1] فى غاية الغباوة بانكار ما لا شىء أبين منه ، فقال عاطفا على " و الذين كفروا عما انذروا معرضون" : ﴿ و اذا تتلى ﴾ أى تقرأ من أى قارئ كان على وجه المتابعة ﴿ عليهم ءايٰتنا ﴾ [أى - [2]] ٥ التى لا أعظم منها فى أنفسها [3] و باضافتها إلينا ﴿ بيّنٰت ﴾ لا شىء أبين منها قالوا - هكذا كان الأصل و لكنه بين الوصف الحامل لهم [4] على القول فقال : ﴿قال الذين كفروا﴾ أى ستروا تلك الأنوار التى أبرزتها تلك التلاوة لها - هكذا كان الأصل و لكنه [5] قال : ﴿ للحق ﴾ أى لأجله ﴿ لما ﴾ أى حين ﴿جآءهم ﴾ [6] بيانها لأنها [6] مع بيانها لا شىء أثبت ١٠ منها و أنهم بادروا أول سماعهم لها إلى إنكارها دون تفكر : ﴿هذا﴾ أى الذى تلى ﴿ سحر ﴾ أى خيال لاحقيقة له ﴿ مبين ﴾ ە أى ظاهر فى أنه خيال ، فدل قولهم هذا - بمبادرتهم [7] إليه من غير تأمل أصلا ، و بكونه أبعد الأشياء عن حقيقة ما قيل فيه - على أنهم أكثر الناس عنادا و أجرؤهم على الكذب و هم يدعون أنهم أعرق [8] الناس [9] فى الإنصاف [9] ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفسها (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ : بين الوصف الحامل لهم و لكنه ، و لم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بءاياتنا (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بما دلهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعرف (٩-٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : بالانصاف .

و ألزمهم للصدق .

و لما دلت هذه الآيات بعظيم [1]حججها و زخار ما[1] أغرق من لججها، على أن ما يدينون به أوهى[2] من الخيال، و أن هذا الكتاب فى صدقه و كل شىء من أمره أثبت من الجبال[3]، فكانوا أجدر الخلق
٥ بأن يقولوا: رجعنا عما كنا فيه و آمنا[4]، كان موضع أن يقال: هل أقروا بأنك صادق فى نسبة هذا الكتاب إلى الله، فعادله بقوله دليلا عليه: ﴿ ام يقولون ﴾ مجددين لذلك متابعين[5] له ﴿ افترىٰه ﴾ أى تعمد كذبه، فيكون ذلك من قولهم عجبا لأنه قول مقرون بما يكذبه و يبطله كما يأتى فى تقريره .

١٠ و لما كان كأنه قيل: إنهم ليقولون ذلك، و قد قرحوا القلوب به فما ذا يردهم عنه؟ [قيل -[6]]: ﴿ قل ﴾ ما هو أشد عليهم من وقع النبل، و هو ما رد ما رموك به عليهم بحجة هى أجلى من الشمس فى الظهيرة صحوا[7] ليس دونها سحاب . و لما كان من عادة الملوك أنه متى كذب عليهم أحد [8]عاجلوه بالعقوبة[8] قال: ﴿ ان افتريته ﴾ أى تعمدت

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: زحاريا - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوهو (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخيال . (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: لما (٥) من م و مد، و فى الأصل وظ: متتابعين (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محوا . (٨ - ٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما حلوه من العقوبه .

كذبه

كذبه على زعمكم[1] و أنا إنما أريد [به -[2]] نصيحتكم، فالذى[3] أفتريه عليه و أنسبه إليه يعاقبنى على ذلك و لا يتركنى أصلا، و ذلك هو معنى قوله: ﴿ فلا تملكون ﴾ أى أيها المنصوحون فى وقت من الأوقات بوجه من الوجوه ﴿ لى من الله ﴾ أى الملك الأعظم العزيز المتكبر الحكيم ﴿ شيئا ﴾ مما يرد عنى انتقامه منى لأن الملك لايترك من كذب عليه ٥ مطلق كذب، فكيف بمن يتعمد[4] الكذب عليه فى الرسالة بأمور عظيمة و يلازمه مساء و صباحا غدوا و رواحا، فأى[5] حامل لى حينئذ[5] على افترائه، و المقصود [به -[6]] لاينفعنى، و المكذوب عليه لا يتركنى؟ ثم علل ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله: ﴿ هو اعلم ﴾ أى منكم و من كل أحد ﴿ بما تفيضون فيه ﴾ من / نسبتى إلى الكذب، ١٠ / ٧٧٨ فلو أنه كما تقولون ما ناظرنى فضلا عن أنه يؤيدنى و ينصرنى، و فيه على ذلك تهديد لهم و تسلية له و تفريج عنه.

و لما كان الإملاء وحده ليس قاطعا فى ذلك و إن كان ظاهرا فيه، فكان لابد فى دعوى الصدق من دليل قاطع و برهان ساطع، و كانت شهادة الملك الذى الكلام فيه أعظم الأدلة لأنه الأعلم، و مدار ١٥ الشهادة العلم، فأنتج الكلام قطعا قوله: ﴿ كفى ﴾ و أكد الكلام بما قرن بالفاعل من حرف الجر تحقيقا للفعل و نفيا للمجاز[7] فقال: ﴿ به شهيدا ﴾

---

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: زعمهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الاصل و ظ وم: فى الذى (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعمد. (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى (٦) زيد من م و مد (٧) من مد، و فى الاصل و ظ و م: المجاز - كذا.

أى شاهدا بليغ الشهادة لأنه الأعلم بجميع أحوالنا ﴿ بينى و بينكم ﴾
يشهد بنفسه الأقدس للصادق منا و على الكاذب ، و قد شهد بصدق
بعجزكم عن معارضة شىء من هذا الكتاب الذى أتيت به ، فثبت بذلك
أنه كلامه لأنى لا أقدر وحدى على ما لا تقدرون عليه فرادى و لا مجتمعين
٥ و أنتم عرب مثلى ، بل [و - [1]] أنا أمى و فيكم [أنتم - [1]] الكتبة
و الذين خالطوا العلماء و سمعوا أحاديث الأمم و ضربوا - بعد بلاد
العجم - فى بلاد العرب ، فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون
﴿ و هو الغفور ﴾ الذى من شأنه أن يمحو الذنوب كلها [2] [3] أعيانها
و آثارها [3] فلا يعاقب عليها و لا يعاتب ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى يكرم بعد
١٠ المغفرة و يفضل بالتوفيق لما يرضيه ، ففى هذا الختام ترغيب للنبى صلى الله
عليه و سلم فى الصفح عنهم فيما [4] نسبوه إليه فى افتتاحها من الافتراء ،
و ندب إلى الإحسان إليهم ، و ترغيب لهم فى التوبة ، و منع من أن يقولوا :
فلم لا يعاجلنا بالعقوبة على نسبتنا لك [إلى - [1]] الكذب إن كنت
صادقا بأنه يجوز أن يمهل الكاذب ، و أما أنه يؤيده بما [5] يشهد به كذبه
١٥ اللازم منه أنه يزيد فيه فلا يجوز ، لأن ذلك قادح فى الحكمة و [فى - [1]]
الكبرياء و فى الملك .

---

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آثارها و اعيانها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد الذى (٥) فى ظ و مد : فيما .

و لما كان [من -[1]] أعظم الضلال أن ينسب [2]الإنسان إلى الكذب[2] من غير دليل فى شىء لم يبتدعه، بل تقدمه بمثله ناس قد ثبت صدقهم فى مثل ذلك و مضت عليه[3] الأزمان و تقرر غاية التقرر[4] فى القلوب و الأذهان، قال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين نسبوك إلى الافتراء: ﴿ ما كنت ﴾ أى كونا ما ﴿ بدعا ﴾ أى منشئا مبتدعا محدثا ٥ مخترعا بحيث أكون أجنبيا منقطعا ﴿ من الرسل ﴾ لم يتقدم لى منهم مثال فى أصل ما جئت به، و هو الحرف الذى طال النزاع بينى و بينكم فيه و عظم الخطب و هو التوحيد و محاسن الأخلاق. بل قد تقدمنى رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به و دعوا إليه كما دعوت و صدقهم [الله -[1]] بمثل ما صدقنى به، فثبتت بذلك رسالاتهم[5] و سعد بهم من صدقهم من ١٠ قومهم، و شقى بهم من كذبهم، فانظروا إلى آثارهم، و اسألوا عن سيرهم من أتباعهم و أنصارهم [و أشياعهم -[6]]، قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه: و البدعة الاسم لما ابتدع[7] و[7]ضد البدعة السنة، لأن[8] السنة ما تقدم له إمام، و البدعة ما اخترع على غير مثال، و فى الحديث «كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار» معناه - و الله أعلم - أن ١٥ يبتدع ما يخالف السنة إذ كانت البدعة ضد السنة، فاذا / أحدث ما يخالفها / ٧٧٩

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الى الانسان.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عليهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التقرير (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: رسالتهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: و البدعة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الان.

كان باحداثه لها ضالا مشركا، و كان ما أحدث[1] فى النار، و لم يدخل
تحت هذا ما يخترع الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل
ذلك فيخرج عما ذكرنا إن كان له نظير فى الأصول، و هو الحض على
كل أفعال البر ما علم منها و ما لم يعلم، فان[2] أحدث محدث من ذلك
٥ شيئا فكأنه زيادة فيما تقدم من البر و ليس بضد لما تقدمه من[3] السنة،
بل هو باب من أبوابها، و يقولون: ما فلان بيدع[4] فى هذا الأمر أى
ليس [هو -[5]] بأول من أصابه ذلك [6]ولكن سبقه غيره أيضا[6]،
قال الشاعر:

و لست[7] بيدع من النائبات و نقض الخطوب و[7] إمرارها[8]

١٠ و يقال: أبدع بالرجل - إذا كلت[9] راحلته، و أبدعت الركاب[10] إذا
كلت و عطبت، و قيل: كل من عطبت[11] ركابه [فانقطع به فقد أبدع به،
و قال فى القاموس: و البدعة الحدث فى الدين بعد الإكمال أو ما استحدث
بعده صلى الله عليه و سلم من الأهواء و الأعمال، و أبدع بالرجل: عطبت
ركابه -[12]]، و بقى منقطعا به، و أبدع فلان بفلان: قطع به و خذله،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشرك (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فاذ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمن (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ببدع (٥) زيد من م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فمن (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امراوها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكلت (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الركات (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كلت (١٢) زيد من مد.

و لم يقم بحاجته، و حجته بطلت، و قال الصغاني في مجمع البحرين: و شيء بدع - بالكسر أي مبتدع، و فلان بدع في هذا الأمر أي بديع، و قوم أبداع، و عن[1] الأخفش: [و -[2]] البديع المبتدع و البديع المبتدَع أيضا، و أبدعت حجة فلان - إذا بطلت، و أبدعت: أبطلت - يتعدى و لا يتعدى.

و لما أثبت بموافقته صلى الله عليه و سلم للرسل أصل الكلام، ٥ و بقي أن يقال: إن التكذيب في أن الله أرسله [به، قام الدليل على صدقه في دعواه، و ذلك بأنه مماثل لهم في أصل الخلقة ليس له من ذاته من العلم إلا ما لهم، و ليس منهم أحد يصح له حكم على المغيبات، فلو لا أن الله أرسله -[3]] لما صح كل شيء حكم به على المستقبلات و لم يتخلف من ذلك شيء فقال: ﴿ و مآ ادري ﴾ أي في هذا الحال ١٠ بنوع حيلة و عمل و اجتهاد[4] ﴿ ما ﴾ [أي الذي -[3]] ﴿ يفعل ﴾ أي من أيّ فاعل [كان -[3]] سواء كان هو الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة [غيره -[5]] ﴿ بي ﴾ و أكد النفي ليكون ظاهرا في الاجتماع [6]و كذلك[6] في الانفراد أيضا[7] [فقال -[5]]: ﴿ و لا ﴾ [أي و لا أدري الذي يفعل -[3]] ﴿ بكم ﴾ هذا في أصل الخلقة و أنتم ترونني أحكم ١٥ على نفسي بأشياء لا يختل شيء منها مثل أن أقول: إني [8]اتيكم من القرآن[8]

(١) من مد، و في الأصل و ظ و م: و عن (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل: و لو بتكلف و عدمه، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨ - ٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: اتيتكم بقرآن.

بما يعجزكم، فلا تقدرون كلكم على معارضة شيء منه فيصح ذلك على سبيل التكرار لايتخلف أصلا ، فلولا أن الله أرسلنى به لم أقدر وحدى على ما [لا - [1]] تقدرون عليه كلكم، و إن قدرت على شيء كنتم أنتم أقدر منى عليه، و فى الآية بعمومها دليل على أن لله أن يفعل ما ٥ يشاء، فله أن يعذب الطائع و ينعم العاصى، و لو فعل ذلك لكان عدلا و حقا و إن كنا نعتقد أنه لايفعله .

و لما سوى نفسه الشريفة بهم فى أصل الخلقة، و كان قد ميزه الله عنهم بما خصه من النبوة و الرسالة، [أبرز له ذلك - [2]] سبحانه و تعالى على وجه النتيجة فقال: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اتبع ﴾ [أى - [2]] بغاية ١٠ جهدى و جدى ﴿ الا ما ﴾ أى الذى ﴿ يوحىٓ ﴾ أى يجدد [3] إلقاؤه من لايوحى بحق [4] إلا هو [4] ﴿ الىّ ﴾ على سبيل التدريج سرا، لايطلع عليه حق اطلاعه غيرى، و منه ما أخبر فيــه عن المغيبات فيكون كما قلت ، فلا يرتاب / فى أنى لا أقدر على ذلك بنفسى فعلم [5] أنه من الله . /٧٨٠

و لما نسبوه إلى الإفتراء تارة [6] و الجنون أخرى، و كان السبب ١٥ الأعظم فى نسبتهم له [7] إلى ذلك [7] صدعهم بما يسوءهم على غير عادته السالفة و عادة أمثاله، قال على سبيل القصر القلبى: ﴿ ومآ انا ﴾ أى

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يتجدد (٤-٤) فى م و مد : سواه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فلم (٦) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى ذلك .

باخبارى[1] لكم عما يوحى إلىّ ﴿ الا نذير ﴾ أى لكم و لكل من بلغه القرآن ﴿ مبين ه ﴾ أى ظاهر[2] أنى كذلك فى نفسه مظهر له - أى كونى نذيرا - و لجميع[3] الجزئيات التى أنذر منها بالأدلة القطعية.

و لما أثبت أنه من عند الله بشهادة الله نفسه بعجزهم عن المعارضة، قبح عليهم إصرارهم على التكذيب على تقدير شهادة أحد ممن يثقون[4] ٥ بهم يسألونهم عنه من أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى اخبرونى [5]و بينوا لى و أقيموا ولو ببعض حجة أو برهان[5] ﴿ ان كان ﴾ أى هذا الذى يوحى إلىّ و آتيكم به و أنذركم و أعلمكم أنه من الله فانه ﴿ من عند الله ﴾ أى الملك الأعظم.

و لما كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينظرون فى علم، ١٠ بل شأنهم تغطية المعارف و العلوم، عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل لمقارنة الأمرين المجموعين من غير مهلة[6] فيدل على الإسراع فى الكفر من غير تأمل [قال -[7]]: ﴿ وكفرتم به ﴾ أى على هذا التقدير ﴿ و شهد شاهد ﴾ أى واحد و أكثر ﴿ من بنىٓ اسرآءيل ﴾ الذين جرت عادتكم أن تستفتوهم و تثقوا بهم ﴿ على مثله ﴾ أى مثل ما فى القرآن ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باخباركم (٢) زيد فى الأصل و ظ: فى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميع (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يثبتون (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مهملة (٧) زيد من ظ و م و مد.

من أن من وحد فقد آمن، و من أشرك فقد كفر، و أن الله أنزل ذلك فى التوراة و الإنجيل و جميـــع أسفارهم، فطابقت عليه كتبهم، و تظافرت به رسلهم، و تواترت على الدعاء [إليه - ١] و الأمر به أنبياؤهم عليهم الصلاة و السلام، ثم سبب عن شهادته و عقب و فصل
٥ فقال: ﴿ فامن ﴾ أى هذا الذى شهد هذه الشهادة بهذا القرآن عند ما رآه[٢] مصدقا لما ذكر و علم أنه الكتاب الذى بشرت به كتبهم، فاهتدى إلى وضع الشيء فى محله فوضعه و لم يستكبر.

و لما كان الحامل [لهم - ١] بعد هذه الأدلة على التمادى على الكفر إنما هو الشماخة و الأنفة قال: ﴿ و استكبرتم[٤] ﴾ أى أوجدتم
١٠ الكبر بالإعراض عنه طالبين بذلك الرئاسة و الفخر و النفاسة، فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة أصلا فضللتم [فكفرتم - ١] فوضعتم الشيء فى غير موضعه[٣] فانسد عليكم باب الهداية.

و لما كانوا يدعون أنهم أهدى الناس و أعدلهم، و كان من رد شهادة الخالق و الخلق ظالما شديد الظلم، فكان ضالا على علم، قال الله
١٥ تعالى [٤]مستأنفا دالا[٤] على أن تقدير الجواب: ألم تكونوا بتخلفكم عن الإيمان بعد العلم قد ظلمتم ظلما عظيما بوضع الكفران موضع الإيمان، فكونوا ضالين تاركين للطريق الموصل على عمد ﴿ ان الله ﴾ أى الملك

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : را (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : محله (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : دالا مستأنفا.

الأعظم / ذا العزة و الحكمة ﴿ لايهدى القوم ﴾ أى الذين لهم قدرة على /٧٨١أ
القيام بما يريدون محاولته ﴿ الظلمين ع ﴾ أى الذين من شأنهم وضع
الأمور فى غير مواضعها، فلأجل ذلك لايهديكم لأنه[1] لا أحد أرسخ
منكم فى الظلم الذى تسبب عنه ضلالكم، أما من كان [2]منكم عالما[2] فالأمر
فيه واضح، و أما من كان منكم[3] جاهلا فهو كالعالم لعدم تدبره مثل ٥
هذه الأدلة التى ما بين العالم بلسان العرب و بين انكشافها له إلا تدبرها
مع ترك الهوى، و قال الحسن - كما نقله البغوى[4] - الجواب : فمن أضل
منكم كما قال فى " فصلت " "قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد" فالآية من الاحتباك : ذكر الإيمان
أولا دليلا على ضده ثانيا، و الاستكبار و الظلم و عدم الهداية ثانيا ١٠
دليلا على أضدادها أولا، و سره أنه ذكر سببى السعادة ترغيبا و ترهيبا.

و لما دل على أن تركهم للايمان إنما هو تعمد للظلم استكبارا،
عطف على قولهم " انـــه سحر " ما دل على الاستكبار فقال تعالى :
﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى تعمدوا تغطية الحق[5] ﴿ للذين ﴾ أى لأجل
إيمان الذين ﴿ امنوا ﴾ إذ[6] سبقوهم إلى الإيمان : ﴿ لو كان ﴾ إيمانهم ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لاجل انه (٢ - ٢) من م، و فى الأصل و ظ : مثلكم، و فى مد : منهم عالما (٣) سقط من م و مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/١٣٢ (٥) زيد فى الأصل : بالباطل و التغافل عنه كأنهم على الرشاد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اى.

بالقرآن [١] و بهذا الرسول [١] ﴿ خيرا ﴾ أى من جملة الخيور ﴿ ما سبقونآ اليه [٢] ﴾ و نحن أشرف منهم و أكثر أموالا و أولادا و أعلم بتحصيل العز و السودد الذى هو مناط الخير فكأن [٣] لم يسبقونا [٣] إلى شىء من هذه الخيرات التى نحن فائزون بها و هم صفر منها، لكنه ليس بخير، فلذلك سبقوا [٤] إليه [فكان - [٥]] حالهم فيه حالهم فيما هو محسوس من أمورهم فى المال و الجاه .

و لما أخبر عما قالوا حين سبقهم غيرهم، أخبر عما يقولون عند تعمد الإعراض عنه فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و حين ﴿ لم يهتدوا به ﴾ يقولون عنادا [١] و تكبرا و كفرا [١] : لو كان هدى لأبصرناه [١] و لم يعلموا أنها لاتعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور [١] .

و لما كان التقدير : فان قيل لهم : فما هو ؟ أجابه بقوله مسببا عن هذا المقدر علما من أعلام النبوة : ﴿ فسيقولون ﴾ بوعد لاخلف فيه لأن الناس أعداء ما جهلوا و لأنهم لم يجدوا على ما يدعونه من أنه لوكان خيرا لسبقوا غيرهم [إليه - [٥]] دليلا : ﴿ هذآ ﴾ أى الذى سبقتم إليه ﴿ افك ﴾ أى شىء مصروف عن وجهه إلى قفاه ﴿ قديم ه ﴾ أفكه غيره و عثر [٦] هو عليه فأتى به و نسبه إلى الله .

و لما كان هذا الكلام ساقطا فى نفسه لما قام من الأدلة الباهرة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م، وفى الأصل ومد : كان (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لم يسبقوا (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : سبقونا (٥) زيد من م ومد (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : غير .

على صدق القرآن و كان الوقوف مع المحسوسات غالبا عليهم لعدم نفوذهم[1] في المعقولات ، دل على بطلانه[2] لموافقة القرآن لأعظم[3] الكتب القديمة التوراة التي اشتهر أنها من عند الله و أن الآتي بها كليم و قد صدقه الله في الإتيان بها بما لم يأت به نبي قبله من المعجزات و الآيات البينات / و هم يستفتون أهلها، فقال على وجه التبكيت [لهم -[4]] و التوبيخ: ٥ / ٧٨٢

﴿ و من ﴾ أي قالوا ذلك و الحال أنه كان في بعض الزمن الذي من ﴿ قبله ﴾ أي القرآن العظيم [5]الذي حرموا تدبر آياته و حل مشكلاته و أعجزهم فصاحته[5] ﴿ كتب موسى[6] ﴾ كليم الله و صفوته عليه الصلاة و السلام [6]و هو التوراة التي كلمه الله[6] بها تكليما حال كون[7] كتابه ﴿ اماما ﴾ أي يستحق أن يؤمه كل من سمع به في أصول الدين مطلقا و في جميع ما ١٠ فيه قبل تحريفه و نسخه و تبديله ﴿ و رحمة ﴾ لما فيه من نعمة الدلالة على الله و البيان الشافي فهم[8] طعنوا في هذا القرآن و هم لا يقدرون على الطعن في كتاب موسى الذي قد سلموا لأهله أنهم أهل العلم و جعلوهم حكماء يرضون بقولهم في هذا النبي الكريم ، وكتابهم مصادق[9] لكتابهم[10]

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل و م : نفوذهم (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بطلان قولهم (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الاعظم .
(٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كونه (٨) من مد ، و في الأصل و ظ و م : فيهاهم - كذا (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يصادق (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لكتابه .

فقد صاروا بذلك مصدقين بما كذبوا بــه ، و لذلك قال الله تعالى :
﴿ و هذا ﴾ أى القرآن [1]المبين المبيّن[1] ﴿ كتب ﴾ أى جامع لجميع
الخيرات . و لما أريد تعمم التصديق بجميع الكتب الإلهية و الحقوق
الشرعية ، حذف المتعلق فقال : ﴿ مصدق[2] ﴾ أى[3] لكتاب موسى عليه
٥ الصلاة و السلام و غيره من الكتب التى تصح نسبتها إلى الله تعالى
[4]فان جميع الكتب التى جاءت بها الرسل ناطقة بتوحيد الله و أن هذا
الكتاب لم يخرج عن هذا[4] فأى يصح فيما[5] هذا شأنه أن يكون[6] إفكا ،
إنما الإفك ما كذب كتب الله التى أتت بها أنبياؤه و توارثها أولياؤه .
و لما كان الكتاب قد تقوم الأدلة على مصادقته لكتب الله و يكون
١٠ بغير لسان المكذب[6] به فيكون فى التكذيب أقل ملامة ، احترز عن ذلك
بقوله : ﴿ لسانا ﴾ أى أشير إلى هذا المصدق القريب منكم زمانا و مكانا
و فهما حال كونه ﴿ عربيا ﴾ فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه
أسهل الكتب تناولا و أبعدها[7] عن التكليف[8] ، ليس هو بحيث يمنعه علوه
بفخامة الألفاظ و جلالة المعانى و علو النظم و [9]رصافة السبك[9] و وجازة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٢) من القرآن و ظ و م ومد ، و فى الأصل : مصدقا (٣) زيد فى الأصل : هذا الكتاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٥) زيد فى الأصل و ظ : هذا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكذب (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابعد . (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التكليف (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رضافة السياف - كذا .

العبارة، وظهور المعانى و دقة الإشارة مع سهولة الفهم و قرب المتناول بعد بعد المغزى •

و لما دل على أن الكتاب حق، بين ثمرته فقال: ﴿ لينذر ﴾ أى أشير إلى هذا الكتاب [فى هذا الحال لينذر الكتاب - [1]] بحسن بيانه وعظيم شأنه ﴿ الذين ظلموا قلى ﴾ سواء كانوا عريقين فى الظلم أم لا ، فأما ٥ العريقون فهو لهم نذرى كاملة ، فانهم لايهتدون كما تقدم ، و أما غيرهم فيهتدى بنذارته و يسعد بعبارته و إشارته ، و ليبشر الذين أحسنوا فى وقت ما ﴿ و ﴾ هو ﴿ بشرى ﴾ [2] كاملة ﴿ للمحسنين ج ﴾ لا نذارة لهم لا فى الدنيا و لا فى الآخرة ، فالآية من الاحتباك: أثبت أولا "ينذر[1]" [و - [1]] " الذين ظلموا" دلالة على حذف [نحوه ثانيا ، " و بشرى " و " للمحسنين " ثانيا ١٠ دلالة على - [1]] " نذرى " " و للظالمين " أولا •

و لما بين حالة المحسنين شرح أمرهم فقال مستأنفا فى جواب من سأل عنهم و عن بشراهم: ﴿ ان الذين قالوا ربنا ﴾ أى خالقنا و مولانا و المحسن إلينا ﴿ الله ﴾ سبحانه و تعالى لاغيره /و لما كانت الاستقامة - و هى / ٧٨٣ الثبات على كل ما يرضى [الله - [1]] مع ترتبها على التوحيد - عزيزة ١٥ المنال[3] علية الرتبة ، و كانت فى الغالب لاتنال إلا بعد منازلات طويلة و مجاهدات شديدة ، أشار إلى كل من بعدها و علو رتبتها بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ﴾ أى [بعد - [4]] قولهم ذلك الذى وحدوا به ﴿ استقاموا ﴾

(١) زيد من م ومد (٢) زيد فى الأصل: اى بشرى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: المثال (٤) زيد ولا بد منه.

أى [طلبوا ـ ١] القوم طلبا عظيما و أوجدوه .

و لما كان الوصف لرؤس المؤمنين ، عد أعمالهم أسبابا فأخبر عنهم بقوله: ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أى يعلوهم بغلبة الضرر ، و لعله [يعبر ـ ١] فى [مثل ـ ٢] هذا بالاسم إشارة إلى أن هيبته بالنظر إلى جلاله و قهره ٥ و جبروته و كبره و كماله لاتنتفى ، و يحصل للانسان باستحضارها إخبات[٣] و طمأنينة و وقار و سكينة يزيده فى نفسه جلالا و رفعة و كمالا ، فالمنفى خوف يقلق النفس ﴿ و لا هم ﴾ فى ضمائرهم و لا فى ظواهرهم ﴿ يحزنون ؟ ﴾ أى يتجدد لهم شيء من حزن أصلا .

و لما نفى عنهم المحذور ، مدحهم بايثار السرور ، فقال تعالى: ﴿ اولٓئك ﴾ ١٠ أى العالو الدرجات ﴿ اصحٰب الجنة ﴾ و لما دلت الصحبة على الملازمة ، صرح بها بقوله تعالى : ﴿ خٰلدين فيهاج ﴾ خلودا لا آخر [له ـ ٢] ، جوزوا بذلك ﴿ جزآء ﴾ و لما كانوا محسنين فكانت[٤] أعمالهم فى غاية الخلوص جعلها تعالى أسبابا أولا وثانيا ، فقال مشيرا إلى دوامها لأنها فى جبلاتهم ﴿ بما كانوا ﴾ أى طبعا و خلقا ﴿ يعملون ۝ ﴾ على سبيل ١٥ التجديد المستمر .

و لما تفضل سبحانه و تعالى على الإنسان بعد الأعمال التى هيأه لها و أقدره عليها و وفقه لها أسبابا قرن بالوصية بطاعته ـ لكونه المبدع ـ الوصية بالوالدين لكونه تعالى جعله سبب الإيجاد ، فقال فى هذا السياق

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احساها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و كانت .

الذي [1]عد فيه[1] الأعمال [لكونه - [2]] سياق الإحسان التي أفضلها الصلاة على ميقاتها، و ثانيها في الرتبة بر الوالدين كما في الصحيح[3]. و في الترمذي[4]: رضى الله[5] في رضى الوالدين و[6] سخطه [7] في سخطهما[7]. و على هذا المنوال جرت عادة القرآن يوصي بطاعة الوالدين بعد الأمر بعبادته "و اذ [8]اخذ الله[8] ميثاق بني اسراءيل لاتعبدون الا الله و بالوالدين احسانا" [" و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا" - [9]] و كذا ما بعدهما[10] عاطفا على ما قدرته أول السورة من [نحو - [9]] أن يقال: و أمرنا الناس أجمعين أن يكونوا بطاعتنا في مهلة الأجل عاملين و لمعصيتنا مجتنبين: ﴿و وصينا الانسان﴾ أي هذا النوع الذي أنس بنفسه ﴿بوالديه﴾ و لما استوفى "وصى" مفعوليه[11] كان التقدير: ليأتي إليهما حسنا. و قرأ الكوفيون: ﴿احسانا﴾ و هو أوفق للسياق.

و لما كان حق الأب ظاهرا لما له من الكسب و الإنفاق و الذب و التأديب لم يذكره، و ذكر ما للأم لأن أمده يسير، فربما استهين به فقال مستأنفا أو[12] معللا: ﴿حملته امه﴾ أي بعد أن وضعه أبوه

(١ - ١) من م و مد، و في الأصل و ظ: فيه عد (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) راجع أبواب مواقيت الصلاة (٤) راجع أبواب البر (٥) زيد في الأصل وظ وم: عنه، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٦) زيد في الأصل وظ: في، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد، وفي الأصل وظ: وفي سخطها.
(٨ - ٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: اخذنا (٩) زيد من م و مد.
(١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: بعد هذا (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: معموليه (١٢) من ظ و م و مد، و في الأصل «و».

بمشاركتها فى أحشائها. حملا ﴿ كرها ﴾ بثقل الحبل و أمراضه و أوصابه

و أعراضه ﴿ و وضعته ﴾ أى بعد تمام / مدة حمله ﴿ كرها [1] ﴾ فدل [1] ٧٨٤ /

هذا - مع دلالته على وجوب حق الأم - على أن الأمر فى تكوينه لله

وحده، و ذكر أوسط ما للام من مدة التعب بذكر أقل مدة الحمل

٥ و أنهى مدة الرضاع لانضباطها فقال تعالى : ﴿ و حمله و فصٰله ﴾ أى

[و - [2]] مدة حمله و غاية فطامه [3] من الرضاع، و عبر بالفصال لإرادة

النهاية لأن الفطام قد يكون قبل النهاية لغرض ثم تظهر الحاجة فتعاد

الرضاعة ﴿ ثلثون شهرا [4] ﴾ فانصرف الفصال إلى الكامل الذى تقدم فى

البقرة فعرف أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و به قال الأطباء، و ربما

١٠ [4] أشعر بأن [4] أقل مـــدة الرضاع سنة و تسعة أشهر لأن أغلب الحمل

تسعة أشهر .

و لما كان ما بعد ذلك تارة يشترك [5] فى مؤنته [6] الأبوان و تارة

ينفرد أحدهما، طوى ذكرهما، و ذكر حرف الغاية مقسما للوصى [7] إلى

قسمين : مطيع و عاصى، ذاكرا ما لكل من الجزاء بشارة و نذارة،

١٥ إرشادا إلى أن المعنى : و استمر كَلًّا على أبويه أو أحـــدهما

﴿ حتىٓ اذا بلغ اشده ﴾ قال فى القاموس : قوته، و هو ما بين ثمانى

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يدل (٢) زيد من مد (٣) من م ومد، و فى الاصل وظ : فصاله (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اسعران .

(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يستدل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م : مؤنة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : موص .

عشر

عشرة سنة إلى ثلاثين ، واحد جاء على بناء الجمع كآنك و لانظير لهما ، أو جمع لا واحد له من لفظه ، أو واحده شدة بالكسر مع [أن - [1]] فعلة لا [2] تجمع على أفعل ، أو شد ككلب و أكلب أو [3] شد كذئب و أذؤب ، و ما هما [3] بمسموعين بل قياس - انتهى [4] . و قد مضى فى سورة يوسف ما ينفع هنا جدا [5] ، و روى الطبرانى [6] فى ترجمة [ابن - [7]] احمد بن لبيد ٥ البيروتى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الأشد ثلاث و ثلاثون سنة ، [8] و هو الذى [8] رفع عليه [9] عيسى بن مريم - قال [10] الهيثمى : و فيه صدقة ابن يزيد وثقه أبو زرعة و أبو حاتم و ضعفه أحمد و جماعة و بقية رجاله ثقات : قال الزمخشرى [11] : و هو أول الأشد و غايته الأربعون . و لما كانت أيام الضى و الشباب و إن كانت صفوة عمر الإنسان و أوقات لذاذاته [12] ١٠ و مجتمع شمله و راحاته فيها يظهر له سر عمره فى الغالب لغلبة الأنفس الخبيثة عليه البهيمية و السبعية لما يحملانه [13] عليه من نتائج الشهوات و نوازع

---

(١) زيد من م ومد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٤) زيد فى الاصل : و بلغ أربعين سنة . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جيد . (٦) راجع لقول ابن عباس مجمع الزوائد ٧ / ١٠٦ (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى التى (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عليها (١٠) زيد فى الأصل : الحافظ ابن حجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) فى الكشاف (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لذاذته (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يحملان .

الغضب و البطالات، عبر بما يدل على القحط و الشوم و الضيق تنبيها على ذلك، فقال شارحا للاستواء و معبرا عنه: [﴿و بلغ اربعين سنة لا ﴾ -[1]] فاجتمع أشده [2] و تم حزمه [3] وجده، و زالت عنه شرة [4] الشباب و طيش الصبا و رعونة الجهل، و لذلك كان هذا السن وقت بعثة الأنبياء، و هو ٥ يشعر بأن أوقات الصبى أخف [5] فى المؤاخذة [6] مما بعدها وكذا ما بين أول الأشد [6] و الأربعين ﴿قال﴾ إن كان محسنا قابلا لوصية ربه: ﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ بالإيجاد و تيسير [7] الأبوين و غيرهما و تسخيره ﴿اوزعنى﴾ أى اجعلنى أطيق ﴿ان اشكر نعمتك﴾ أى وازعا للشكر [8] أى كافا مرتبطا حتى لا يغلبنى فى وقت من الأوقات، ١٠ و ذلك الشكر بالتوحيد فى العبادة كما أنه يوحد بنعمة الإيجاد و الترزيق، و وحدها تعظيما للأمر بالإشارة إلى / أن النعمة الواحدة لا يبلغ شكرها إلا بمعونة الله مع أن ذكر الأبوين يعرف أن المراد بها الجنس.

/ ٧٨٥

و لما كان ربما ظن ظان [9] أن المردا بنعمته قدرته على الإنعام ليكون المعنى: أن أشكرك لكونك قادرا على الإنعام، قال [10]: ﴿التى انعمت علىّ﴾

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل: بلغ حرمه، و فى ظ: بلغ حزمه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: شدة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخذ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموجدة. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاشداد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تيسر (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الكر (٩) سقط من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ: تعالى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

اى

أى بالفعل لوجوب ذلك عليّ لخصوصه بى ﴿ و على والدىّ ﴾ و لو بمطلق الإيجاد و العافية فى البدن ، لأن النعمة عليهما نعمة عليّ ، و قد مضى فى النمل ما يتعين استحضاره هنا .

و لما كان المقصود الأعظم من النعمة الماضية نعمة الإيجاد المراد من شكرها التوحيد ، أتبعها [تمام - [1]] الشكر فقال : ﴿ و ان اعمل ﴾ ٥ [أى - [2]] أنا فى خاصة نفسى [﴿ صالحا ﴾ - [1]] . و لما كان الصالح فى نفسه قد لا يقع الموقع لعدم الإذن فيه قال : ﴿ ترضٰه ﴾ و التنكير[3] إشارة إلى العجز عن بلوغ الغاية فانه لن[4] يقدر الله حق قدره أحد .

و لما دعا[5] لنفسه بعد أن أوصى برعاية حق أبيه ، لقنه[6] سبحانه الدعاء لمن يتفرع منه[7] ، حثا على رعاية حقوقهم لئلا يسلطهم على عقوقه ١٠ فقال : ﴿ و اصلح ﴾ أى أوقع الإصلاح ، و قال : ﴿ لى فى ذريتى ﴾ لأن صلاحهم يلحقه نفعه ، و المراد بقصر الفعل و جعلهم ظرفا له أن يكون ثابتا راسخا ساريا فيهم و هم محيطون به فيكونوا صالحين .

و لما استحضر عند كمال العقل فى الأربعين أن ما مضى من العمر كان أغلبه ضائعا فدعا ، و كان من شرط قبول الدعاء التوبة ، علله بقوله : ١٥ ﴿انى تبت ﴾ أى رجعت ﴿ اليك ﴾ أى عن كل ما يقدح فى الإقبال

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : الشكر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأن (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ادعى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لفت . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من هذا المواد بعد ذلك فقال تعالى .

عليك، و أكده إعلاما بأن حاله فى الإقبال على الشهوات حال من يبعد [١]منه الإقلاع فينكر[١] إخباره به، وكذا قوله: ﴿ و انى من المسلمين ﴾ أى الذين أسلموا ظواهرهم و بواطنهم لك[٢] فانقادوا أتم انقياد [٣]و احسنه[٣].

و لما وصف هذا المؤمن بادئا به لكونه فى سياق الإحسان، و كان ٥ المراد بالإنسان الجنس، قال مادحا له بصيغة الجمع منبها على أن قبول الطاعات مشروط ببر[٤] الوالدين لأن ما ظهر دليل ما بطن، و من لايشكر من كان من جنسه لاسيما و هو اقرب الناس إليه لاسيما[٥] و هو السبب فى إيجاده لم يشكر الله كما فى الحديث "لا[٦] يشكر الله من لايشكر الناس" و من صلح ما بينه و بين [الله صلح ما بينه و بين -[٧]] الناس عامة ١٠ لاسيما الأقارب نسبا أو مكانا لاسيما الوالدين: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿ الذين يتقبل ﴾ بأسهل وجه[٨] ﴿عنهم﴾ و أشار سبحانه بصيغة التفعل إلى أنه يعمل فى قبوله عمل المعتنى، و قرأ[٩] حمزة و الكسائى و حفص[١٠] بالنون فيه و فى الذى بعده، و يدل على ذلك قوله تعالى:

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل: عنه الاقبال فينكره، و فى ظ: عنه الاقلاع فينكره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بين. (٥) زيد بعده فى الأصل: الاقارب نسبا لامكانا لاسيما الوالدين اوليك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ: لم (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل: كان و احسنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى مد: قراءة (١٠) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٤.

أحسن

﴿ احسن ﴾ و يجوز أن يراد به مطلق [1]الدعاء أو الطاعات[1] و يكون ما دون / الأحسن مقبولا قبولا مطلقا على مقدار النية فيه، و تكون [2]التعدية بعن[2] إشارة إلى أن جبلاتهم مبنية على الترقي[3] في معارج[4] الكمال في كل وقت إلى غير نهاية، فتكون[5] هذه المحاسن ليست [منهم -[6]] بمعنى أنهم مجبولون على أعلى منها في نهاياتهم و العبرة بالنهايات[7] و لذلك[8] قال تعالى: ﴿ما عملوا﴾ ٥ و لم يقل: أعمالهم. و لما كان الإنسان محل النقصان و إن كان محسنا، نبه على ذلك و عـنى أن شرط تكفير السيئات التوبة بقوله تعالى: ﴿ و يتجاوز ﴾ أي بوعد مقبول لابد من كونه، و هو معنى قراءة حمزة و الكسائي بالنون في الفعلين ﴿ عن سيئاتهم ﴾ أي فلايعاقبهم عليها.

/ ٧٨٦

و لما كان هذا مفهما لأنهم من أهل الجنة، صرح[9] به زيادة في ١٠ مدحهم بقوله: ﴿ في اصحٰب الجنة ﴾ أي أنه فعل بهم ذلك و هم في عدادهم لأنهم لم يزالوا فيهم[10] لأنهم ما برحوا[11] بعين الرضا. و لما كان هذا وعدا، أكد مضمونه بقوله: ﴿ وعد الصدق ﴾ لكونه مطابقا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢ - ٢) من مد، و في الأصل و ظ و م: المبعدية يعني (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: الترافي. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: درجات (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: مكون (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: بالشهايات (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: كذلك. (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: نفع (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: فيها (١١) من م و مد، و في الاصل و ظ: رحوا.

للواقع ﴿ الذى كانوا ﴾ [1]بكون ثابت[1] جدا ﴿ يوعدون ﴾ أى يقطع لهم الوعد بـــه فى الدنيا ممن لا أصدق منهم، و هم الرسل عليهم الصلاة و السلام .

و لما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئا به لكون المقام للاحسان، أتبعه المسيء المناسب لمقصود السورة المذكور[2] صريحا فى مطلعها فقال تعالى : ﴿ و الذى قال لوالديه ﴾ [3]مع اجتماعهما كافرا لنعمهما[4] نابذا لوصيتنا بهما فكان كافرا بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقا[5]، و التثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبدا ، لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله و لو كان واحدا ، و أن[6] الاجتماع مطلقا له تأثير فكيف إذا كان والدا : ﴿ اف ﴾ أى تضجر و تقذر و استرذال و تكره[7] منى و لغاتها[8] أربعون - حكاها فى القاموس ، المتواتر منها عن القراء ثلاث[9]: الكسر بغير تنوين و هو قراءة الجمهور ، و المراد به أن المعنى الذى قصـــده مقترن بسفول ثابت[10] ، و مع التنوين و هو قراءة

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى يكون ثابتا ، و فى م : يكون ثابتا .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المذكورة (٣) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منعمهما (٥) زيد فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة ظ و م و مد فحذفناها .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يكره (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نعاتها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ثلاثة (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دائم ثابت .

المدنيين و حفص[1] و المراد به أنه سفول عظيم سائر مع الدهر بالغلبة و القهر، و الفتح من غير تنوين و هو قراءة ابن كثير و ابن عامر و يعقوب، و المراد به اقتران المعنى المقصود [2]بالاشتهار بالعلو و الا نتشار[2] مع الدوام، و قد تقدم فى الإسراء عن الحرالى - و هو الحق - أن [3]التأفيف أنهى[3] الأذى و أشده، فان معناه[4] أن المؤفف به لاخطر له ٥ و لا وزن أصلا، و لا يصلح لشيء بل [هو -[5]] عدم بل العدم خير منه مع أنهى القذر[6].

و لما كان كأنه قيل: لمن هذا التأفيف؟ قال: ﴿ لكمآ ﴾ و لما كانا[7] كأنهما قالا له: لم هذا التقذير[8] العظيم بعد الإحسان الذى لا تقدر على [9]جزائنا به[9]، قال مبكتا موبخا منكرا عـــلى تقدير كونه وعدا: ١٠ ﴿ اتعدننى ﴾ أى على سبيل الاستمرار بالتجديد / فى كل وقت /٧٨٧ ﴿ ان اخرج ﴾ [أى -[10]] من مخرج ما يخرجنى من الأرض بعد أن غبت فيها و صرت ترابا يحيى كما كنت أول مرة ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ خلت ﴾ أى [11]تقدمت و سبقت[11] و مضت على

---

(١) راجع نثر المرجان ٦/٥٤٦ (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بالاشتهاه و العلو و انتشار، و فى م: بالاشتهار و العلو و الانتشار (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التانيف انتهى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعنى. (٥) زيد من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العذر (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كان (٨) من م و مد، و فى الاصل و ظ: التعذر. (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جزاءه منا له (١٠) زيد من م و مد. (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

سنن الموت ﴿ القرون ﴾ أى الأجيال الكثيرة من صلابتهم ، و أثبت الجار لأن القرن لاينخرم إلا بعد مدة طويلة ، فالانخرام فى ذلك غير مستغرق للزمان فقال : ﴿ من قبلى ج ﴾ أى قرنا بعد قرن و أمة بعد أمة و تطاولت الأزمان و أغلبهم يكذب بهذا الحديث فأنا مع الأغلب ،

٥ و تأيد ذلك بأنه لم يرجع أحد منهم ﴿ و هما ﴾ أى و الحال أنهما كلما قال[1] لهما ذلك ﴿ يستغيثن الله ﴾ أى يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال أن يعينهما [2]بالهامه قبول[2] كلامهما ، قائلين لولدهما مجتهدين بالنصيحة له بعد الاجتهاد بالدعاء : ﴿ ويلك ﴾ كما يقوله المشفق إذا زاد به الكرب و بلغ منه الغم ، إشارة إلى أنه لم يبق [له -][3] إن أعرض إلا الويل

١٠ و هو الهلاك ﴿ امن قطے ﴾ أى أوقع الإيمان الذى لا إيمان غيره ، و هو الذى ينقذ من كل هلكة ، و يوجب كل فوز بالتصديق بالبعث و بكل ما جاء عن الله ، ثم عللا[4] أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة إنكاره فقالا[5] : ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الملك الأعظم[6] المحيط بجميع صفات [7]المهابة و[7] الكمال الموصوف بالعزة و الحكمة ﴿ حق جلے ﴾ أى ثابت

١٥ أعظم ثبات لأنه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الإخلاف الذى لا يرضاه لنفسه أقل[8] العرب فكيف و هو يلزم منه منافاة[9] الحكمة بكون

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيل (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بافهامه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد . و فى الأصل و م : علل (٥) من مد . و فى الأصل و ظ و م : فقال (٦) سقط من م و مد . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : اقرب (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مناف .

الخلق حينئذ على وجه العبث [1] لأنهم عباد و رعايا لايعرضون على ملكهم الذى أبدعهم مع علمه بما هم عليه من ظلم بعضهم لبعض و بغى بعضهم على بعض ﴿ فيقول ﴾ [2] مسببا عن قولها و معقبا له : ﴿ ما هذآ ﴾ أى الذى [3] ذكرتماه لى من [3] البعث [4] ﴿ الآ اساطير الاولين ۝ ﴾ أى خرافات [كتبها - [5]] على وجه الكذب الأوائل [6] و تناقلها منهم الأعمار [6] ٥
جيلا بعد جيل فصارت [7] بحيث يظن الضعفاء أنها صحيحة - هذا و العجب كل العجب أنه بتصديقه لايلزمه فساد على تقدير من التقادير الممكنة ، بل يحمله التصديق على محاسن الأعمال و معالى [8] الأخلاق التى هو مقر بأنها [9] محاسن من لزوم طريق الخير و ترك طريق الشر ، و تكذيبه يجره إلى المرح و الأشر ، و البطر و أفعال الشر ، و دنايا الأخلاق مع احتمال ١٠
الهلاك الذى يخوفانه به و هو لاينفى أنه محتمل [10] و إن استبعده فما دعوه [11] إليه كما ترى [12] لايأباه عاقل و لكنها [13] عقول كادها باريها .

---

(١) فى الأصل و ظ و م : العتب ، و فى مد : العيب - كذا (٢) زيد فى الأصل : اى قوله هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد : تذكرانه (٤) زيد فى الأصل : ما هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تناقلها من الأخبار (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تصار (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معانى (٩) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : بالها . (١٠) زيد فى الأصل : التى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دعوه (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يرى (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لكنهم .

و لما كان هذا الكلام، مع بلوغ النهاية فى حسن الانتظام، قد حصر الإنسان فى هذين القسمين مثلا بليغا لكفار العرب و مؤمنيهم، / فالأول للمؤمنين التابعين لملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، الآتى بها أعظم أنبيائه الكرام محمد عليه أفضل الصلاة و السلام. و الثانى للكفار ٥ المنابذين لأعظم آبائهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى يعرفون[1] منه نقلا[2] يتوارثونه من آبائهم، و قرآنا معجزا كأنهم سمعوه من خالقهم أنه موحد لله مقر بالبعث محذر من غوائله، و كان قد ابتدأ سبحانه الحديث عنهم بما ذكر مما كفروا فيه المنعمين و استحقوا كلتا السوءتين، خزى الدنيا و عذاب الآخرة، أخبر عنهم بما أنتجه تكذيبهم بموعود ربهم ١٠ و عقوقهم لوالديهم حقيقة أو تعليما بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء [من -[3]] العقل و المروءة و كل[4] خير[5] ﴿ الذين حق ﴾ أى ثبت و وجب. و لما كان هذا وعيدا، دل عليه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم القول ﴾ اى الكامل فى بابه بأنهم[6] أسفل السافلين[7]، و هذا يكذب من قال: إنها نزلت فى عبد الرحمن بن [أبى -[3]] بكر رضى الله ١٥ عنهما، فانه أسلم و صار من أكابر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، فحقت له الجنة.

/ ٧٨٨

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يوفونه (٢) فى مد: بنقل (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل و ظ: طردو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل، لانهم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سافلين.

و لما أثبت[١] لهم هذه الشنيعة، عرف بكثرة من شاركهم فيها فقال: ﴿ فى ﴾ أى كائنين فى ﴿امم﴾ أى خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس و يتبع[٢] بعضهم بعضا[٣] ﴿ قد خلت ﴾ تلك الأمم . و لما كان المحكوم عليه بعض السالفين، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ فكانوا قدوتهم ﴿ من الجن ﴾ بدأ بهم لأن العرب تستعظمهم و تستجير بهم، ٥ و ذلك لأنهم يتظاهرون لهم و يؤذونهم و لم يقطع[٤] أذاهم لهم و تسلطهم عليهم [٥]ظاهرا و باطنا[٥] إلا القرآن، فانه أحرقهم بأنواره و جلاهم عن تلك البلاد بجلى آثاره ﴿ و الانس[٦] ﴾ [٦]و ما نفعتهم[٦] كثرتهم و لا أغنت عنهم قوتهم، ثم علل حقوق الأمر عليهم [٧]أو استأنف[٧] بقوله مؤكدا تكذيبا لظن هذا القسم الذى الكلام فيه أن الصواب مع الأكثر: ١٠ ﴿ انهم ﴾ أى كلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا و خلقا لايقدرون على الانفكاك عنه ﴿ خسرين ﴾ أى عريقين فى هذا الوصف .

و لما قسمهم فى الأعمال، جمعهم فى العدل و الإفضال فقال: ﴿ و لكل ﴾ أى[٨] من فريقى السعداء و البعداء من القبيلتين: الجن

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل: ثبت (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتبعهم (٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى مد: لم يقع (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باطنا و ظاهرا (٦ - ٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل: و انهم لم ينفعهم (٧ - ٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاستأنف (٨) زيد فى الأصل: الفريقين و هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و الإنس، فى الدنيا و الآخرة ﴿ درجت ﴾ أى دركات أى منازل
و مراتب متفاضلين فيها ﴿ من ﴾ أجل ﴿ ما عملوا ج ﴾ أو من جوهره
و نوعه من الأعمال الصالحة و الطالحة . و لما كان التقدير: ليظهر ظهورا
بينا أنه سبحانه فاعل بالاختيار بالمفاوتة[1] بين العقلاء [2]و يظهر[2] ظهورا
٥ بينا [3]لا وقفة فيه[3] أن الحقائق على غير ما كان[4] يتراءى لهم فى الدنيا،
فان حجب المكاره و الشهوات كانت ترى الأمور على خلاف ما هى
عليه، عطف عليه قوله فى قراءة البصريين و عاصم و هشام عن ابن
عامر[5] بخلاف / عنه: ﴿ و ليوفيهم ﴾ أى ربهم الذى تقدم إقبال المحسين / ٧٨٩
عليه[6] و دعاؤه له، و قراءة الباقين بالنون أنسب لمطلع السورة و لما يشير
١٠ إليه من كشف حجب[7] الكبرياء فى يوم الفصل .

و لما كان سبحانه يعلم مثاقيل الذر و ما دونها و ما فوقها و يجعل[8]
الجزاء على حسبها فى المقدار و الشبه و الجنس و النوع و الشخص حتى
يكاد يظن العامل أن الجزاء هو العمل قال: ﴿ اعمالهم ﴾ أى جزاءها
من خير و شر و جنة و نار - و هذا ظاهر، أو نص فى أن الجن يثابون
١٥ بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان، و سورة الرحمن كلها خطاب للثقلين

---

(١) من م و مد و فى الأصل و ظ : بالمعاونة (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : ليظهر (٣-٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : رفعة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : كا - كذا (٥) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٩ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اليه (٧) من م و مد، و فى الاصل و ظ : حجبه .
(٨) من م و مد . و فى الاصل و ظ : يعلم .

بالثواب

بالثواب لأهل الطاعة، و العقاب لأهل المعصية من كل من القبيلتين؛ كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه، و يجزى مطيعهم بالثواب كما يجازى عاصيهم بالعقاب - قاله مالك و ابن أبي ليلى و الضحاك و غيرهم كما نقله البغوى[1] ﴿ وهم ﴾ أي و الحال أنهم ﴿ لا يظلمون ﴾ أي لا يتجدد لهم شيء من ظالم ما من ظلم في جزاء أعمالهم بزيادة[2] في عقاب أو نقص ٥ من ثواب، بل الرحمانية كما كانت لهم في الدنيا فهي [3]لهم في الآخرة[3] فلا يظلم ربك أحدا بأن يعذبه فوق ما يستحقه من العقاب، أو ينقصه عما يستأهل من الثواب.

و لما كان الظاهر في هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها، قال ذاكرا بعض ما يبكت[4] به المجرمون يوم البعث الذي كانوا به يكذبون ١٠ و يكون فيه توفية جزاء الأعمال، عاطفا على ما تقديره: اذكر لهم هذا لعلهم يأنفون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين: ﴿ و يوم ﴾ أي و اذكر لهم يوم يعرضون - هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف الذي أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الأمر كان ظاهرا لهم و لكنهم ستروا، أنوار عقولهم فقال: ﴿ يعرض الذين كفروا ﴾ أي من الفريقين ١٥ المذكورين ﴿ على النار ﴾ أي يصلون لهبها و يقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى[5] مقولا لهم على سبيل التندیم و التقريع و التوبيخ و التشنيع

---

(١) لم نقف به في المعالم (٢) من مد، و في الأصل و ظ و م: زيادة (٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: في الآخرة لهم (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: ينكب (٥) من مد، و في الأصل و ظ و م. شوى.

لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه و نهيه : ﴿ اذهبتم ﴾ فى قراءة نافع و أبى عمرو و الكوفيين[1] بالإخبار ، و قراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الإنكار و التوبيخ ﴿طيبتكم﴾ أى لذاتكم باتباعكم الشهوات ﴿ فى حياتكم ﴾ و نفر[2] منها بقوله تعالى : ﴿ الدنيا ﴾

٥ أى القريبة الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها ، فكان سعيكم فى حركاتكم و سكناتكم لأجلها حتى نلتموها ﴿ و استمتعتم ﴾ أى طلبتم و أوجدتم انتفاعكم[3] ﴿ بها ج ﴾ و جعلتموها غاية حظكم فى رفعتكم و نعمتكم .

و لما كان ذلك استهانة بالأوامر و النواهى للاستهانة بيوم الجزاء ،

١٠ سبب عنه قوله تعالى : ﴿ فاليوم تجزون ﴾ أى على إعراضكم [عنا -[4]] بجزاء من لا تقدرون[5] / التفصى[6] من جزائه بأيسر أمر منه ﴿عذاب الهون﴾ /٧٩٠ أى الهون[7] العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل و خزى ﴿ بما كنتم ﴾ جبلة و طبعا ﴿تستكبرون ﴾ أى تطلبون[8] الترفع و توجدونه[8] على الاستمرار ﴿ فى الارض ﴾ التى هى لكونها ترابا و موضوعة على الزوال و الخراب ،

(١) راجع نثر المرجان ٦/٥٤٩-٥٥٠ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل و م : يقر . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : اسفاهكم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : اعراضكم بجزاء من لا تقدرون على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البعض (٧) زيد فى الأصل : الوان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرمع و تجدونه .

أحق شيء بالتواضع و الذل و الهوان . و لما كان الاستكبار يكون بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحا، قيده بقوله: ﴿ بغير الحق ﴾ أي الأمر الذي يطابقه الواقع و هو أوامرنا و نواهينا، [و دل - [1]] بأداة الكمال على أنه لايعاقب على الاستكبار مع الشبهة ﴿ و بما كنتم ﴾ على الاستمرار ﴿ تفسقون ع ﴾ أي تجددون الخروج عن محيط الطاعة ٥ الذي تدعو إليه الفطرة الأولى و العقل [2] إلى نوازع [3] المعاصي .

و لما هددهم سبحانه بالأمور الأخروية، و ستر الأمر بالتذكير بها لكونها مستورة و هم بها يكذبون في قوله "و يوم"، و ختم بالعذاب على الاستكبار المذموم و الفسق، عطف عليه تهديدهم بالأمور المحسوسة لأنهم متقيدون بها مصرحا بالأمر بالذكر فقال تعالى: ﴿ و اذكر ﴾ ١٠ أي لهؤلاء الذين لايتعظون بمحط الحكمة الذي [4] لايخفى على [ذي - [5]] لب، و هو البعث. و لما كان أقعد ما يهددون به في هذه السورة و أنسبه [6] لمقصودها عاد لكونهم أقوى الناس أبدانا و أعتاهم رقابا و أشدهم قلوبا و أوسعهم ملكا و أعظمهم استكبارا بحيث [6] كانوا يقولون "من أشد منا قوة" و بنوا البنيان الذي يفنى الدهر و لايفنى، فلا يعمله إلا من نسي ١٥ الموت أو [7] رجا الخلود و اصطنعوا [8] جنة على وجه الأرض لأن ملكهم

(١) زيد من م و مد (٢) من مد، و في الأصل و ظ : على انواع، و في م: على نوازع (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : التي (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من مد، و في الأصل و ظ و م: الشبه (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : حيث (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م «و» (٨) في مد : اصطفوا .

عمها كلها مع قرب بلادهم لكونها فى بلاد العرب من قريش و معرفتهم بأخبارهم و رؤيتهم لديارهم و كون عذابهم نشأ[١] من بلدهم[٢] بدعاء من دعا منهم، ذكر أمرهم على وجه دل على مقصود السورة، و عبر بالأخوة تسلية لنبيه صلى الله عليه و سلم لأن فظيعة القوم لمن هو منهم و يعلمون

٥ مناقبه و مفاخره أنكأ فقال: ﴿اخا عاد[٤]﴾ و هو أخو[٣] هود عليه الصلاة و السلام الذى كان بين قوم[٤] لايعشرهم قومك فى قوة و لامكنة، و صدعهم[٥] مع ذلك بمر[٦] الحق و بادأهم بأمر الله، لم يخف عاقبتهم و نجيته منهم، فهو لك قدوة و فيه أسوة، و لقومك فى قصدهم إياك بالأذى من أمره موعظة.

١٠ و لما ذكره عليه الصلاة و السلام لمثل هذه المقاصد الجليلة، أبدل منه قصته[٧] زيادة فى البيان، فقال مبينا أن الإنذار[٨] هو المقصد الأعظم من الرسالة: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ انذر قومه ﴾ أى الذين لهم قوة[٩] زائدة على القيام فيما يحاولونه ﴿ بالاحقاف ﴾ قال الأصبهانى: قال ابن عباس[١٠]: واد بين عمان و مهرة، قال: و قال مقاتل: / كانت منازل /٧٩١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينشا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلادهم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قومهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: صدعنهم. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غير (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قصة (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها. (٩) فى الأصل بياض (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٣٧.

عاد باليمن فى حضرموت بموضع[1] يقال له مهرة، إليه ينسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد[2] سيارة فى الربيع، فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم[3]. و قال قتادة: كانوا مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر، و الأحقاف جمع حقف بالكسر، و هو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، و قال ابن زيد: هو ما استطال من الرمل ٥ كهيئة الجبل و لم يبلغ أن يكون جبلا، و قال فى القاموس: و هو الرمل العظيم المستدير، و أصل الرمل، و احقوقف الرمل و الظهر و الهلال: طال و اعوج. و من الأمر الجلى أن هذه الهيئة لا تكون فى بلاد الريح بها غالبة شديدة لأنه لو كان ذلك [4]نسف الجبل[4] نسفا بخلاف بلاد الجبال كمكة المشرفة، فان الريح تكون بها غاية فى الشدة لأنها إما أن تصك ١٠ الجبل فتنعكس راجعة بقوة شديدة، أو يكون هناك جبال فتراد بينها[5] أو تنضغط فتخرج مما تجد [6]من الفروج[6] على هيئة مزعجة[7] فينبغى أن يكون أهل الجبال أشد من ذلك حذرا[8].

و لما ذكر النذر و المنذرين و مكانهم لما ذكر من المقاصد، ذكر

---

(١) من م ومد والمعالم، وفى الأصل وظ: فى موضع (٢) من م ومد والمعالم، وفى الأصل وظ: عهد (٣) من م ومد والمعالم، وفى الأصل وظ: أدم (٤-٤) من مد، وفى الأصل: لسفته الريح، وفى ظ وم: نسفته الجبل (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: منها (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: فى العروج (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: متزعجة (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: حذارا.

أنهم أعرضوا عنه و لم يكن بدعا[1] من الرسل و لا كان قومه جاهلين بأحوالهم، فاستحقوا العذاب تحذيرا من مثل حالهم، فقال: ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ خلت ﴾ أى مرت و مضت و ماتت ﴿ النذر ﴾ أى الرسل الكثيرون الذين محط أمرهم الإنذار.

٥ و لما لم يكن إرسالهم بالفعل مستغرقا لجميع الأزمنة، أدخل الجار فقال: ﴿ من بين يديه ﴾ أى قبله كنوح و شيث و آدم عليهم الصلاة و السلام فما كان بدعا منهم ﴿ و من خلفه ﴾ أى الذين أتوا [من-[2]] بعده فما كنت أنت بدعا منهم. و لما أشار إلى كثرة الرسل، ذكر وحدتهم فى أصل الدعاء، فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهى:

١٠ ﴿ الا تعبدوآ ﴾ أى أيها العباد المنذرون، بوجه من الوجوه، شيئا من الأشياء ﴿ الا الله[4] ﴾ الملك الذى لاملك غيره و لا خالق سواه ولا منعم إلا هو، فانى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شىء من تدبيركم، و الملك لايقر على مثل هذا.

و لما أمرهم و نهاهم، علل ذلك فقال[3] محذرا لهم من العذاب مؤكدا

١٥ لما لهم من الإنكار لاعتمادهم على قوة أبدانهم و عظيم شأنهم: ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ لكونكم قومى و أعز الناس على ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ لايدع جهة إلا ملأها عذابه، إن أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك.

(١) زيد فى الأصل و ظ: اعرضوا عنه، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: منها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و لما تشوف السامع إلى[1] جوابهم عن[2] هذه الحكمة، أجيب بقوله تعالى: ﴿قالوآ﴾ أى منكرين عليه: ﴿اجئتنا﴾ أي ياهود ﴿لتافكنا﴾ أى تصرفنا عن وجه أمرنا إلى قفاه ﴿عن الهتنا ج﴾ فلا نعبدها و لا نعتد بها. و لما كان معنى الإنكار النفى، فكان المعنى: إنا لانتصرف[3] عنها، سببوا عنه قولهم: ﴿فاتنا[4] بما تعدنآ﴾ [5]سموا الوعيـــد وعدا[6] / استهزاء ٥ به. و لما كان ذلك معناه تكذيبه، زادوه وضوحا بقولهم معبرين بأداة الشك إشارة إلى أن صدقه فى ذلك من فرض المحال: ﴿ان كنت﴾ أى كما يقال عنك، كونا ثابتا ﴿من الصدقين ه﴾[7] فى أنك رسول من الله و أنه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب إن أصررنا.

/ ٧٩٢

١٠ و لما تضمن قولهم هذا نسبة داعيهم عليه الصلاة و السلام إلى ما لا دلالة لكلامه عليه بوجه، و هو ادعاء[8] العلم بعذابهم و القدرة عليه و تكذيبه فى كل منهما اللازم منه [أمنهم اللازم منه -[9]] ادعاؤهم العلم بأنهم لايعذبون، و كانوا كاذبين فى جميع ذلك [كان -[9]] كأنه قيل:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا نتصرف (٤) زيد فى الأصل: امر من الايتاء اى فاتنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما - كذا (٩) زيد من م و مد.

بم أجابهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مصدقا لهم فى سلب[1] علمه بذلك و قدرته عليه ، مكذبا لهم فى نسبتهم إليه ادعاء شىء منهما و إلى أنفسهم بأنه لايقع : ﴿ انما العلم ﴾ أى[2] المحيط بكل شىء عذابكم و غيره ﴿ عند الله ز ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ينزل علم ما توعدون على[3] من يشاء إن شاء[4] و لاعلم لى الآن و لا لكم بشىء من ذلك و لاقدرة[5] .

و لما كان العلم المحيط يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فليست القدرة على الإتيان بعذابكم إلا له سبحانه و تعالى لا لى و لا لغيرى ، و ليس علىّ إلا البلاغ [6]كما أوحى إلىّ ربى بقوله سبحانه " ان عليك الا البلاغ[6] " و قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم من الوعظ بأن أعمالكم أعمال من قد [6]أعرض عن سيده[6] و عرض نفسه [7]للهلاك و العذاب[7] باشراكه بالمحسن المطلق من لايكافئه بوجه فهو[8] بحيث يخشى عليه الأخذ ، عطف عليه قوله : ﴿ و ابلغكم ﴾ أى أيضا فى الحال و الاستقبال ﴿ مآ ارسلت ﴾ أى ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره ، فانه يقدر على نصر رسوله[9] ﴿ به ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سلبه (٢) زيد فى الأصل و ظ : العلم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاه (٥) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) فى م : الهلاك و العذاب ، و فى مد : للعذاب (٨) سقط من مد (٩) زيد فى الأصل : و ان فى الحقيقة رسوله منصور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أى من التوحيد و غيره، سواء كان وعدا أو وعيدا أو غيرهما لو لم يذكر الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم و لغيرهم .

و لما كان معنى الإخبار بالإبلاغ أنه ليس علىّ إلا ذلك، و كان معنى قصر العلم المطلق على الله تصديقهم فى نفى علمه عليه الصلاة و السلام بذلك، حسن قوله مستدركا[1] عليه بجهلهم: ﴿ و لٰكنّىٓ ارٰىكم ﴾ ٥ أى أعلمكم علما هو كالرؤية[2] ﴿ قوما ﴾ غلاظا شدادا عاسين ﴿ تجهلون ه ﴾ أى [بكم -[3]] مع ذلك صفة الجهل، و هو الغلظة فى غير موضعها مع قلة العلم. تجددون ذلك على سبيل [الاستمرار بسبب -[3]] أنكم تفعلون باشراككم بالمحسن المطلق و [هو - [3]] الملك الأعظم من لا أحسان [4]له بوجه[4] أفعال من يستحق العذاب ثم لاتجوزون[5] وقوعه و تكذبون ١٠ من ينبهكم[6] على أن ذلك أمر يحق أن يحترز منه، و تنسبونه إلى غير ما أرسل له[7] من الإنذار من ادعاء القدرة على العذاب و نحوه .

و لما تسبب[8] عن قولهم هذا إتيان العذاب [فأتاهم -[3]] فى سحاب أسود[9]، [10]استمروا على جهلهم[10] و عادتهم فى الأمن و عدم تجويز

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مستركا (٢) زيد فى الأصل: انكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا له و منه بوجه و افعالكم - كذا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لاتجرون (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ينهيكم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اليه (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سبب (٩) زيدت الواو فى الاصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

/٧٩٣ الانتقام، وكأن إتيانه كان قريبا من / استعجالهم به، فلذلك أتى بالفاء في قوله مسببا [1]عن تكذيبهم[1] مبينا لعظيم جهلهم بجهلهم في المحسوسات، مفصلا لما كان من حالهم عند رؤية البأس: ﴿فلما راوه﴾ أي العذاب الذي يعدهم به ﴿عارضا﴾ أي سحابا أسود بارزا في الأفق ظاهر الأمر
٥ عند من له أهلية النظر، حال [2]كونه قاصدا [إليهم -[2]] ﴿مستقبل اوديتهم [3]﴾ أي طالبا لأن يكون مقابلا لها و موجدا لذلك، و هو وصف لعارضا[3] فهو نكرة إضافته[4] لفظية و إن كان مضافا[5] إلى معرفة، و كذا "ممطرنا" ﴿قالوا﴾ على عادة جهلهم مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم في غاية[6] الجهل، لأن جهلهم بـــه استمر حتى كاد أن يواقعهم[7]:
١٠ ﴿هذا عارض﴾ أي سحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها ﴿ممطرنا ﴾ لكونهم[8] رأوه أسود مرتادا فظنوه ممتلئا ماء يغاثون[9] به بعد طول القحط و إرسال رسلهم إلى مكة المشرفة ليدعوا لهم هنالك ابة الذى استخفوا به بالقدح في ملكه بأن أشركوا به من هو دونهم، علما منهم بأن شركاءهم لا تغني عنهم في الإمطار شيئا، غافلين عن ذنوبهم الموجبة
١٥ لعذابهم، فلذلك قال الله تعالى مضربا[10] عن كلامهم، و الظاهر أنه حكاية

(١-١) من م و مد، و في الأصل و ظ : عنهم (٢) زيد من م و مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ و م : لعارض (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : اضافة (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : مضافه (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : عنايه (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م : يوافقهم (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : لانهم (٩) من مد، و في الأصل و ظ و م : يعانون (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ : مضربهم.

لقول هود عليه الصلاة و السلام فى جواب كلامهم: ﴿ بل هو ﴾ أى هذا العارض الذى ترونه ﴿ ما استعجلتم به ﴾ أى طلبتم العجلة فى إتيانه إليكم من العذاب .

و لما اشتد تشوف السامع [1]إلى معرفته[1] قال[2]: ﴿ ريح ﴾ أى ركبت هذا السحاب الذى رأيتموه ﴿ فيها عذاب أليم ﴾ أى شديد الإيلام، ٥ كانت تحمل الظعينة فى الجو تحملها و هودجها حتى ترى كأنها جرادة، و كانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس و المواشى تطير بهم الريح بين السماء و الأرض ثم تقذف بهم ﴿ تدمر ﴾ أى تهلك إهلاكا عظيما شديدا سريعا تأتى بغتة على طريق الهجوم ﴿ كل شىء ﴾ أى [أتت عليه -[3]] ، هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه الصلاة و السلام ١٠ و من آمن به رضى الله عنهم فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها فى [4]إهلاك كل ما[4] مرت عليه أمر خارق للعادة[5]، و الجملتان يحتمل أن [6]تكونا وصفا لريح[6] و يحتمل و هو أعذب و أهز للنفس و أعجب أن تكونا[7] استئنافا . و لما كان ربما ظن ظان[8] أنها مؤثرة بنفسها قال :

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمعرفته (٢) زيد فى الأصل : به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هلاك من (٥) زيد فى الأصل و ظ : كذلك ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكون وصف الريح (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكون . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظانا .

﴿ بأمر ربها ﴾ أى المبدع لها و المربى و المحسن بالانتقام بها من أعدائه .

و لما ذكرها[1] بهذا الذكر الهائل ، و كان التقدير : جاءتهم فدمرتهم لم[2] تترك منهم أحدا ، سبب عن ذلك زيادة فى التهويل قوله : ﴿ فاصبحوا ﴾

٥ و لما اشتد إصغاء السامع إلى كيفية إصباحهم ، قال / مترجما لهلاكهم : /٧٩٤ ﴿ لا ترىٰ[3] ﴾ أى أيها الرائى ، فلما عظمت روعة القلب و هول[4] النفس قال تعالى : ﴿ الا مسٰكنهم[5] ﴾ أى جزاء على إجرامهم ، فانطبقت العبارة على المعنى ، و علم أن المراد بالإصباح مطلق الكون ، و لكنه عبر به لأن المصيبة فيه أعظم ، و علم أنه لم يبق من المكذبين ديار و لانافخ

١٠ نار ، و هذا كناية عن عموم الهلاك[4] لهم سواء كان الرمل دفنهم[6] أو على وجه الأرض مرتبين كما فى الآية الأخرى " فترى القوم فيها صرعى كأنه اعجاز نخل خاوية " و روى أن هودا عليه الصلاة و السلام لما أحس بالريح اعتزل بمن آمن معه فى حظيرة فأمالت الريح على الكفرة الأحقاف التى كانت مجتمعهم إذا تحدثوا و محل بسطهم إذا لعبوا ، فكانوا

١٥ تحتها سبع ليال و ثمانية ايام ، ثم كشفت عنهم فاحتملتهم فقذفتهم فى البحر ، كذا[7] أهلكت مواشيهم و كل شيء لهم فيه روح و لم يصب هودا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ذكرما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلم (٣) راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٦/٥٥٦ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٥) زيد فى الأصل : و العذاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : وقتهم (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لذا .

عليه

عليه الصلاة و السلام و من معه رضى الله عنهم [منها -[1]] إلا ما لين أبشارهم و نعش[2] أرواحهم ، و الآية[3] على هذا على حقيقتها فى أنه لم يصبح الصباح و منهم أحد يرى .

و لما طارت لهذا الهول الأفئدة و اندهشت الألباب ، قال تعالى منبها على زبدة المراد بطريق الاستئناف : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء ٥ الهائل[4] فى أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك[5] ﴿ نجزى ﴾ بعظمتنا دائما إذا شئنا ﴿ القوم ﴾ و إن كانوا أقوى ما يكون ﴿ المجرمين ﴾ أى العريقين فى الإجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل فيصلون[6] ما حقه القطع ، و ذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع ، فاحذروا أيها العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا . ١٠

و لما كان [هذا -[1]] محلا يتوقع فيه الإخبار عن حال[7] مكنتهم ليعلم هل تركوا الدفع لمانع فيهم أو لأن ما اتاهم بحيث لا يمكن لأحد دفاعه ، قال ذاكرا حرف التوقع مخوفا للعرب مقسما لأن قريشا قد قال قائلهم : إنهم يدفعون العذاب بدفع الزبانية ، و نحوها : ﴿ و لقد ﴾ أى فعل بهم ذلك و الحال أنا و عزتنا قد ﴿ مكنهم ﴾ تمكينا تظهر به عظمتنا ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعش (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علايه - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الهايلة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الهلاك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : و يصلون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حالهم .

﴿ فيمآ ان ﴾ أى الذى ما ﴿ مكنّٰكم فيه ﴾ من قوة الأبدان و كثرة الأموال و غيرها ، و جعل النافى « ان » لأنها أبلغ من « ما » لأن « ما » تنفى تمام الفوت لتركبها من الميم و الألف التى حقيقة إدراكها فوت تمام الإدراك و « ان » تنفى[1] أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه
٥ من تمامه لأن الهمزة[2] أول مظهر لفوت الألف و النون لمطلق الإظهار - هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ و صونه عن ثقل التكرار إلى غير ذلك من بدائع[3] الأسرار .

و لما كانت قريش تفتخر بعقولها[4] فربما ظنت أنها فى العقل و مقدماته من الحواس أمكن منهم /، و أنهم ما أتى عليهم إلا من ٧٩٥ /
١٠ عدم فهمهم ، قال تعالى : ﴿ و جعلنا ﴾ أى جعلا يليق بما [5]زدناهم عليكم[5] من المكنة على ما اقتضته عظمتنا ﴿ لهم[6] سمعا ﴾ بدأ به لأن المقام للانذار المنبه بحاسة السمع على ما فى الآيات المرئيات من[7] المواعظ ، فهو أنفع لأنه أوضح ، و وحده لقلة التفاوت فيه ﴿ و ابصارا ﴾ أى منبهة[8] على ما فى الآيات المرئيات من مطابقة واقعها لأخبار السمع ،

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انتفى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الميزة (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : بديع (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقولها (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زدناكم عليهم (٦) وقع فى الأصل و ظ و م بعد « جعلنا » و الترتيب من مد ، و وقع فى الأصل و ظ : لكم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منبه .

و جمع لكثرة التفاوت فى أنوار الأبصار ، و كذا فى قوله : ﴿و افئدة ﺫ ﻤﻠﯽ﴾ أى قلوبا ليعرفوا بها الحق فيتبعوه و الباطل فيجتنبوه و يشكروا من وهبها لهم ، و ختم بها لأنها الغاية التى ليس[1] بعد الإدراك منتهى و لا وراءها[2] مرمى ، و عبر بما هو من التفود[3] و هو التجرد إشارة إلى أنها فى غاية الذكاء ﴿فمآ اغنى عنهم﴾ [4]فى حال إرسالنا إليهم الرحمة على لسان نبيا[5] ٥ هود عليه الصلاة و السلام ثم النقمة بيد الريح ﴿سمعهم﴾ و أكد النفى[6] بتكرير النافى فقال : ﴿و لا ابصارهم﴾ و كذا فى قوله : ﴿و لآ افئدتهم﴾ أى لما أردنا إهلاكهم ، و أكد باثبات الجار فقال : ﴿من شىء﴾ [أى -[7]] من الإغناء ، إن قلّ [لا -[8]] فى دفع العذاب ، و لا فى معرفة الصواب ، بل صرفوا ما وهبنا لهم من القوى فيما[9] ١٠ لا ينبغى تعليق الهمم به من أمور الدنيا حتى فاقوا فى ذلك الأمم و عملوا أعمال من تخلد كما قيل :

و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لما ذكر نفى الإغناء ، ذكر ظرفه على وجه يفهم التعليل ، فانه إذا ذكر الانتقام فى وقت فعل الشىء علم أن علته فعل ذلك الشىء فقال : ١٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليست (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ادراها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : التعود (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : بالنفى (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما .

﴿ اذ كانوا ﴾ أى[1] [2] طبعا لهم و خلقا[2] ﴿ يجحدون[3] ﴾ اى يكررون[3] على مر الزمان الجحد ﴿ بٰايٰت الله ﴾ أى الإنكار لما يعرف من دلائل الملك الأعظم ﴿ و حاق ﴾ أى أحاط على جهة الإحراق و العظم بأمور لايدرى وجه المخلص منها ﴿ بهم ما ﴾ أى عقاب الذى ﴿ كانوا ﴾ على

٥ جهة الدوام لكونه خلقا لهم ﴿ به يستهزءون ﴾ أى يوجدونه[4] على سبيل الاستمرار إيجاد من هو طالب له عاشق فيه .

و لما تم المراد من الإخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع أمرهم، أتبعهم من كان مشاركا لهم فى التكذيب فشاركهم فى الهلاك ، فقال مكررا لتخويفهم دالا[5] على إحاطة قدرته

١٠ باحاطة عليه : ﴿ و لقد اهلكنا ﴾ بما لنا من العظمة [6]و القدرة المحيطتين الماضيتين بكل ما نريد[6] ﴿ ما حولكم ﴾ أى يا أهل مكة ﴿ من القرىٰ ﴾ كأهل الحجر و سبا و مدين و الأيكة و قوم لوط و فرعون و أصحاب الرس [7]و ثمود[7] و غيرهم ممن[8] فيهم معتبر[9]. و لما كان الموعوظ به الإهلاك[10] ذكر مقدما ، فتشوف السامع إلى السؤال عن حالهم فى الآيات ، فقال

---

(١) زيد فى الأصل : اى الطائفة التى ذكرناهم و ذكرنا ما حصل لهم لأن هذا كان . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢ - ٢) فى ظ و م و مد : خلقا و طبعا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكثرون (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يوجدون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : بمن (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : معبرا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك .

عاطفا

عاطفا بالواو [التي - ١] لايمنع معطوفها التقدم على ما عطف عليه :

﴿و صرفنا الأيٰت﴾ أي حولنا الحجج البينات وكررناها موصلة[2] / مفصلة / ٧٩٦

مزينة[3] محسنة على وجوه شتى من الدلالات، خالصة عن كل[4] شبهة .

و لما كان تصريف الآيات لايخص أحدا بعينه، بل هو لكل من

رآه أو سمع به، لم يقيدها بهم[5] و ذكر العلة الشاملة[6] لغيرهم فقال: ﴿لعلهم﴾ ٥

أي الكفار ﴿يرجعون ۝﴾ أي ليكونوا عند من يعرف حالهم في رؤية

الآيات حال من يرجع عن الغي الذي كان يركبه[7] لتقليد أو شبهة كشفته

الآيات و فضحته[8] الدلالات فلم يرجعوا، فكان عدم رجوعهم سبب

[9]أهلاكنا لهم[9] .

و لما كانوا قد جعلوا محط حالهم في الشركاء أنهم سبب التواصل[10] ١٠

بينهم و التفاوت، و ادعوا أنهم يشفعون فيهم فيقربونهم إلى الله زلفى

و يمنعونهم من العذاب[11] في الآخرة، و كان أدنى الأمور التسوية بينه

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ وم و لم تكن في مد حذفناها (٣) زيدت الواو في الأصل و ظ، و لم تكن في م و مد فحذفناها .
(٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد . و في الأصل : بها .
(٦) زيد في الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يرتكبه (٨) من ظ و مد ، و في الأصل و م : فضحتها (٩-٩) من م و مد ، و في الاصل و ظ : اهلاكهم (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : التوصل (١١) زيد في الأصل : و شاهده قولهم ليقربونا الى الله زلفى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

و بين عذاب الدنيا ، سبب عن أخباره عن إهلاك الأمم الماضية[١] قوله مقدما العلة التي جعلها محط نظرهم منكرا عليهم موبخا لهم : ﴿ فلولا ﴾ أي فهل لاو لم لا ﴿ نصرهم ﴾ أي هؤلاء المهلكين ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أي اجتهدوا في صرف أنفسهم عن دواعي العقل و الفطر الأولى حتى
٥ أخذوا ، و أشار إلى قلة عقولهم ببيان سفولهم فقال : ﴿ من دون الله ﴾ اى الملك الذى هو أعظم من كل عظيم ﴿ قربانا ﴾ [أي - [٢]] لأجل القربة و التقريب العظيم يتقربون إليها و يزعمون أنها تقربهم إلى الله ﴿ الهة ط ﴾ أشركوهم مع الملك الأعظم لأجل ذلك - [٣]قاتلهم الله و أخزاهم[٣] .

و لما كان التخصيص يفهم أنهم ما نصروهم ، أضرب عنه فقال :
١٠ ﴿ بل ضلوا ﴾ أي غابوا [٣]و عموا عن الطريق الأقوم و بعدوا[٣] ﴿ عنهم ج ﴾ وقت ركوك[٤] النقمة و قروع المثلة حسا و معنى . و لما كان التقدير : فذلك الاتخاذ الذى أدتهم[٥] إليه عقولهم السافل جدا البعيد من الصواب كان الموصل إلى مآلهم هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الضلال البعيد من السداد الذى تحصل من هذه القصة من إخلاف ما كانوا
١٥ يقولون : إن أوثانهم آلهة ، و أنها تضر و تنفع و تقربهم إلى الله و تشفع لهم عنده ﴿ افكهم ﴾ أي صرفهم الأمور عن وجهها إلى أقفائها ، و يجوز أن تكون الإشارة إلى العذاب ، أي و هذا[٦] العذاب

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : نزول (٥) من م و مد ، و في الأصل وظ : ادت (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ذلك .

[1]جزاؤهم فى مقابلة[1] إفكهم ﴿ و ما كانوا ﴾ أى على وجه الدوام لكونه[2] فى طباعهم ﴿يفترون ه﴾ أى يتعمدون كذبه لأن[3] إصرارهم عليه بعد مجيء الآيات لا يكون إلا [4]لذلك لأن من نظر[4] فيها مجردا نفسه عن الهوى اهتدى .

و لما كان ما ذكر من البعد من الإيمان مع تصريف العظات ٥ و العبر و الآيات يكاد أن يؤنس السامع من إيمان هؤلاء المدعوين[5]، قربه دلالة على عزته و حكمته بالتذكير بالإيمان [6]من م[6] أعلى منهم عتوا و أشد نفرة و أبعد إجابة و أخفى شخصا ، فقال جوابا عما وقع له صلى الله عليه و سلم فى عرض نفسه الشريفة [على -[7]] القبائل و إبعادهم عنه لاسيما أهل الطائف ، دالا على تمام / القدرة بشارة للنزل [عليه -[7]] ١٠ /٧٩٧ صلى الله عليه و سلم و توبيخا لمن تأخر عن إجابته من قومه عاطفا على ما تقديره: اذكر هذه الأخبار: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر حين ﴿ صرفنآ اليك ﴾ أى وجهنا توجيها خالصا حسنا متقنا فيه ميل إليك و إقبال[8] عليك، و إعراض عن غيرك ، بوادى نخلة عند انصرافك من الطائف حين عرضت نفسك الشريفة عليهم بعد موت النصيرين[9] فردوك ١٥

(١-١) فى ظ و م و مد: جزاء (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : لكونهم.
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك لامن يظن (٥) من مد ، و فى الاصل و ظ و م : المدعين (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل وظ و م: منهم (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقبالا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : النصوير .

ردا تكاد تنشق منه المرائر، و تسل من تذكاره النواظر.

و لما كان استعطاف من جبل على النفرة و إظهار من بنى على الاجتنان أعظم فى النعمة، عبر بما يدل على ذلك فقال: ﴿نفرا﴾ و هو اسم يطلق على ما دون العشرة، و هو المراد هنا، و يطلق على الناس ٥ كلهم، و حسن [١]التعبير به[١] أن هؤلاء لما خصوا بشرف السبق و حسن المتابعة كانوا كأنهم هم النفر لا غيرهم ﴿من الجن﴾ من أهل نصيبين من الناحية التى منها عداس الذى جبرناك[٢] به فى[٣] الطائف بما شهد به لسيديه[٤] عتبة و شيبة ابنى ربيعة أنك خير أهل الارض مع أنه[٥] ليس لهؤلاء النفر من جبلاتهم إلا النفرة و الاجتنان و هو الاختفاء و الستر ١٠ لجعلناهم[٦] ألفين لك ظاهرين عندك لتبلغهم ما أرسلناك[٧] به فانا أرسلناك إلى جميع الخلائق، و هذا جبر لك و بشارة بإيمان النافرين[٨] من الانس كما أيدناك منهم بعد نفرة[٩] أهل الطائف بعداس، ثم وصفهم بقوله: ﴿يستمعون القرءان﴾ أي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير، الفارق [١٠]بين كل[١٠] ملبس و أنت فى صلاة الفجر فى نخلة تصلى بأصحابك، و دل

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالنصرية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اخبرناك (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسديه - كذا (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ان (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يجعلنا (٧) زيد فى الأصل و ظ: اليهم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السافرين (٩) من مد و م، و فى الأصل و ظ: نضرة. (١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لكل.

على

على قرب زمن[١] الصرف من زمن الحضور بتعبيره[٢] سبحانه بالفاء فى قوله تعالى مفصلا حالهم: ﴿ فلما حضروه ﴾ أى صاروا بحيث يسمعونه ﴿ قالوآ ﴾ أى قال بعضهم[٣] و رضى الآخرون[٤]: ﴿ انصتوا ج ﴾ أى [اسكتوا و - [٥]] ميلوا بكلياتكم و استمعوا[٦] حفظا للادب على بساط الخدمة، و فيه تأدب مع العلم[٧] فى تعلمه و [٨]أيضا مع معلمه[٨]، قال القشيرى: فأهل ٥ الحضور صفتهم الذبول و السكون و الهيبة و الوقار، و الثوران و الانزعاج يدل على غيبة أو قلة تيقظ[٩] و نقصان من الاطلاع، و دل على أن ما [١٠]استمعوه كان[١٠] يسيرا و زمنه[١١] قصيرا، و على تفصيل حالهم بعد انقضائه بالفاء فى قوله تعالى: ﴿فلما﴾ أى فأنصتوا[١٢] لحين ﴿قضى﴾ أى[١٣] حصل الفراغ من قراءته الدالة على عظمته من أىّ قارئ كان ﴿ولوا﴾ أى أوقعوا ١٠

(١) زيد فى الأصل و ظ: الفضل، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٢) من مد، وفى الأصل وظ: بتيسره، وفى م: فتيسره (٣) زيد فى الأصل: لبعض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: آخرون (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسمعوا اى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العلم (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنعظ. (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سمعو. (١١) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانصتوا (١٣) زيد فى الأصل و ظ: حين، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

التولية - أى القرب - بتوجيه الوجوه و الهمم و العزائم ﴿الى قومهم﴾ الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه، و دل على حسن تقبلهم لما[1] سمعوه و رسوخهم فى اعتقاده بقوله تعالى: ﴿منذرين﴾ أى مخوفين لهم و محذرين عواقب الضلال بأمر من رسول / الله صلى الله عليه و سلم، قال [ابن -[2]]
798 /
٥ عباس رضى الله عنهما: جعلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم رسلا إلى قومهم.

و لما كان كأنه قيل: ما قالوا لهم فى إنذارهم[3]؟ قيل: ﴿قالوا﴾ اى [4]لقومهم حين أقبلوا عليهم[4]: ﴿يٰقومنآ﴾ [5]مترفقين لهم[6] و مشفقين بهم[6] بذكر ما يدل على أنهم منهم يهمهم ما يهمهم[7] و يكربهم ما يكربهم
١٠ كما قيل:

و إن أخاك الحق من كان معك   و من يضر نفسه لينفعك[7].

و لما كانوا - بنزول ما فى أسفار الأنبياء من بنى إسرائيل و الزبور و الإنجيل خالية من الأحكام و الحدود إلا يسيرا من ذلك فى الإنجيل - قاطعين أو كالقاطعين بأنه لا ينزل كتاب يناظر التوراة فى الأحكام و الحدود

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) بهامش الأصل: و رفيق هذا البيت: و من اذا ريب زمان صدعك شق شمل نفسه ليجمعك.

و غيرها، فكان قومهم ربما توقفوا فى الإخبار بإنزال ما هو اشرف من ذلك. أكدوا قولهم: ﴿ انا سمعنا ﴾ أى بيننا و بين القارئ واسطة، و أشاروا إلى أنه لم ينزل بعد التوراة شيء جامع لجميع ما يراد منه، مغن[1] عن جميع الكتب غير هذا، و بذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع فقالوا [2]على سبيل التبيين لما سمعوا[2]: ﴿ كتٰبا ﴾ أى ذكرا جامعا، لا كما ٥ نزل بعد التوراة على بنى إسرايل[3] ﴿ انزل ﴾ أى ممن لا منزل [3]فى الحقيقة[3] غيره، و هو مالك الملك و ملك الملوك لأن عليه من رونق الكتب[4] الإلهية ما يوجب القطع لسامعه بأنه منها فكيف إذا انضم إلى ذلك الإعجاز، و علموا قطعا بعربيته أنه عربى و بأنهم كانوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها و يسمعون قراءة الناس لما يحدثونه من الحكم و الخطب ١٠ و الكهانة و الرسائل و الأشعار، و بأنه[5] مباين لجميع ذلك أنه قريب العهد بالنزول من محل العظمة، فقالوا مثبتين للجار: ﴿ من بعد موسى ﴾ عليه الصلاة و السلام، فلم[6] يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب و بين التوراة من الإنجيل و ما قبله، لأنه لايساوى التوراة فى الجمع، و لايعشر[7] هذا الكتاب فى الأحكام و الحكم و اللطائف و المواعظ [مع -[8]] ما زاد ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مغنى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: بن. و م تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكتاب (٥) فى م مد: انه. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و لم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لايقصر (٨) زيد من م و مد.

به من الإعجاز و غيره .

و لما أخبروا بأنه منزل، أتبعوه ما يشهد له بالصحة فقالوا: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ أي من جميع كتب بني إسراءيل الإنجيل و ما قبله؛ ثم بينوا تصديقه بقولهم: ﴿يهدئ الى الحق﴾ أي الأمر الثابت الذي ٥ يطابقه الواقع فلا يقدر أحد على إزالة شيء مما يخبر به، الكامل في جميع ذلك ﴿و الى طريق﴾ موصل إلى المقصود [1]الأعظم و هو الإيمان بمنزله[1] ﴿مستقيم﴾ فهو يوصل بغاية ما يمكن من السرعة، لايمكن أن يكون فيه عوج، فيقدر السالك فيه[2] على[3] أن يختصر طريقا يكون وترا لما تقوس منه.

١٠ و لما أخبروهم بالكتاب و بينوا أنه من عند الله و أنه اقرب موصل إليه، فكان قومهم جديرين بأن يقولوا: فما الذي ينبغي أن نفعل؟ أجابوهم[4] بقوله: ﴿يٰقومنآ﴾ الذين لهم قوة العلم والعمل ﴿اجيبوا / داعي الله﴾ / ٧٩٩ أي الملك الأعظم المحيط بصفات الجلال و الجمال و الكمال، فان دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق، فالإجابة واجبة على كل من ١٥ بلغه أمره.

و لما كان المجيب قد يجيب في شيء دون شيء كما كان أبو طالب عم النبي صلى الله عليه و سلم، [1]عطفوا في خطابهم لهم في الدعوة أن[1] قالوا: ﴿و آمنوا به﴾ أي أوقعوا التصديق بسبب الداعي لابسبب آخر، فان

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد.
(٣) سقط من مد (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: اجابهم.

المفعول

المفعول معه مفعول مع [1]من أرسله و هو[1] الله [1]الذى جلت قدرته[1] وآمنوه من كل تكذيب، أو[2] الضمير للمضاف إليه [و هو الله - [3]] بدليل قولهم[4]: ﴿يغفر لكم﴾: [1]فانه يستر و يسامح[1] ﴿من ذنوبكم﴾ أى الشرك و ما شابهه مما هو حق لله تعالى [1]أى و ذلك الستر لا يكون إلا إذا حصل منكم الإجابة التامة و التصديق التام[1] و أدخلوا ["من" - [5]] إعلاما ٥ بأن مظالم العباد لاتغفر إلا بارضاء[6] أهلها و كذا ما يجازى به صاحبه فى الدنيا بالعقوبات و النكبات و الهموم و نحوها مما أشار إليه قوله تعالى " و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير" ﴿و يجركم﴾ أى يمنعكم [1]اذا أجبتم[1] منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إلى داعيه صرتم من حزبه ﴿من عذاب اليم﴾ و اقتصارهم على المغفرة تذكير ١٠ [7]بذنوبهم لأن[7] مقصودهم الإنذار لاينافى صريح قوله[8] فى هذه [السورة - [9]] "و لكل درجت مما عملوا" فى إثبات الثواب، و نقله أبو حيان[10] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لهم ثواب و عليهم عقاب يلتقون فى الجنة و يزدحمون على أبوابها.

و لما فرغوا من التعريف بالحق و الدلالة عليه و الدعاء إليه و الإنذار ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و م و مد: قوله. (٥) زيد من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: برضاء - كذا (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذنوبهم الآن - كذا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قولهم (٩) زيد من م و مد (١٠) فى البحر المحيط.

بالرفق بما أفهم كلامهم من أنهم إن لم يجيبوا انتقم منهم بالعذاب [الأليم -[١]]، أتبعوه ما هو أغلظ إنذارا منه فقالوا: ﴿ و من لايجب ﴾ أي لايتجدد منه أن يجيب ﴿ داعى الله ﴾ أى الملك [٢]الأعظم المحيط بكل شيء[٢] الذى لا كفوء له[٣] و لا طاقة [لأحد -[٤]] بسخطه فعم[٥]
٥ بدعوة هذا الرسول صلى الله عليه و سلم جميع الخلق.

و لما دل الكتاب و السنة كما قدمته فى سورتى[٦] الانعام و الفرقان على عموم الرسالة، و كان التارك لإجابة من عمت رسالته عاصيا مستحقا للعذاب، عبر عن عذابه بما دل على تحتمه فقال تعالى: ﴿ فليس بمعجز ﴾ أى لما يقضى به عليه ﴿ فى الارض ﴾ فانه [٧]أية سلك[٧] فيها فهو[٨] فى
١٠ ملكه و ملكه و قدرته محيطة به ﴿ و ليس له من دونه[٩] ﴾ أى الله الذى لا يجير [١٠]الا هو[١٠] ﴿ اوليآء ﴾ يفعلون لأجله ما[١١] يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه و الاستشفاع له[١١] و الافتداء و المناصبة لأجله.

و لما انتفى عنه الخلاص من كل وجه، و كان ذلك لايختلف سواء كان العاصى واحدا أو أكثر[١٢]، أنتج قوله سبحانه و تعالى معبرا بالجمع

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأحد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ و م: الذى أحاط بكل شيء (٦) سقط من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أنه ملك (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فانه (٩) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما (١١) بين م، و فى الاصل و ظ: عنه (١٢) فى م: كثيرا.

لأنه أدل على القدرة و دلالة على أن العصاة كثيرة[1] لملاءمة المعاصى ٨٠٠ /
لأكثر الطبائع: ﴿اولـئك﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿فى ضلل مبين﴾
أى ظاهر فى نفسه أنه ضلال، مظهر لكل أحد قبح إحاطتهم به[2]، قال
القشيرى: و يقال: الإجابة على ضربين: إجابة الله، و إجابة الداعى، فاجابة
الداعى بشهود الواسطة و هو الرسول صلى الله عليه و سلم، و إجابة الله ٥
بالجهر إذا [3]بلغت المدعو[3] رسالته صلى الله عليه و سلم على لسان السفير،
و بالسر إذا حصلت التعريفات من الواردات على القلب، فستجيب بنفسه،
و مستجيب بقلبه، و مستجيب بروحه، و مستجيب بسره، و من توقف
عن دعاء الداعى إياه هجر فيما كان يخاطب به.

و لما أتم سبحانه و تعالى ما اقتضاه مقصود هذه السورة من أصول ١٠
الدين و فروعه و التحذير من سطواته بذكر بعض مثلاته، و ختم بضلال
من لم يجب الداعى، نبه على أن أوضح الأدلة على إحاطته بالجلال و الجمال
و قدرته على الأجل المسمى الذى خلق الخلق لأجله ما جلى به مطلع
السورة من إبداع الخافقين و ما فيهما[4] من الآيات الظاهرة[5] للأذن
و العين، فقال مبكتا لهم على ضلالهم عن إجابة الداعى و منكرا عليهم ١٥
و موبخا لهم[6] مرشدا بالعطف على[7] غير مذكور إلى أن التقدير: ألم ير[8]

(١) فى م و مد: كثير (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بهم (٣-٣) فى ظ و م و مد: بلغته (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنهما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الظاهر (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الم يرو - كذا.

هؤلاء الضلال[1] ما نصبنا فى هذه السورة من أعلام الدلائل. و واضح[2] الرسائل فى المقاصد و الوسائل، عاطفا عليه قوله تعالى ردا لمقطع السورة بتقرير المعاد على[3] مطلعها المقرر للبدء بخلق الكونين [بالحق : ﴿ اولم يروا ﴾ أى يعلموا علما هو فى الوضوح كالرؤية - [4]] ﴿ [5]ان الله[5] ﴾ و[6] دل [7]على هذا الاسم[7] الأعظم بقوله : ﴿ الذى خلق السمٰوٰت ﴾ عـلى ما احتوت عليه مما يعجز [الوصف - [8]] من العبر ﴿ و الارض ﴾ على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان[9] و الخبر[10] ﴿ و لم يعى ﴾ أى يعجز، يقال : عيي بالأمر - إذا لم يهتد[11] لوجه مراده أو عجز عنه و لم يطق إحكامه[12]، قال الزجاج : يقال : عيت بالأمر - إذا لم تعرف وجهه، و أعييت : تعبت[13]، و[14] فى القاموس : و أعيي بالأمر : كل[15] ﴿ بخلقهن ﴾ أى بسببه[16] فانه لو حصل له شيء من ذلك لادى إلى نقصان فيهما أو فى

---

(١) زيد فى الأصل وظ : الى غير مذكور، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .
(٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : اوضح (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الى .
(٤) زيد من ظ وم ومد (٥-٥) وقع فى الأصل بعد «الأعظم بقوله» والترتيب من ظ وم (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : ما (٧-٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : عليه بالاسم (٨) زيد من م ومد (٩) زيد فى الأصل : و ما فيها من البركة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الخير (١١) فى الأصل : لم يهتدى (١٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (١٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : تعبا .
(١٤) زيدت فى الأصل و ظ : قال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.
(١٥) فى م : الى شيء (١٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بسبب .

إحداهما

إحداهما، و أكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز "ان" فقال تعالى: ﴿ بقدر ﴾ أي قدرة عظيمة[1] تامة بليغة[1] ﴿ على ان يحيء ﴾ أي على سبيل التجديد مستمرا ﴿ الموتى[1] ﴾ و الأمر فيهم لكونه إعادة و لكونهم[2] جزاء يسيرا منها ذكر اختراعه اصغر شانا و أسهل صنعا.

و لما كان هذا الاستفهام الإنكاري في معنى النفي، أجابه بقوله تعالى ٥ ﴿ بلى[3] ﴾ قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو في إتقانه كالرؤية بالبصر لانهم يعلمون أنه المخترع لذلك، و أن الإعادة أهون من الابتداء في مجاري عاداتهم، و لكنهم عن ذلك، غافلون لأنهم عنه معرضون. و لما كانوا[4] مع هذه الأدلة الواضحة التي هي أعظم من المشاهدة بالبصر ينكرون ما / ٨٠١ دلت عليه هذه الصنعة من إحاطة القدرة، علل ذلك[5] مؤكدا له بقوله ١٠ مقررا للقدرة على وجه عام يدخل فيه البعث الذي ذكر أول السورة أنه ما خلق هذا الخلق إلا لاجله ليختم بما بدأ به[6] ﴿ انه على كل شيء ﴾ أي هو أهل لأن تتعلق القدرة به ﴿ قدير ﴾.

و لما ثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل في يومه من الأهوال تحذيرا منه، فقال عاطفا على ما تقديره: اذكر لهم هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: لكونه (٣) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ: كان (٥) زيد في الأصل و ظ: منكرا، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٦) زيد في الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

القياس الناطق بالمراد و ما مضى فى هذه السورة من الزواجر[1] ﴿ و يوم ﴾ أى [و -[2]] اذكر[3] يوم ﴿ يعرض ﴾ [4]بأيسر أمر من أوامرنا ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا بغفلتهم[5] و تماديهم عليها هذه الأدلة الظاهرة ﴿ على النار ﴾ عرض الجند على الملك فيسمعوا من تغيظها و زفيرها و يروا من لهيبها و اضطرامها[6]
٥ و سعيرها ما لو قدر أن أحدا يموت من ذلك لماتوا من معاينته و هائل رؤيته .

و لما كان كأنه قيل : ماذا يصنع بهم فى حال عرضهم ؟ قيل : يقال على سبيل التبكيت و التقريع و التوبيخ : ﴿ اليس هذا ﴾ أى الأمر العظيم الذى كنتم به توعدون[7] و لرسلنا فى أخبارهم تكذبون ﴿ بالحق ﴾
١٠ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع ، فلا قدرة لكم على صليه أمر هو خيال و سحر ، فلا تبالون بوروده .

و لما اشتد تشوف[8] السامع العالم بما كانوا يبدون من الشماخة و العتو إلى جوابهم ، قال فى جوابه مستأنفا[9] : ﴿ قالوا ﴾ أى مصدقين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزاجر (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل وظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٥) زيد فى الاصل وظ : الكامل ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اضطرابها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : تدعون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل وم : تشوق (٩) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

حيث لاينفع التصديق: ﴿ بلى ﴾ [و - [1]] ما كمالهم البدار [2] إلى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعدا للاقرار، و ذكروا صفة الإحسان زيادة فى الخضوع و الإذعان ﴿ و ربنا [3] ﴾ أى إنه لحق هو من أثبت الأشياء، و ليس فيه شيء مما يقارب السحر، ثم استأنف جواب من سأل عن جوابه [لهم - [3]] بقوله تعالى: ٥ ﴿ قال ﴾ مبكتا لهم بيانا لذلهم موضع كبرهم الذى كان فى الدنيا مسببا عن تصديقهم هذا الذى أوقعوه [4] فى غير موضعه و جعلوه فى دار العمل التى مبناها على الإيمان بالغيب تكذيبا معبرا بما يفهم غاية الاستهانة لهم: ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى باشروه مباشرة الذائق باللسان، ثم صرح بالسبب [5] فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى خلقا [6] و خلقا [6] مستمرا ١٠ [7] دائما أبدا [7] ﴿ تكفرون [8] ه ﴾ فى دار العمل .

و لما علم بما قام من الأدلة و انتصب من القواطع أن هذا مآلهم، سبب عنه قوله ردا على ما بعد خلق الخافقين فى مطلعها من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم و نسبتهم له إلى الافتراء و ما بعده: ﴿ فاصبر ﴾ أى على مشاق ما ترى فى تبليغ الرسالة، قال القشيرى: و الصبر ١٥

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: التذار.
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اوقعوا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالتسبب (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: به تكذبون.

هو الوقوف بحكم الله و الثبات من غير بث و لا استكراه .

/٨٠٢ ﴿ كما صبر اولوا العزم ﴾ أى الجد / فى الأمر و الحزم فى الجد و الإرادة المقطوع بها و الثبات الذى لامحيد عنه ، الذين مضوا فى أمر[1] الله مضيا كأنهم أقسموا عليه فصاروا كالأسد[2] فى جبلته[3] و الرجل الشديد الشجاع

٥ المحفوف بقبيلته ، قال الرازى فى اللوامع : فارقت نفوسهم الشهوات و المنى فبذلوا نفوسهم لله صدقا لاتفاق[4] النفس القلب على البذل .

و لما تشوف [السامع - [5]] إلى بيانهم قال : ﴿ من الرسل ﴾ عليهم الصلاة و السلام ، و قيل و هو ظاهر جدا : ان «من» للتبعيض ، و المراد بهم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيس قواعدها و تثبيت

١٠ معاقدها ، و مشاهيرهم[6] نوح و إبراهيم و موسى و عيسى[7] صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و قد نظمهم بعضهم فى قوله :

أولو العزم نوح و الخليل بن آزر   و موسى و عيسى و الحبيب محمد

و الخلاف فى تعيينهم كثير منتشر هذا[8] القول أشهر ما فيه ، و كله مبنى على ان "من" للتبعيض و هو الظاهر ، و القول بأنهم جميع الرسل

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبيل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالاصرر - كذا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جملته . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايقاق (٥) زيد من ظ و م و مد . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مشاهيرها (٧) زيد فى الأصل : و محمد . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهذا .

قال

- قال ابن الجوزى ـ قاله ابن زيد و اختاره ابن الأنبارى و قال: "من" للتجنيس لا للتبعيض، و فى قول أنهم جميع الأنبياء إلا يونس عليه الصلاة و السلام ـ قال ابن الجوزى: حكاه الثعلبى .

و لما أمره بالصبر الذى هو من أعلى الفضائل، نهاه عن العجلة التى هى من أمهات الرذائل، ليصح التحلى بفضيلة الصبر الضامنة للفوز ٥ و النصر فقال: ﴿و لاتستعجل لهمْ﴾ أى تطلب العجلة و توجدها بأن تفعل شيئا مما يسوءهم فى غير حينه الأليق به . و لما كان ما أمر به و نهى عنه فى غاية الصعوبة، سهله بقوله مستأنفا: ﴿كانهم يوم يرون﴾ أى فى الدنيا [1] عنـــد الموت مثلا [1] أو فى الآخرة [2] وقت العرض ١٠ و الحساب و الهول الأعظم الأكبر الذى تقدمت الإشارة إليه جدا و التحذير منه لأهل المعاصى و البشارة فيه لأهل الطاعة، فأما هذه الطائفة فاذا رأوا [1] ﴿ما يوعدون لا﴾ من ظهور الدين فى الدنيا و البعث فى الآخرة [2]، و بناه للفعول لأن المنكى هو الإيعاد لا كونه من معين [3] ﴿لم يلبثوآ﴾ أى فى الدنيا حيث كانوا عالين [4] ﴿الا ساعة﴾ .

١٥ و لما كانت الساعة قد يراد بها الجنس ، قد تطلق على الزمن الطويل، حقق أمرها و حقرها بقوله: ﴿من نهارٍ﴾ و لما تكفل ما ذكر فى هذه السورة من الحجج الظاهرة و البراهين الباهرة ببيان ما هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : الارض (٣) فى الأصول: معينه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عالمين .

مقصودها بحيث لم يبق فيه لبس ، و كان مقصودها آئلا[1] إلى سورة
إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و هو التوحيد اللازم منه إحاطة العلم
بكل شيء و شمول القدرة لكل شيء ختمت بما ختمت[2] به إبراهيم إلا أن
لحواميم لبابا ، حذف المبتدأ و متعلق الخبر و قيل : ﴿ بلٰغ ج ﴾ أى
٥ هذا [الذى - [3]] ذكر هنا [هو - [3]] من الظهور و انتشار النور بحيث
يرد المنذرين و يوصلهم إلى رضى العزيز الحكيم الكافل بالنور الدائم
و النعيم المقيم ، و من لم يوصله فذلك الذى حكم العزيز بشقائه فلا حيلة
لغيره فى شفائه من عظيم دائه ، و لذلك سبب عن كونه بلاغا قوله زيادة
على ختام إبراهيم ما يناسب مطلعها : ﴿ فهل يهلك ﴾ بنى للمفعول من
١٠ أهلك[4] ، لأن المحذور الهلاك و إن لم يعين المهلك[5] ، و للدلالة على أن
إهلاكهم عليه سبحانه و تعالى يسير جدا ﴿ الا القوم ﴾ الذين فيهم أهلية
القيام بما يحاولونه من اللدد[6] ﴿ الفسقون ع ﴾ أى العريقون فى إدامة
الخروج من محيط ما يدعو إليه هادى العقل و الفطرة الأولى من
الطاعة الآتى بها النقل إلى مضل المعصية الناهى عنها النقل و العقل ، و أما
١٥ الذين فسقوا و الذين يفسقون فان هادى هذه السورة يردهم و يوصلهم
إلى المقصود ، فهذا الآخر نتيجة قوله أولها « و الذين كفروا عما انذروا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايماء (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ختم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكل الملك (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الملك (٦) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

معرضون " و ذكر اليوم الموعود[1] هو الآجل الذى [2] أوجد الخافقان [2]
[3] لأجله و[3] بسببه و الدلالة على القدرة بخلقهما[4] من غير إعياء هو ذكره
أولها أنهما ما خلقا إلا بالحق، و ذكر البلاغ هو تنزيل الكتاب من الله
و حكمه على العريق بالفسق بالهلاك مع الهادى الشفيق و لغيره[5] بالنجاة
بعد[6] انسيابه فى الفسق مع التكرر[7] هو من ثمرات العزة و الحكمة، ٥
فقد التحم هذا الآخر بذاك الأول أىّ التحام، و اتصل[8] بمعناه اتصال
الجوهر النفيس فى متين النظام، و التأم بأول[9] التى تليها أحسن التئام[10]
فسبحان من جعله[11] أشرف الكلام، لكونه صفة الملك العلام، منزلا[12] على
خاتم الرسل الكرام، [13] و رسول الملك العلام - صلى الله عليه و على آله
و أصحابه و أهل بيته الكرام و سلم تسليما كثيرا[13] . ١٠

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : الموجود (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : خلق الخافقين (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اغير خلقهما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مسره (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مع (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التكردو (٨) من م و مد. و فى الأصل و ظ : اتصال (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالأول اعنى اول (١٠) زيد فى الأصل بقوله "فهل يهلك الا القوم الفسقون الذين كفروا " الى آخره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الاصل و ظ : جعل.
(١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : منزل.

سورة[1] محمد عليه أفضل الصلاة و السلام و تسمى القتال و [2]تسمى أيضا[2] الذين كفروا

مقصودها التقدم إلى المؤمنين فى حفظ حظيرة الدين بادامة الجهاد للكفار، حتى يلزموهم الصغار، أو يبطلوا[3] ضلالهم كما أضل [الله -[4]] أعمالهم، لاسيما أهل الردة الذين [فسقوا عن محيط الدين إلى -[5]] أودية الضلال المبين، و التزام[6] هذا الخلق الشريف إلى أن تضع الحرب أوزارها باسلام أهل الأرض كلهم بنزول[7] عيسى عليه الصلاة و السلام، و على ذلك دل اسمها " الذين كفروا " لأن من المعلوم أن من صدك عن سبيلك قاتلته و [أنك -[4]] إن لم تقاتله كنت مثله، و اسمها محمد واضح فى ذلك لأن الجهاد كان خلقه عليه / أفضل الصلاة و السلام إلى أن توفاه الله تعالى و هو نبى الرحمة بالملحمة لأنه لا يكون حمد و ثم نوع ذم كما تقدم تحقيقه فى سورة فاطر و فى سبا و فى الفاتحة، و متى كان كف عن أعداء الله [كان -[5]] الذم، [و -[4]] أوضح أسمائها فى

(١) السابع و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آيها ٣٨ عند الكوفيين، و ٣٩ عند المدنيين و المكى و الشامى، و ٤٠ عند البصريين - راجع نثر المرجان ٦ / ٥٧٢ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يبطل الله (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الزام (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نزول.

هذا

هذا المقصد القتال، فإن من المعلوم أنه لأهل الضلال ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى [أقام - [1]] جنده للذب عن حماه ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عمت رحمته تارة بالبيان و أخرى بالسيف و السنان ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص حزبه بالحفظ فى طريق الجنان .

لما أقام سبحانه الأدلة فى الحواميم حتى صارت كالشمس، لايزيغ ٥ عنها إلا هالك، و ختم بأنه لايهلك بعد هذه الأدلة إلا القوم[2] الفاسقون، افتتح هذه بالتعريف بهم فقال سبحانه و تعالى: ﴿ [3]الذين كفروا ﴾ أى ستروا أنوار الأدلة فضلوا على[3] علم ﴿ و صدوا ﴾ أى امتنعوا بأنفسهم و منعوا غيرهم لعراقتهم فى الكفر ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الطريق الرحب المستقيم الذى شرعه الملك الأعظم ﴿ اضل ﴾ أى أبطل إبطالا عظيما ١٠ [يزيل العين و الأثر - [1]] ﴿ اعمالهم ه ﴾ التى هى أرواحهم المعنوية و هى كل شيء يقصدون به نفع أنفسهم من جلب نفع أو دفع ضر بعد أن وفر سيآتهم و أفسد بالهم، و من جملة أعمالهم ما يكيدونكم به لأنها إذا ضلت عما قصدوا بها بجعله سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة أنها ذهبت فى المهالك و من جهة[4] أنها ذهبت فى غير الجهة التى قصدت ١٥ لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هى باطلة فأذهبوا أنتم أرواحهم[5] الحسية بأن تبطلوا صورهم و أشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من م و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عن (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجملة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارواحكم .

و أنتم فى غاية الاجتراء عليهم ، فان ربهم الذى أوجدهم قد أبطلهم و أذن لكم فى إبطالهم ، فانه قد علم أنه لاصلاح لهم و المؤذى طبعا يقتل شرعا ، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره ، محتوم بخيبته و خسره .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : [١] لما انبنت [١] سورة الأحقاف على ما ذكر من مآل من كذب و افترى [٢] و كفر [٢] و فجر ، و افتتحت السورة باعراضهم ، ختمت بما [قد - [٣]] تكرر من تقريعهم و توبيخهم ، فقال تعالى : " الم يروا ان الله الذى خلق السموٰت و الارض و لم يعى بخلقهن بقدر على ان يحي الموتى [٤] " أى لو اعتبروا بالبداءة لتيسر عليهم
١٠ أمر العودة ، ثم ذكر عرضهم على النار إلى [٥] قوله " فهل يهلك الا القوم الفسقون " فلما ختم بذكر هلاكهم ، افتتح السورة الأخرى بعاجل ذلك اللاحق لهم فى دنياهم فقال تعالى " فاذا [٦] لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، [٧] فاما منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب اوزارها [٧] " الآية بعد ابتداء السورة بقوله " الذين كفروا
١٥ و صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم " فنبه على أن أصل محنتهم إنما هو

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انبات - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : بلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى إذا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

بما أراده تعالى بهم فى سابق علمه ليعلم المؤمنون أن الهدى [1] و الضلال
/ بيده [1]، فنبه على الطريقين بقوله " اضل اعمالهم " و قوله فى الآخر [2] / ٨٠٥
" كفر عنهم سيئاتهم و اصلح بالهم " ثم بين [3] أنه تعالى [3] لو شاء لانتصر
منهم و لكن [4] أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء و اختبارا ، ثم حض المؤمنين
على ما أمرهم به من ذلك فقال " ان تنصروا الله ينصركم " ثم التحمت ٥
الآى - انتهى .

و لما ذكر أهل [5] الكفر معبرا عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من
فوقهم ، ذكر أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق فقال
تعالى : ﴿ و الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان باللسان ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا
لدعواهم [6] ذلك ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ أى الأعمال الكاملة فى الصلاح بتأسيسها ١٠
على الإيمان . و لما كان هذا الوصف لايخص أتباع محمد صلى الله عليه
و سلم ، خصهم بقوله تعالى : ﴿ و ءامنوا ﴾ أى مع ذلك . و لما كان
بعضهم كحيي بن أخطب و من نحا نحوه قد طعن فى القرآن بنزوله منجما
مع أن التوراة ما نزلت إلا كذلك ، و ليس أحد منهم يقدر [7] ان ينكره
قال : ﴿ بما نزل ﴾ أى [8] ممن لامنزل إلا هو [8] [9] منجما مفرقا ليجددوا بعد ١٥

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضلالة بعده (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآخرة (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعالى انه (٤) زيد فى الأصل : المؤمنين بقتالهم لكن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اصل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لدعواه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قادر على . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) زيد قبله فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الإيمان به[1] إجمالا الإيمان بكل نجم منه ﴿على محمد﴾ النبي الأمي العربي القرشي المكي [ثم -[2]] المدني الذي يجدونه مكتوبا عندهم[3] في التوراة و الإنجيل صلى الله عليه و سلم، [و لما كان هذا معلما بأن كل إيمان لم يقترن بالإيمان به صلى الله عليه و سلم -[3]] لم يعتد به، اعترض بين

٥ المبتدأ و جوابه بما يفهم علته حثا عليه و تأكيدا له فقال تعالى: ﴿و هو﴾ أي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه و سلم مختص بأنه ﴿الحق﴾ أي الكامل في الحقية لأنه ينسخ و لا ينسخ[4] كائنا ﴿من ربهم لا﴾ المحسن إليهم بإرساله[5]، أما إحسانه إلى أمته فواضح، و أما سائر الأمم [6]فبكونه هو[6] الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة، و أمته هي الشاهدة لهم .

١٠ و لما ثبت بهذا أنهم أحق الناس بالحق، بين ما أثمر[7] لهم ذلك دالا على أنه لايقدر [أحد -[2]] أن يقدر الله حق قدره، فلا يسع الخلق إلا العفو لأنهم و إن اجتهدوا في الإصلاح [8]بدا لهم[8] لنقصانهم من سيآت أو هفوات فقال تعالى: ﴿كفر﴾ أي غطى تغطية عظيمة ﴿عنهم﴾ في الدارين بتوبتهم و إيمانهم لأن التوبة تجب ما كان قبلها كالإيمان

١٥ ﴿سيآتهم﴾ أي الأعمال السيئة التي لحقتهم قبل ذلك بما يظهر لهم من

---

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: لكونه، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: بارسالهم (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: فلكونه (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م: اغر (٨-٨) من مد، و في الأصل و ظ و م: بدرايه - كذا.

المحاسن و هدى أعمالهم . و لما كان من يعمل سوءا يخاف عاقبته فيتفرق فكره، إذ لا عيشة لخائف[1] قال تعالى: ﴿ و اصلح بالهم ﴾ أى موضع سرهم و فكرهم بالأمن و التوفيق و السداد و قوة الفهم و الرشاد[2] لما يوفقهم له من محاسن الأعمال و يطيب به اسمهم فى الدارين، قال ابن برجان: و إذا أصلح ذلك [من العبد -[3]] صلح ما يدخل[4] إليه و ما يخرج ٥ عنه و ما يثبت فيه، و إذا فسد / فبالضد من ذلك، و لذلك إذا اشتغل /٨٠٦ البال لم ينتفع [5]من صفات[5] الباطن بشىء، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر ضلال الكفار أولا دليلا على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيا، و إصلاح البال ثانيا دليلا على [حذف -[6]] إفساده أولا .

و لما كان الجزاء من جنس العمل، علل ما تقدم من فعله بالفريقين ١٠ بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى ذكر هنا من جزاء الطائفتين ﴿ بان ﴾ أى بسبب أن ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا مرائى عقولهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم و معالجتهم لما قادتهم إليه فطرهم الأولى ﴿ الباطل ﴾ من العمل الذى لاحقيقة [له -[3]] فى الخارج يطابقه، و ذلك هو الابتداع و الميل مع الهوى [7]ايثارا للحظوظ[7] فضلوا ١٥ ﴿و ان الذين اٰمنوآ﴾ أى و لو كانوا[8] فى أقل درجات الإيمان ﴿اتبعوا﴾

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م: لخاف (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يدخل (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بصفات (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امان الحطوبا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

أى بغاية جهدهم متابعين لما تدعو إليه الفطرة الأولى مخالفين لنوازع
الشهوات و دواعى الحظوظ على كثرتها و قوتها ﴿الحق﴾ أى الذى له
واقع يطابقه و ذلك هو الحكمة و[1] هى العمل بموافقة العلم و هو معرفة
المعلوم على ما [هو -[2]] عليه ﴿من ربهم[4]﴾ الذى أحسن إليهم بإيجادهم
٥ و ما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا .

و لما [3]علم من[3] هذا أن باطن حال الذين كفروا الباطل، و باطن
حال الذين آمنوا الحق، و تقدم فى البقرة أن المثل هو ما يتحصل فى
باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة، فيكون ألطف من الشىء
المحسوس، و أن ذلك هو وجه الشبه، علم أن مثل كل من الفريقين ما
١٠ علم[4] من باطن [حاله -[2]] فمثل الأول الباطل و مثل[5] الثانى الحق،
فلذلك[6] قال سبحانه استئنافا جوابا لمن كأنه قال لما أدركه من دهش
العقل لما راعه من علو هذا المقال: هل [يضرب -[2]] مثل مثل هذا:
﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الضرب العظيم الشأن ﴿يضرب الله﴾
[أى -[2]] الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿للناس﴾ أى كل
١٥ من[7] فيه قوة الاضطراب و الحركة ﴿امثالهم ە﴾ أى أمثال أنفسهم و أمثال

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٢) زيد من م و مد (٣-٣) تكرر
ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم.
(٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فذلك (٧) زيد
فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

الفريقين المتقدمين أو أمثال جميع الأشياء التي[1] يحتاجون إلى بيان[2] أمثالها مبينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل واحد من ذلك جزاء حاله ، فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله عمله و وفر سيئاته و أفسد باله ، و من اتبع الحق عمل به ضد[3] ذلك كائنا من كان ، و هو غاية الحث[4] على طلب العلم في[5] كتاب الله و سنة رسوله صلى الله ٥ عليه و سلم و العمل[6] بهما .

[7] و لما تحرر أن[7] الكفار أحق الخلق بالعدم[8] لأن الباطل مثلهم[9] وحقيقة حالهم[10] ، سبب عنه قوله: ﴿ فاذا لقيتم ﴾ أي أيها المؤمنون ﴿ الذين كفروا ﴾[11] و لو بأدنى أنواع الكفر في أيّ مكان كان و أيّ زمان[12] اتفق . و لما كان المراد القتل المجهز بغاية التحقق ، ١٠ عبر عنه مؤكدا له من الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل مصورا له[13] بأشنع [14]صوره مع[14] ما فيه من الغلظة على الكفار و الاستهانة

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الذي (٢) زيد في الأصل وظ : جميع . و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حبل ـ كذا (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الحب (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : من (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : العلم . (٧-٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بما محد ـ كذا (٨) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : مثله (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : حاله (١١) زيد في الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (١٢) زيد في الأصل : كان او ، و لم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (١٣) في م : به . (١٤-١٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تصور متبم .

/٨٠٧ / بهم فقال تعالى: ﴿فضرب الرقاب﴾ أى عقبوا لقيكم لهم من غير مهلة بأن تضربوا رقابهم[1] ضربا بالصدق فى الضرب بما يزهق أرواحهم، فان ذلك انتهاز للفرصة و عمل بالأحوط، و كذلك[2] النفس التى هى أعدى العدو إذا ظفرت بها وجب عليك أن لاتدع لها[3] بقية، قال القشيرى:
٥ فالحية إذا[4] بقيت منها بقية فوضعت عليها إصبع[5] ثبت فيها سمها.

و لما كان التقدير: [6]و لايزال ذلك فعلكم، غياه[7] بقوله: ﴿حتى﴾ و بشرهم بالتعبير بأداة التحقق[8] فقال تعالى: ﴿اذآ أثختنموهم﴾ أى أغلظتم القتل فيهم و أكثرتموه[9] بحيث صاروا لاحراك[10] بهم كالذى تثخن فأفرط ثخنه، فجعل ذلك شرطا للأسر كما قال تعالى "و ما كان لنبى ان يكون
١٠ له اسرى حتى يثخن فى الارض" [11]ثم قال تعالى مبينا لما بعد الثخن[11]: ﴿فشدوا﴾ أى لأنه لامانع لكم الآن من[12] الأسر[13] ﴿الوثاق﴾ أى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارقابهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الذلك (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بها (٤) فى مد: متى. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اصبع (٦) من م و مد و فى الأصل و ظ: فلا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عناه (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التحقيق (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اكثرتموهم. (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: احتراك (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد، و زيد فى الأصل بعد «بعد الثخن» فقال، فحذفناها (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعد (١٣) زيد فى الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

الرباط الذى يستوثق[1] به[2] من الأسر بالربط[3] على أيديهم مجموعة إلى[4] أعناقهم - مجاز عن الأسر بغاية الاستيلاء[5] و القهر .

و لما كان الامام مخيرا[6] فى أسراهم[6] بين أربعة أشياء : القتل و الإطلاق مجانا و الإطلاق بالفدية و هى "شيء يأخذه[7]" عوضا عن رقابهم و[8] الاسترقاق[9] ، عبر عن ذلك بقوله مفصلا : ﴿فاما منا﴾ أى أن ينعموا ٥ عليهم إنعاما ﴿بعد﴾ أى فى جميع أزمان ما بعد الأسر باستبقائهم ثم بعد الإنعام باستبقائهم إما أن يكون ذلك مع الاسترقاق أو مع الإطلاق ثم الإطلاق إما[10] مجانا ﴿و اما فدآء﴾ بمال أو بأسرى من المسلمين و نحو ذلك ، فأفهم التعبير بالمن الذى معناه الإنعام أن الإبقاء غير واجب [بكل -[11]] جائز[12]، و دخل فى الإبقاء ثلاث صور : الاسترقاق و الإطلاق ١٠ مجانا و [13]بالفداء فصرح سبحانه و تعالى بالفـــداء الذى معناه الأخذ

---

(١) من مد ، و فى الأصل وظ و م : يتوثق (٢) زيد فى الأصل و ظ : هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى الربط (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاشتداد (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين اسرهم ، و سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ياخذ الامام (٨) زيد فى الأصل : الرابع ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها . (٩) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جابر (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أو .

على وجه أنه قسيم للمن . فعلم أن المراد به الإبقاء مع عدم الأخذ فدخل فيه الإطلاق مجانا و هو واضح و الاسترقاق لأنه إنعام بالنسبة إلى القتل، و أفهم التعبير بالمن الذى معناه الإنعام من المنان الذى هو اسمه تعالى و معناه المعطى ابتداء جواز [القتل -[1]] لان الإنعام مخير فيه لا واجب ٥ لأنه لو كان واجبا كان حقا لا نعمة، فقد دخلت الصور الأربع فى التعبير بهاتين الكلمتين - و الله الهادى، و كل هذا على ما يراه الإمام أو نائبه مصلحة، قال القشيرى: كذلك حال المجاهدة[2] مع النفس إذا كان فى إغفاء ساعة و إفطار يوم ترويح للنفس[3] من الكد و قوة على الجهد فيما يستقبل من الأمر على ما يحصل به الاستصواب من شيخ المريد و فتوى لسان ١٠ الوقت أو فراسة صاحب المجاهدة - انتهى . و قد أفهم هذا السياق أن هذا الحكم ثابت [4]غير منسوخ[4] و الأمر بالقتل [وحده -[5]] فى غيرها من الآيات عام [غير -[1]] مخصوص بما أفهمته الغاية من أن التقدير: ٨٠٨/ / و الجهاد على هذه الصفة باق و ماض مع كل أمير [6]برا كان[6] أو فاجرا، لايزال طائفة من الأمة قائمين به ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ١٥ حتى يأتى أمر الله، و هو - و الله أعلم - المراد بقوله[7] تعالى: ﴿حتى﴾ أى افعلوا ما أمرتكم به على ما جددت لكم إلى أن ﴿تضع الحرب اوزارها ﲒ﴾

(١) زيد من م و مد (٢) فى مد : المشاهدة (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : النفس (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عن منسوخ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : كان برا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بقاله .

و هي أثقالها أي الآلات التي تثقل القائمين بها من النفقات و السلاح و الكراع و نحوه، و ذلك لايكون و في الأرض كافر، و ذلك على زمن عيسى عليه الصلاة و السلام حين تخرج الأرض بركاتها، و تكون الملة واحدة و هي الإسلام لله رب العالمين، فيتخذ [الناس -[1]] حديد السلاح سككا و مناجل و فؤسا ينتفعون بها في معاشهم كما ورد في ٥ الحديث[2] " الجهاد ماض [منذ بعثني الله -[3]] إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال - رواه في الفردوس عن أنس رضي الله عنه " الجهاد واجب عليكم مع كل بر و فاجر" رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه[4] .

و لما كانت[5] الحرب كريهه إلى النفوس شديدة المشقة، أكد أمرها بما معناه: إن هذا أمر قد فرغ منه، فقال تعالى: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي ١٠ الأمر العظيم العالي الحسن النافع الموجب لكل خير. و لما كان هذا ربما أوهم أن التأكيد في هذا الأمر لكون الحال لايمكن انتظامه إلا به، أتبعه ما[6] يزيل [هذا -[7]] الإيهام فقال[8]: ﴿و لو﴾ و لما كان لو عبر بالماضي [أفاد] أنه كان و لم يبق، عبر بالمضارع الدال على الحال و ما بعده

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد في الاصل و ظ: بذلك و في الحديث، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد و ليس في تلخيص الفردوس رقم الحديث: ٢٩٢٥ (٤) راجع من سننه أبواب الجهاد (٥) من م و مد، و في الاصل و ظ: كان (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: بما. (٧) زيد من مد (٨) زيد في الأصل: مشيرا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

فقال: ﴿ يشآء الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع صفات[1] الكمال [2]و القدرة على ما يمكن[2] ﴿ لانتصر منهم ﴾ أى بنفسه من غير أحد انتصارا عظيما بأن لايبق منهم أحدا ﴿ و لكن ﴾ [3]أوجب ذلك عليكم ﴿ ليبلوا ﴾ .

٥ و لما كان الابتلاء ليس خاصا بفريق منهم بل عاما للفريقين لأنه يكشف عن أهل المحاسن و [أهل ـ[4]] المساوئ من كل منهم، قال تعالى: ﴿بعضكم﴾ [2]من الفرقة المؤمنين بالإنكار عليهم من الفرقة الطاغين حتى يكون لهم بذلك اليد البيضاء[2] ﴿ ببعض[4] ﴾ أى يفعل فى ذلك فعل المختبر ليترتب عليه الجزاء على حسب ما تألفونه من العوائد[5] .

١٠ و لما أفهم هذا أن الابتلاء[6] بين فريقين بالجهاد ، قال عاطفا على ما تقديره: فالذين قاتلوا أو قتلوا فى سبيل الشيطان أضل أعمالهم: ﴿ و الذين قتلوا[7] ﴾ و فى قراءة البصريين و حفص[8] "قتلوا" و هى أكثر ترغيبا و الأولى[9] أعظم ترجية ﴿فى سبيل الله﴾ أى لأجل تسهيل

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢ ـ ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل : سبحانه و تعالى يفعل ما يشاء و يحكم فى خلقه بما يريد لاراد لحكمه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الابتداء (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قتلوا (٨) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٧٨ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاعظم لى .

طريق الملك الأعظم المتصف بجميع صفات الكمال .

و لما كان فى سياق الترغيب، قرن الخبر بالفاء إعلاما بأن أعمالهم سببه[١] فقال تعالى: ﴿ فلن يضل ﴾ أى يضيع و يبطل ﴿ اعمالهم ه ﴾ لكونها غير تابعة لدليل بل يبصرهم بالأدلة و يوفقهم لاتباعها، و هو معنى قوله تعالى تعليلا: ﴿ سيهديهم ﴾ اى فى الدارين بوعد لاخلف ٥ فيه بعد المجاهدة إلى كل ما ينفعهم مجددا ذلك على سبيل الاستمرار ﴿ و يصلح بالهم ﴾ أى / موضع فكرهم فيجعله مهيأ لكل خير بعيدا عن / ٨٠٩ كل شر آمنا من المخاوف [٢]مطمئنا بالإيمان[٢] بما فيه من السكينة، فاذا قتل أحد فى سبيله[٣] تولى سبحانه و تعالى ورثته بأحسن من تولى[٤] المقتول[٥] لو كان حيا . ١٠

و لما كان هذا[٦] ثوابا عظيما [٢]و نوالا جسيما[٢]، أتبعه ثوابا أعظم منه فقال تعالى: ﴿ و يدخلهم الجنة ﴾ أى [٢]دار القرار[٢] الكاملة فى النعم، و أجاب من [٧]كأنه يسأل[٧] عن كيفية إدخالهم إياها و كيفيتها عند ذلك بقوله تعالى: ﴿ عرفها لهم ه ﴾ [أى - [٨]] بتعريف الأعمال الموصلة

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: سببة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: سبيل (٤) زيد فى الأصل: فاذا رأى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: ما اعدله تمنى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: الثواب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٧-٧) فى ظ و م و مد: سأل (٨) زيد من م و مد .

إليها و التوفيق لهم إليها في الدنيا [١] و أيضا بالتبصير [٢] بالمنازل في الآخرة حتى أن أحدهم يصير [٣] أعرف بمنزله فيها منه بمنزله في الدنيا، و طيب رائحتها و جعل موضعها عاليا و جدرانها عالية و هي [٣] ذات أغراف و شرف، و في هذه الآية بشرى عظيمة لمن جاهد ساعة ما بأن الله

٥ يميته على الإسلام المستلزم لئلا يضيع له عمل، و يؤيده [٤] ما رواه الطبراني في الكبير [٥] عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: للاسلام ثلاث أبيات: سفلى و عليا و غرفة، فأما السفلى فالإسلام دخل فيه عامة المسلمين [٦] فلا تسأل أحدا [٦] منهم إلا قال: أنا مسلم، و أما العليا فتفاضل أعمالهم [٧] بعض المسلمين

١٠ أفضل من بعض، و أما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لاينالها [٨] إلا أفضلهم [٩].

و لما ذكر القتال، تشوف السامع لى حال المقاتل من النصر و الخذلان فأجاب بما يعرف بشرط النصر فقال: ﴿يٰأيها الذين ءامنوا﴾ أى أقروا بذلك و إن كان في أدنى الدرجات بما أشعرت به أداة البعد

---

(١) العبارة من هنا إلى «بمنزله في الدنيا» ساقطة من مد و كلمة «أيضا» ساقطة من ظ و م (٢) من م، و في الأصل و ظ: بالتبصر (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: و يؤيد هذا (٥) راجع مجمع الزوائد للهيثمي ٥/٢٧٤ (٦ - ٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: فلا يسأل أحد، و في المجمع: فلا يسأل أحدا (٧) من ظ و م و مد و المجمع، و في الأصل: اعمال (٨) من مد و المجمع، و في الأصل و ظ و م: لاينالهم (٩) من ظ و م و مد و المجمع، و في الأصل: فضلهم.

و الصلة بالماضي ﴿ ان تنصروا الله ﴾ اى يتجدد [١] لكم نية [١] مستمرة و فعل دائم على نصرة دين الملك الأعظم بإيضاح أدلته و تبيينها و توهية شبه أهل الباطل و قتالهم، و يكون ذلك خالصا له لا لغيره من النيات الفاسدة المعلولة بطلب الدنيا أو الشهرة بالشجاعة و العلم و طيب الذكر و الغضب للأهل و غير ذلك ﴿ ينصركم ﴾ فانه الناصر لا غيره من عَدد ٥ أو عُدد [٢] فيقمع أعداء الدين بأيديكم.

و لما كان النصر قد يكون مع العجز و الكسل و الجبن و الفشل، بين أنه يعصمهم من ذلك فقال: ﴿ و يثبت اقدامكم ﴾ أى تثبيتا عظيما بأن يملأ قلوبكم سكينة [٣] و اطمئنانا و أبدانكم قوة و شجاعة [٣] فى حال القتل و وقت البحث و الجدال، و عند مباشرة جميع الأعمال، فتكونوا ١٠ عالين [قاهرين - [٤]] فى غاية ما يكون من طيب النفوس و انشراح الصدور ثقة بالله و اعتزازا به و إن تمالأ عليكم أهل الأرض.

و لما ذكر أهل الإيمان [٥] بين ما لأهل الكفران، فقال سبحانه: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه العقل و قادت إليه الفطر الأولى /، و بين أن سوء أعمالهم أسباب ومالهم بالفاء، فقال مؤكدا بجعل ١٥ / ٨١٠ الخبر مفعولا مطلقا [٦] لأجل استبعادهم [٦] بما لهم من القوة بكثرة العدد

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك منكم بنية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عدد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٤) زيد من م و مد (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م، و لم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاستبعادهم للخذلان.

و الملاءه[1] بالعدد : ﴿ فتعسا ﴾ أى فقد عثروا[2] فيقال لهم ما يقال للعاثر الذى يراد[3] أنه لايقوم : تعسا لا قيام معه ، كما يقال لمن عثر و أريد قيامه : تعسا [لك -[4]] ، و المراد بالتعس الانحطاط و السفول و الهوان و القلق . و لما كان كأنه قيل : لمن هذا ؟ قيل[5] : ﴿ لهم ﴾ فلا يكادون
٥ يثبتون فى قتال لمن صلحت[6] منه الأعمال .

و لما كان الإنسان قد يعثر و يقع و يقال له : تعسا ، و يقوم بعد ذلك ، و لايبطل عمله[7] ، بين أن قوله ليس كذلك ، بل مهما قاله كان لا يتخلف أصلا ، فقال معبرا بالماضى إشارة إلى التحتم فيــه ، و أما الاستقبال فربما تاب[8] على بعضهم[9] فيه عاطفا على ما تقديره فقال تعالى
١٠ لهم ذلك : ﴿ و اضل اعمالهم ﴾ و إن كانت ظاهرة الإيقان لأجل تضييع الأساس بالإيمان .

و لما بين ما صنع بهم ليجترئ به حزبه عليهم ، بين سببه ليجتنب فقال : ﴿ ذلك ﴾ الأمر البعيد من الخير ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كرهوا ﴾ [10]بغضوا و خالفوا و أنكروا[10] ﴿ مآ انزل الله ﴾ اى الملك

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماة (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : غروا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يراد - كذا (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقيل (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ضاءت (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علمه (٨) زيد فى الأصل و ظ : بعضهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعض (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

الأعظم الذى لانعمه إلا منه، و الذى أنزله من القرآن و السنة هو روح الوجود الذى لايعاندونه، فلما كرهو الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم، و هو معنى قوله مسببا بيانا لمعنى [1]إضلال أعمالهم[1]: ﴿فاحبط﴾ أى أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿اعمالهم ه﴾ بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت و إن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح، لكونها [واقعة -[2]] ٥ على غير ما أمر به الله الذى لا أمر إلا له و لايقبل من العمل إلا ما حده و رسمه، و هذا وعيد للأمة بأنها إن تخلت[3] عن نصر الله و الجهاد فى سبيله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر وكلها سبحانه إلى نفسها و تخلى عن نصرها [و سلط عليها عدوها -[4]]، و لقد وجد بعض ذلك من تسلط الفسقة لما وجد التهاون فى بعض ذلك و التواكل فيه. ١٠

و لما كان لايستهين بهذه القضايا و يجترئ مثل هذه البلايا إلا من أمن العقوبة، و لا يأمن العقوبة إلا من أعرض عن الله سبحانه و تعالى. و كان يكفى فى الصد عن الأمرين وقائعه تعالى بالأمم الخالية لأجل تكذيب رسله و مناصبة أوليائه و الاعتداء على حدوده. قال منكرا عليهم و موبخا لهم [5]تقدما إليهم[5] بالتحذير من بطشه و سطوته ١٥ و شديد أخذه و عقوبته، مسببا عن كراهيتهم[6] المذكورة و ما تأثر عنها

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اضلالهم (٢) زيد من م و مد.
(٣) من م و مد. و فى الأصل و ظ : اخلت (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥-٥) من م و مد. و فى الأصل وظ : و مقدما لهم (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل : كرهتهم.

من العداوة لأهل الله : ﴿ افلم يسيروا ﴾ [أى - [1]] بسبب تصحيح أعمالهم وبنائها على أساس ﴿ فى الارض ﴾ أى التى فيها آثار الوقائع فانها هى الأرض / فى الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله ﴿ فينظروا ﴾ ٨١١ / عقب سيرهم و بسببه . و لما كانت وقائعه خالعة للقلوب بما فيها من

٥ الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال[2]، ساق ذلك بسوقه فى[3] اسلوب الاستفهام مساقا منها على أنه من العظمة بحيث يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان يمكنهم معرفة [ذلك من جميع المهلكين ، نبه باثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل ، وهم

١٠ الذين سمعوا أخبارهم و رأوا ديارهم - [4]] بعاد و ثمود و مدين و سبا و قوم لوط فقال تعالى[5] : ﴿ من قبلهم ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال : ﴿ دمر الله ﴾ أى أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغير إذن ، الهاجم بغتة ﴿ عليهم ﴾ بما علم أماليهم و أحوالهم و كل من رضى فعالهم أو مقالهم ، و عدل [عن - [1]] ان يقول : « و لهؤلاء » إلى قوله :

١٥ ﴿ و للكفرين ﴾ تعميا و تعليقا للحكم بالوصف و هو "عراقة فى الكفر[6]" ، فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيه الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمقول (٣) زيد فى الأصل : اسباب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : مبينا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الكف .

ليس عريقا فى الكفر، لأنه لم يطبع عليه ﴿ امثالها ﴾ أى أمثال هذه العاقبة .

و لما بين أنه يعلى أولياءه و يذل أعداءه، بين علته[1] فقال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الذى فعله بالفريقين ﴿ بان الله ﴾ أى بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿ مولى الذين امنوا ﴾ أى القريب من ٥ المصدقين به المرضين له، فهو[2] يفعل معهم بما له من الجلال و الجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له، قال القشيرى: و يصح أن يقال: أرجى آية فى كتاب الله هذه الآية لأنه لم يقل: الزهاد و العباد و أصحاب الأوراد و الاجتهاد. يعنى بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان .
﴿ و ان الكفرين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ﴿ لامولى لهم ﴾ ١٠ بهذا المعنى، لأنهم [3]بعيدون من[3] الله [4]الذى لايعبد على الحقيقة إلا هو[4]، فلا ينفعهم قرب قريب [أصلا -[5]] و إن [كان -[6]] الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم و مالكهم، و فيه إيماء إلى أنه سبحانه و تعالى ولى من لم يكن عريقا فى الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور[7].

و لما[8] تشوف السامع[9] إلى تعرف تمام آثار الولاية، قال شافيا ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علة ذلك (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نهل (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعبدون دون - كذا. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: سبحانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: كان فى هذا شدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فالسامع .

لعيّ سؤالهم مؤكدا [1]لأجل كثرة[1] المكذبين : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى
له جميع الكمال ﴿ يدخل الذين [2]امنوا ﴾ أى أوقعوا التصديق ﴿ و عملوا ﴾
تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه[3] ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ فتمتعوا بما رزقهم الله
من الملاذ لا على وجه أنها ملاذ بل على وجه أنها مأذون فيها ،
٥ /٨١٢ وهى بلاغ إلى الآخرة / و أكلوا لا للترفه بل لتقوية البدن على ما أمروا
به [3]تقوتا لاتمتعا[3] ﴿ جنّٰت ﴾ أى بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها
﴿ تجرى ﴾ و بين قرب الماء من وجهها بقوله : ﴿ من تحتها الانهٰر[4] ﴾
أى فهى دائمة النمو[4] و البهجة و النضارة و الثمرة لأن أصول أشجارها
ربى و هى بحيث متى أثرت بقعة منها أدنى أثارة جرى منها نهر ، فأنساهم
١٠ دخولها غصص ما كانوا فيه فى الدنيا من نكد العيش و معاناة الشدائد ،
و ضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه فى الدنيا من نعيم الوصلة بالله ثم لايحصل
لهم كدر ما أصلا ، و هى مأواهم لايبغون عنها حولا ، و هذا فى
نظير ما زوى عنهم من [الدنيا -[5]] و ضيق فيها عيشهم نفاسة منهم
عنها حتى فرغهم لخدمته و ألزمهم حضرته حبا لهم و تشريفا لمقاديرهم
١٥ ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى غطوا ما دل عليه العقل فعملوا لأجل كفرهم
الأعمال الفاسدة المبعدة عن جناب الله ﴿ يتمتعون ﴾ أى فى الدنيا بالملاذ

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكثرة (٢) زيد فى الأصل : من ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) من م ومد ، و فى
الأصل و ظ : تمتعا لا تقوتا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النسق .
(٥) زيد من م و مد .

لكونها ملاذ كما تتمتع الأنعام، ناسين ما امر الله معرضين عن لقائه بل[1] عن الموت أصلا[2] بل يكون ذكر الموت حاثا لهم على الانهماك فى اللذات مسابقة له جهلا منهم بالله ﴿و يأكلون﴾ على سبيل الاستمرار ﴿كما تاكل الانعام﴾ أكل التذاذ و مرح من أىّ موضع كان و كيف كان الأكل فى سبعة أمعاء، أى فى جميع بطونهم من غير تمييز[3] الحرام[4] من غيره لأن الله تعالى أعطاهم الدنيا و وسع عليهم فيها و فرغهم لها حتى شغلهم عنه هواناً بهم و بغضا لهم[5] لأنه علم حالهم قبل أن يوجدهم[5] فيدخلهم نارا وقودها الناس و الحجارة ﴿و النار﴾ أى و الحال أن ذات الحرارة العظمى و الإحراق الخارج عن الحد ﴿مثوى﴾ أى منزل و مقام ﴿لهم ه﴾ [6]تنسيهم أول انغماسهم[6] فيها كل نعيم كانوا فيه ثم لايصير لهم نعيم [ما -[7]] أصلا، بل لاينفك عنهم العذاب [وقتا ما -[8]]، فالآية من الاحتباك، ذكر الأعمال الصالحة و دخول الجنات[9] أولا دليلا على حذف الفاسدة و دخول النار ثانيا. و التمتع و المثوى ثانيا دليلا على حذف التمالى و المأوى أولا، فهو احتباك [فى احتباك -[8]]

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل: الموصل الى الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تميز (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحرام (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.
(٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاسهم اولانغماسهم - كذا.
(٧) زيد من م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنان.

و اشتباك مقارن لاشتباك[1] .

و لما وعد سبحانه أنه ينصر من ينصره لأنه مولاه و يدخله دار نعمته ، و يخذل من يعانده لأنه عاداه إلى أن يدخله دار شقوته ، كان التقدير دليلا على ذلك : فكأين من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك
٥ نصرناهم على من كذبهم ، فلا خاذل لهم ، فعطف[2] عليه قوله : ﴿وكاين﴾ و لما كانت قوة قريش في الحقيقة ببلدهم[3] ، وكان الإسناد إليها أدل على تمالؤ أهلها و شدة اتفاقهم حتى كأنهم كالشيء الواحد [قال -[4]] : ﴿ من قرية ﴾ أي كذبت رسولها ﴿ هي اشد قوة ﴾ و أكثر عدة ﴿ من قريتك ﴾ و لما كان إنزال[5] هذه بعد الهجرة ، عين فقال :
٨١٣ / ١٠ ﴿التي اخرجتك ج﴾ أي أخرجك / أهلها متفقين في أسباب الإخراج[6] من أنواع الأذى على كلمة واحدة حتى كأن[7] قلوبهم قلب واحد فكأنها هي المخرجة - و هي مكة - كذبوك و آذوك حتى أخرجناك من عندهم لنصرك عليهم بمن أيدناك بهم من قريتك هذه الذي آوتك من الأنصار نصرا جاريا على ما تألفونه و تعتادونه ؛ ﴿ اهلكنهم ﴾ بعذاب الاستئصال
١٥ كما اقتضت عظمتنا ، و حكى حالهم الماضية بقوله : ﴿فلا ناصر لهم ٥﴾ .

و لما كان هذا دليلا شهوديا بعد الأدلة العقلية على ما تقدم الوعد

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لاحتباك الاشتباك (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عطف (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بلدهم . (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انزل (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الخروج (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : كأنهم .

به، سبب عنه[1] الإنكار عليهم فقال: ﴿ أفمن كان ﴾ أى فى جميع أحواله ﴿ على بينة ﴾ أى حالة ظاهرة البيان فى أنها حق ﴿ من ربه ﴾ المربى المدبر له المحسن إليه بما يقيم من الأدلة التى تعجز[2] الخلائق أجمع[3] عن أن يأتوا بواحد منها فبصر سوء عمله و أريه على حقيقته[4] فرآه سيئا فاجتنبه مخالفا لهواه، قال القشيرى: العلماء فى ضياء برهانهم و العارفون فى ٥ ضياء بيانهم. ﴿ كمن زين له ﴾ بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه و خلقنا للآثار بأيسر أمر ﴿ سوء عمله ﴾ من شرك أو معصية دونه.

و لما كان التقدير: فرآه حسنا فعمله ملازما له، فكان على عمى و ضلال، وكان[5] قد أفرد الضمير لقبول "من" له من جهة لفظها، جمع ردا على معناها بتعميم القبح مثنى و فرادى، و إشارة إلى [أن - [6]] ١٠ القبيح يكون أولا[7] قليلا جدا[8]، فمتى غفل عنه فلم تحسم مادته دب و انتشر[9] فقال عاطفا على [ما - [10]] قدرته: ﴿ [11]و اتبعوا [11] اهوآءهم ﴾ فلا شبهة لهم فى شيء من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل، و الآية من الاحتباك

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منه (٢) زيد فى الأصل: عنها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ و م و مد. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: اهواءهم اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جديد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البس (١٠) زيد من م و مد (١١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « يكون أولا » و الترتيب من ظ و م و مد.

ذكر البينة أولا دليلا على ضدها ثانيا ، و التزيين و[1] اتباع الهوى [ثانيا -[2]] دليلا على ضدهما أولا ، و سره أنه ذكر الاصل الجامع للخير ترغيبا و الأصل الجامع للشر ترهيبا .

و لما تكرر ذكر الجنة و النار فى هذه السورة إلى أن ختم بهذه
٥ الآية التى قسم الناس فيها إلى أولياء مهتدين و أعداء ضالين معتدين ، فهدى سياقها إلى أن التقدير : أفمن كان على بينة [3]من ربه[3] أحياه الحياة الطيبة فى الدارين ، و من تبع هواه أرداه[4] فيهما ، أتبعه وصف الجنة التى هى دار أوليائه قادهم إليها الهدى ، و النار التى هى دار أعدائه ساقهم إليها الضلال المحتم للردى ، فقال : ﴿مثل الجنة﴾ أى البساتين العظيمة
١٠ التى تستر[5] داخلها من كثرة أشجارها[6] .

و لما تكرر وعده سبحانه[7] للذين آمنوا بالجنة بالاسم الأعظم الجامع و بعضها بالضمير العائد إليه ، صار الوعد بها فى غاية التحقق فعبر / عنه ٨١٤ /
هنا بالماضى المبنى للفعول إشارة إلى أنه أمر قد تحقق بأسهل أمر ، و فرغ منه إلى أن صار حاضرا لامانع منه إلا الوصف الذى علق به
١٥ الوعد و وصفها بصفات تفيد القطع بأنه لايقدر عليها إلا الله فصار مجرد

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اراه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تسر (٦) زيد فى الأصل : وأثمارها و انهارها و ما اعد لأهلها فيها من الحور العين والولدان و غير ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) و من هنا انقطعت نسخة م إلى ما سننبه عليه .

ذكرها و الإخبار به عنها بصيغة المجهول أعلى لأمره فقال: ﴿التى وعد المتقون[1]﴾ اى الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف عن كل فعل لم يدل عليه دليل على أن استمعوا منك فانتفعوا بما دلتهم عليه من أمور الدين حتى انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: مقبل عليه بكليته فهو متبع، و معرض عنه جملة، و مستمع غير منتفع. ٥

و لما كان التقدير: مثل بستان عظيم لايسقط ورقه و لاينقطع ثمره و لايتفطن نعيمه لما فيه من الأنهار المتنوعة، وكان ما هو بهذه الصفة إنما هو موهوم لنا لامعلوم، طواه و ذكر ما دل عليه من صفة الجنة الموعودة المعلومة بوعد الصادق الذى ثبت صدقه بالمعجزات فقال استئنافا: ﴿فيهآ﴾ أى[1] الجنة الموعودة. و لما كان ما يعهدونه من الجنان ١٠ لا يحتمل أكثر من ثلاثة أنهار، عبر بالجمع الذى يستعار للكثرة إذا دلت قرينة، و هى هنا المدح و الامتنان، فقال: ﴿انهر من مآء﴾ و لما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم [2]على ثلاثة: حلو و عذب و ملح[2]، مع اتحاد الارض ببساطتها و شدة اتصالها للدلالة على [أن -[3]] فاعل ذلك [قادر -[3]] مختار[4]، و قد يكون آسنا أى متغيرا عن الماء الذى يشرب ١٥ بريح منتنة من أصل خلقه[5] أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه قال: ﴿غير اسن ع﴾ أى ثابت له فى وقت ما شىء[6] من الطعم أو الريح

(١) زيد فى ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من مد. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مختارا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الخلقة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سىء - كذا.

او اللون بوجه من الوجوه و إن طالت إقامته و إن أضيف إليه غيره فانه لايقبل التغير بوجه .

و لما كان أكثر شرابهم بعد الماء اللبن، ثنى به فقال سبحانه : ﴿ و انهر من لبن ﴾ و لما كان التغير غير محمود ، و كانوا يعهدون فى الدنيا أن اللبن كله على جميع أنواعه[1] طيب حال نزوله من الضرع مع اختلاف ذوات الدر فى الأشكال و الأنواع و المقادير و الأمزجة ، و مع انفصال كل واحدة منها من الأخرى، و أنه إنما يتغير[2] بعد حلبه، عبر بما ينفى التغير فى الماضى فقال: ﴿ لم يتغير طعمه ج ﴾ أى بنفسه عن أصل خلقته[3] و إن أقام مدى الدهر ، و هذا يفهم أنهم[4] لو أرادوا تغييره[5] لشهوة اشتهوها تغير ، و أنه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان فى الدنيا متنوعا .

و لما كان أكثر ما بعد اللبن الخمر قال: ﴿ و انهر من خمر ﴾ و لما كانت الخمر يكثر طعمها، و إنما يشربها شاربوها لأثرها ، و أنه متى تغير طعمها زال اسمها ، عرف أن كل ما فى خمر الجنة فى غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال: ﴿ لذة ﴾ اى ثابتة لها اللذة و دائمة حال شربها و بعده ﴿ للشربين ج ﴾ فى طيب الطعم و حسن العاقبة[6] .

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : احواله (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغير (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : خلقه (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغيره (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : العافية .

و لما كان العسل أعزها و اقلها، أخره و إن كان أجلها فقال: ﴿ انهر من عسل ﴾ و لما كان عسل الدنيا لا يوجد إلا مخلوطا بالشمع و غيره من القذى قال: ﴿ مصفى ﴾ أى [هو - [1]] صاف صفاء ما اجتهد فى تصفيته من ذلك، و هذا الوصف ثابت له دائما لا انفكاك له عنه فى وقت ما، فقد حصل بهذا غاية التشويق [2] إلى الجنة بالتمثيل ٥ بما يستلذ به من أشربة الدنيا لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجردا عما ينقصه أو ينغصه مع الوصف بالغزارة و الاستمرار قال البغوى [3]: قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، و نهر الفرات نهر لبنهم، و نهر مصر نهر خمرهم. و نهر سيحان نهر عسلهم. و هذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. و قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر [4]: حدثنا عثمان ١٠ ابن صالح [ثنا - [1]] ابن لهيعة عن يزيد بن [أبى - [1]] حبيب أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما سأل كعب الأحبار رضى الله عنه: هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله تعالى خبرا؟ قال: أى و الذى فلق البحر لموسى، إنى لأجده فى كتاب الله أن الله عز و جل يوحى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند جريه أن الله يأمرك أن تجرى، ١٥ فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل غر [5] حميدا. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن [5] يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الشوق (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٤٨ (٤) من مد و كتاب الفتوح ١٤٩، و فى الأصل و ظ: عن (٥) من مد و الفتوح و فى الأصل و ظ: ابى.

عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة انهار من الجنه وضعها الله عز وجل فى الدنيا، فالنيل نهر العسل فى الجنة، و الفرات نهر الخمر فى الجنة. و سيحان نهر الماء فى الجنة. و جيحان نهر اللبن فى الجنة. حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة قالا حدثنا زيد بن [أبى] حبيب عن أبى الخير عن أبى جنادة الكنانى انه سمع كعبا يقول: النيل فى الآخرة عسلا[1] أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عز وجل، و دجلة فى الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عزوجل، و [و الفرات خمرا أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عزوجل -[2]]، و جيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله و أصل هذا كله ما فى الصحيح فى[3] صفة الجنه[4] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: سيحان و جيحان و النيل و الفرات من أنهار الجنة: و قال ابو حيان[5] فى حكمة ترتيبها غير ما تقدم: إنه بدئ بالماء الذى لا يستغنى عنه[6] فى المشروبات، ثم باللبن إذ كان يجرى مجرى المطعومات فى كثير من أقوات العرب و غيرهم، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الرى و المطعوم تشوفت النفس إلى ما يتلذذ به. ثم بالعسل لأن فيه الشفاء فى الدنيا مما يعرض من المطعوم و المشروب - انتهى. و أحسن منه أنه لما كان السياق للتعجب فى ضرب المثل لأنه قول

(١) من مد و هامش الفتوح، و فى الأصل و ظ و الفتوح: عسل (٢) زيد من مد و الفتوح (٣) من مد، و فى الأصل وظ: من (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٤٨ (٥) فى البحر المحيط ٨/٧٩ (٦) من البحر، و فى الأصل: من، و ليس فى ظ و مد.

لاينفك

لاينفك عن غرابة بدأ بانهار الماء لغرابتها فى بلادهم و شدة حاجتهم إليها،
و لما كان خلوها عن تغير[1] أغرب نفاه، و لما كان اللبن أقل فكان
جريه أنهارا [أغرب، ثنى -[2]] به، و لما كان الخمر أعز ثلث به،
/ و لما كان العسل أشرفها و أقلها ختم به، و نبه - مع هذا التذكير بقدرته ٨١٦ /
تعالى - على ما يريد بسبب و بغير سبب فان هذه المشروبات الثلاثة التى ٥
بعضهم متمحض للشرابية كالخمر و بعضها فيه غذائية[3] و هى فيه أغلب،
و هو العسل، و بعضها ينزع إلى كل منهما و هو اللبن كلها من الماء مع
تمايزها مذاقا و أثرا فى الغذاء و الدواء و غير ذلك، فان الماء أصل
النبات، و من النبات يكون اللبن[4] و الخمر و العسل بما لايخفى من الأسباب،
و أما الآخرة فغنية عن[5] الأسباب لظهور اسمه الظاهر سبحانه هناك لأنه ١٠
لا ابتلاء[6] فيها، و بهذا فهم للترتيب سر آخر و هو [أنه - [2]] تعالى قدم
الماء لأنه الأصل لها، و تلاه بأقرب الأشياء إليه فى الشرابية و الطبع : اللبن[7]،
[ثم - [8]] بما هو أقرب إلى اللبن من جهة أنه شراب فقط، ثم بالعسل
لأنه أبعدها منه .

و لما كانت الثمار ألذ مستطاب بعد [9]سائغ الشراب[9] قال تعالى: ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : نصر - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ
و مد، و فى الأصل : غذائه (٤) وقع فى الأصل و ظ : بعد « و العسل »
و الترتيب من مد (٥) زيد فى الأصل : هذه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بتدا (٧) من مد، و فى الأصل
و ظ : باللبن (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل :
ساير الاشربة .

﴿ ولهم فيها ﴾ ولما كان[1] أهلها متفاوتين[2] فى الدرجات فلا تجمع جنان أغلبهم جميع ما فى الجنة من الثمار بعض فقال: ﴿ من كل الثمرات ﴾ اى جميع أصنافها على وجه لاحاجة معه من قلة ولا انقطاع.

٥ ولما كان العيش لايطيب مع الاتصاف بما يوجب العتب، قال مشيرا إلى أنه لايقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، لأن الرتب متضائلة عن رتبته سبحانه: ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بمحو ذنوبهم السالفة أعيانها وآثارها بحيث لايخشون[3] لها عاقبة بعقاب، ولا عتاب وعدم بلوغهم إلى ما يحق له من الشكر سبحانه.

ولما أرشد هذا السياق إلى أن التقدير: أفمن هو فى هذا النعيم الأكبر المقيم، بنى عليه قوله: ﴿ كمن هو خالد[4] ﴾ أى مقيم إقامة لاانقطاع معها، ووحده لأن الخلود يعم من فيها على حد سواء ﴿ فى النار ﴾ أى التى لايطفأ لهيبها، لا يفك أسيرها ولايؤنس غريبها.

ولما كان كل واحد من داخليها له سقى يخصه على حسب عمله ١٥ ولا يظلم ربك أحدا، كان المؤثر اضرهم السقى على الكيفية التى تذكر لاكونه[5] من ساق معين، بنى للمجهول قوله مسندا إلى ضمير الجمع قوله تعالى:

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: كانت (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: متقربين (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: لايحون - كذا (٤) زيد فى الأصل وظ: فى النار، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: كون.

﴿ و سقوا ﴾ أى عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة ﴿ ماء حميما ﴾ أى فى غاية الحرارة ﴿ فقطع امعاءهم ﴾[1] و يمكن أن تكون الآية من الاحتباك، و ذلك أنه تعالى لما قدم أن المؤمنين فى جنات تجرى من تحتها الانهار، و أن الكافرين مأواهم النار، و كان التقدير إنكاره على من لم يرتدع للزواجر تنبيها على أن عمله عمل من يسوى بين الجنة و النار لان ٥ كون النار جزاء لمثله و الجنة جزاء المؤمن صار[2] فى حد لا يسوغ إنكاره: أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار، و من [3]هو خالد[3] فى الجنة كمن هو خالد فى النار - والله الموفق للصواب[4].

و لما كان التقدير بعد هذا التمثيل و الوصف[5] و التشويق الذى يبهر العقول: فمن [الناس من -[6]] يسمع منك بغاية المحبة و الإنصاف فيعليه[7] الله بفهم ١٠ ما يتلوه و اعتقاده و العمل به و اعتماده وهم المتقون الذين وعدوا / الجنة، ٨١٧ / عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و منهم من يستمع ﴾ أى بغاية جهده لعله يجد فى المتلو مطعنا يشك به على الضعفاء، و بين تعالى بعدهم بقوله: ﴿ اليك ﴾ و لما أفرد المستمع نظرا إلى لفظ «من» إشارة إلى قلة المستمع جمع نظرا إلى معناه إشارة إلى كثرة المعرضين الجامدين المستهزئين ١٥ من المستمعين منهم و السامعين فقال تعالى: ﴿ حتى ﴾ أى[8] و استمر

---

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كان خالدا.
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اصوف الحميد.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ ومد. وفى الأصل: فعليه (٨) سقط من ظ.

إجهادهم لأنفسهم بالإصغاء حتى ﴿إذا خرجوا﴾ أى المستمعون و السامعون جميعا[1] ﴿من عندك قالوا﴾ أى الفريقان عمى و تعاميا و استهزاء. و لما كان مجرد حصول العلم النافع مبعدا، أشار إلى تعظيمه ببنائه[2] لما لم يسم فاعله فقال تعالى: ﴿للذين اوتوا العلم﴾ أى[1] بسبب تهيئة الله لهم بما[3] آتاهم من صفاء الأفهام لتجردهم عن النفوس و الحظوظ و انقيادهم[4] ٥ لما تدعو إليه الفطرة الأولى: ﴿ما ذا قال﴾ أى النبي صلى الله عليه و سلم ﴿آنفا﴾ أى قبل افتراقنا و خروجنا عنه من ساعة - أى أول وقت - تقرب منه، من أنفة الصلاة - بالتحريك، و هو ابتداؤها و أولها. قال أبو حيان[6]: حال، أى مبتدئا، أى ما القول [الذى -[5]] ائتنفه الآن قبل ١٠ انفصالنا عنه. ورد كونه ظرفا بأنه تفسير معنى، و أنه لا يعلم أحدا من النحاة عده فى الظروف. [و -[6]] قال [البغوى -[7]]: ائتنفت الأمر: ابتدأته، و أنف الشيء أوله، قال مقاتل: و ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يخطب و يعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه استهزاء: ماذا قال محمد صلى الله عليه و سلم؟ قال ١٥ ابن عباس رضى الله عنه: وقد سئلت فيمن سئل.

و لما دل هذا من المصغى و من المعرض على غاية الجمود الدال

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ببيانه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: انقيادا (٥) زيد من البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد، و راجع معالم التنزيل ١٤٩/٦ (٨) زيدت الواو فى مد.

على

على غاية الشقاء، أنتج قوله : ﴿ اولـئك ﴾ أى خاصه هؤلاء البعداء من الفهم و من كل خير ﴿ الذين طبع الله ﴾ أى[1] الملك الأعظم الذى لاتناهى لعظمه جل و علا ﴿على قلوبهم﴾ أى[1] فلم يؤمنوا و لم يفهموا فهم الانتفاع لأن مثل هذا الجمود لايكون إلا بذلك . و لما كان التقدير : [2]إنهم ضلوا حتى[2] صاروا كالبهائم[3]، عطف عليه ما هو من أفعال البهائم[3] ٥ فقال: ﴿ و اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ اهوآءهم ﴾ أى مجانبين[4] لوازع العقل و ناهى المروءة، فلذلك هم يتهاونون بأعظم الكلام و يقبلون على جمع[5] الحطام، فهم أهل النار المشار إليهم قبل آية "مثل الجنة" بأنهم زين لهم سوء أعمالهم .

و لما ذكر ما هم [6]عليه و شنع عليهم[6] أقبح[6] الذكر، ذكر الذين آتاهم ١٠ العلم فقال : ﴿ و الذين اهتدوا ﴾ أى اجتهدوا باستماعهم منك فى مطاوعة داعى الفطرة الأولى إلى الوقوع على الهدى بالصدق فى الإيمان و التسليم و الإذعان بأنواع المجاهدات ﴿ زادهم ﴾ أى الله الذى طبع على قلوب الجهلة ﴿ هدى ﴾ [7]بأن شرح صدورهم و نورها بأنوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة "ان الذين امنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم" ١٥ [7]﴿و اتـهم تقوىهم ﴾[7] أى بين لهم ما هو أهل لأن يحذر[8] و وفقهم لاجتنابه[9]

---

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : مجانين .
(٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : جميع (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : بأقبح .
(٧) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجيدو (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجتناب .

/ ٨١٨ مخالفة للهوى، فهم القسم الأول من آية / توطئة المثل " الذين هم على بينة من ربهم " ومعنى الإضافة أنه آتى كلا منهم منها بحسب ما يقتضيه حاله، قال ابن برجان: التقوى عمل الإيمان كما أن أعمال الجوارح عمل الإسلام - انتهى[1].

٥ ولما كان أشد ما يتقى القيامة التي هم بها مكذبون، سبب عن اتباعهم الهوى قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون ﴾ أي ينتظرون، ولكنه جرده[2] إشارة إلى شدة قربها ﴿ الا الساعة ﴾ ولما كان كأنه قيل: [ما -[3]] ينتظرون من أمرها؟ [4]أبدل منها قوله[4]: ﴿ ان تاتيهم ﴾ أي تقوم عليهم، وعبر بالإتيان زيادة في التخويف[5] ﴿ بغتة ج ﴾ أي لجاءة من ١٠ غير شعور بها ولا استعداد لها.

ولما دل ذلك على مزيد القرب، وكان مجيء علامات الشيء ادل على قربه مع الدلالة على عظمته، قال معللا للبغتة[6]: ﴿ فقد ﴾ [7]ودل على القوة بتذكير الفعل فقال[7]: ﴿ جآء اشراطها ج ﴾ أي علاماتها[8] المنذرات بها

---

(١) ليس في ظ ومد (٢) ومن هنا تتأتف نسخة م (٣) زيد من م ومد.
(٤ - ٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ماذا قال (٥) زيد في الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٦) من ظ، وفي الأصل: بالبغتة، وليست الكلمة في م ومد (٧-٧) وقع ما بين الرقين في الأصل وظ بعد «للبغتة» والترتيب من م ومد (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: العلامت.

من مبعث النبي صلى الله عليه و سلم[١] "بعثت انا و الساعة كهاتين". انشقاق القمر المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغربها و غير ذلك، و ما بعد مقدمات الشيء إلا حضوره[٢].

و لما كان المجيء من أهوالها تذكرها[٣] قبل حلولها للعمل بما يقتضيه التذكر[٤]، و كانت إذا جاءت شاغلة عن كل شيء، سبب عن مجيئها قوله ٥ تعالى: ﴿ فأنى ﴾ أي فكيف و من أين ﴿ لهم إذا جآءتهم ﴾ أي الساعة و أشراطها المعينة لها[٦] مثل طلوع الشمس من مغربها[٧] ﴿ ذكرٰهم[٨] ﴾ لأنهم في أشغل الشغل ولو[٩] فرغوا لما تذكروا فعملوا[١٠] ما أفاد لفوات وقت الأعمال و شرطها، و هو العمل على الإيمان بالغيب، و هكذا ساعة الإنسان التي

---

(١) زيد بعده في الأصل و ظ : و في هذا اشارة بقوله صلى الله عليه و سلم، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: حضور انتهى (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: تذكرة. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : الذكر (٥) زيد في الأصل: من شافع يشفع لهم أو راحم يرحمهم، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٦) زيد في الأصل: و ذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد في الأصل: و ما هو مذكور من أشراطها مما تقدم، و لم تكن الزيادة في ظ م و مد فحذفناها (٨) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩) من مد، و في الأصل و ظ و م: لما (١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: لعملوا.

تخصه وهى[1] موته و أشراطها[2] الحاثة على الذكرى [3]وهو[3] المرض و الشيب و نحو ذلك، و من أشراطها المعينة لها التى [لا - [4]] ينفع معها العمل الوصول إلى حد الغرغرة .

و لما علم بذلك أن الذكرى غير نافعة[5] إذا انقضت هذه الدار التى ٥ جعلت للعمل أو جاءت الأشراط المحققة الكاشفة لها، سبب عنه أمر[6] أعظم الخلق [7]و أشرفهم و أرقاهم و أجلهم صلى الله عليه و سلم[7] تكوينا ليكون لغيره تكليفا[7] فقال تعالى: ﴿ فاعلم انه ﴾ أى الشأن الأعظم الذى ﴿ لا اله الا الله ﴾ أى انتفى[8] انتفاء عظيما[9] أن يكون معبود[10] بحق غير الملك الأعظم، فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال ١٠ الساعة، و إنما تكون علما إذا كان نافعا [و إنما يكون نافعا - [11]] إذا كان مع الإذعان و العمل بما يقتضيه و إلا فهو جهل صرف[12]، [و - [11]] هذا العلم يفيد أنه لا بد من قيام الساعة لأن الاله وعد بذلك و هو متصف

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: هى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مانعة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تكلفا (٨) زيد فى الأصل: ما سوره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معبودا (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صرفه .

بالكمال و لا شريك له يمنعه من إنجاز وعده . قال القشيري: و العبد يعلم [١]أولا ربه[١] بدليل و بحجة فعلمه بنفسه ضروري و هذا هو أصل الأصول. و عليه بني كل علم استدلالي ، ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان و كثرة الحجج و تناقص علمه بنفسه بغلبات / ذكره الله بقلبه ، فاذا انتهى إلى حال / ٨١٩ المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه [٢]فى تلك[٢] الحالة ٥ ضروريا و يقل[٣] إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلال[٤] و كأنه غافل عن نفسه أو ناس لنفسه ، و يقال[٥] : الذى رأى البحر غلب عليه ما يأخذه فى [٦]الرؤية للبحر[٦] عن [٧]ذكر نفسه[٧] فاذا ركب البحر قوى هذا الحال ، فاذا غرق فى البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه و مستهلك .

و لهذه الكلمة من الأسرار ما يملأ الأقطار منها أنها بكلماتها الأربع ١٠ مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذى هو الله سبحانه و تعالى و الشفع الذى هو الخلق أنشأه تعالى أزواجا ، [و -[٨]] منها حرف لسانى و حرفان حلقيان: الهاء و الألف ، غير أن الألف عبر عنها بمظهرها و هو الهمزة[٩] ظاهرا مرتين و خفيا فى أداة التعريف فى الابتداء مرة ، و ذكرت

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ربه اولا (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتلك (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقبل . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالاستقلال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تعالى (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الراوية من البحر (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكره لنفسه (٨) زيد من مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المرة .

بلفظه أربع مرات، فتلك سبع هي أتم العدد لذلك[1] و بني الخلق عليه، فالسماوات سبع و الأراضي كذلك سبع[2] إشارة إلى [أن - [3]] الإله الحق الذي هو غيب محض إنما علم بالتنزل بأفعاله، فهي وصلة إلى معرفته و هي منقسمة إلى علوي و سفلي كما أن الألف التي هي كالغيب لأنها لا يمكن [4]النطق بها[4] ابتداء نزلت في مظهر الهمزة التي تكررت في هذه الكلمة مرتين في مقابلة الكونين العلوي و السفلي و بينهما ما لا نعلمه مما خفي عنا كما خفيت همزة الوصل. و عبر في الأمر بهذه الكلمة بالعلم إعلاما بأن عمل القلب بها هو العمدة العظمى لكن لما كانت حروفها حلقيا و لسانيا كان في ذلك إشارة إلى انه لا يكفي في أمرها إلا إذعان الباطن و مطابقة الظاهر الذي هو اللسان، فهو ترجمان القلب، و متى لم يطابق اللسان القلب حيث لا مانع كان صاحبه من أهل آية الصافات[5] و أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفا على عدد السماوات و الأرض الدالة على الذات الأقدس الذي هو غيب محض و المقصود[6] منها مسمى الجلالة الذي هو الإله الحق سبحانه و تعالى و الجلالة الدالة عليه خمسة أحرف على عدة دعائم الإسلام الخمس: و ترتيبه دلالة على التوحيد، و لم يجعل فيها شيئا شفهيا [7]لتمكن ملازمتها[7] لكونها أعظم مقرب إلى الله و أقرب موصل

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: ذلك (٢) سقط من ظ و م و مد.
(٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: بها النطق.
(٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الصفات (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الموصول (٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: ليكون بملازمتها.

إليه مع الإخلاص، فان الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها و لا يعلم جليسه
بذلك أصلا، لأن غيرك لا يعلم ما [في -[1]] وراء شفتيك إلا باعلامك[2]،
و كما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحا دل على كلمة الرسالة
التى لا ينفع التوحيد إلا بها تلويحا بتسمية السورة "سورة محمد"، فهى
القتال لأنه أمر صلى الله عليه و سلم "[3]ان يقاتل الناس[3] حتى يصرحوا ٥
بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد. و هى سورة محمد صلى الله عليه
و سلم لأن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له بالرسالة، و بين الكلمتين
مزيد اتفاق[4] يدل على تمام الاتحاد و الاعتناق، و ذلك[5] / ان أحرف ٨٢٠ /
كل منهما إن نظرنا إليها خطا كانت اثنى عشر حرفا على عدد أجزاء
السنة يكفر كل حرف منها[6] شهرا، و إن نظرنا إليها نطقا كانت ١٠
أربعة عشر حرفا[7] لملأ[8] الخافقين نورا[8] و عظمة و مهابة و جلالة و احتشاما[8]،
و إن نظرنا إليها بالنظرين معا كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذى العرش
خالق الكونين موقف، و هو سر غريب دال على الحكم الشرعى الذى
هو عدم انفكاك إحداهما عن الأخرى. فمن لم يجمعهما[9] اعتقاده لم يقبل

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل: اياه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى بالقتال للناس (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التفات (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك (٦) وقع فى الأصل و ظ قبل «كل» و الترتيب من م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرمين من ظ و م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يجمعها.

إيمانه، و قدمت هذه [سورة في هذا - [1]] سابقة لأن[2] لما السبق و ذكرت[3] الأخرى في الفتح تالية، و سميت [4]سورة هذه[4] بالقتال و سورة الكلمة المحمدية بالفتح إشارة إلى أنه ما قاتل أحد عليهما مع الإخلاص إلا فتح عليه و لا يقدر أحد على مخالفته مع مناصبته إلا نفاقا على وجه
٥ الذل و الاضطراب.

و لما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجبا للاجابة كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الترمذي[6] و أبي يعلى «ما من مؤمن يدعو الله بدعوة الا استجيب له ما لم يكن اثما أو قطيعة رحم» الحديث، قال معلما أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعي في
١٠ تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له. ﴿ و استغفر ﴾ أي اطلب الغفران من الله بعد العلم بأنه لا كفوء له[7] بالدعاء له و بالاجتهاد في الأعمال الصالحة لذنبك، و هو كل مقام [عال - [1]] [8]ارتفعت عنه[8] إلى أعلى منه، و أوجده أنت من[9] نفسك لمن أساء إليك[10] لتكثر أتباعك، فان الاستقامة مهيئة للامامة[11].

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لانها. (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: ذكرات (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: السوره (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: احدا (٦) راجع الجامع ٢/١٧٤ (٧) زيد في الأصل: و كن مجدا. و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من ظ و م و مد. و في الأصل: انتفعت منه (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: في (١٠) من مد، و في الاصل و ظ و م: عليك (١١) من ظ و م و مد، و في الاصل: للاقامة.

و لما

و لما كان تكميل النفس مرقيا إلى تكميل الغير ليكون له مثل أجره ، قال تعالى [1] مبينا لهذه النعمة العظيمة و المنة الجسيمة [1] معيدا للجار معبرا بالإيمان و الوصف إيذانا بأن أعلى الأمة محتاج إلى ذلك ، لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره ، و هذا مشرفا [2] لهذه الأمة حيث أمر الشفيع المجاب الدعوة بالاستغفار [3] لهم [و هو ـ [4]] بالدعاء و الحث على الاجتهاد فى ٥ الأعمال الصالحة ، حاذفا المضاف إشارة إلى الاحتياج إلى المغفرة فى كل حال لما للانسان من النقصان بالخطأ و النسيان : ﴿ وللمؤمنين و المؤمنٰت [5] ﴾ أى الراسخين فى الإيمان لأنهم أحق الناس بذلك منك لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره ، و لا يخلو أحد منهم من تقصير فى المعارف الإلهية و العمل بموجبها أو هفوة . ١٠

و لما كان معرفة من يذنب و من لا يذنب متوقفة على إحاطة العلم ، قال عاطفا على ما تقديره : فالله [5] يعلم حركاتكم و سكناتكم سرا و جهرا و يعلم أنكم لابد أن تعملوا [6] ما جبلكم عليه من ذنب و هو يغفر لمن أراد ممن يسعى فى كمال نفسه و تكميل غيره بغسل الذنوب ، بالرجوع إلى طاعة [7] علام الغيوب : / ﴿ و الله ﴾ المحيط بجميع صفات الكمال ١٥ / ٨٢١ ﴿ يعلم متقلبكم ﴾ أى تقلبكم و مكانه و زمانه ﴿ و مثوٰكم ع ﴾ اى موضع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : مشرف (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فان الله (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعلموا . (٧) زيد فى الأصل : الملك المعبود ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

سكونكم و قراره للراحه و كل ما يقع فيه من الثواء [في وقته - [1]] في الدنيا و الآخرة من حين كونكم نطفا إلى ما لا آخر له .

و لما كان أدل دليل على إحاطة العلم ، علم ما ابطنه الإنسان و لا سيما إن كان مخالفا لما أظهره ، قال دالا على إحاطة علمه باظهار ٥ أسرار المنافقين عاطفا على " و منهم من يستمع اليك " : ﴿ و يقول ﴾ على سبيل التجديد المستمر ﴿ الذين امنوا ﴾ أى ادعوا ذلك بألسنتهم و فيهم [2] الصادق و المنافق دالين على صدقهم في [3] إيمانهم بالتحريض على طلب الخير بتجدد الوحي الذي هو الروح الحقيقي : ﴿ لولا نزلت ﴾ على سبيل التدريج ، و بناه للمفعول دلالة على إظهارهم أنهم صاروا في صدقهم ١٠ في الإيمان [4] ، اعتقادهم أن التنزيل لايكون إلا من الله بحيث [5] لايحتاجون إلى التصريح به ﴿ سورة ج ﴾ [6] أى سوره كانت لنسر بسماعها و نتعبد بتلاوتها و نعمل بما فيها كائنا ما كان ، و يستمر الوحي فينا متجددا مع تجدد الزمان ليكون ذلك أنشط لنا و أدخل في تحريك عزائمنا ﴿ فاذآ انزلت سورة ﴾ اى قطعة [7] من القرآن تكامل نزولها [كلها - [8]] ١٥ تدريجا أو جملة ، و زادت على مطلوبهم بالحس [9] بأنها ﴿ محكمة ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فيه (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : « و » (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ايمانهم (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : حيث (٦) زيد في الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٧) زيد في الأصل و ظ : كاملة ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالحسن .

مبينة [لا - [1]] يلبس شيء منها بنوع إجمال و لا ينسخ لكونه جامعا للحاسن فى [كل - [1]] زمان و مكان ﴿ و ذكر فيها القتال [2] ﴾ بأي ذكر كان، و الواقع أنه [3] لايكون إلا ذكرا مبينا [أنه - [1]] لا يزداد إلا وجوبا و تأكدا حتى تضع الحرب أوزارها، قال البغوى [4]: و كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة و هى أشد القرآن على المنافقين. ٥ و هو مروى عن قتادة ﴿ رأيت ﴾ [أى - [1]] بالعين و القلب ﴿ الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى ضعف فى الدين أو نفاق من الذين أقروا بالإيمان و طلبوا تنزيل القرآن و كانوا قد أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن أمرتهم ليخرجن ﴿ ينظرون اليك ﴾ كراهة لما نزل عليك بعد أن حرضوا على طلبه ﴿ نظر المغشىّ عليه ﴾ و لما كان للغشى أسباب، ١٠ بين أن هذا أشدها فقال تعالى: ﴿من الموت﴾ الذى هو نهاية [5] الغشى فهو لايطرف بعينه بل هو شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن و الخور.

و لما كان هذا أمرا منابذا [6] للانسانية لأنه مباعد [7] للدين و المروءة، سبب عنه أعلى التهديد فقال متوعدا لهم بصورة الدعاء بأن يليهم [8] المكروه: ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنه (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ /١٥١ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غاية (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مديدا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: مباعد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بينهم.

﴿ فأو ﴾ أى أشد[1] ميل و ويل و انتكاس و عثار[2] موقع لهم فى الملكة كائن ﴿ لهم ﴾ أى خاص بهم، و فسرته بذلك لما تقدم فى آخر الأنفال من أن مادة "ولى" تدور على الميل، فاذا[3] كانت على صيغة أفعل التفضيل - و هو قول الأكثر - جاءت الشدة، قال / الأصمعى: إنه[4] فعل /٨٢٢ ماض أى قاربهم ما يهلكهم[5] و أولاهم الله الهلاك، و قال الرضى فى ٥ باب المعرفة و النكرة: إنه علم للوعيد و فيه وزن الفعل[6] فلذا منع من الصرف، و ليس بأفعل تفضيل و لا أفعل فعلا و لا اسم فعل لأن أبا زيد حكى لحاق تاء التأنيث له فقالوا: أولاة الآن - كأرملة[7] و هو من وله الشر أى قرنه حال، و قبوله التاء لا يضر الوزن، لأن ذلك فى[8] ١٠ علم آخر.

و لما علم بما ذكر من التسبب أن هذا الدعاء عليهم لما تقدم من سوء أدبهم فى مقالهم، و قبح ما ظهر من فعالهم، حصل التشوف إلى[9] ما ينبغى لهم، فقال تعالى[10] على طريق[11] النشر المشوش: ﴿طاعة﴾ أى

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشل (٢) زيد فى الأصل: و عتاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فان (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يهلكهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القول (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كا دملة - كذا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٩) زيد فى الأصل: سماع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل: عاطفا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: طريقة.

منهم ﴿و قول معروف﴾ أى بالتسليم و الإذعان و حسن الانقياد خير لهم مما أظهروا من المحبة فى الطاعة و ما كشف [1]حالهم عنه[1] من الكراهة، [و -[2]] نكر الاسمين ليكونا[3] صالحين للتعظيم و ما دونه، ثم سبب عنهما قوله مسندا إلى الأمر ما [هو - [4]] لأهله تأكيدا لمضمون الكلام: ﴿فاذا عزم الامر﴾ أى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر [فى -[2]] ٥ أول السورة و غيره من الأوامر أمرا مجزوما به معزوما عليه ﴿فلو صدقوا الله﴾ أى الملك[5] الأعظم [6]المحيط قدرة و علما[6] فى قولهم الذى قالوه فى طلب التنزيل ﴿لكان﴾ [7]صدقهم له ﴿خيرا لهم﴾ أى من تعللهم و تسللهم عنه لواذا على تقدير[8] التنزل فى تسليم أن فى جباحهم عن الأمر و تقاعدهم عنه نوع خير[9]، و يجوز [أن يكون -[2]] ١٠ "خير" اسما لا للتفضيل ليفهم أن كذبهم شر لهم.

و لما كان هذا تبكيتا لهم[10] من أجل فتورهم عن أمر الله، سبب [عن -[2]] ذلك الفتور بيان ما يحصل منه من عظيم الفساد و يتأثر به

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عنه حالهم (٢) زيد من م و مد.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ليكونوا (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) زيد فى الأصل : المعظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : سبيل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : خسر (١٠) زيد فى الأصل : على ما حصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

[من - ١] خراب البلاد و شتات العباد فى معرض سؤال فى أسلوب
الخطاب بعد التبكيت و التهديد فى أسلوب الغيبة تنبيها على تناهى
الغضب و بلوغه الغاية فقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى فتسبب عن
تسرعكم إلى السؤال فى أن يأمركم الملك بما يرضيه ، فاذا أجابكم فرحكم[2]
٥ بما يعلم أنه أصلح الأشياء لكم و هو الجهاد كرهتموه و وجهتم منه و قعدتم[3]
عنه أن يقال لكم لما يرى منكم من المخايل الدالة على ضعف الإيمان :
هل يمكن عندكم نوع إمكان و تتوقعون[4] شيئا من توقع أن يكون حالكم
جديرا و خليقا لتغطية[5] علم العواقب عنكم فتخافون من أنفسكم .

و لما كان المقام لذم الإعراض عن الأمر ، فصل بين " عسى "
١٠ و خبرها بشرطية معبر[6] فيها بالتولى بصيغة التفعل إشارة مع نهاية الذم
إلى أن المعرض عن أمر الله معرض عما تدعوه الفطرة الأولى القويمة
و العقل السديد إلى حسنه ، فهو لايعرض عنه إلا بمجاهدة منه لنفسه فقال
تعالى : ﴿ ان توليتم ﴾ أى بأنفسكم عن الجهاد الذى أمركم به ربكم[7]
الذى عرفكم من فوائده / ما لامزيد عليه[8] بما لايتركه معه عاقل و لايتخيل ٨٢٣ /
١٥ تركه إلا على سبيل الفرض - بما أشارت إليه أداة الشرط - أو حصلت

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فقد رحمكم .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقدمتم (٤) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : متوقعون (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تغطية (٦) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : معبرا (٧) زيد فى الأصل : ومربيكم ، و لم تكن الزيادة
فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه .

توليتكم بتحصيل محصل أوجبها لكم و زينها فى أعينكم حتى فعلتموها ، و هذا المعنى الثانى هو المراد ببنائه للمجهول[١] فى رواية رويس عن يعقوب[٢] ﴿ ان تفسدوا ﴾ أى توقعوا الإفساد العظيم الذى يستمر تجديده[٣] منكم[٤] ﴿ فى الارض ﴾ بقتال يكرهه الله و يسخطه[٥] و يغضب أشد غضب على فاعله و تكونوا فى غاية الجرأة عليه ، فان الذى رحمكم بانزال ما أنزل ٥ حكم بأن[٦] من جبن عما يرضيه رغبة فى الآخرة اجترأ على [ما - ٧] يسخطه حبا فى الدنيا ، و قد كنتم فى الجاهلية على ذلك فى الغارة من بعضكم على بعض و نحو ذلك ﴿ و تقطعوآ ﴾ تقطيعا [٨]عظيما شديدا[٨] كثيرا منتشرا كبيرا ﴿ ارحامكم ه ﴾ فتكونوا بذلك أعزة على المؤمنين كما كنتم أذلة على الكافرين ، و أقل ما فى إعراضكم خذلانكم للمؤمنين المجاهدين ١٠ مما قد يكون سببا لظهور الكافرين عليهم فتكونوا بذلك قد جمعتم بين [قطيعة - ٩] أرحامهم[١٠] و فقدكم لما كان يصل إليكم من منافعهم ، فان كففتم[١١] بعدهم عن قتلهم كنتم مع ما فاتكم من خيرهم [أجبن - ٩] الناس و أرضاهم بالعار ، و إن تعاطيتم الأخذ بثأرهم كنتم[١٢] كمن أخذ فى

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للفعول (٢) راجع نثر المرجان ٦/٥٩٧ .
(٣) فى ظ و مد : بجدده (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رسوله و سخطه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ارحامكم . (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و مد : كنتم (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ا كنتم .

فعل ما أمر به بعد فواته و ان له ذلك، و قد علم من هذا أن من
أمر بالمعروف و جاهد أهل المنكر أمن[1] الإفساد فى الأرض و قطيعة
الرحم، و من تركه وقع فيهما، و يمكن أن يكون "توليتم" من ولاية
الأمر، فتكون الآية مشيرة إلى ولاية الفجرة و منذرة بذلك أن اصنع
٥ الأمر بالمعروف، و قد وقع ذلك و شوهد ما ابتلى عليه من الفساد
و القطيعة، و عزائم الأنكاد[2] و سوء الصنيعة .

و لما بين لهم ما يكون ممن تثاقل عن أمر الله، لأن الملك لا يطرق
احتمالا فى شىء إلا و هو واقع فرقا بين كلامه و كلام غيره[3]، فكيف
بملك الملوك المحيط بكل شىء قدرة و علما[3]، بين حالهم الذى أنتج لهم
١٠ ذلك، فقال ملتفتا عنهم إيذانا بالغضب مخاطبا لمن جبل على الشفقة على
خلق الله و الرحمة لهم إعلاما له بأن هؤلاء قد تحتم شقاؤهم فليسوا بأهل
للشفاعـــة فيهم و لا للأسى عليهم : ﴿ اولـئك ﴾ أى البعداء البغضاء
﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى [4]طردهم أشد الطرد الملك الاعظم[4] لما ذكر
من إفسادهم و تقطيعهم[5] : ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى : ﴿ فاصمهم ﴾
١٥ عن الانتفاع بما يسمعون[6] ﴿ و اعمى ابصارهم ﴾ عن الارتفاق بما يبصرون،

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : امر (٢) من م و مد، و فى الأصل
و ظ : الانكار (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : علمه (٤-٤) من ظ و م
و مد، و فى الأصل : الملك العظيم الكبير طردهم اشد الطرد (٥) من ظ
و م و مد، و فى الأصل : تقطيهم (٦) مـن م و مد، و فى الأصل و ظ :
يسمعونه .

فليس سماعهم سماع ادكار، و لا إبصارهم إبصار اعتبار، فلا سماع لهم[1] و لا إبصار.

و لما أخبر بذلك فكان ربما سأل من لايعى الكلام حق وعيه عن السبب الموجب للعن المسبب للصم[2] و العمى، أجابه[3] بقوله منكرا موبخا مظهرا لتاء التفعل إشارة إلى أن المأمور به صرف جميع الهمة إلى ٥ التأمل: ﴿افلا يتدبرون﴾ أى كل من له أهلية التدبر / بقلوب منفتحة / ٨٢٤ منشرحة ليهتدوا إلى [كل - [4]] خير ﴿ القران ﴾ بأن يجهدوا أنفسهم فى أن يتفكروا فى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس تفكر من ينظر فى أدبار الأمور و ما ذا يلزم من عواقبها ليعلموا أنه لا عون[5] على الإصلاح فى الأرض و صلة الأرحام و الإخلاص لله فى ١٠ لزوم كل طاعة و البراءة من كل معصية مثل الأمر بالمعروف من الجهاد بالسيف و ما دونه، و ربما دل إظهار التاء على أن ذلك من أظهر ما فى القرآن من المعانى، فلا يحتاج فى العثور عليه إلى كبير تدبر - و الله أعلم.

و لما كان الاستفهام إنكاريا فكان معناه نفيا، فهو لكونه[6] داخلا على النفى نفى له فصار إثباتا، فكان كأنه قيل: هل يجددون ١٥ التدبر تجديدا مستمرا لترق قلوبهم به و تنير بصائرهم له، فيكفوا عن

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: عن الصمم.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اجابهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل وظ: يجوز (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكنه.

الإفساد و التقطيع، عادله بقوله مشبها للقلوب بالصناديق دالا على ذلك التشبيه بذكر ما هو مختص بالصناديق من الأقفال: ﴿ام على قلوب﴾ من قلوب الغافلين لذلك، و نكرها لتبعيضها و تحقيرها بتعظيم قسوتها ﴿اقفالها﴾ أي الحقيقة[1] بها الجديرة بأن تضاف إليها، فهي لذلك ٥ لاتعي شيئا و لاتفهم أمرا و لاتزداد إلا غباوة و عنادا. لأنها لا تقدر على التدبر، قال القشيري: فلا تدخلها زواجر التنبيه و لاينبسط عليها شعاع العلم، فلا يحصل لهم فهم الخطاب. و الباب إذا كان مقفلا فكما لايدخل فيه شيء فلا يخرج ما فيه، فلا كفرهم يخرج و لا الإيمان الذي يدعون إليه يدخل - انتهى. و الإضافة تشعر بأن [بعض -[2]] المتولين ١٠ على قلوبهم أقفال، لكن ليست متمكنة فيها، فهو سبحانه يفتحها بالتوبة عليهم [3]إذا أراد[3]. و أما الأولون فلا صلاحية لهم، و في هذه الآية اعظم حاث على قبول[4] أوامر الله لاسيما الجهاد [5]في سبيله[5] و أشد زاجر عن الإعراض عنه لأن حاصلها أنه لعن من أعرض عنه لكونه لايتدبر القرآن مع وضوحه و يسره ليعلم فوائد الجهاد الداعية إليه ١٥ المحبة[6] فيه، فكان [كأن -[7]] قلبه مقفل، و الآية من الاحتباك:

---

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: الحقيرة (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣-٣) وقع في الأصل بعد «سبحانه» و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: قلوب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: للحبة (٧) زيد من م و مد.

ذكر التدبر اولا دليلا على ضده ثانيا ، و الاقفال ثانيا دليلا على ضدها أولا ، وسره أنه ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة اولا و سبب الشر الجامع للشقاوة ثانيا .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأقفال قلوبهم . بين منشأ ذلك ، فقال مؤكدا تنبيها [لمن لا يهتم به - [1]] على أنه مما ينبغى الاهتمام بالنظر فيه ليخلص الإنسان نفسه منه ، و تكذيبا لمن يقال : إن ذلك حسن : ﴿ ان الذين ارتدوا ﴾ أى عالجوا نفوسهم فى منازعة [2] الفطرة الأولى فى الرجوع عن الإسلام ، و هو المراد بقوله : ﴿ على ادبارهم ﴾ أى من أهل الكتاب و غيرهم ، فقلبوا وجوه الأمور إلى ظهورها ، فوقعوا فى الضلال فكفروا . ١٠

و لما كان الذى يلامون عليه ترك ما أتاهم به النبى صلى الله عليه و سلم مما أوحاه الله سبحانه إليه من الشريعة ، لا ما فى غرائزهم من الملة التى / يكفى فى الهداية إليها نور العقل ، وكان الذم لاحقا بهم و لو كان ارتدادهم فى أدنى وقت ، أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد ما تبين ﴾ غاية البيان [3] الذى لا خفاء معه بوجه ما و ظهر غاية الظهور [3] ﴿ لهم ﴾ بالدلائل التى هى من شدة ظهورها غنية عن [4] بيان مبين [4] ﴿ الهدى لا ﴾ أى الذى أتاهم به رسولنا صلى الله عليه و سلم . ١٥ / ٨٢٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منازعتهم .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البيان المبين .

و لما كانوا قد أحرقوا بذلك أنفسهم و ابعدوها به غاية البعد عن كل خير، عبر عن المغوى بما يدل على ذلك فقال تعالى[1]: ﴿الشيطٰن﴾ أى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة ﴿سول﴾ أى[2] حسن ﴿لهم[3]﴾ بتزيينه و إغوائه الذى حصل لهم منه استرخاء فى عزائمهم و فتور[4] فى ٥ هممهم فجروا معه فى مراده فى طول الأمل، و الإكثار من موافقة الزلل و الأمانى من جميع الشهوات و العلل، بعد أن زين لهم سوء العمل[5]، بتمكين الله له منهم، و هذا لما علم سبحانه منهم حال الفطرة الأولى[5] ﴿و املى لهم[6]﴾ أى أطال فى ذلك و وسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوين و مر الجديدين حتى[6] نسوا المواعظ و أعرضوا عن الذكر ١ - هذا على قراءة الجماعة بفتح الهمزة و اللام، و أما على قراءة البصريين[7] بضم الهمزة و كسر اللام فالمراد أن الله تعالى هو المملى - أى الممهل - لهم بإطالة العمر و إسباغ النعم، و تسهيل الأمانى و الحلم، عن المعاجلة بالنقم، حتى اغتروا، و هى ايضا[8] موافقة لقوله تعالى " سنستدرجهم من حيث لايعلمون و املى لهم ان كيدى متين[8] "، و أما فى قراءة

---

(١) زيد فى الاصل: مبينا ان دليلهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: زين و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتورهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عمالهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: انهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦/٦٠١ (٨) سقط من ظ و م و مد.

أبي عمرو بفتح الياء فهو[1] فعل ماض مبني للمفعول . و دل على ان المملي هو الله سبحانه و تعالى قراءة يعقوب بإسكان الياء على أنه مضارع همزته للتكلم .

و لما بين تسليطه[2] الشيطان عليهم ، بين سببه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر البعيد من الخير و ما دل عليه صريح العقل ﴿ بانهم ﴾ أي ٥ بسبب[3] أن هؤلاء المتولين ﴿ قالوا للذين كرهوا ما ﴾ أي جميع ما ﴿ نزل الله ﴾ أي الملك الأعظم على التدريج بحسب الوقائع تنزيلا فيه إعجاز الخلق في بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات و جزالتها مع السهولة في النطق و العذوبة في السمع و الملاءمة للطبع[4] كما يشهد به كل ذوق من الأغبياء و الأذكياء على تباينهم في مراتب الغباوة و الذكاء ، و إعجاز آخر لهم ١٠ في رصانة المعنى و حكمته ، و ثالث[5] في مطابقته للحال الذي اقتضى نزوله مطابقة يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها ، و رابع بنظمه مع ما نزل قبله من الآيات ، لا على ترتيب النزول ، بل على ما اقتضته الحكمة التي تتضاءل[6] دونها الأفكار ، و تولى خاسئة من جلالتها على الأدبار ، بصائر أولي الأبصار ، و هؤلاء المقول لهم هذا الكلام هم - و الله أعلم - المصارحون ١٥ بالكفر ، قالوا لهم بعد هذه الأدلة من الإعجازات ، و ما تقدمها من

(١) من مد ، و في الأصل و ظ و م : فهي (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تسلطه (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : سبب (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : في الطبع (٥) في م : ثابت (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يتضاءل .

الآيات البينات الواضحات[1] : ﴿ سنطيعكم ﴾ بوعد صادق لاخلف فيه

٨٢٦/ ﴿ فى بعض الامر ج ﴾ وهو القتال فى سبيل الله الذى تقدم أنهم عند

نزول [2]سورة يذكر بها[2] يصيرون [3]كالذى يغشى عليه[3] من الموت ، [فأنتم فى

أمان - [4]] من أن نقاتلكم أبدا ، فانا إنما [5]أسلمنا للامان[5] على دمائنا

٥ وأموالنا ، والذى نحبه مما ينزل هو التأمين لمن أقر بكلمة الإسلام

والقناعة منه بالظاهر والوعد العام بالتبسط[6] فى البلاد والتوسعة فى الأرزاق

ونحو ذلك ، فكانوا بذلك كفرة [7]فان الدين[7] لايتجزأ ، فمن أضاع من

أصوله شيئا فقد أضاعه كله ، والتقييد بالبعض يفهم أنهم لايطيعونهم فى

البعض الآخر ، وهو إظهار الإسلام والتصور بصورة المسالمة ، وذلك

١٠ كله بأن الله تعالى جبلهم جبلة هيأهم فيها لمثل هذا ، فلما قالوه مضيعين

لما من عليهم من غريزة العقل استحقوا فى مجارى عاداتنا لاختيارهم طاعة

العدو - مع تعييب[8] علم العواقب عنهم - أن يخذلوا ويسلط عليهم ليكون

أخذهم فى الظاهر ممن أطاعوه فى الباطن ، ولو أنهم استمسكوا بدينهم

وكانوا مع أهله يدا على من سواهم لم يقدر عليهم عدو ، ولاطرقتهم

١٥ طارقة يكرهونها سوء[9] .

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢ - ٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : هذه السورة (٣-٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كالمغشى عليهم (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : ارسلنا الامان ، وفى م : ارسلنا للامان (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بابسط منه (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى الدين (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تغايب . (٩) زيد بعده فى الأصل : ابدا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كان من له أدنى عقل لايخون إلا [إذا -[1]] ظن أن خيانته[2]
تخفى ليأمن عاقبتها، صور قباحة ما ارتكبوه فقال: ﴿ و الله ﴾ أى
قالوا ذلك و الحال أن الملك الأعظم المحيط بكل شيء علما و قدرة
﴿يعلم﴾ على[3] مر الأوقات ﴿اسرارهم ۵﴾ أى كلها هذا الذى [أفشاه -[4]]
عليهم و غيره مما فى ضمائرهم مما[5] لم يبرز على ألسنتهم، و لعلهم لم يعلموه ٥
[هم -[4]] فضلا عن أقوالهم التى تحدثت بها ألسنتهم، فبان بذلك أنه
لا أديان لهم و لا عقول و لا مروءات.

و لما بين تعالى إحاطة علمه بهم، أتبعه إحاطة قدرته فقال تعالى
مسببا عن خيانتهم و هم فى القبضة بما لايخفى مما يريدون به صيانة أنفسهم
عن القتل معبرا بالاستفهام تنبيها على أن حالهم[6] مما يجازون[6] به على ١٠
هذا الاستحقاق له من البشاعة و القباحة و الفظاعة[7] ما يحق[8] السؤال
عنه لأجله [فقال -[4]]: ﴿فكيف﴾ أى حالهم ﴿اذا توفتهم الملئكة﴾
أى قبضت رسلنا و هم ملك الموت و أعوانه أرواحهم[9] كاملة، لمجازتها
إلى دار الجزاء مقطوعة عن جميع أسبابهم [و أنسابهم -[4]] فلم ينفعهم
تقاعدهم[10] عن الجهاد فى تأخير[11] آجالهم، و صور حالهم وقت توفيهم ١٥

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خيانتهم.
(٣) سقط من م (٤) زيد م من و مد (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: لما.
(٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيما يجاوزونه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفظاظة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يخف - كذا (٩) وقع فى الأصل بعد « رسلنا » و الترتيب من ظ و م و مد.
(١٠) من مد، و فى الأصل و ظ و م: مقاعدهم (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تاخر.

فقال: ﴿ يضربون ﴾ أى يتابعون فى حال التوفية ضربهم ﴿وجوههم﴾ التى هى أشرف جوارحهم التى جبنوا عن الحرب صيانة [لها -[1]] عن ضرب الكفار . و لما كان حالهم فى جبنهم مقتضيا لضرب الأقفاء، صوره بأشنع صوره فقال: ﴿ و ادبارهم ﴾ التى ضربها أدل ما يكون

٥ على هوان المضروب و سفالته ثم[2] تتصل بعد ذلك [آلامهم و عذابهم و هوانهم إلى ما لا آخر له .

و لما كان كفران النعم يوجب -[3]] مع إجلال النعم[4] إبطال ما تقدم من الخدم قال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الإهانة من [فعل -[5]] رسلنا [بهم -[2]] ﴿ بانهم اتبعوا ﴾ أى عالجوا فطرهم الأولى فى أن

١٠ تبعوا[6] عنادا منهم[6] ﴿ مآ اسخط الله ﴾ أى الملك الأعظم و هو العمل بمعاصيه من موالاة أعدائه و مناواة أوليائه و غير ذلك .

٨٢٧ / و لما كان فعل ما يسخط قد يكون مع / الغفلة عن أنه يسخط، بين أنهم ليسوا كذلك فقال تعالى: ﴿ و كرهوا ﴾ أى[7] بالإشراك ﴿ رضوانه ﴾ [8]بكراهتهم [أعظم -[1]] أسباب رضاه و هو الإيمان،

١٥ فهم لما دونه بالقعود عن سائر الطاعات أكره، لأن ذلك ظاهر غاية

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عمهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التعم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتبعوا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الظهور فی أنه مسخط فقاعله[1] مع ذلك غير معذور فی ترك النظر فيه ﴿ فاحبط ﴾ أی فلذلك تسبب عنه أنه أفسد ﴿ اعمالهم ﴾[4] الصالحة فأسقطها بحيث لم يبق لها وزن[2] أصلا لتضييع الأساس من مكارم الأخلاق من قرى الضيف و الأخذ يد الضعيف و الصدقة و الإعتاق و غير ذلك من وجوه الإرفاق . ٥

و لما صور سبحانه ما أثرته خيانتهم بأقبح صوره ، فبان [به - ٣] أنه ما حملهم على ما فعلوه إلا جهلهم و سفاهتهم ، فأنتج إهانتهم بالتبكيت فقال عاطفا على ما تقديره : أعلموا حين قالوا ما يسخطنا أنا نعلم سرهم و بحوامم ، و أن قدرتنا محيطة بهم[4] ليكونوا قد وطنوا أنفسهم على أنا نظهر للناس ما يكتمونه و نأخذهم أخذا وبيلا فيكونوا أجهل الجهلة : ١٠ ﴿ ام ﴾ حسبوا لضعف عقولهم - بما أفهمه التعبير بالحسبان - هكذا كان الأصل ، و لكنه عبر بما دل على الآفة التى أدتهم إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ حسب الذين فی قلوبهم ﴾ التی إذا فسدت فسد جميع أجسادهم ﴿ مرض ﴾ أی آفة لاطب لها °حسبانا هو° فی غاية الثبات بما دل عليه التأكيد فی قوله سبحانه و تعالى : ﴿ ان لن يخرج الله ﴾ أی يبرز من هو ١٥ محيط بصفات[6] الكمال للرسول صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضوان الله عليهم

---

(١) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : و فاعله (٢) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : وزنا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فی الأصل و ظ : بنا (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : حسابانهم (٦) زيد فی الأصل : الجمال و العظمة ، و لم تكن الزيادة فی ظ و م و مد فحذفناها .

عـلى سبيل التجديد و الاستمرار ﴿ اضغانهم ه ﴾ أى ميلهم و ما يبطنونه [فى -[1]] [2]دواخل أكشاحهم[2] من اعوجاجهم الدال على احقادهم، و هى أنهم كاتمون عداوة فى قلوبهم مصرون عليها يترقبون الدوائر لانتهاز فرصتها، ليس الأمر كما توهموا بل الله يفضحهم و يكشف تلبيسهم .

٥ و لما[3] علم من ذلك إحاطة علمه سبحانه و تعالى و شمول قدرته علم ما له سبحانه من باهر العظمة و قاهر العزة، فنقل الكلام إلى أسلوبها تنبيها على ذلك عاطفا على ما تقديره : خابت[4] ظنونهم و فالت[5] آراؤهم فلنخرجن[6] ما يبالغون فى ستره حتى لاندع منه شيئا يريدون إخفاءه[7] إلا كشفناه و أبديناه للناس و أوضحناه، فانا نعلمهم و نعلم ذلك منهم من قبل أن

١٠ نخلقهم، فلو نشاء لفضحناهم حتى يعرفهم الناس أجمعون، فلا يخفى منهم أحد على أحد [منهم -[8]] فقال تعالى : ﴿ ولو ﴾ و يجوز أن تكون واوه للحال أى أم حسبوا ذلك و الحال أنا لو ﴿ نشآء ﴾ أى وقعت منا مشيئة الآن أو قبله أو بعده . و لما كانوا لشدة جهلهم لايتصورون أن سرائرهم كلها معلومة مقدور / على أن يعلمها بشر[9] مثلهم، أكد قوله : /٨٢٨

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : داخل حشائهم (٣) زيد فى الأصل : كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : حات (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م : قالت (٦) زيد فى الأصل و ظ : على، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : خفاءه (٨) زيد من م و مد . (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بشد .

﴿ لأريناكهم ﴾ [1] أي رؤية تامة كاشفة لك الغطاء عنهم [1] ﴿ فلعرفتهم ﴾ أي فتعقبت رؤيتك إياهم معرفتك لهم أنت بخصوصك ﴿ بسيمٰهم [2] ﴾ أي بسبب علاماتهم التي نجعلها عالية عليهم [غالبة لهم - [3]] في إظهار ضمائرهم عليها لا [3] يقدرون على مدافعتها بوجه ، و لم يذكرهم سبحانه بأسمائهم إبقاء [4] على قراباتهم المخلصين [5] من الفتن . ٥

و لما انقضى ما علق بالمشيئة مما كان ممكنا له في الماضي و غيره ، عطف عليه ما بجزء له مما كشف من أمرهم في المستقبل فقال مؤكدا لاستبعاد من يستبعد ذلك منهم أو ممن شاركهم [6] في مرض القلب من غيرهم فقال في جواب قسم محذوف دل عليه باللام [7]: ﴿ و لتعرفنهم ﴾ أي بعد هذا الوقت [8] معرفة تتجدد بحسب تجدد أقوالهم مستمرة باستمرار ١٠ ضمائرهم الخبيثة و إسرارهم ﴿ في لحن القول [9] ﴾ أي الصادر منهم ، و لحنه فحواه [10] أي معناه و مذهبه [و - [10]] ما يدل عليه و يلوح به من مثله عن حقائقه إلى عواقبه و ما [11] يؤول إليه [11] أمره مما يخفى على غيرك ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فلا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ و م : اتقا (٥) من مد ، و في الأصل و ظ و م : المخلصون (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : شاكلهم (٧) زيد في الأصل : بقوله تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : القول (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : نجواه (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١-١١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يدل عليه .

و قال ابن برجان : هو ما تنحو إليه بلسانك اى تميل[1] إليه ليفطن لك صاحبك و تخفيه على من لم يكن له عهد بمرادك ، و على القول بالتحقيق فلحن القول ما يبدو من غرض الكلام و خفيات الخطاب و سياق اللفظ و هيئة السحنة حال القول و إن لم يرد المتكلم أن يظهره و لكنه على
٥ الأغلب يغلبه حالا ، فلا يقدر على كل كتمه و إن كان فى تكليمه معتمدا على ذلك ، و حقيقته حال يلوح عن السر و إظهار كلام الباطن يكاد يناقض كلام اللسان بحال خفية و معان يقف[2] عليها باطن التخاطب [و -[3]] قال :

و لقد لحنت لكم لكيما تفقهوا[4] و اللحن يعرفه ذوو الألباب

١٠ و قال [آخر -[3]] :

عيناك قد دلتا[5] عيناى منك على أشياء لولا هما ما كنت أدريها

و قال أبو حيان[6] : كانوا اصطلحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه و سلم مما ظاهره حسن و يعنون به القبيح ، و قال الأصبهانى : و قيل للمخطىء: لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب : و قال البغوى[7]:
١٥ للحن[8] وجهان[9] : صواب [و خطأ -[10]] . فالفعل من الصواب لحن يلحن

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تمثل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يناقص (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل وظ و م : تفهموا (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : دليا (٦) راجع البحر المحيط ٨/٨٥ . (٧) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ /١٥٣ (٨) من م و مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : اللحن (٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى م و مد و المعالم فحذفناها (١٠) زيد من ظ و م و مد و المعالم .

لحنا فهو لحن - إذا فطن[1] للشيء، و الفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن، و الأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، [قال - [2]] : فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه و سلم إلا عرفه، و قال الثعلبي: وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، [كان يعرفهم بسيماهم، ٥ و لقد كنا في غزوة و فيها سبعة من المنافقين - [3]] يشكرهم[4] الناس فناموا ذات ليلة و أصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب "هذا منافق" و مثل ابن عباس رضي الله عنهم بقولهم " ما لنا ان اطعنا من الثواب " قال: و لا / يقولون: [ما لنا - [5]] إن عصينا من العقاب[6]. / ٨٢٩

و لما أخبر سبحانه أنه يعلم ظواهرهم و بواطنهم، و أنه يجليهم لنبيه ١٠ صلى الله عليه و سلم في صور ما يخفونه من أقوالهم، و أكد ذلك لعلمه بشكهم[7] فيه، واجههم بالتبكيت زيادة في إهانتهم عاما لغيرهم إعلاما بأنه محيط بالكل[8] فقال عاطفا على ما تقديره: فالله يعلم أقوالكم: ﴿و الله﴾ أي بما له من صفات الكمال[9] ﴿يعلم اعمالكم﴾ كلها الفعلية و القولية جليها و خفيها، علما[10] ثابتا غيبيا و علما راسخا شهوديا يتجدد ١٥

---

(١) من م و مد و المالم، و في الأصل و ظ: تفظن (٢) زيد من م و مد و المالم (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و في الاصل و ظ: سكرهم. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الاصل: العقبات. (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: بشكرهم (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الكل (٩) سقط من ظ و م و مد (١٠) زيد في الأصل: شانيا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك .

و لما أخبر سبحانه أنه يعرفهم لنبيه صلى الله عليه و سلم، أتبعه الإخبار بأنه يعرفهم لكافة المؤمنين أيضا، فقال مؤكدا لأجل ظنهم أن عندهم من الملكة الشديدة و العقل الرصين ما يخفون به أمورهم :

٥ ﴿و لنبلونكم﴾ أي نعاملكم معاملة المبتلي بأن نخالطكم بما لنا من صفات[1] العظمة بالأوامر الشديدة على النفوس و النواهي الكريهة إليها و المصائب، خلطة مميلة محيلة، و هكذا التقدير في الفعلين الآتيين في قراءة الجماعة[2] بالنون جريا على الأسلوب الأول، و في قراءة أبي بكر عن عاصم بالياء الضمير لله تعالى الذي هو محيط بصفات[3] العظمة الراجعة إلى القهر

١٠ و غيرها[4] من صفات الإكرام[5] الآئلة إلى الإنعام، فهو في غاية الموافقة لقراءة النون ﴿حتى نعلم﴾ بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج[6] من سرائركم ما كوناه فيكم [و جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم -[7]] بل و لا تعلمونه أنتم حق علمه ﴿المجهدين منكم﴾ في القتال و [في -[7]] سائر الأعمال و الشدائد

١٥ و الأهوال امتثالا للأمر بذلك .

و لما كان عماد الجهاد الصبر على المكاره، قال تأكيدا لأمره :

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ (٣) زيد في الأصل : الكمال و، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : غيره (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : القدرة (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : فسيخرج (٧) زيد من م و مد .

﴿ و الصبرين لا ﴾ أي على شدائد الجهاد و غيره من الأنكاد . قال القشيري : فبالابتلاء و الامتحان تتبين جواهر الرجال ، فيظهر المخلص و يتضح الماذق و ينكشف المنافق . و لما نصب معيارا للعلم بالذوات ، أتبعه مسبارا[1] لمعرفة للأخيار ، فقال عاطفا على "نعلم" في رواية الجماعة و على "نبلو" في الرواية عن يعقوب باسكان الواو : ﴿ و نبلوا اخباركم ﴾ أي نخالطها[2] بان ٥ نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا و قبيحا مليحا[3] ليظهر للناس العامل لله[4] و العامل للشيطان ، فان العامل لله إذا سمي قبيحه باسم الحسن علم أن ذلك إحسان[5] من الله إليه فيستحيي منه و يرجع إليه ، و إذا سمي حسنه باسم القبيح و اشتهر به علم أن ذلك لطف من الله به كيلا يدركه العجب أو يهاجمه[6] الرياء فيزيد في إحسانه ، و العامل للشيطان يزداد في القبائح ١٠ لأن شهرته عند الناس / محط نظره ، و يرجع عن[7] الحسن لأنه لم يوصله / ٨٣٠ إلى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخير و لم يؤكد بناء ، و في قراءة يعقوب[8] إشارة إلى أن إحالة حال المخبر بعد ظهور خبره أسهل من إحالته قبل ظهوره ، و عن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى و قال : اللهم لا تبلنا فانك إن بلوتنا هتكت أستارنا و فضحتنا . ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : معيارا (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انما يعلمنا (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : حسنا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : احسانا . (٦) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يهاجه (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : في (٨) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ .

و لما جرت[1] العادة بأن الإنسان لايعذب و لا[2] يهدد إلا من ضره كما تقدم من الإخبار بتكالهم و قبيح أعمالهم مهيئا[3] للسؤال عن ذلك فاستأنف قوله مؤكدا لظنهم أنهم هم[4] الغالبون لحزب الله : ﴿ان الذين كفروا﴾ أى غطوا ما دلت عليه عقولهم من ظاهر آيات الله
٥ لاسيما بعد إرسال الرسول المؤيد بواضح المعجزات صلى الله عليه و سلم ﴿و صدوا﴾ أى امتنعوا و منعوا غيرهم زيادة فى كفرهم ﴿عن سبيل الله﴾ أى الطريق الواضح الذى نهجه الملك الأعظم . و لما كان أكثر السياق للساترين بكفرهم[5]، أدغم فى قوله : ﴿و شآقوا الرسول﴾ اى الكامل فى الرسلية المعروف غاية المعرفة .
١٠ و لما كان سبحانه قد عفا عن إهمال الدليل العقلى على الوحدانية قبل الإرسال، قال مثبتا الجار إعلاما بأنه لايغفر لمضيعه بعد الإرسال و لو فى أدنى وقت : ﴿من بعد ما تبين﴾ أى غاية التبين بالمعجز[6] ﴿لهم الهدى لا﴾ بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج بما أظهره الرسول من الخوارق إلى مبين، و منه ما أخبرت به الكتب القديمة الإلهية .
١٥ و لما كان المناصب للرسول إنما ناصب من أرسله، دل على ذلك بقوله معريا له من الفاء دلالة على عدم التسبيب[7] بمعنى أن عدم هذا الضر

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : جرى (٢) سقط من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مهشا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى كفرهم (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالعجز (٦) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التسبب .

موجود عملوا او لم يعملوا وجدوا او لم يوجدوا[1] ﴿لن يضروا الله﴾ أى ملك الملوك، و لم يقل: الرسول ﴿شيئا[2]﴾ أى كثيرا و لا قليلا من ضرر بما تجمعوا عليه من الكفر و الصد.

و لما كان التقدير: إنما ضروا أنفسهم ناجزا بأنهم أتعبوها بما لم يغن عنهم[3] شيئا، عطف عليه: ﴿و سيحبط﴾ أى يفسد[4] فيبطل بوعد ٥ لاخلف فيه ﴿اعمالهم٥﴾ من المحاسن لبنائها من المنافق [على غير أساس ثابت، فهو إنما يرائى بها، و من المجاهر على غير -[5]] أساس أصلا، فلا ينفعهم شيء منها، و من المكايد التى يريدون بها توهين الإسلام و تجعل تدميرهم بها فى تدبيرهم و إن تناهوا فى إحكامها، فلا تثمر لهم إلا عكس مرادهم سواه[6]. ١٠

و لما حدى ما تقدم كله من ترغيب المخلص و ترهيب المتردد و المبطل إلى الإخلاص و دعا إلى ذلك مع بيان[7] أنه لا غرض أصلا، و إنما هو رحمة و لطف و إحسان [و -[7]] منّ، أنتج قوله مناديا من احتاج إلى النداء [8]من نوع[8] بعد لاحتياجه إلى ذلك و عدم مبادرته[9] قبله: ﴿يٰٓايها الذين اٰمنوآ﴾ أى أقروا بألسنتهم ﴿اطيعوا الله﴾ أى الملك ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يجدوا (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعرفهم (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحبط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و سوى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بيانه (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بنوع (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: مبادرته.

/ ٨٣١ الأعظم تصديقا لدعواكم طاعته[1] بشدة الاجتهاد فيها / انها خالصة، وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى: ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ لأن طاعته من[2] طاعة الذى أرسله، فاذا فعلتم ذلك حققتم[3] أنفسكم وأعمالكم كما مضى اول السورة، فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة[4]
٥ بتصحيح النيات وتصفيتها مع الإحسان للصورة فى الظاهر ليكمل العمل صورة وروحا.

ولما كانت الطاعة قد تحمل على إقامة الصورة الظاهرة، قال منبها على الإخلاص لتكمل حسا ومعنى: ﴿ ولا تبطلوآ اعمالكم ﴾ اى بمعصيتهما، فان الأعمال الصالحة إذا نوى بها ما لا يرضيهما بطلت وإن كانت فى
١٠ الذروة من حسن الصورة، فكانت صورة بلا معنى، فهى مما يكون هباء منثورا مثل ما فعل أولئك المظهرون للايمان المبطنون للشاققة بالنفاق والرياء والعجب والمن[5] والأذى ونحو ذلك من المعاصى، ولكن السياق بسياقه ولحاقه يدل على أن الكفر هو المراد الأعظم بذلك، والآية [من الاحتباك - [6]]: ذكر الطاعة أولا دليلا على المعصية
١٥ ثانيا، والإبطال ثانيا دليلا على الصحة اولا، وسره أنه أمر بمبدأ[7]

---

(١) فى مد: طاعة (٢) زيد فى الأصل: طاعته اعنى من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: حقنتم (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الطاة - كذا (٥) زيد فى الأصل: والرياء، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد.
(٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بهذا.

السعادة و نهى عن نهاية الفساد ثانيا، لأنه أعظم فى النهى عن الفساد لما فيه من تقبيح صورته و هتك سريرته .

و لما دل ما أخبر به أولا عن المشاقين على أنهم مغلوبون فى الدنيا خاسرون فى الآخرة، وكانت الخسارة فى الآخرة مشروطة بشرط، علل ما أمر به المؤمنون هنا من الطاعة و نهوا عنه من إبطال الأعمال ٥ بالمعصية، [زيادة -[1]] فى حثهم على ما أمر به بعلتين كل منهما مستقل بامتثال أمره و اجتناب نهيه: إحداهما[2] عدم المغفرة، و الثانية بطلان الأعمال و الأموال بكون الدنيا لاحقيقة لها، و قدم الأولى لأن الثانية - و هى أن الدنيا لعب - كالعلة الحاصلة على ما أوجبها، و من حسن التعليم بيان الحكم ثم تعليله بأقرب ما يحمل عليه أو يصد عنه، فكأنه قيل: لاتبطلوها ١٠ بالصد عن سبيل الله الحامل عليه الإقبال على الدنيا التى هى عين الباطل، فانكم إن فعلتم ذلك فاتتكم المغفرة، و ذلك من معنى قوله تعالى مؤكدا لإنكارهم مضمونه: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دله[3] عليه عقله من آيات الله المرئية ثم المسموعة ﴿ و صدوا عن سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعلى الواضح المستقيم ١٥ الموصل إلى كل ما ينبغى أن يقصد كل من أراده بتماديهم على باطلهم[4] و أذاهم لمن خالفهم .

و لما كان هذا أمرا قبيحا من جهات عديدة لما فيه من / مخالفة /٨٣٢

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احدهما (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دل (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: باطله .

الملك الأعظم المرهوب بطشه المحذورة[1] سطوته، و من ترك الواسع[2] إلى الضيق و المستقيم إلى المعوج و الموصل إلى الفوز [إلى - [3]] الموصل إلى الخيبة، فكان التمادى فيه فى غاية البعد، نبه على ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ماتوا ﴾ أى بعد المدلهم فى مضارهم بالتطويل فى أعمارهم ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كفار ﴾ و لما كان السبب الأعظم فى الإحباط الموت على الكفر، نبه[4] عليه بالفاء الدالة على ربط الجزاء بالشرط و تسبيه عنه فقال مؤكدا [له - [3]] لإنكارهم ذلك: ﴿ فلن يغفر الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال التى تمنع من تسوية المسىء بالمحسن ﴿ لهم ﴾ فلا يمحو ذنوبهم و لا يستر عيوبهم، بل يفضح سرائرهم ؛ يوهن كيدهم و يردهم على أعقابهم فى كل ما يتقلبون فيه لأنهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائره الطاعة، فلم يبق لهم ما يغفر لهم[5] بسببه، و قد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من أن إحباط العمل[6] فى المرتد مشروط بالموت على الكفر.

و لما قدم سبحانه ذم الكفرة و أنه عليهم و أنه يبطل أعمالهم فى الدنيا فى الحرب و غيرها، و ختم بأن عداوته لهم متحتمة لا انفكاك

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : المحذور (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الوسع (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : على ذلك بأداة التراخى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من مد. (٦) زيدت فى الأصل : كفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

لها

لها، و كان ذلك موجبا للاجتراء عليهم، سبب عنه قوله مرغبا لهم فى
لزوم الجهاد[1] محذرا من تركه: ﴿ فلا تهنوا ﴾ أى تضعفوا ضعفا يؤدى
بكم إلى الهوان و الذل ﴿ و تدعوآ ﴾ أى أعداءكم ﴿ الى السلم قصلے ﴾ أى
المسالمة و هى الصلح ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ الاعلون ق صلے ﴾ على
كل من ناواكم لأن الله عليهم، ثم عطف على الحال قوله: ﴿ و الله ﴾ ٥
أى الملك الأعظم الذى لا يعجزه شىء و لا كفوء له ﴿ معكم ﴾ أى بنصره
و معونته و جميع ما يفعله الكريم إذا كان مع غيره، و من علم أن سيده
معه و علم أنه قادر على ما يريد لم يبال بشىء أصلا ﴿ و لن يتركم اعمالكم ﴾
[أى –[2]] فيسلبكموها فيجعلكم وترا منها بمعنى أنه يبطلها كما يفعل مع
أعدائكم فى إحباط أعمالهم فيصيرون مفردين عنها لانكم لم تبطلوا أعمالكم ١٠
بجعل الدنيا محط أمركم، فلا يجوز لإمام المسلمين أن يجيب[3] إلى مسالمة
الكفار و به قوة على مدافعتهم، و لا يحل له ترك الجهاد إلا لمعنى يظهر
[فيه النظر –[2]] للمسلمين، و متى لم يجاهد فى سبيل الله انصرف بأسه إلى
المسلمين .

و لما أتم العلة الأولى أقبل على الثانية الصادة[4] عن الطاعة القائدة ١٥
إلى المعصية الملائمة للشهوة المبطلة للأعمال الموجبة للتهاون المؤدى إلى
عدم المغفرة، فقال مرغبا فى طاعته الموجبة للفوز الدائم ببيان قصر أيام المحنة

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها . (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يحث (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الصادرة .

و تجرع مرارات المشقة[1]: ﴿ انما الحيوٰة ﴾ [2]و أشار إلى دناءتها تنفيرا
عنها بقوله: ﴿ الدنيا ﴾ و لما كان مطلق العلو موجبا لأعظم اللذاذة
فكيف إذا كان موجبه الدين الضامن لدوام اللذة / [موصولا -[2]] ٨٣٣ /
دنيويها بأخرويها، و كان اللعب ما ينشأ من زيادة البسط و ينقضى بسرعة
٥ مع دلالته على الخفة[3] كالرقص، قدمه إشارة إلى أن العاقل من يسعى
فى زيادة بسط[4] يحمل على الرزانة[5] و يدوم، و أتبعه[6] اللهو [7]لأنه ما[7]
يستجلب به السرور كالغنا إشارة إلى أنه إن كان المراد بالدنيا زيادة
بسطها فهو ينقضى بسرعة، مع ما فيه من الرعونة، و إن كان المراد أصل
البسط و السرور فعندكم منه بالعلو الحاصل لكم بالجهاد ما هو فى غاية
١٠ العظمة و الجد و الثبات فلا سفه أعظم من العدول عنه إلى ما إن سر
[حمل -[8]] على الطيش[9] و انقضى بسرعة، فقال: ﴿ لعب ﴾ أى [أعمال -[10]]
ضائعة سافلة تزيد فى السرور و[11]يسرع اضمحلاله، فيبطل من غير ثمرة
﴿ و لهو ﴾ أى مشغلة يطلب بها إثارة اللذة كالغنا و حيرة[12] و غفلة، فان

(١) زيد فى الأصل و ظ و م: الدنيا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م
و مد، و فى الأصل و ظ: الجنة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بسطه.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المواوزه (٦) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: يتبعه (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانه مما (٨) زيد من
مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: البطش (١٠) زيد من م و مد.
(١١) من مد. و فى الأصل و ظ و م: ما (١٢) من م و مد: و فى الأصل
و ظ: حسرة.

تتبعوها تكفروا و تبطروا و تجترئوا[1] على الله، [و إن تكفروا به و تجترئوا عليه -[2]] تبطل أجوركم فلا يكون لكم [أجر -[2]] و لا مال لأنه يبطل أعمالكم و أموالكم بكونها تصير صورا لامعانى لها.

و لما صور سبحانه الدنيا بألذ صورها عند الجاهل و أمضها عند العاقل، و حاصله[3] أنها زيادة سرور لمن كان مسرورا، و استجلاب ٥ [له -[4]] لمن كان مضرورا، لكنه سريع الانصرام بخلاف ثمرة[5] الاجتماع على الدين من سرور العلو بالإسلام، فانه باق على الدوام، علم أن التقدير بناء على ما تبع وصف الدنيا، [6]و الآخرة[6] جد و عمل و حضور فان تقبلوا عليها تؤمنوا و تتقوا فلا تخدعنكم الدنيا على دناءتها[7] عن نيل الآخرة بالجهاد الأكبر و الأصغر[8] على شرفها[9] و شرفه، [قال بانيا على ما ١٠ أرشد السياق إلى تقديره -[2]] : ﴿و ان تؤمنوا و تتقوا﴾ أى تخافوا فتجعلوا بينكم و بين غضبه سبحانه وقاية من جهاد أعدائه و مقاساة لفح إيقاد الحروب و حر الأمر بالمعروف و إنفاق الأموال فى ذلك، فتكونوا جادين فتتركوا اللهو و اللعب القائدين إلى الكفر ﴿يؤتكم﴾ أى الله الذى فعلتم ذلك من أجله فى الدار الآخرة ﴿اجوركم﴾ أى ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنخترو‌ا (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حاله (٤) زيد من م و مد (٥) فى م و مد: اثمره (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالآخرة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وقاتها (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سرفها.

ثواب كل أعمالكم لبنائها على الأساس و لأنه غني لاينقصه إلا عطاء، و الآية من الاحتباك : ذكر الحياة الدنيا و اللهو و اللعب أولا دال[1] على ذكر الآخرة و الجد ثانيا، و ذكر الإيمان و التقوى ثانيا دال[1] على حذف ضدهما الكفران و الجرأة أولا ، و سره أن تصوير الشيء بحال الصبي ٥ و السفيه أشد في الزجر عنه عند ذوي الهمم العالية . و ذكر الأجر المرتب على الخوف الذي هو فعل الحزمة[2] أعون على تركه .

و لما كان الملعوب به الملهو[3] منه يسأل اللاعب[4] اللاهي من ماله، و لايقنع عند سؤاله ، فيكون سببا لضياع أعماله و أمواله، بين [أن -[5]] المعبود بخلاف ذلك في الأمرين، و أنه يعطي و لا يأخذ لنفسه شيئا ١٠ و إنما أخذه أمره[7] بمواصلة بعضكم لبعض فقال / تعالى : ﴿و لايسئلكم﴾ /٨٣٤ أي [الله -[8]] في الدنيا ﴿اموالكم ه﴾ أي لنفسه و لا كلها، و هذا مفهم لأنهم إن لم يتقوا بما ذكر ساط عليهم من يأخذ أموالهم بما يخرج أضغانهم، قال ابن برجان : و متى سئلوا أموالهم بخلوا، فان أكرهوا على ذلك أشحنوا ضغائن و حقائد، و لم يكن من الامام لهم نصيحة ١٥ و لامنهم للامام و لابعضهم لبعض، و كان الخلاف، [و -[9]] في ذلك

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : دلالة (٢) من مد ، و في الأصل و ظ و م : الحربه (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اللهو (٤) زيدت الواو في الأصل و ظ و م و لم تكن في مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) ليس في م و مد (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : امر (٨) زيد من م و مد .
(٩) زيد من ظ و م و مد .

الحالقة، و هو إنذار منه سبحانه بما يكون بعد، و ما أنذر شيئا إلا كان منه ما شاء الله .

و لما كان الإنسان، لما جبل عليه من النقصان، قد يهلك جميع أمواله لهوا و لعبا بالمقامرة و نحوها، و لا ينهاه ذلك بل لا يزيده إلا إقبالا رجاء أن يظفر، و لو سئل جميع ماله فى الطاعة لبخل، قال تعالى ٥ ذاكرا لهم ذلك تنبيها عليه و إيماء إلى حلمه تعالى عنهم و تحببه إليهم معللا ما قبله : ﴿ ان يسئلكموها ﴾ أى الأموال كلها، و لما كانت[1] الأموال قد تطلق على معظمها، حقق المعنى بقوله : ﴿ فيحفكم ﴾ أى يبالغ فى سؤالكم و يبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك ﴿ تبخلوا ﴾ فلا تعطوا شيئا ﴿ و يخرج ﴾ أى الله أو المصدر المفهوم من " تبخلوا " ١٠ بذلك السؤال ﴿ اضغانكم ه ﴾ أى ميلكم عنه حتى يكون آخر[2] ذلك عداوة و حقدا، و قد دل[3] إضافة الأضغان إلى ضميرهم أن كل إنسان ينطوى بما له من النقصان، على ما جبل عليه من الأضغان، إلا من عصم الرحيم الرحمن، قال الرازى: و هذا دليل على ان العبد إذا منع فى مواسم الخيرات سوى الزكاة لم يخرج من البخل، فحد البخل منع ما يرتضيه ١٥ الشرع و المروءة فلا بد من مراعاة المروءة و رفع قبح الأحدوثة، و ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، و قدم المادة مها[4] ظهر له أن فائدة البذل

---

(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : كان (٢) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : احس . (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذلك ايضا أن (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : منهيا .

أعظم من فائدة الإمساك ثم[1] يشق عليه البذل فهو بخيل محب للمال، و المال لاينبغى أن يحب لذاته بل لفائدته. و حفظ المروءة [2]أعظم و[2] أفضل و أقوى من التنعم بالأكل الكثير مثلا.

و لما أخبر ببخلهم لو سئلوا جميع أموالهم أو أكثرها، دل عليه

٥ بمن يبخل منهم عما سأله [منهم - [3]] و هو جزء يسير [جدا - [3]] من أموالهم، فقال منبها لهم على حسن تدبيره لهم و عفوه عنهم عند من جعل "ها[4]" للتنبيه، و من جعل الها بدلا من همزة استفهام[5] جعلها للتوبيخ و التقريع، لأن من حق من دعاه مولاه أن يبادر للاجابة مسرورا فضلا أن يبخل، و فى هاء التنبيه و لاسيا عند من يرى تكررها

١٠ تأكيد لأجل استبعادهم أن أحدا يبخل عما يأمر الله بـــه سبحانه: ﴿هٰأنتم﴾ و حقر أمرهم أو أحضره فى الذهن وصوره بقوله: ﴿هؤلاء تدعون﴾ [أى - [3]] إلى ربكم الذى لايريد بدعائكم إلا نفعكم، و أما هو فلا يلحقه نفع و لا ضر[6] ﴿لتنفقوا﴾ شيئا يسيرا من الزكاة و هى[7] ربع العشر و نحوه، و من نفقة الغزو[8] و قد يحصل من الغنيمة

١٥ أضعافها و الحج و قد[9] يحصل من المتجر أو أكثر، و قد عم ذلك و غيره

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الهاء. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من به استفهام (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضرر (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العشر (٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ما.

قوله : ﴿ فى سبيل الله ج ﴾ اى الملك الأعظم الذى / يرجى خيره و يخشى ضيره ، بخلاف من يكون و ما يكون به اللهو و اللعب . /٨٣٥

و لما أخبر بدعائهم ، فصلهم فقال تعالى : ﴿ فمنكم ﴾ أى أيها المدعون ﴿ من يبخل ج ﴾ و هو منكم لاشك فيه ، و حذف القسم [الآخر - [1]] و هو « و منكم من يجود » لأن المراد الاستدلال على[2] ما قبله من ٥ البخل . و لما كان بخله عمن أعطاه المال بجزء[3] يسير منه إنما طلبه ليقع المطلوب منه فقط، زاد العجب بقوله : ﴿ و من ﴾ أى و الحال أنه من ﴿ يبخل ﴾ [4]بذلك ﴿ فانما يبخل ﴾ أى بماله بخلا صادرا ﴿ عن نفسه [5] ﴾ [5]التى هى منبع الدنايا ، فلا تنفس و [لا -[6]] تنافس إلا فى الشىء الخسيس ، فان نفع ذلك الذى طلب منه فبخل به إنما هو له ، و أكده لأنه لايكاد ١٠ أحد يصدق أن عاقلا يتجاوز بماله عن نفع نفسه ، و لذا حذف « و من يجد فانما يجد على نفسه » لفهمه عن السياق و استغناء الدليل عنه ، هذا و الأحسن أن يكون "يبخل" متضمنا " يمسك " ثم حذف " يمسك " و دل عليه بحال محذوفة دل عليها التعدية بعن .

و لما كان سؤال المال قد يوهم شيئا ، قال مزيلا له مقررا [5]لأن بخل[5] ١٥ الإنسان إنما هو عن نفسه عطفا على ما تقديره: لأن ضرر بخله إنما[6]

---

(١) زيد من مد (٢) ومن هنا انقطعت نسخة م إلى سورة المجادلة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : بجبرى (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : البخل من (٦) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يعود عليه و هو سبحانه لم يسالكم ذالك لحاجته إليه و لا[1] إلى شيء منكم، بل لحاجتكم إلى الثواب، و هو سبحانه قد بنى أمور هذه الدار كما اقتضته الحكمة على الأسباب: ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ الغنى ﴾ أى وحده ﴿ و انتم ﴾ [2]أيها
٥ المكلفون خاصة ﴿ الفقرآء[3] ﴾ لأن العطاء ينفعكم و المنع يضركم. فمن افتقر منكم إلى فقير مثله وقع فى الذل و الهوان، و قد جرت عادتكم أن يداخلكم من السرور ما لا يجد إذا طلب من أحد منكم [أحد -[4]] من الأجواد[5] الأغنياء شيئا طمعا فى جزائه، فكونوا كذلك و أعظم إذا طلب منكم الغنى المطلق.
١٠ و لما كان التقدير: فان تقبلوا بنولكم تفلحوا، عطف عليه قوله مرهبا لأن الترهيب أردع: ﴿ و ان تتولوا ﴾ أى توقعوا التولى عنه تكلفوا[6] أنفسكم ضد[7] ما تدعو إليه الفطرة الأولى من السماح بذلك الجزاء اليسير جدا الموجب للثواب الخطير و الفوز الدائم، و من الجهاد فى سبيله، و القيام بطاعته، لكونه المحسن الذى لا محسن فى الحقيقة غيره
١٥ ﴿ يستبدل ﴾ أى يوجد ﴿ قوما ﴾ فيهم قوة و كفاية لما يطلب منهم محاولته.

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الاجود (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تكفوا.
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عند.

و لما كان ذلك مفهما انهم غيرهم ، لكنه لايمنع ان يكونوا - مع كونهم غير أعيانهم - [١]من قومهم أو أن يشأ دونهم فى الصفات و إن كانوا من غير قومهم ، نبه على أنهم يكونون[١] من غير قومهم و على غير صفاتهم ، بل هم أعلى منهم درجة و أكرم خليقة و أحسن فعلا فقال تعالى : ﴿ غيركم لا ﴾ أى بدلا منكم و هو على غير صفة التولى[٢] . ٥

و لما كان الناس متقاربين فى الجبلات ، و كان المال محبوبا ، كان من المستبعد جدا أن يكون هذا البذل على غير ما هم عليه ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك بحرف التراخى[٣] تأكيدا لما أفهمه ما قلته من التعبير بـ " غير " و تثنيتا [له - [٤]] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد استبعاد من يستبعد [و - [٥]] علو الهمة[٦] فى مجاوزة جميع / عقبات[٧] النفس و الشيطان : ١٠ / ٨٣٦ ﴿ لايكونوآ امثالكم ع ﴾ فى التولى عنه بترك شىء مما أمر به أو فعل شىء مما نهى [عنه - [٥]] ، و من قدر على الإيجاد قدر على الإعدام ، بل هو أهون فى مجارى العادات ، فقد ثبت [أنه - [٥]] سبحانه لو شاء لانتصر من الكفار ، إما باهلاكهم [٨]أو إما[٨] بناس غيركم[٩] بضرب رقابهم و أسرهم ، و غير ذلك من أمرهم ، و ثبت بمواصلة ذم الكفار مع قدرته عليهم ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : التوالى .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الترجى (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل و ظ : ما قلته من التعبير ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل : غفلات ، و فى ظ : عقاب (٨-٨) فى ظ : أو (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : غيرهم .

أنـــه ابطل أعمالهم، فرجع بذلك اول السورة إلى آخرها. و عانق موصلها ما ترى من مفصلها، و علم أن معنى هذا الآخر و ذلك[1] الأول أنه سبحانه لابد من إذلاله للكافرين و إعزازه للؤمنين لأنهم إن أقبلوا على ما يرضيه فجاهدوا نصرهم نصرا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى "ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم" و إن تتولوا[2] أتى بقوم غيركم[3] يقبلون عليه ٥ فيصدقهم وعده، فصار خذلانهم[4] أمرا متحتما، و هو معنى أول سورة[5] الفتح - و الله الموفق [6]لما يريد من الصواب[6].



---

(١) زيد في الأصل : ان، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) في ظ و مد : تولوا (٣) في مد : غيرهم (٤) من مد، و في الأصل و ظ : حذانه . (٥) من مد، و في الأصل و ظ : السورة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

سورة الفتح[1]

مقصودها مدلول اسمها الذى يعم فتح مكة و ما تقدمه من صلح الحديبية و فتح خيبر و نحوهما، و ما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس و ما تفرع من فتح مكة المشرفة من إسلام أهل جزيرة العرب و قتال أهل الردة و فتوح جميع البلاد الذى يجمعه كله إظهار الدين على ٥ الدين كله، و هذا كله فى غاية الظهور بما نطق به ابتداؤها و أثناؤها فى مواضع منها " لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق " الآية و انتهاؤها "ليظهر على الدين كله" "محمد رسول الله" إلى قوله "ليغيظ بهم الكفار" أى بالفتح الأعظم و ما دونه من[2] الفتوحات "وعد الله الذين 'امنوا و عملوا الصلحت منهم مغفرة - كما كان فى أولها للرسول صلى الله عليه ١٠ و سلم - [و [3]] أجرا عظيما" كذلك[4] [5]بسائر الفتوحات و ما حوت من الغنائم للثواب الجزيل على ذلك فى دار الجزاء[5] ﴿ بسم الله ﴾ [6]الملك الأعظم[6] المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم المكلفين بنعمة الوعد و الوعيد ﴿ الرحيم ﴾ الذى اختص اهل حزبه لإقامة دينه الحق فأظهرهم على سائر العبيد . ١٥

لما[7] كانت تلك [8]سورة الجهاد[8] و كانت هذه سورة الفتح بشارة

---

(١) الثامنة و الأربعون من سور القرآن الكريم، مدنية و عدد آيها ٢٩ - راجع نثر المرجان ٦١٤/٩ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: و لما (٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: السورة للجهاد .

للجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز و [1]النصر و الظفر[1] على كل
من كفر، و هذا كما سيأتي[2] من إيلاء سورة النصر لسورة الكافرون،
فأخبرت القتال عن[3] الكافرين بإبطال الأعمال و التدمير و إهلاكهم
بالقتال، و إفساد جميع الأحوال، و عن الذين آمنوا بما نزل على محمد
٥ صلى الله عليه و سلم بالهداية و إصلاح البال، و ختمها بالتحريض على
مجاهدتهم بعد أن ضمن لمن نصره منهم النصر و تثبيت الأقدام، و هدد
من أعرض باستبدال غيره به، و أن ذلك البدل لا يتولى عن العدو
و لا ينكل عنه، فكان ذلك محتما لسفول الكفر و علو الإيمان، و ذلك
[4]بعينه هو[4] الفتح المبين، [فافتتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله
١٠ مؤكدا إعلاما بأنه لابد منه و أنه -[5]] مما ينبغي أن يؤكد لابتهاج النفوس
٨٣٧ / / الفاضلة به، و تكذيب من في قلبه مرض[6] و هم أغلب الناس في ذلك
الوقت: ﴿انا﴾ أي بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها الجبال ﴿فتحنا﴾
أي أوقعنا الفتح المناسب لعظمتنا لكل متعلق باتقان[7] الأسباب المنتجة
له من غير شك، و لذلك عبر عنه بالماضي.

١٥ و لما كانت منفعة ذلك له صلى الله عليه و سلم لأن إعلاء كلمة الله
يكون به فيعليه و يملىء الأرض من أمنه، فلا يعمل منهم أحد حسنة

(١-١) في ظ و مد: الظفر و النصر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: يأتي.
(٣) من مد، و في الأصل و ظ: على (٤ - ٤) في مد: هو بعينه (٥) زيد من
مد (٦) من مد، و في الأصل: شك، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) من مد،
و في الأصل و ظ: بإيقان.

إلا

إلا كان له مثل أجرها و يكونون على قصر زمنهم ثلثى أهل الجنة ، فيكون ذلك شرفا له - إلى غير ذلك من الأسرار ، التى يعي دون أيسرها الكفار، قال: ﴿ لك ﴾ أى بصلح الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة التى نزلت هذه السورة فى شأنه، يصحبان فى الرجوع منــه إلى المدينة المشرفة[1]، قال الأزهرى: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، و ذلك ٥ أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فرأوا ما لا أعدل منه و لا أحسن ، فاستولى الإسلام على قلوبهم و تمكن منهم [فأسلم منهم -[2]] فى ثلاث سنين خلق كثير . و كذا كان من الفتح تقوية أمره صلى الله عليه و سلم بالتصديق فيما أنزل[3] عليه من سورة من غلبهم على أهل فارس فى رواية من قال: إنه كان فى زمن الحديبية ، ثم زاده تأكيدا ١٠ بقوله: ﴿ فتحا ﴾ و زاد فى إعظامه بقوله: ﴿ مبينا لا ﴾ أى لا لبس فيه على أحد ، بل يعلم كل ذى عقل به أنك ظاهر على جميع أهل الأرض لأنك كنت وحدك ، و كان عند أهل[4] الكفر أنك فى أيديهم ، و أن أمرك لايعدو فك . فتبعك ناس ضعفاء فعذبوهم و كانوا[5] معهم فى أسوأ الأحوال ، و تقرر ذلك فى أذهانهم مددا طوالا[6] ثلاث عشرة سنة ، ثم ١٥ إنقذ الله أتباعك منهم بالهجرة إلى النجاشى رحمه الله تعالى أولا ، و إلى

---

(١) فى الأصل و ظ : الشريفة (٢) زيد من ظ و مد إلا أن « منهم » ليس فى مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : نزل (٤) سقط من ظ (٥) زيد فى الأصل و ظ : اسرا ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : طويلا .

المدينة الشريفة ثانيا، وهم مطمئنون بأنك أنت - وانت راسهم - لاينتظم لهم[1] بدونك أمر، ولايحصل لكسرهم[2] ما لم تكن معهم جبر، بأنك فى قبضتهم لاخلاص لك أبدا منهم ولا انفكاك من بلدتهم، فاستخرجك الله من عندهم بعد أن حماك على خلاف القياس وأنت بينهم من أن يقتلوك، مع اجتهادهم فى ذلك واستفراغهم قواهم فى أذاك[3]، ثم بذلوا جهدهم فى منعك من الهجرة فما قدروا، ثم [فى - [4]] ردك فما أطاقوا ولا فازوا ولا ظفروا. بل غلبوا وقهروا، ثم أيدك بأنصار أبرار أخيار فكنتم على قلتكم[5] كالليوث الكواسر والبحار الزواخر. ما ملتم على جهة إلا غمرتموها، وفزتم بالنصف[6] من أربابها[6] قتلتموها[7] أو أسرتموها[7] ولم تزالوا تزدادون وتقوون، وهم ينقصون ويضعفون، حتى أتيتموهم[8] فى بلادهم التى هم قاطعون بأنهم ملوكها. يتعذر على غيرهم غلبهم عليها بل سلوكها[9]. فما دافعوكم عن الدخول عليهم إلا بالراح، وسألوكم فى[10] وضع الحرب للدعة والإصلاح، فقد ظهرت أعلام الفتح اتم ظهور، وعلم ارباب القلوب أنه لابد أن تكون / فى امتطائكم[11] الذرى وسموكم إلى رتب المعالى /٨٣٨

(١) من مد، وفى الأصل وظ : بهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لكثيرهم (٣) من مد، وفى الاصل وظ : ذاك (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى الأصل وظ : قتلكم (٦ - ٦) فى ظ : بأربابها (٧ - ٧) من مد، وفى الأصل : اوسرتموه، وسقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد، وفى الأصل وظ : ايتموهم (٩) من مد، وفى الأصل وظ : سلكوها. (١٠) من مد، وفى الأصل وظ : سلوكهم فمن (١١) من مد، وفى الأصل وظ : انتظامكم.

أمور و أيّ أمور ، و روى الإمام أحمد[1] [عن - [2]] مجمع بن جارية الأنصارى رضى الله عنه قال : شهدنا الحديبية مع النبى صلى الله عليه و سلم ، فلما انصرفنا منها إذا[3] الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : فخرجنا نوجف[4] ، فوجدنا النبى صلى الله عليه و سلم واقفا على راحلته [عند كراع -[5]] ٥ الغميم ، فلما اجتمع عليه[6] الناس قرأ " انا فتحنا لك فتحا مبينا " فقال عمر رضى الله عنه : أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم ، و الذى نفسى بيده.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتى قبلها واضح من جهات - و قد يغمض بعضها - منها أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم فى قوله تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب ١٠ الرقاب " الآية ، و أشعروا[7] بالمعونة عند وقوع الصدق فى قوله " ان تنصروا الله ينصركم " استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حال العاقبة فعرفوا ذلك فى هذه السورة فقال تعالى "انا فتحنا لك فتحا مبينا" - الآيات ، فعرف تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بعظيم صنعه له ، و أتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال " هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين " - ١٥ الآيات[8] ، و التحمت إلى التعريف بحال من نكث من مبايعته صلى الله

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٦ / ٤١ (٢) زيد و لابد منه (٣) من مد و التفسير ، و فى الأصل و ظ : اذ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : نرجف (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : إليه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اشعر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآية .

عليه و سلم، و حكم المخلفين من الأعرا، و الحض على الجهاد، و بيان حال ذوى الأعذار، و عظيم نعمته سبحانه على أهل بيعته "لقد رضى الله عن المؤمنين" و أثابهم الفتح و أخذ المغانم[1] و بشارتهم بفتح مكة "لتدخلن المسجد الحرام" إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم

٥ و ذكرهم فى التوراة و الإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة، و وجه آخر [و - [2]] هو أنه لما قال الله تعالى فى آخر سورة القتال "فلا تهنوا و تدعوا الى السلم و انتم الاعلون و الله معكم و لن يتركم اعمالكم" كان هذا إجمالا فى عظيم ما منحهم و جليل ما أعطاهم، فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الإجمال و بسطه، و هذا يستدعى من بسط الكلام ما

١٠ لم تعتمده[3] فى هذا التعليق، و هو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات فى الوجه الأول، و وجه آخر مما يغمض و هو أن قوله تعالى "و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم[4] ثم لا يكونوا امثالكم" إشارة إلى من[5] يدخل فى ملة الإسلام من الفرس و غيرهم عند تولى العرب، و قد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى "يايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه

١٥ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه" - الآيات، و أشار إلى ذلك عليه الصلاة و السلام: ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج مثل هذا - و عقد السبابة بالإبهام، أشار عليه الصلاة و السلام

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : الغنايم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : لم يعتمده (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : غيرهم. (٥) فى ظ : ما.

إلى

[١]إلى تولى العرب و استيلاء غيرهم الواقع فى الآيتين، و إنما أشار عليه الصلاة و السلام[١] [٢]بقوله «اليوم»[٢] إلى التقديم و التأخير، و فرغ هذا الأمر إلى[٣] أيام أبى جعفر المنصور، فغلبت / [٤]الفرس و الأكراد[٤] و أهل الصين و صين الصين - و هو ما يلى ياجوج و ماجوج - وكان فتحاو عزا و ظهورا لكلمة الإسلام، و[٥] غلب هؤلاء فى الخطط و التدبير[٦] الإمارى[٧] و سادوا ٥ غيرهم، و لهذا جعل صلى الله عليه و سلم مجيئهم فتحا فقال "فتح اليوم" و لو أراد[٨] غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة رضى الله عنهما فى حديث الفتن حين قال[٩] له «إن بينك و بينها 'بابا مغلقا'» فقال عمر: أيفتح ذلك[١٠] الباب أم يكسر؟ فقال: بل يكسر. ففرق بين الفتح و الكسر، و إنما أشار إلى قتل عمر رضى الله عنه، و لذا قال عليه ١٠ الصلاة و السلام "فتح" و قال" من ردم ياجوج و ماجوج" و أراد من نحوهم و جهتهم و أقاليمهم، لأن الفرس و من أتى معهم هم أهل الجهات التى تلى الردم، فعلى هذا يكون قوله[١١] تعالى "و ان تتولوا

/ ٨٣٩

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: باليوم. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اتى (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: النفوس و الاكدار (٥) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: التدبر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الامارات (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قبل (١٠) من ظ ومد، و فى الأصل: لك (١١) زيد فى الأصل: صلى الله عليه و سلم قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

يستبدل قوما غيركم[1]" إشارة إلى غلبة من ذكرنا و انتشارهم فى الولايات[2] و الخطط الدينية و المناصب العلمية . و لما كان هذا قبل أن يوضح أمره يوم نقصا و خطأ ، بين أنه تجديد فتح و إعزاز منه تعالى لكلمة الإسلام ، فقال تعالى "انا فتحنا لك فتحا مبينا" الآيات ، ذكر القاضى أبو بكر بن العربى ٥ فى تلخيص التلخيص علماء المالكية مشيرا إلى تفاوت درجاتهم ثم قال : و أمضاهم فى النظر عزيمة و أقواهم فيه شكيمة أهل خراسان : العجم أنسابا و بلدانا ، العرب عقائد و إيمانا ، الذين ينجز فيهم وعد الصادق المصدوق ؛ و ملكهم الله مقاليد التحقيق حين أعرضت العرب عن العلوم و تولت عنها ، و أقبلت على الدنيا و استوثقت[3] منها ، قال أصحاب رسول الله صلى ١٠ الله عليه و سلم : يارسول الله ! من هؤلاء الذين قال الله "و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم" فأشار عليه الصلاة و السلام إلى سلمان و قال : لوكان الإيمان فى الثريا لناله رجال من هؤلاء - انتهى .

و لما أخبر سبحانه بالفتح عقب سورة "الذين كفروا" بشارة بظهور أهل هذا الدين و إدبار الكافرين - كما سيأتى فى إيلاء[4] سورة ١٥ النصر بسورة الكافرين ، لذلك علل [الفتح -[5]] بالمغفرة و ما بعدها رمزا إلى وفاة النبى صلى الله عليه و سلم - بروحى هو و أبى و أمى - و إيماء إلى أن المراد من إخراجه إلى دار الفنا إنما [هو -[5]][6]إظهار الدين[6]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الويات (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استوسقت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انلا (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اظهارا للدين .

القيم و إزهاق الباطل لتعلو درجته و تعظم رفعته ، فعند حصول الفتح تم المراد كما كانت سورة [النصر - [1]] الوالية[2] للكافرين رامزة إلى ذلك كما هو [3]مشهور و مذكور و مسطور[3]، فالفتح الذى هو أحد العلامات الثلاث المذكورة كما فى سورة النصر على جميع المناوين ، الذى هو السبب الأعظم فى ظهور دينه على الدين كله الذى هو العلامة العظمى ٥ على اقتراب أجله - نفسى فداؤه و إنسان عينى / من كل سوء و قاؤه - / ٨٤٠ فقال تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ﴾ مشيرا بالانتقال من أسلوب العظمة بالنون إلى أسلوب الغيبة المشير إلى غاية [4]الكبرياء بالإسناد إلى[4] الاسم الأعظم إلى أن هذه المغفرة بحسب إحاطة هذا الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى : ﴿ ما تقدم من ذنبك ﴾ أى الذى تقدم فى القتال أمرك ١٠ بالاستغفار له و هو مما ينتقل به[5] من مقام كامل إلى مقام فوقه أكمل منه ، فتراه بالنسبة إلى أكملية المقام الثانى ذنبا ، وكذا قوله : ﴿ و ما تاخر ﴾ قال الرازى : المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن الذنوب لها درجات و حسنات الأبرار سيئات المقربين ، انتهى . و يجوز أن يكون المراد : لتشاهد[6] المغفرة بالنقلة إلينا بعد علم اليقين بعين اليقين و حق اليقين ، فالمعنى ١٥ أن الله يتوفاه صلى الله عليه و سلم عقب الفتح و دخول جميع العرب الذين

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التالية (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مشهورة و مذكورة و مسطورة (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكبر باسناد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عنه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بشاهده .

يفتحون[1] جميع البلاد و يهدى [الله ـ[2]] بهم سار[3] العباد فى دينه، و يأس[4] الشيطان من أن يعبد فى جزيرتهم إلا بالمحقرات لوجود المقصود من امتلاء[5] الأكوان بحسناته صلى الله عليه و سلم، و عموم ما دل عليه اسمه المذكور فى هاتين السورتين من حمده تعالى بكماله فى ذاته و صفاته ٥ ببلوغ أتباعه إلى حد لا يحصرون فيه بعد، و لا يقف لهم مخلوق على حد .

و لما كان تمام النعمة يتحقق بشيئين : إظهار الدين و النقلة إلى مرافقة النبيين، قال تعالى مخبرا بالشيئين : ﴿ و يتم نعمته عليك ﴾ بنقلك من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، و من عالم الكون و الفساد إلى عالم الثبات و الصلاح، الذى هو أخص[6] بحضرته و أولى برحمته و إظهار[7] أصحابك من ١٠ بعدك على جميع أهل الملل، و يدحضون شبه الشيطان، و يدمغون كل كفران، و ينشرون رايات الإيمان فى جميع البلدان، بعد إذلال أهل العدوان، و محو كل طغيان .

و لما كانت هدايتهم من هدايته، أضافها سبحانه إليه إعلاما له أنها هداية تليق بجنابه[8] الشريف سرورا له فقال : ﴿ و يهديك ﴾ أى بهداية ١٥ جميع قومك ﴿ صراطا مستقيما لا ﴾ أى واضحا جليلا جليا موصلا إلى

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : يفتحون (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : سامن ـ كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ياس . (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : املاء (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : خص (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : اولى باظهار (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : ببابه .

المراد

المراد من كتب[1] لاعوج فيه بوجه، هداية تقتضى لزومه و الثبات عليه
﴿ و ينصرك الله ﴾ بنصرهم على ملوك الأمم و جلائهم لسائر العجم[2]،
نصرا يليق إسناده إلى اسمه المحيط بسائر العظم ﴿ نصرا عزيزا ه ﴾ أى
يغلب المنصور به كل من ناواه[3] و لا يغلبه شيء مع دوامه فلا [ذل -[4]]
بعده لأن الأمة التى تتصف به لايظهر عليها أحد، و الدين الذى قضاه ٥
لأجله لاينسخه شيء.

و لما كان صلى الله عليه و سلم قد أخبر المؤمنين برؤياه أنه يطوف
بالكعبة الشريفة، و عزم على العمرة عام الحديبية، و خرج صلى الله عليه
و سلم و خرج معه خلاصة أصحابه ألف و خمسمائة، فكانوا موقنين
أنهم يعتمرون فى وجههم[5] ذلك، وقر [ذلك - [4]] فى صدورهم ١٠
/ و أشربته قلوبهم، فصار نزعه منها أشق شيء يكون، فصدهم المشركون /٨٤١
بعد أن بركت ناقته و صالحهم صلى الله عليه و سلم على أن يرجع عنهم
فى ذلك العام و يعتمر فى مثل ذلك الوقت من القابل، و كان ذلك -
بل أدنى منه - مزلزلا للاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة فى الدين،
و قد كان مثله فى الإسراء و لم يكن صلى الله عليه و سلم أخبر بما يوهم ١٥
فى أمره فارتد ناس كثير بسببه. قال تعالى دالا على النصر بتثبيت
المؤمنين[6] فى هذا المحل الضنك إظهارا لتمام قدرته و لطيف حكمته:

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: كتب (٢) فى ظ: العجم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لاواه (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: وجوههم (٦) زيد فى الأصل: يوم الحديبية و غيره و الثبات على الدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذىٓ انزل ﴾ فى يوم الحديبية ﴿ السكينة ﴾
أى الثبات على الدين ﴿ فى قلوب المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان
و هم أهل الحديبية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزعج النفوس
و يزيغ القلوب من صد الكفار و رجوع الصحابة رضى الله تعالى عنهم
٥ دون مقصودهم ، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج الناس
و زلزلوا حتى عمر رضى الله عنه - مع أنه الفاروق و مع وصفه فى
الكتب السالفة بأنه قرن من حديد - فما الظن [1]بغيره فى قلق[1] نفسه
و تزلزل قلبه ، و كان للصديق رضى الله عنه من القدم الثابت و الأصل
الراسخ ما علم بـــه رضى الله عنه أنه لا يسابق ، ثم ثبتهم الله أجمعين ،
١٠ قال الرازى : و السكينة الثقة بوعد الله ، و الصبر على حكم الله ، بل السكينة
ههنا معين يجمع فوزا و قوة و روحا ، يسكن إليه الخائف و يتسلى به
الحزين ، و أثر هذه السكينة الوقار و الخشوع و ظهور الحزم فى الأمور
- انتهى . و كل من رسخ فى الإيمان ، له فى هـــذه الآية نصيب
[2]جناه دان[2] .

١٥ و لما أخبر بما [لا -[3]] يقدر عليه غيره ، علله بقوله : ﴿ ليزدادوٓا ﴾
أى بتصديق الرسول حين قال[4] لهم : إنهم لابد أن يدخلوا مكة و يطوفوا
بالبيت العتيق ، و حلهم الله به من الشبهة [5]بتذكرهم أنه[5] لم يقل لهم : إنهم

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : نعر فى فلو - كذا (٢-٢) من مد ، و فى
الأصل و ظ : حباه رار - كذا (٣) زيد من مد (٤) سقط من مد .
(٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بتذكرهم .

يدخلون العام ﴿ ايمانا ﴾ بهذا التصديق بالغيب من [أن - [1]] صلحهم للكفار و رجوعهم من [غير - [1]] بلوغ قصدهم هو عين الفتح لترتب الصلح عليه و ترتب فشو الإسلام على الصلح كما كشف عنه الوجود بعد ذلك ليقيسوا عليه غيره من الاوامر ﴿ مع ايمانهم ﴾ الثابت من قبل هذه الواقعة ، قال القشيرى رحمه الله : بطلوع أقمار اليقين على نجوم علم اليقين، ٥ ثم بطلوع شمس [حق - [1]] اليقين على بدر عين اليقين .

و لما كان ربما ظن شقى من أخذ[2] الأمور بالتدريج شيئا فى القدرة قال : ﴿ و لله ﴾ أى الذى أنزل السكينة عليهم ليكون نصرهم فى هذه العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل و الحال أنه له وحده ﴿ جنود السموت و الارض ﴾ أى جميعها ، و منها السكينة ، يدبرهم بلطيف[3] ١٠ صنعه و عجيب تدبيره[4]، فلو شاء لنصر المؤمنين الآن بالفعل ، و دمر على أعدائهم بجنود من جنوده او بغير سبب ، لكنه فعل ذلك ليكون النصر بكم ، فيعلو / أمركم و يعظم أجركم ، و يظهر الصادق فى نصره من الكاذب ، / ٨٤٢ فان الدار دار البلاء ، و بناء المسببات على الأسباب[5] على وجه[6] الأغلب فيه الحكمة ، لا القهر و ظهور الكلمة . فاسمه الباطن هو الظاهر فى هذه الدار ، ١٥ فلذلك ترى المسببات مستورات بأسبابها ، فلا يعلم الحقائق إلا البصراء[7] ألا ترى أنه صلى الله عليه و سلم لما نزلت [8]عليه هذه السورة[8] فتلاها

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل أحذر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل . بلطف (٤) فى ظ : تدبيرهم (٥) فى مد : أسباب (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : الوجه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : البصر (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه السورة عليه .

عليهم قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين : اى رسول الله و فتح هو ؟ و قال بعضهم : لقد صدونا عن البيت و صدوا هدينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ، أما رضيتم أن تطرقوهم فى بلادهم فيدفعوكم[1] عنها بالراح و يسألوكم[2] التضير
٥ و يرغبوا[3] إليكم فى الأمان[4] و قد رأوا منكم ما كرهوا و أظفركم الله عليهم و ردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتوح ، انسيتم يوم أحد إذ تصعدون و لا تلوون على أحد و أنا أدعوكم فى أخراكم ، أنسيتم يوم الاحزاب إذ جاؤكم من فوقكم و من اسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون ، فقال المسلمون : صدق الله و رسوله
١٠ فهو أعظم الفتوح . و الله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه و لأنت أعلم بالله و أمره منا . و أنزل الله تأكيدا لأمر الرؤيا لمن أشكل عليهم حالها "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام" الآية ، فهذه الأشياء كلها كما ترى راجعة إلى الخفاء بالتعجب[5] فى أستار الاسباب ، فلا يبصرها إلا أرباب التدقيق [6]فى النظر فى حكمة الله سبحانه .
١٥ و لما كان مبنى ما مضى كله على القدرة بأمور خفية يظهر[6] منها

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيدفيكم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يسالوكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرغبون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآن - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتحجب .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من

من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة ، و كان تمام القدرة متوقفا على شمول العلم، قال تعالى: ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الأعظم أزلا و أبدا ﴿ عليما ﴾ بالذوات و المعانى ﴿ حكيما ﴾ فى إتقان ما يصنع، فرده لهم عن هذه العمرة بعد أن دبر امر الصلح ليأمن الناس فيداخل بعضهم بعضا لما[1] علم من أنه لا يسمع القرآن أحد له عقل مستقيم ٥ و يرى ما عليه أهله من شدة الاستمساك به و البغض لما كانوا فيه[2] من متابعة الآباء [3] إلا بادر[3] إلى المتابعة و دخل فى الدين برغبة، و أدخل سبحانه خزاعة فى صلح النبى صلى الله عليه و سلم و بنى بكر وهم أعداؤهم فى صلح قريش ليبغوا عليهم فتعينهم قريش الصلح بعد أن كثرت جنود الله و عز ناصر الدين، فيفتح الله بهم مكة المشرفة، فتنشر أعلام الدين، ١٠ و تخفق ألوية النصر المبين، و يدخل الناس فى الدين أفواجا، فيظهر دين الإسلام على جميع الأديان.

و لما دل على الفتح بالنصر و ما معه، و علل الدين بالسكينة، علل علة الدليل و هى "ليزدادوا ايمانا" و[4] علل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم و تدبير الأكوان بهم بقوله تعالى زيادة فى السكينة: ١٥ ﴿ ليدخل ﴾ أى بما أوقع فى السكينة ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ الذين جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم و دخول بعضهم / فى الدين بجهاد / ٨٤٣

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: لم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه.
(٣-٣) فى مد: الأدبار - خطأ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او.

المجاهدين، و لو سلط على الكفار[1] جنوده من أول الأمر فاهلكوهم[2] أو دمر عليهم بغير واسطة لفات دخول أكثرهم الجنة، و هم من آمن منهم بعد صلح الحديبية ﴿ جنّت ﴾ أى بساتين لايصل إلى عقولكم من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم و إن كان الأمر أعظم من ذلك

٥ ﴿ تجرى ﴾ و دل و قرب و بعض بقوله: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ فأى موضع أردت أن تجرى منه نهرا قدرت على ذلك، لأن الماء قريب من وجه الأرض مـــع صلابتها و حسنها . و لما كان الماء لا يطيب إلا بالقرار قال تعالى: ﴿ خلدين[3] فيها ﴾ أى لا إلى اخر .

و لما كان السامع لهذا ربما ظن أن فعله ذلك باستحقاق، قال

١٠ إشارة إلى أنه لاسبب إلا رحمته: ﴿ و يكفر ﴾ أى يستر سترا بليغا شاملا[4] ﴿ عنهم سيأتهم[5] ﴾ التى ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل تكفيرها، بسبب ما كانوا متلبسين[6] به منها من الكفر و غيره، فكان ذلك التكفير سببا لدخولهم الجنة ﴿ و كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الادخال و التكفير المهيء[7] له، و قدم الظرف تعظيما لها فقال تعالى:

١٥ ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الأعظم ذى الجلال و الإكرام ﴿ فوزا عظيما ﴾

---

(١) فى مد: الكافرين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فاهلكهم (٣) زيد فى الأصل: لزلا و ابدا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الاصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ملتبسين (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: و المهن .

يملأ جميع الجهات .

و لما كان من أعظم الفوز إقرار العين بالانتقام من العدو [و كان العدو -[1]] المكاتم[2] أشد من العدو[3] المجاهر المراغم[4] قال تعالى : ﴿ و يعذب المنفقين ﴾ أى يزيل كل ما لهم من العذوبة ﴿ و المنفقت ﴾ بما غاظهم من ازدياد الإيمان ﴿ و المشركين و المشركت ﴾ بصدهم الذى ٥ كان سببا للقام الدحض[5] الذى كان سببا لإنزال السكينة[6] الذى كان[6] سببا لقوة أهل الإسلام بما تأخر عنه من كثرة الداخلين فيه ، الذى كان سببا لتدمير أهل الكفران ، ثم بعد ذلك عذاب النيران .

و لما أخبر بعذابهم ، أتبعه وصفهم بما سبب لهم ذلك فقال تعالى : ﴿ الظآنين بالله ﴾ اى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ ظن السوء ﴾ من ١٠ أنه لا يفى بوعده فى أنه ينصر رسوله صلى الله عليه و سلم و أتباعه المؤمنين أو أنه [7]لا يبعثهم . أو أنه[7] لا يعذبهم لمخالفة رسوله[8] صلى الله عليه و سلم و مشاقة أتباعه . و لما أخبر سبحانه و تعالى بعذابهم فسره بقوله : ﴿ عليهم ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة بما يخزيهم الله به من كثرة جنوده و غيظهم منهم و قهرهم بهم ﴿ دآئرة السوء ﴾ التى دبروها ا. قدروها للسلمين ١٥ لا خلاص لهم منها ، فهم مخذولون فى كل موطن خذلانا ظاهرا يدركه

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكتم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزاعم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدخض (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى كانت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : رسول الله .

كل أحد، و باطنا يدركه من أراد الله تعالى من أرباب البصائر كما
اتفق فى هذه العمرة، و السوء ـ بالفتح و الضم: ما يسوء كالكره
إلا أنه غلب فى أن يضاف إلى ما يراد ذمه، و المضموم جار[1] مجرى
الشر الذى هو ضد الخير - قاله الكشاف. و لما كان من دار عليه
٥ السوء قد لا يكون مغضوبا / عليه، قال: ﴿ و غضب الله ﴾ أى الملك ٨٤٤/
الأعظم بما له من صفات الجلال و الجمال فاستعلى غضبه ﴿ عليهم ﴾،
و هو عبارة عن أنه[2] يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به. و لما كان
الغضب قد لا يوجب الإهانة و الإبعاد قال[3]: ﴿ و لعنهم ﴾ أى طردهم طردا
سفلوا به أسفل سافلين، فبعدوا به عن كل خير
١٠ و لما قرر ما لهم فى الدارين، و كان قد يظن أنه يخص الدنيا
فلا يوجب عذاب الآخرة، أتبعه بما يخصها فقال: ﴿ و اعد ﴾ أى هيأ الآن
﴿ لهم جهنم ﴾ تلقاهم بالعبوسة و الغيظ و الزفير و التجهم كما كانوا
يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب بالحر و البرد و الإحراق،
و غير ذلك من أنواع المشاق. و لما كان التقدير: فساءت معدا، عطف
١٥ عليه قوله: ﴿ و ساءت مصيرا ه ﴾.

و لما كان هذا معلما بأن الكفار[4] - مع ما يشاهد منهم من
الكثرة الظاهرة و القوة المتضافرة المتوافرة - لا اعتبار لهم لأن البلاء

---

(١) من مد، و فى الأصل: جارى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ان.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: زاده تاكيدا فقال تعالى زيادة على ابعادهم.
(٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

محيط بهم فى الدارين، و كان ذلك أمرا يوجب تشعب الفكر فى المؤثر فيهم ذلك ، عطف على ما تقديره إعلاما بأن التدبير على هذا الوجه لحكم و مصالح يكل عنها الوصف ، و دفعا لما قد يتوهمه من لم يرسخ إيمانه مما يجب التنزيه[1] عنه: فلله القوة جميعا يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير سبب ترونـــه : ﴿ و لله ﴾ اى[2] الملك الأعظم[3] ٥ ﴿جنود السموٰت و الارض[4] ﴾ فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء .

و لما كان ما ذكر من عــــذاب الأعداء و ثواب الأولياء متوقفا على تمام العلم و نهاية القدرة التى يكون بها الانتقام و السطوة قال تعالى: ﴿ و كان الله ﴾ الملك الذى لا أمر لأحد معه أزلا و أبدا ﴿ عزيزا ﴾ يغلب و لا يغلب ﴿ حكيما ﴾ يضع الشيء فى أحكم مواضعه، ١٠ فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب إليه سبحانه و تعالى .

و لما تبين أنه ليس لغيره مدخل فى إيجاد النصر ، و كانت السورة من أولها[4] حضرة مخاطبة و إقبال فلم يدع أمر[5] إلى ندائه [بياء –[6]] و لا غيرها . و كان كأنه قيل : فما فائدة الرسالة إلى الناس؟ [أجيب –[6]] بقوله تقريرا لما ختم به من صفتى[7] العزة و الحكمة . ﴿ انآ ﴾ بما لنا من ١٥ العزة و الحكمة ﴿ ارسلنك ﴾ أى[2] بما لنا من العظمة التى هى معنى العزة

---

(١) من مد ، و فى الاصل و ظ : التعرية (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : له ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤–٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : منها (٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : امرا (٦) زيد من مد . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : صفاى .

و الحكمة إلى الخلق كافة ﴿ شاهدا ﴾ على أعمالهم من كفر و إيمان و طاعة وعصيان، من كان بحضرتك فبنفسك[1] و من كان بعد موتك أو غائبا عنك فبكتابك، مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة.

و لما كانت البشارة محبوبة إلى النفوس رغبهم فيما عنده من

٥ الخيرات و حببهم فيه بصوغ[2] اسم الفاعل منها مبالغة فيه فقال تعالى: ﴿ و مبشرا ﴾ أي لمن أطاع بأنواع البشائر، و لما[3] كانت النذارة كريهة جدا، لا يقدم [على -[4]] إبلاغها [إلا -[4]] من كمل[5] عرفانه بما فيها من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الإقدام على الصدع/ بها، أتى بصيغة المبالغة فقال تعالى: ﴿ و نذيرا[6] ﴾.

١٠ و لما ذكر حال الرسالة، ذكر علتها فقال: ﴿ لتؤمنوا ﴾ أي الذين حكمنا بإيمانهم ممن أرسلناك إليهم - هذا على قراءة ابن كثير و أبي عمرو بالغيب، و على قراءة الباقين بالخطاب المعنى. أيها الرسول و من قضينا بهداه من أمته، مجددين لذلك في كل لحظة مستمرين عليه، و كذا الأفعال بعده، و ذلك أعظم لطفا لما في الأنس بالخطاب[7] من رجاء الاقتراب

١٥ ﴿ بالله ﴾ أي الذي لا يسوغ لأحد [من خلقه -[8]] - و الكل خلقه - التوجه إلى غيره لاستجماعه لصفات الجلال و الإكرام ﴿ و رسوله ﴾

/٨٤٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: فينقاد - كذا مصحفا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: بصريح (٣) من ظ و مد، و في الأصل: ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و في الأصل وظ: كل (٦) راجع نثر المرجان ٦/٦٢١.
(٧) من مد، و في الأصل و ظ: من الخطاب (٨) زيد من مد.

الذى ارسله من له كل شيء ملكا و ملكا إلى جميع خلقه .

و لما كان الإيمان أمرا باطنا، فلا يقبل عند الله إلا بدليل، و كان الإيمان بالرسول إيمانا بمن أرسله، و الإيمان بالمرسل إيمانا بالرسول[1]، وحد الضمير فقال: ﴿ و يعزروه ﴾ أى يعينوه و يقووه و ينصروه على كل من ناواه و[2] يمنعوه عن[2] كل من يكيده، مبالغين فى ذلك باليد و اللسان ٥ و السيف، و غير ذلك من الشأن [3]فيؤثروه عـلى أنفسهم[3] و غيرها، تعظيما له و تفخيما ـ هذا حقيقة المادة، و ما خالفه [فهو ـ[4]] إما من باب الإزالة كالعزور بمعنى الديوث، و إما من باب الأول كاللوم و الضرب دون الحد، فانه يوجب للملوم و المضروب و تجنب ما نقم عليه فيعظم، فهو من إطلاق الملزوم على اللازم، و هو من وادى ما قيل: ١٠

عداى لهم فضل عـلىّ و منة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها و هم نافسونى فاقتنيت المعاليا

و لما كان المعنى [يحتمل ـ[5]] الإزالة كما ذكر، خلص المراد بقوله: ﴿ و يوقروه ﴾ أى يجتهدوا فى حسن إتباعه فى تبجيله و إجلاله بأن يحملوا عنه[6] جميع الأثقال، ليلزم السكينة باجتماع همه و كبر عزمه لزوال ١٥ ما كان يشعب فكره من كل ما يهمه ﴿ ويسبحوه ﴾ اى ينزهوه عن

---

(١) زيد فى الأصل: فلذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ينصروه على (٣-٣) فى ظ و مد : فتؤثر على انفسكم (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : عليه .

كل وصمة[1] من إخلاف الوعد بدخول مكة و الطواف بالبيت الحرام و نحو ذلك، و يعتقدوا فيه الكمال المطلق، و الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى، لأن من سعى فى قمع الكفار فقد فعل فعل المعزر[2] الموقر، فيكون إما عائدا[3] على المذكور و إما[4] أن يكون جعل الاسمين

٥ [واحدا - [5]] إشارة إلى اتحاد المسميين[6]، فى الأمر فلما اتحد أمرها وحد الضمير إشارة إلى ذلك.

و لما كانت محبة الله و رسوله ترضى منها بدون النهاية قال كائنا عن ذلك: ﴿ بكرة و اصيلا ﴾ أى و عشيا إيصانا لما بين [7]النهار و الليل[7] [بذلك - [8]].

١٠ [و لما - [8]] ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم و ما أرسله له، و ختم الآية بأنه لا يرضى من ذكره و ذكر رسوله إلا بالمداومة بالفعل أو بالقوة مع توحيده الضمير [9]إشارة إلى وحدة الإرادة و المحبة من الرسول و المرسل، أوضح المراد بتوحيد الضمير[9] بقوله مرغبا فى اتباعه و مرهبا لاتباعه عن[10] أدنى فترة أو توان فيما دخلوا فيه من الإيمان

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) فى الأصل: عدا، و فى ظ و مد: عائد (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: ان (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل وظ: الاسمين (٧ - ٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الليل و النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: فى.

الذى هو علة الرسالة، و ما ذكره[1] معه فى جواب من يسأل: ما سبب توحيد الضمير و المذكور اثنان[2]؟ مؤكدا لاجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد بالوهم و النكوص عما غاب و لا مرشد إليه سوى العقل: ﴿ ان الذين ﴾ .

و لما كان المضارع قد يراد به مطلق الوقوع لا بقيد[3] زمن معين كما ٥ نقلته فى أول سورة[4] البقرة عن أبى حيان و غيره، عبر [به -[5]] ترغيبا فى تجديد مثل ذلك و الاستمرار عليه فقال: ﴿ يبايعونك ﴾ [أى -[5]] فى بيعة الرضوان و قبلها و بعدها على ما جئت به من الرسالة التى مقصودها الأعظم النذارة التى مبناها على المخالفة التى تتقاضى الشدائد التى عمادها الثبات و الصبر، و سميت "مبايعة" لانهم بايعوا أنفسهم فيها من الله ١٠ بالجنة[6] و هذا معنى الإسلام، فكل من أسلم فقد باع نفسه[7] سبحانه [منه -[8]] "ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم"، الآية. ﴿ انما يبايعون الله ﴾ أى الملك الأعظم لأن عملك كله من قول و فعل له "و ما ينطق عن الهوى".

و لما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيبا مشعرا بالترهيب، زادها تعظيما ١٥ بما الترهيب فيه أظهر من الأول، فقال مبينا للأول: ﴿ يد الله ﴾ أى

(١) فى مد: ذكر (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: امان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يقدر (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: من الجنة (٧) زيد فى الأصل: من الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد.

المتردى بالكبرياء . و لما كان منزها عما قد يتوهم من الجارحة مما فيه
شائبة نقص ، أومأ إلى نفى ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على
تعظيم البيعة فقال : ﴿فوق ايديهم﴾ أى فى المبايعة عالية عليهم بالقدرة
و [1]القوة و القهر[1] و العزة ، و التنزه عن كل شائبة نقص ، و لذلك كرر
٥ الاسم الأعظم فى هذه ثلاث مرات إشارة إلى العظمة الفائتة للوصف
و الغيب العالى عن[2] الإدراك ، ثم أعاد ذكره بالضمير إيذانا بالغيب المحض ،
هذا هو المراد من تعظيم البيعة و إجلال الرسول صلى الله عليه و سلم
مع العلم القطعى بتنزيه الله سبحانه عن كل شائبة نقص من حلول أو اتحاد
كما هو واضح فى مجارى عادات العرب ظاهر[3] جـــدا فى دأبهم[4] فى
١٠ محاوراتهم ، لا يشك فيه منهم عاقل عالم أو جاهل أصلا ، فلعنة [الله -[5]]
على من حمله على الظاهر من أهل العناد بيدعة الاتحاد على من تبعهم
على ذلك من الرعاع الطغام الذين شاقوا الله و رسوله عليـــه الصلاة
و السلام ، و جميع الأئمة الأعلام ، و سائر أهل الإسلام : و رضوا لأنفسهم
بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين ، و ناهيك به فى ضلال مبين .

١٥ و لما كان كلام الله تعالى - و إن جرى مجرى الشرط و التهديد -
لابد أن يقع منه شىء و إن قل ، و كان من سر التعبير بالمضارع فى
" يبايعونك " الإشارة إلى نكث الجد بن قيس أصل بيعته على الاسلام

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القهر و الغلبة و القوة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهرا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : دارهم (٥) زيد من ظ و مد .

فانه[1] اختبأ فى الحديبية وقت البيعة فى وقت من الأوقات، فلم يبايع، سبب[2] عن ذلك و فصل ترغيبا / و ترهيبا، فقال معبرا بالماضى إيذانا /٨٤٧ بأنه لاينكث أحد من أهل هذه البيعة: ﴿فمن نكث﴾ أى نقض فى وقت من الأوقات لجعلها كالكساء الخلق و الحبل البالى الذى ينقض ﴿فانما ينكث﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن من فعل النكث فهو ٥ فى كل لحظة ناكث نكثا جديدا ﴿على نفسه﴾ لا على غيرها[3] فانه بمرأى من الله و مسمع [و هو -[4]] قادر عليه جدير بأن يعاقبه بعد ما عجل لنفسه من العار العظيم فى الدنيا و يستحل[5] به على نكثه عذابا أليما، و لايضر ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا فان الله ناصره لا محالة، وكذا كل منكوث به [إذا - [4]] أراد الله نصرته فان يده ١٠ سبحانه فوق كل يد.

و لما أتم الترهيب لأنه مقامه للحث على الوفاء الذى به قيام الدين على أبلغ وجه، أتبعه [6]على عادته[6] الترغيب إتماما للحث فقال تعالى: ﴿و من اوفى﴾ أى فعل الإتمام و الإكثار و الإطالة ﴿بما عهد﴾ [7]و قدم الظرف[7] اهتماما به فقال: ﴿عليه الله﴾ أى الملك المحيط بكل ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٢) من مد، وفى الأصل وظ: بسبب.
(٣) من مد، و فى الأصل: غيره، و فى ظ: فعل غيره (٤) زيد من مد.
(٥) من مد، و فى الأصل: يحل، و فى ظ: سيحل - كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧-٧) من مد، و فى الأصل: عدم الطوف، و فى ظ: عدم الظرف.

شيء قدرة و علما من هذه المبايعة و غيرها فانما وفاؤه لنفسه ﴿ فسيؤتيه ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿اجرا عظيما ﴾ لا يسع عقولكم شرح وصفه، و من قرأ بالنون[1] أظهر ما ستر فى الجلالة من التعظيم، و الآية من الاحتباك : ذكر أولا أن النكث عليه دليلا على أن الوفاء له ثانيا، ٥ و إيتاء الأجر ثانيا دليلا على إحلال العقاب أولا و سره أنه بين [أن -[2]] ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به، لأن ذلك أعظم فى الترهيب عن النكث لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضر نفسه[3] و بعده عنه، و ذكر الأجر للوفى لأنه أعظم فى الترغيب، و سبب بيعة الرضوان هذه أن النبى صلى الله عليه و سلم لما فهم من بروك[4] ناقته فى ١٠ الحديبية الإشارة من الله سبحانه و تعالى إلى أنه لم يأذن فى دخولهم البلد الحرام فى هذه السفرة، فمشى مع إرادته سبحانه و تعالى لأنه ليس فيها مخالفة لما أمر به سبحانه إلى أن وقع الصلح الذى كان الفتح هو[5] بعينه، و كان فى غضون[6] ذلك أن أرسل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إلى مكة المشرفة ليخبر[7] قريشا أن النبى صلى الله عليه و سلم ١٥ [لم يجيء لقتال و أنه لا يريد إلا الاعتمار، فارجف مرجفون بأنه قد قتل، فعزم النبى صلى الله عليه و سلم -[8]] على مناجزتهم فبايع الصحابة

(١) راجع نثر المرجان ٦/٦٢٤ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : و نفع، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : نزول (٥) وقع فى الأصل و ظ : بعد « الصلح الذى » و الترتيب من مد. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل عصور (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يخبر (٨) زيد من ظ و مد.

رضى الله عنهم على ان لايفروا عنه، فبايع كل من [كان - [1]] معه
إلا جد بن قيس، فانه اختبأ تحت إبط بعيره فلم يبايع، و قال النبي
صلى الله عليه و سلم: كلكم مغفور له[2] إلا صاحب الجمل الأحمر.

و لما ذكر سبحانه و تعالى أهل بيعة الرضوان، و أضافهم إلى
حضرة الرحمن، تشوف السامع إلى الخبر عمن غاب عن ذلك الجناب، ٥
و أبطا عن حضرة تلك العمرة، فاستؤنف[3] الإخبار عما ينافقون به
بقوله تعالى: ﴿ سيقول ﴾ أى بوعد لا خلف فيه، و أكد أمر نفاقهم
تنبيها على جلدهم فيه و وقاحتهم[4] به و لطف النبي صلى الله عليه و سلم و شدة
رحمته [و رفقه - [1]] و شفقته فقال: ﴿ لك ﴾ أى لأنهم يعلمون
/ أنك ألطف الخلق عشرة و أعظمهم شفقة على عباد الله، فهم يطمعون ١٠ / ٨٤٨
فى قبولك من فاسد عذرهم ما لايطمعون فيه من غيرك من خلص
المؤمنين، و غاب عنهم - لما عندهم من غلظ[5] الأكباد أن الكذب
بحضرتك[6] فى غاية القباحة لأنك أعظم الخلق و أفطنهم، مع ما يأتيك
من الأنباء عن علام الغيوب، و حقر أمرهم بسلب العقل عنهم و جعلهم
مفعولين لا فاعلين إشارة إلى أنهم طردوا عن هذا المقام، لأنهم أشرار ١٥
لئام[7]، فقال تعالى[8] ﴿ المخلفون ﴾ أى الذين - خلفهم الله عنك و لم يرضهم

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لكم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: و استوتف (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و خفاحا. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: غطا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فى حضرة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لاءم (٨) زيد فى الأصل: مبينا من هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

لصحبتك فى هذه العمرة، فجعلهم كالشيء التافه الذى يخلفه الإنسان، لأنه لا فائدة فيه فلا يؤبه له و لا يعبأ به، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم لما أراد الاعتمار ندب أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لذلك، و ندب من الأعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان [1]قد أقر[1] بالإسلام، ٥ فلم يرد الله حضورهم لأن إسلامهم لم يكن خالصا، فلو حضروا لفسد بهم الحال، و إن حفظ الله بحوله و قوته من الفساد، أعقب ذلك فسادا آخر و هو أن يقال: إنه لم يكف عنهم الأعداء إلا الكثرة، فتخلفوا لما علم الله فى تخلفهم من الحكم.

و لما كان قد تخلف بالجسد من خلص الأنصار و غيرهم من كان ١٠ حاضرا معه صلى الله عليه و سلم بالقلب [أخرجهم بقوله - [3]]: ﴿من الاعراب﴾ اى أهل البادية كذبا و بهتانا جرأة على الله و رسوله ﴿شغلتنا﴾ أى عن إجابتك فى هذه العمرة ﴿اموالنا و اهلونا﴾ [أى -[4]] لأنا لو تركناها ضاعت، لأنه لم يكن لنا من يقوم بها و أنت قد نهيت عن إضاعة المال و التفريط فى العيال، ثم سببوا عن هذا القول المراد ١٥ به السوء قولهم: ﴿فاستغفر﴾ أى اطلب المغفرة ﴿لنا ج﴾ من الله إن كنا أخطأنا أو قصرنا.

و لما كان هذا ربما يغتر به من لا خبرة له، رده تعالى بقوله منبها

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ: قدم (٢) من مد، و فى الأصل و م: ان (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد.

على أن من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل، و من شغله [1]عنه شيء[1]
كان شوما عليه: ﴿يقولون﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن هذا ديدن
لهم لاينفكون عنه. و لما صح بعد ذلك إيمان، لم يعبر بالأفواه[2] دأبه،
في المنافقين، بل قال: ﴿بالسنتهم﴾ أي في الشغل و الاستغفار، و أكد
ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهري نفيا للكلام الحقيق الذي ٥
هو النفسي بكل اعتبار بقوله: ﴿ما ليس في قلوبهم﴾ لأنهم لم يكن لهم
شغل و لا كانت لهم نية في سوال الاستغفار.

و لما كان فعلهم هذا من تخلفهم و اعتلالهم و سؤالهم الاستغفار[3]
ظنا منهم أنهم يدفعون عن أنفسهم بذلك المكروه و يحصلون لها المحبوب
و كان كأنه قيل: قد علم كذبهم، فما ذا يقال لهم؟ استأنف سبحانه ١٠
الجواب بقوله: ﴿قل﴾ أي لهؤلاء الأغبياء واعظا لهم مسيا عن مخادعتهم
لمن لا يخفى عليه خافية [4]إشارة إلى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ما
هو بحيث تخشى عاقبته[4]: ﴿فمن يملك لكم﴾ أيها المخادعون ﴿من الله﴾
أي الملك الذي لا أمر لأحد معه لأنه لا كفوء له ﴿شيئا﴾ / يمنعكم منه[5] /٨٤٩
﴿ان اراد بكم﴾ أي خاصة ﴿ضرا﴾ أي نوعا من أنواع الضرر ١٥
عظيما أو حقيرا، فأهلك الأموال و الأهلين و أنتم محتاطون في حفظها

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: شيء عنه (٢) زيد في الأصل: كما هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من مد، و في الأصل و ظ: للاستغفار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ و مد.

فلا ينفعها[1] حضوركم أو أهلككم أنتم ﴿ او اراد بكم نفعا[4] ﴾ بحفظها به مع غيبتكم فلا يضرها بعدكم عنها، و يحفظكم فى أنفسكم. و قد علم من تصنيفه سبحانه حالهم إلى صنفين مع الإبهام أنه يكون لبعضهم الضر لأن منهم من ارتد فى زمن الردة، و لبعضهم النفع لأنه ثبت على الإسلام.

٥ و لما كان التقدير قطعا: لا أحد يملك منه سبحانه لهم شيئا من ذلك، بل هو قادر على كل ما يريد منه، و فعلكم لما عندكم من الجلافة و الغباوة و الكثافة فعل من يظن أنه لا يقدر عليكم و لا يعلم كثيرا مما تعملون، فيخفى عليه كذبكم، و ليس الأمر كما ظننتم فانه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، بنى عليه ما ارشد إلى تقديره فقال تعالى: ﴿ بل كان الله ﴾

١٠ أى المحيط أزلا و أبدا بكل شيء قدرة و علما ﴿ بما تعملون ﴾ أى الجهلة[2] ﴿ خبيرا ه ﴾ أى[3] يعلم بواطن أموركم هذه و غيرها كما يعلم ظواهرها.

و لما أضرب عن ظنهم أن كذبهم يخفى عليه بأمر عام، و قدمه لأنه أعم نفعا بما فيه من الشمول، أتبعه الإضراب عن مضمون كلامهم فقال: ﴿ بل ﴾ أى ليس تخلفكم لما[4] أخبرتم به من الاشتغال بالأهل[5]

١٥ و الأموال ﴿ ظننتم ﴾ و انتم واقفون مع الظنون الظاهرة، ليس لكم نفوذ إلى البواطن، و أشار إلى تأكد ظنهم على زعمهم فقال: ﴿ ان لن ينقلب ﴾ و لما كان الكلام فيما هو شأن الرسول من الانبعاث

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا ينفعهما (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الجلة (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بما.

(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالأحوال.

و المسير ، قال مشيرا إلى [أن - [1]] من أرسل رسولا إلى شيء و هو لا يقدر على نصره ليبلغ ذلك الشيء إلى الغاية التي أرادها منه كان عاجزا عما يريد: ﴿ الرسول ﴾ و عظم التابعين فقال : ﴿ و المؤمنون ﴾ معبرا [2] بما يحق لهم من الوصف المفهم للرسوخ [3] و أفهم تأكيد [4] ذلك عندهم بقوله تعالى [5] : ﴿ الى اهليهم ابدا ﴾ اى لما فى قلوبكم من عظمة المشركين ٥ و حقارة المؤمنين لحملكم ذلك على [6] أن قلتم : ما هم فى قريش إلا أكلة رأس .

و لما كان الإنسان قد يظن ما لا يجب ، قال مشيرا بالبناء للفعول إلى أن ما حوته قلوبهم مما ينبغي أن ينزه سبحانه و تعالى عن نسبته إليه و إن كان هو الفاعل له فى الحقيقة : ﴿ و زين ذلك ﴾ أى الأمر ١٠ القبيح الذى خراب الدنيا ﴿ فى قلوبكم ﴾ حتى احببتموه .

و لما علم أن ذلك سوء ، صرح [6] به على و جه يعم غيره فقال : ﴿ و ظننتم ﴾ أى بذلك و غيره مما يترتب عليه من إظهار الكفر و ما يتفرع عنه ﴿ ظن السوء صلے ﴾ أى الذى لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة إلا أحاط به . و [لما - [7]] انكشف جميع أمره كشف أثره فقال : ١٥ ﴿ و كنتم ﴾ أى بالنظر إلى جمعكم من حيث هو جمع فى علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه و على ما كشفه الحال عنه من له بصيرة ﴿ قوما ﴾

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الاصل : فعبر (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الرسول (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : تأكد (٥) فى ظ : إلى (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٧) زيد من ظ و مد .

أى مع قوتكم على ما تحاولونه ﴿ بورا ه ﴾ أى فى غاية الهلاك و الكساد
و الفساد ، /و عدم الخير لأنكم جبلتم على ذلك الفساد، [1]فلا انفكاك لهم ٨٥٠ /
عنه ، و هذا[1] كما مضى بالنظر إلى الجميع من حيث هو جمع لا بالنسبة
إلى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير ، و ثبتوا فلم يرتدوا .

٥ و لما كان التقدير: ذلك لأنكم لم تؤمنوا ، فمن آمن منكم و من
غيركم[2] و أخلص ، أنجاه جنـة و حريرا ، عطف عليه قوله معمما :
﴿و من لم يؤمن﴾ منكم و من غيركم ﴿بالله﴾ [أى -[3]] الذى لا موجود
فى الحقيقة سواه ﴿و رسوله﴾ أى الذى أرسله لإظهار دينه و هو الحقيق
بالإضافة إليه ، معبرا عنه بالاسم الأعظم ، و للزيادة فى تعظيمه [و تحقير
١٠ شانئه و توهية كيده -[4]] التفت إلى مقام التكلم بمظهر العظمة فقال[5]:
﴿ فانا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ اعتدنا ﴾ [6]له او لهم[6] هكذا كان
الأصل ، و لكنه قال معلقا للحكم بالوصف إيذانا بأن من لم يجمع الإيمان
بهما فهو كافر ، و إن [السعير لمن -[4]] كان كفره راسخا فقال تعالى:
﴿ للكفرين ﴾ أى الذين لا يجمعون الإيمان بالمرسل و الرسول فيكونون
١٥ بذلك كفارا ، و يستمرون على وصف الكفر لأنهم جبلوا عليه ﴿سعيرا ه﴾
أى نارا شديدة الإيقاد و التلهب ، فهى عظيمة الحر [7]توجب الجنون[7]

(١-١) تكرر فى الأصل قبل « و عدم الخير » (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل :
غيرهم (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد .
(٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم أوله باثبات الضمير لا يأتى
(٧-٧) من مد ، و فى الأصل : تجب الجنود و فى ظ : تجب الجنون .

و إيقاد الباطن بالجوع بحيث لايشبع صاحبه و الانتشار بكل شر[1]، فان التنكير[2] هنا [3] التهويل و التعظيم[3]، و هذه الآية مع ما أرشد السياق إلى عطفها عليه ممن يؤمن دالة - و إن كانت فى سياق الشرط - على أن أكثرهم يخلص إيمانه بعد ذلك •

و لما انقضى حديث الجنود عامة ثم خاصة من المنتدبين[4] و المخلصين ٥ و ختم بعذاب الكافرين، و كان المتصرف فى الجنود ربما كان بعض خواص الملك ، فلا يكون تصرفه فيهم تاما ، و كان الملك قد لايقدر على عذاب من أراد من جنوده ، و كان إذا قدر قد لايقدر على العذاب بكل ما يريده من السعير الموصوف [5] و غيره لعدم[5] عموم ملكه[6] قال تعالى عاطفا على آية الجنود: ﴿ و لله ﴾ أى [7] الملك الأعظم[7] وحده ١٠ ﴿ ملك السموٰت و الارض[8] ﴾ أى من الجنود و غيرها، يدبر ذلك كله كيف يشاء [7] لا راد لحكمه و لامعقب[7] •

و لما[8] لم يكن فى هؤلاء من عذب بما عذب به الأمم الماضية من الريح و غيرها، لم يذكر ما بين الخافقين ، و ذكر نتيجة التفرد بالملك

(١) زيد فى الأصل و ظ : فهى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشكر (٣ - ٣) فى مد : التعظيم و التهويل (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : المبتدين (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموت و الاحياء بالعذاب و غير ذلك مما اشتملت عليه القدرة الالهية و الملك التام الذى لاشبيه له ، و قد دل السياق على عدم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملك غيره (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها •

بما[1] يقتضيه الحال من الترغيب و الترهيب: ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى لا اعتراض لأحد عليه [2]بوجه ما[2] ﴿ و يعذب من يشآء ﴾ أى[3] لأنه لا يجب عليه شيء و لا يكافيه شيء، و ليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الأكفاء المعارضين لهم فى الجملة، و علم من هذا

٥ التقسيم المبهم [أيضا -[4]] أن منهم من يرتد فيعذبه، و منهم من يثبت[5] على الإسلام فيغفر له لأنه لا يعذب بغير ذنب و إن كان له أن يفعل ذلك، لأنه لا يسئل عما يفعل و ملكه تام، فتصرفه فيه عدل كيفما كان . و لما كان من يفعل الشيء فى وقت / قد لا يستمر على وصف /٨٥١ القدرة عليه قال تعالى: ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال أزلا

١٠ و أبدا، لم يتجدد[6] له شيء لم يكن . و لما ابتدأ الآية بالمغفرة ترغيبا فى التوبة، ختم بذلك لأن المقام له، و زاد الرحمة تشريفا لنبى المرحمة[7] بالترغيب و الدلالة على أن رحمته غلبت غضبه فقال: ﴿ غفورا ﴾ أى لذنوب المسيئين ﴿ رحيما ﴾ أى مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول، و قدرته على الإنعام كقدرته على الانتقام . و لما ذم[8] المخلفين بما منه

١٥ -[2]أى من الذم[2]- أنهم هالكون بعد أن قدم أنه لعنهم، وكان قد وعد

---

(١) فى مد : ما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٣) سقط من ظ ومد.
(٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لا يثبت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يتجد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الرحمة (٨) زيد فى الأصل : سبحانه و تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سبحانه أهل الحديبية فتح خيبر جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له [1]في ذلك[1] من الحكم البالغة الدقيقة، و ختم بأنه نافذ الأمر، و [كان -[2]] ذلك مستلزما لإحاطة العلم، دل على كلا الأمرين بقوله استئنافا، جوابا لمن كأنه[3] قال: هل يغفر للمخلفين حتى يكونوا كأنهم ما تخلفوا ؟: ﴿ سيقول ﴾ أي بوعد لا خلاف فيه . ٥

و لما كان النبي صلى الله عليه و سلم بحيث لا مطمع لأحد في أن يظفر منه بشيء من خلاف لأمر الله، أسقط ما عبر به في ذكرهم أولا من خطابه و قال: ﴿ المخلفون ﴾ أي لمن يطمعون فيه من الصحابة أن يسعى في تمكينهم من المسير في جيشه صلى الله عليه و سلم لخفاء الحكم عليه و نحو ذلك، و لم يقيدهم بالأعراب ليعم كل من كان يتخلف من ١٠ غيرهم ﴿ اذا انطلقتم ﴾ بتمكين الله لكم ﴿ الى مغانم ﴾ .

و لما أفهم اللفظ الأخذ، و التعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها، صرح بالأول رفعا للمجاز فقال: ﴿ لتاخذوها ﴾ أي من خيبر ﴿ ذرونا ﴾ أي [4]على أي[4] حالة شئتم من الأحوال الدنية ﴿ نتبعكم ﴾ و لما كان يلزم من تمكينهم من ذلك إخلاف وعد الله بأنها تخص أهل الحديبية، ١٥ و أنه طرد المنافقين و خيب قصدهم، علل تعالى قولهم بقوله: ﴿ يريدون ﴾ أي بذهابهم معكم ﴿ ان يبدلوا كلم الله[5] ﴾ أي المحيط [5]بكل شيء[5] قدرة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد، و في الأصل و ظ : كان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد، و في ظ : اى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و علما فى الإخبار بلعنهم و إنارتهم ، و ان فتح خيبر مختص باهل الحديبية ، لايشركهم فيه إلا من وافقهم فى النية و الهجرة ، ليتوصلوا بذلك إلى تشكيك أهل الاسلام فيه[1] ، و المراد أن فعلهم فعل من يريد ذلك ، و لايبعد أن يكونوا صنفين : منهم من يريد ذلك ، و منهم من لم يرده ، ٥ و لكن فعل من يريده .

و لما كان السامع جديرا بأن يسأل عما يقال لهم ، قال مخاطبا لأصدق الخلق عليه الصلاة و السلام : ﴿ قل ﴾ أى [2]ياحبيبى[3] لهم إذا بلغك كلامهم أنت بنفسك ، فان غيرك لايقوم مقامك فى هذا الأمر المهم ، قولا مؤكدا : ﴿ لن تتبعونا ﴾ و إن اجتهدتم فى ذلك ، و ساقه ١٠ مساق النفى و إن كان المراد به النهى ، لأنه مع كونه آكد يكون علما من أعلام النبوة ، و هو أزجر و أدل على الاستهانة .

و لما أذن هذا التأكيد أنه من عند من [لا - [3]] يخالف أصلا فى مراده ، بينه تعالى بقوله : / ﴿ كذلكم ﴾ أى مثل هذا القول البديع /٨٥٢ الشان العلى الرتبة ﴿ قال الله ﴾ أى الذى لا يكون إلا ما يريد[4] و ليس ١٥ هو كالملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاءوا[5] و العقاب لمن شاءوا[6] ﴿ من قبل ﴾ هذا الوقت ، و هو الذى لا يمكن الخلف فى قوله ، فانه قضى أن لا يحضر « خيبر » المرادة بهذه الغنائم إلا من حضر الحديبية ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : شاء (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : يشاءوا .

و أمر بذلك فكان ما قال بعد اجتهاد بعض المخلفين فى إخلافه فانهم غيّرهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا، فطلبوا أن يخرجوا معه صلى الله عليه و سلم فنعوا[1] فلم يحضرها غيرهم أحد، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست، فأقام إلى أثناء محرم سنة سبع، و خرج بأهل الحديبية إلى خيبر ففتحها الله عليه، و أخذ ٥ جميع أموالها من المنقولات و العقارات، و أتى إليه صلى الله عليه و سلم و هو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه و بعض من معه من مهاجرة الحبشة، فأشركهم النبى صلى الله عليه و سلم مع أهل الحديبية لانهم لم يكونوا مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم الإدراك . ١٠

و لما كانوا منافقين لايعتقدون شيئا من هذه الأقوال، بل يظنون أنها حيل على التوصل إلى المرادات الدنيوية، سبب عن قولهم له ذلك تنبيها على جلافتهم و فساد ظنونهم: ﴿فسيقولون﴾ : ليس الأمر كما ذكر مما ادعى أنه قول الله ﴿بل﴾ إنما ذلكم لانكم ﴿تحسدوننا﴾ فلا تريدون أن يصل إلينا من مال الغنائم شيء . و لما كان التقدير: و ليس الأمر ١٥ كما زعموا، رتب عليه قوله : ﴿ بل كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ لايفقهون ﴾ أى لايفهمون فهم الحاذق الماهر ﴿ الا قليلا ﴾ فى أمر دنياهم، و من ذلك إقرارهم بالإيمان لاجلها، و أما أمور الآخرة فلا يفهمون منها شيئا .

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : فسعوا .

و لما كان ذلك يوقع فى نفس السامع السؤال عن هذا الطرد : هل يستمر ؟ أجيب بأنهم سيمتحنون بأمر شاق يحدثه الله للتمييز بين [1]الخلص و غيرهم[1] ، فقال مكررا لوصفهم بالتخلف إعلاما بأنهم فى الحقيقة ما تخلفوا ، بل منعوا طردا لهم و إبعادا معذبا لهم بما خلفهم عن اتباع
٥ النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه العمرة من الخوف من قتال قريش لشدة بأسهم كما أثاب المحبين له صلى الله عليه و سلم بضد ما عزموا عليه من القتال إلى النصر أو الموت من كف أيديهم عنهم[2] بما جعله الله سببا للفتح الأعظم [3]و التفرغ[3] لفتح خيبر و أخذ غنائمها الكثيرة من غير[4] كبير كلفة ﴿ قل ﴾ يا أعظم الخلق ﴿ للمخلفين ﴾ و زاد فى ذمهم
١٠ بنسبتهم إلى الجلافة فقال : ﴿ من الاعراب ﴾ أى أهل غلظ الأكباد ، و يجوز أن يكون هذا القيد للاحتراز عن المخلفين من أهل المدينة [فيكون إشارة إلى أن الأعراب ينقسمون عند هذا الدعاء إلى مطيع و عاص - كما أشار إليه تقسيمه سبحانه لهم - و أن المخلفين من أهل المدينة -[5]] لمثل ما اعتل بـه الأعراب لا مطمع فى صلاحهم :
١٥ ﴿ ستدعون ﴾ بوعد لا خلف فيه باخبار[6] محيط العلم و القدرة دعوة محيطة و [7]نفيرا عاما[7] لما أفهمه الإسناد إلى جميعهم من داع صحت إمامته[8]

(١-١) من مد ، و فى الأصل : المخاض و غيره ، و فى ظ : المخلص و غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنكم (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتفرع (٤) زيد فى الأصل : تكبير و لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : من اخبار (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : معمرا عالما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : امامه .

فوجبت

فوجبت طاعته، و دل على بعدهم من أرضهم بقوله تعالى: ﴿الى قوم﴾ .

/ ٨٥٣ و لما أفهم / التعبير بذلك أن لهم قوة و شدة على ما يحاولونه، أوضح المعنى بقوله: ﴿ اولى بأس[1] ﴾ أي شدة في الحرب و شجاعة مع مكر و دهاء ﴿ شديد[1] ﴾. و لما كان المعنى كأنه قيل[2]: لما ذا؟ قال تعالى: ﴿تقاتلونهم﴾ أى بأمر إمامكم ﴿ او يسلمون ج﴾ أى يدعوكم إليهم ليكون أحد الأمرين ٥ المظهرين لأن كلمة الله هي العليا: المقاتلة منكم أو الإسلام منهم، فان لم يسلموا كان القتال لا غير، و إن أسلموا لم يكن قتال، لأن الإمام لا غرض له إلا إعلاء كلمة الله، و لا يكون شيء غير هذين الأمرين من إبقاء بجزية أو مصالحة أو متاركة إلى مدة، و نحو ذلك، و هذا الداعي هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه، و القوم [3]بنو حنيفة و غيرهم من أهل ١٠ الردة الذين كان الدعاء لهم أول خلافة الصديق رضى الله عنه[3]، و أما قول من قال: إنهم ثقيف، فضعيف، لأن الدعاء لم يكن إليهم، إنما كان المقصود بالذات فتح مكة، و كان أمر هوازن و ثقيف و غيرهما تبعا له في غزوته[4]، لم يكن بينهم شيء، و أيضا فان ثقيف لما عسر أمرهم تركهم النبي صلى الله عليه و سلم حتى أسلموا بعد ذلك، و ترك أيضا فلال هوازن فلم يتبعهم ١٥ و لم يؤمر باتباعهم، فظاهر الآية أنه إذا انتشب القتال لم يترك إلا أن حصل الإسلام، و القول بأنهم فارس و الروم ضعيف أيضا، فان كلا منهم[5]

(١) وقع في الأصل: قبل « تقاتلونهم » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: قتل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد و في الأصل: غزته (٥) من ظ و مد، و في الأصل: هم.

تقبل منه الجزية، و تأويله بأنه إسلام لغوى لا داع له مع إمكان الحقيقة، و قد كان ما أشار إليه التقسيم فانهم لما دعوا [إليهم انقسموا - [1]] إلى مجيب و هم الأكثر، و قد آتاهم الله الاجر الحسن فى الدنيا بالغنيمة و الذكر الجميل و هو المرجو فى الآخرة، [2] و مرتد و هم قليل [3] و قد
٥ أذاقهم الله العذاب الأليم فى الدنيا بالقتل على أقبح حال، و هو يذيقهم فى الآخرة أعظم النكال، و أما قتال غير العرب فأطاع فيه الكل و لم يحصل فيه ما أشير إليه من التقسيم، فتحقق بهذا [4] أنهم أهل الردة - و الله الموفق، و لذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول فى حالهم مبهما له إشارة إلى أنهم عند الدعاء ينقسمون إلى مقبل و متول: ﴿فان تطيعوا﴾
١٠ أى توقعوا الطاعة للداعى إلى ذلك، و هو أبو بكر رضى الله عنه ﴿ يؤتكم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة [5] و القدرة على الإعطاء و المنع، لا راد لأمره [5] ﴿ اجرا حسنا ج ﴾ دنيا و أخرى، جعل الله طاعة أبى بكر رضى الله عنه فى هذا الأمر بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى طاعته طاعة الله، جزاء له على خصوصه فى مزيد تسليمه
١٥ لما فعله النبى صلى الله عليه و سلم من الصلح و ثباتـه بما أجاب به عمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله عليه و سلم من غير أن يكون حاضرا له كما هو معلوم من السيرة .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا الى « فى الآخرة » ساقطة من ظ .
(٣) من مد، و فى الأصل: قليلا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: هذا .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لما كانت مخالفة الرسول صلى الله عليه و سلم و من يقوم مقامه لا تكون إلا عن منازعة فى الفطرة الأولى و معالجة لها، عبر بالتفعل[1] فقال: ﴿ و ان تتولوا ﴾ عن قبول دعوته عصيانا ﴿ كما توليتم ﴾ أى عالجتم أنفسكم وكلفتموها التولى بالتخلف عن الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ من قبل ﴾ / اى بعض الأزمان التى تقدمت على هذا الدعاء، [2]و ذلك فى[2] ٥ / ٨٥٤ الحديبية ﴿ يعذبكم ﴾ أى يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما ﴿ عذابا اليما ﴾ [3]لأجل تكرر ذلك منكم.

و لما توعد المتخلفين بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم توعدهم فى التقاعد عن هذا الإمام القائم بعده بالحق، [4]وكان[4] أهل الأعذار لا يتيسر لهم ما أريد بهذا الدعاء، وكان الدين مبنيا على الحنيفية ١٠ السمحة، استأنف قوله تعالى مسكنا لما استثاره[5] الوعيد من روعهم: ﴿ ليس على الاعمى ﴾ اى فى تخلفه عن الدعاء إلى الخروج مع النبى صلى الله عليه و سلم أو مع غيره من أئمة الدعاء ﴿ حرج ﴾ أى ميل بثقل الإثم لأجل أن عماه موهن لسعيه و جميع بطشه، و لأجل تأكيد المعنى تسكينا لما ثار من روع المؤمن كرر النافى و الحرج فى كل جملة ١٥ مستقلة تأكيدا لهذا الأمر فقال: ﴿ و لا على الاعرج ﴾ و إن كان

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالفعل (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلكم كان فى امر (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: استاثره.

نقصه أدنى من نقص العمى ﴿ حرج ﴾ ، جعل كل جملة مستقلة تأكيدا لهذا الحكم .

و لما ذكر هذين الأثرين الخاصين المزيد ضررهما فى العاقة عن كمال الجهاد ، عم بقوله : ﴿ و لا على المريض ﴾ أى بأى مرض ﴿ حرج[1] ﴾

٥ فلم يخرج أهل هذه الأعذار الذين لم يمنعهم إلا إعذارهم عن أهل الحديبية ، و أطلق الحرج المنفى ليقبل التقدير بالتخلف و لا حاجة لأن حضورهم لايخلو عن نفع فى الجهاد ، و ذكر هكذا[1] دون أسلوب الاستثناء إيذانا بأنهم لم يدخلوا فى الوعيد أصلا حتى يخرجوا منه .

و لما بشر[2] المطيعين لتلك الدعوة و توعد القاعدين عنها و عذر

١٠ المعذورين ، و كانت إجابة المعذورين جائزة ، بل أرفع من قعودهم ، و لذلك لم ينف إجابتهم إنما نفى الحرج ، قال معمما عاطفا على ما تقديره : فمن تخلف منهم فتخلفه مباح له : ﴿ و من يطع الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفا ، المانع منها من يشاء و إن كان قويا ﴿ و رسوله ﴾ من المعذورين و غيرهم فيما ندبا إليه

١٥ من أى طاعة كانت إجابته ﴿ يدخله ﴾ أى الله الملك الأعظم [جزاء له -[3]] ﴿ جنت تجرى ﴾ و نبه على قرب منال الماء بإثبات الجار فى قوله : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ اى فنى أى موضع اردت أجريت نهرا ﴿ و من يتول ﴾ أى كائنا من[4] كان من المخاطبين الآن و غيرهم ، عن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا (٢) فى مد : توعد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

طاعة من الطاعات التى أمرا[1] بها من أىّ طاعة كانت ﴿ يعذبه ﴾ أى
على توليه فى الدارين أو إحداهما ﴿ عذابا اليما ع ﴾ و قراءة أهل المدينة
و الشام "ندخله و نعذبه" بالنون أظهر فى إرادة العظمة لأجل تعظيم
النعمة و النقمة .

و لما وعد المطيع و أوعد العاصى ، و كانت النفوس إلى الوعد أشد ٥
التفاتا ، دل عليه بثواب عظيم[2] منه أمر محسوس يعظم جذبه للنفوس
القاصرة عن النفوذ[3] فى عالم الغيب . فقال مؤكدا لأن أعظم المراد به
المذبذبون ، مفتتحا بقد لأن السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة
الإلهية أنها إذا شوقت إلى شيء دلت عليه بمشهود يقرب الغائب الموعود :
﴿ لقد رضى الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال ﴿ عن المؤمنين ﴾ أى ١٠
الراسخين / فى الإيمان ، أى فعل معهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح / ٨٥٥
و ما قدر له من الثواب ، و أفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين لخذلهم
فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة ، فالآيات تقرير لما ذكر من جزاء
الفريقين بأمور مشاهدة .

و لما ذكر الرضى ، ذكر وقته للدلالة على سببه فقال : ﴿ اذ ﴾ ١٥
أى حين ، و صور حالهم إعلاما بأنها سارة معجبة شديدة الرسوخ فى
الرضا فقال : ﴿ يبايعونك ﴾ فى عمرة الحديبية لما صد المشركون عن
الوصول إلى البيت ، فبعثت عثمان رضى الله عنه إليهم ليخبرهم بأنك لم تجئ

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
اعظم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القعود .

لقتال و إنما جئت للعمرة. فبلغك أنهم قتلوه فدبت إلى البيعة لمناجزتهم فبايعك كل من كان معك على ان لايفروا لتناجز بهم القوم؛ و زاد الأمر بيانا و قيده تفضيلا لأهل البيعة بقوله: ﴿تحت الشجرة﴾ و اللام للعهد الذهني، و كانت شجرة فى الموضع الذى كان النبى صلى الله عليه
٥ و سلم نازلا به فى الحديبية، و لأجل هذا الرضى سميت بيعة الرضوان.
و روى البغوى[1] من طريق الثعلبى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

و لما دل على إخلاصهم بما وصفهم، سبب عنه قوله: ﴿فعلم﴾ أى لما له من الإحاطــة ﴿ما فى قلوبهم﴾ أى من مطابقته لما قالوا
١٠ بألسنتهم فى البيعة، و أن ما حصل لبعضهم من الاضطراب فى قبول الصلح و الكآبة منه إنما هو لمحبة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و إيثار ما يريد من إعلاء دينه و إظهاره لا عن شك فى الدين، و سبب عن هذا العلم ترغيبا [فى -[2]] مثل هذا المحدث عنهم قوله: ﴿فأنزل السكينة﴾ أى بثبات القلوب و طمانينتها فى كل حالة ترضى الله و رسوله، و دل
١٥ على عظمها بحيث أنها تغلب الخوف و إن عظم بقوله: ﴿عليهم﴾ فأثر ذلك أنهم لم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا إليه و إن كانوا فى كثرة الكفار كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود، لا آثر الصلح مما يتراءى فيه من الضعف و غيره[3] من مخايل النقص فى قلوبهم فى ذلك المقام الدحض

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٦٤ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

و الموطن الضنك إلا ريثما[1] رأوا صدق عزيمة الرسول صلى الله عليه و سلم و مضى أمره فى ذلك بما يفعل و يقول .

و لما ذكر منّه سبحانه و تعالى عليهم بما هو الأصل الذى لاينبنى[2] إلا عليه، أتبعه آثاره فقال: ﴿ و اثابهم ﴾ أى أعطاهم جزاء لهم على ما وهبهم من الطاعة و السكينة فيها جزاء، مقبلا عليهم، يملأ مواضع ٥ احتياجهم، هو أهل[3] لأن يقصده لإنسان و يتردد فى طلبه لما له من الإقبال و المكنة و الشمول ﴿ فتحا ﴾ بما أوقع سبحانـــه من الصلح المترتب على تعجيز قريش عن القتال ﴿ قريبا ﴾ بترك القتال الموجب بعد راحتهم و قوتهم و جمومهم[4] لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل فى الدين من كان مباعدا له لما يرى من محاسنه، فسيكون الفتح الأعظم ١٠ فتح المكة المشرفة الذى هو سبب لفتح جميع البلاد.

و لما ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال: ﴿ و مغانم ﴾ فنبه بصيغة منتهى الجموع إلى أنها عظيمة، ثم صرح بذلك فى قوله: ﴿ كثيرة ﴾ و لما كان / الشيء ربما أطلق على ما هو بالقوة دون الفعل، أزال ذلك /٨٥٦ بقوله تعالى ﴿ ياخذونها ﴾ و هى خيبر . و لما كان ذلك مستبعدا لكثرة ١٥ الكفار و قلة المؤمنين، بين سببه فقال عاطفا على ما تقديره: بعزة الله و حكمته: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب و لايغلب ﴿ حكيما ﴾ يتقن ما يريد فلا ينقض .

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ابثما (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ينبنى .
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: اصل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: جموحهم .

و لما قرب ذلك و تأكد و تحرر و تقرر، اقبل سبحانه و تعالى
عليهم بالخطاب تأكيدا لمسامعهم فقال مزيلا لكل احتمال يتردد فى
خواطر المخلفين[1]: ﴿ وعدكم الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ مغانم ﴾ و حقق
معناها بقوله : ﴿ كثيرة تاخذونها ﴾ أى فيما يأتى من بلدان شتى لا تدخل
٥ تحت حصر، ثم سبب عن هذا الوعد قوله : ﴿ فعجل لكم ﴾ أى منها
﴿ هذه ﴾ أى القضية التى أوقعها بينكم و بين قريش من وضع الحرب
عشر سنين، و من أنكم تأتون فى العام المقبل فى مثل هذا الشهر[2] معتمرين
فانها سبب ذلك كله، عزاه أبو حيان[3] لابن[4] عباس رضى الله عنهما و هو
فى غاية الظهور، و يمكن أن يكون المعنى : التى فتحها عليكم من خيبر من
١٠ سبيها و أموالها المنقولات و غيرها ﴿ وكف ايدى الناس ﴾ أى من
أهل خيبر و حلفائهم أسد و غطفان أن يعينوا أهل خيبر أو يغيروا على
عيالاتكم[5] بعد ما وهموا بذلك بعد ما كف أيدى قريش و من دخل
فى عهدهم بالصلح ﴿ عنكم ج ﴾ على ما أنتم فيه من القلة و الضعف .

و لما كان التقدير : رحمة لكم على طاعتكم لله و رسوله و جزاء لتقوى
١٥ أيديكم، و تروا أسباب الفتح القريبة بما يدخل من الناس فى دينكم عند
المخاطبة بسبب الإيمان، عطف عليه قوله : ﴿ و لتكون ﴾ أى هذه

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : المكلفين (٢) زيد فى الأصل : و انتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع البحر المحيط ٨/٩٧ .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : لان ابن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : عيالكم .

الأسباب من الفتح و الإسلام ﴿ آية ﴾ أى علامة هى فى غاية الوضوح ﴿ للمؤمنين ﴾ أى منكم على دخول المسجد الحرام[1] آمنين فى العمرة[2] ثم فى الفتح و منكم و من غيركم من الراسخين فى الإيمان إلى يوم القيامة على جميع ما يخبر الله به على ما وقع التدريب عليه فى هذا التدبير الذى دبره لكم من أنه لطيف يوصل إلى الأشياء العظيمة بأضداد أسبابها فيما ٥ يرى الناس فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين و قوة المنابذين أبدا، فان سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالإحسان الذى عماده الرسوخ فى الإيمان الذى علق الحكم به، لحيث ما وجد عليه وجد المعلق و هو النصر بأسباب جلية أو خفية ﴿ و يهديكم ﴾ فى نحو هذا الأمر الذى دهمكم فأزعجكم بالثبات عند سماع الموعد و الوعيد و الثقة بمضمونه لأنه ١٠ قادر حكيم، فهو لايخلف الميعاد بأن يهديكم ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى طريقا واسعا واضحا موصلا إلى الكرامة من غير شك، و هذا من أعلام النبوة فانه [3]لم يزغ أحد[3] من المخاطبين بهذه الآية و هم أهل الحديبية [و كأنه -[4]] و الله أعلم لذلك لم يقل: و يهديهم[5] - بالغيب على ما اقتضاه السياق لئلايعم غيرهم ممن يظهر صدقه فى الإيمان ثم يزيغ، ١٥ و لذا أكثر تفاصيل هذه السورة من أعلام النبوة، فانه وقع الإخبار به قبل وقوعه. و لما سرهم سبحانه بما بشرهم به من كون القضية فتحا

---

(١) زيد فى ظ : إن شاء الله (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العجزة.
(٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يرع احدكم (٤) زيد من ظ و مد.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ : يهديكم.

و من غنائم خيبر، أتبع ذلك البشارة دالا على انها لامطمع لهم فى
/٨٥٧ حوزه و لاعلاجه / لولا[1] معرنته فقال: ﴿ و اخرى ﴾ أى و وعدكم
مغانم كثيرة غير هذه و هى - و الله أعلم - مغانم هوازن التى لم يحصل
قبلها ما يقاربها . و لما كان فى علمه سبحانه و تعالى أن الصحابة رضى الله
٥ تعالى عنهم مقرون فيها إلا من لا يمكنه فى العادة أن يهزمهم ليحوى
الغنائم، فكان ما فى علمه تعالى لتحققه كالذى وقع و انقضى، قال[2] تعالى:
﴿لم تقدروا﴾ أى بما علمتم من قراركم ﴿عليها﴾ و لما توقع [السامع -[3]]
بعد علمه بعجزهم عنها الإخبار عن السبب الموصل إلى أخذها بما تقرر
عند من صدق الوعد بها، قال مفتتحا بحرف التوقع: ﴿قد احاط الله﴾
١٠ أى المحيط بكل شيء علما و قدرة ﴿بها[4]﴾ فكانت بمنزلة ما أدير عليه[3] سور
مانع من أن يغلب منها شيء عن حوزتكم أو يقدر غيركم أن يأخذ منها
شيئا، [4]و لذلك[4] [و -[2]] للتعميم ختم الآية بقوله: ﴿ و كان الله ﴾ أى
المحيط بجميع صفات[5] الكمال أزلا و أبدا ﴿على كل شيء﴾ منها و من
غيرها ﴿ قديرا ه ﴾ بالغ القدرة لأنه بكل شيء عليم .
١٥ و لما قدم سبحانه أنه كف أيدى الناس عنكم أجمعين ، ذكر حكمهم
لو وقع قتال، فقال مقررا لقدرته عاطفا على نحو: ولو أراد لمكنكم[6] من
الاعتمار، مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد ذلك من الأعراب و غيرهم:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لو (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: عليها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اوصاف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سكنكم - كذا .

﴿و لو قاتلكم﴾ أى فى هذا الوجه ﴿الذين كفروا﴾ أى أوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه و من دونه، و هم أهل مكة و من لافهم، و كانوا قد اجتمعوا و جمعوا الأحابيش[1] و من أطاعهم و قدموا[2] خالد بن الوليد طليعة لهم إلى كراع الغميم، و لم يكن أسلم بعد ﴿لولوا﴾ أى بغاية جهدهم ﴿الادبار﴾ منهزمين . ٥

و لما كان عدم نصرهم بعد التولية مستبعدا أيضا لما لهم من كثرة الأمداد و قوة الحمية، قال معبرا بأداة البعد: ﴿ثم﴾ أى بعد طول الزمان و كثرة الأعوان ﴿لايجدون﴾ فى وقت من الأوقات ﴿وليا﴾ أى يفعل معهم فعل القريب من الحياطة و الشفقة و الحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية ﴿و لا نصيرا ه﴾ . ١٠

و لما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل و أتباعهم، و أن جندنا لهم الغالبون، قال تعالى: ﴿سنة الله﴾ أى سن المحيط بهذا الخلق فى هذا الزمان و ما بعده كما كان محيطا بالخلق فى قديم الدهر، و لذلك[3] قال: ﴿التى قد خلت﴾ أى سنة مؤكدة لاتتغير، و أكد الجار لأجل [أن -[4]] القتال ما وقع فى الزمان الماضى ١٥ إلا بعد نزول التوراة فقال: ﴿من قبل صلى﴾ و أما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بأمر من عند الله بغير[5] أيدى المؤمنين ﴿و لن تجد﴾ [6]أيها

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : الاجانيس (٢) من مد، و فى الأصل : قد . و فى ظ : قدم (٣) فى ظ : ذلك (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل : من، و فى ظ : من غير (٦) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

السامع ﴿ لسنة الله ﴾ الذى لايخاف قولا[1] لأنه محيط بجميع صفات الكمال ﴿ تبديلا ﴾ أى تغيرا من مغير ما، يغيرها[2] بما يكون بدلها.

و لما تقرر أن الكفار مغلوبون و إن قاتلوا، و كان ذلك من خوارق العادات مع كثرتهم دائما و قلة المؤمنين حتى يأتى أمر الله

٥ موقعا للعلم القطعى بأنه ما دبره إلا الواحد القهار القادر المختار، عطف عليه عجبا آخر و هو عدم تغير / أهل مكة فى هذه العمرة للقتال بعد تعاهدهم و تعاقدهم عليه مع ما لهم من قوة العزائم و شدة الشكائم، فقال عاطفا[3] على ما تقديره: هو الذى سن هذه السنة العامة: ﴿ و هو الذى كف ﴾ أى وحده [4]من غير معين له على ذلك[4] ﴿ ايديهم ﴾ أى الذين كفروا

١٠ من أهل مكة و غيرهم، فان الكل شرع واحد ﴿ عنكم و ايديكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عنهم ﴾.

/ ٨٥٨

و لما كان الكفار لو بسطوا أيديهم مع ما حتمه[5] الله و سنه من تولية الكفار دخلوا مكة قال: ﴿ ببطن مكة ﴾ أى كائنا كل منكم و منهم فى داخل مكة هم حالا و أنتم مآلا. و عن القفال أنه قال: يجوز أن

١٥ يراد به الحديبية لأنها من الحرم - انتهى. و عبر بالميم دون الباء كما فى آل عمران إشارة إلى أنه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا الاسم من الجمع و النقض و التنقية، فسبب لهم أسباب الاجتماع و التنقية من الذنوب -

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: قوله (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: تغيرها (٣) فى مد: عطفا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من مد و فى الأصل و ظ: ختم.

بما أشارت[1] إليه اية المرة[2] حالا و ايات الفتح مآلا، و وفى بما[3] يدل عليه اسمها من الأمل[4] على خلاف القياس.

و لما كان هذا ليس مستغرقا لجميع الزمان الآتى، بل لابد أن يبسط أيدى المؤمنين بها يوم الفتح، أدخل الجار فقال تعالى: ﴿من بعد ان اظفركم﴾ أى أوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم و جعل لكم الطول و العز ﴿عليهم[5]﴾ ٥ و ذلك فيما رواه أصحاب السير[5] قالوا: و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه إلى قريش بمكة و حمله على بعير له فقال له الثعلب: ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له[6] فعقروا[7] جمل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أرادوا قتله، فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسوله الله صلى الله عليه و سلم، و بعثت قريش أربعين ١٠ رجلا منهم أو خمسين و أمروهم أن يطوفوا[8] بعسكر رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا[9] فأخذوا أخذا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فعفا عنهم و خلى سبيلهم، و قد كانوا رموا فى عسكره بالحجارة و النبل، ثم ذكروا إرساله صلى الله عليه و سلم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشار (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: البقرة (٣) فى مد: بما (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الهلاك (٥) فى ظ: السنن. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: به (٧) زيد فى الأصل: به، و فى مد: آية، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل: يطيقوا، و فى ظ: يطيفوا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: واحدا.

لعثمان رضى الله عنه إلى مكة ثم إرسال قريش لسهيل بن عمرو فى الصلح ، وروى مسلم فى صحيحه[1] عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما اصطلحنا و اختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت فى أصلها فأتانى[2] أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون[3] فى النبى صلى الله عليه و سلم فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، و علقوا سلاحهم و اضطجعوا ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا آل المهاجرين[4] : [5]قتل ابن زنيم ، فاخترطت سيفى ثم شددت[6] على أولئك الأربعة [7]و هم رقود[7] فأخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثا فى يدى ، ثم قلت : و الذى كرم وجه محمد صلى الله عليه و سلم ! لا يرفع أحد منكم رأسه إلا [ضربت - [8]] الذى فيه[9] عيناه ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و جاء عمى عامر رضى الله عنه برجل من العبلات يقال له مكرز / يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على فرس مجفف فى سبعين من المشركين . فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : دعوهم يكن[10] لهم بدؤ الفجور و ثناه ، فعفا عنهم فأنزل الله تعالى

/٨٥٩

(١) راجع ٢ / ١١٣ (٢) من ظ و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : فاتى .
(٣) من ظ و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : يقعونى (٤) فى صحيح : يا للمهاجرين (٥) و زيد قبله فى الأصل و ظ : قد ، و لم تكن الزيادة فى مد و صحيح مسلم فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : عليهم اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و صحيح مسلم فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من مد و صحيح مسلم (٩) من مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل و ظ : فيها (١٠) من مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل و ظ : يكون .

"و هو الذى كف ايديهم عنكم و ايديكم عنهم" الآية - انتهى . و روى مسلم[1] و النسائى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم، و فى رواية النسائى : قالوا : نأخذ محمدا - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، فأخذهم ٥ النبى صلى الله عليه و سلم سلما[2] فاستحياهم فأنزل الله عزوجل " و هو الذى كف ايديهم عنكم" الآية .

و لما كان هذا و نحوه من عنف أهل مكة و غلظتهم و صلابتهم و شدتهم و رفق النبى صلى الله عليه و سلم و لينه لهم مما أحزن أغلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال تعالى يسليهم : ﴿ و كان الله ﴾ أى ١٠ المحيط بالجلال و الاكرام ﴿ بما يعملون ﴾ أى الكفار - على قراءة أبى عمرو بالغيب[3]، و أنتم - على قراءة الباقين[4] بالخطاب فى ذلك الوقت و فيما بعده كما كان قبله ﴿ بصيرا ه ﴾ أى محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره[5] فهو يجريه فى هذه الدار التى[6] ربط فيها المسببات بأسبابها على أوثق الأسباب فى نصركم و غلبكم لهم و قسركم، و ستعلمون ١٥ ما دبره من دخولكم مكة المشرفة آمنين لا تخافون فى عمرة القضاء صلحا ثم فى الفتح بجحفل جرار قد نيطت[7] أظفار المنايا بأسنة رماحه . و عادت[8]

---

(١) راجع أبواب الجهاد (٢) سقط من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٦/٢٤٦ (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : بظواهرهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : سطت (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : غارت .

ذؤس الحمام طوعا لبيض صفاحه، فيؤمن أكثر أهل مكة و غيرهم ممن هو الآن جاهد عليكم، و يصيرون أحب الناس فيكم يقدمون أنفسهم فى جهاد الكفار دونكم، فيفتح الله بكم البلاد، و يظهركم[1] - و هو أعظم المحامين عنكم - على سائر العباد.

٥ و لما كان ما مضى من وصفهم على وجه يشمل غيرهم من جميع الكفار، عينهم مبينا لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم فى ذلك الوقت للبوار و النكال و الدمار فقال: ﴿ هم ﴾ أى أهل مكة و [من -[2]] لافهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوغلوا فى هذا الوصف بجميع بواطنهم و تمام ظواهرهم ﴿ و صدوكم ﴾ زيادة على كفرهم فى عمرة الحديبية هذه

١٠ ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أى مكة، و نفس المسجد الحرام، و الكعبة، للاخلال بما أنتم فيه من شعائر الإحرام [بالعمرة -[2]] ﴿ و الهدى ﴾ أى و صدوا ما أهديتموه إلى مكة المشرفة لتذبحوه بها و تفرقوه على الفقراء، و منه أربعون، و فى رواية: سبعون بدنة، كان أهداها النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ معكوفا ﴾ أى حال كونه مجموعا محبوسا مع رعيكم له

١٥ و إصلاحه [3]لما أهدى[3] لأجله ﴿ ان يبلغ محله ﴾ أى الموضع الذى هو أولى المواضع لنحره، و هو الذى إذا أطلق انصرف الذهن إليه، و هو فى العمرة المروة، و يجوز الذبح فى الحج و العمرة فى أى موضع كان من الحرم، فالموضع الذى نحر فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه

(١) فى مد: يظهرهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ما اهديتم.

المرة

المرة عند الإحصار ليس محله المطلق .

و لما كان التقدير : فلولا ما أشار إليه من ربط المسببات بأسبابها لسلطكم عليهم فغلبتموهم / على المسجد و أتممتم عمرتكم على ما أردتم ، ثم / ٨٦٠ عطف [عليه -[1]] أمرا أخص[2] منه فقال : ﴿و لو لا رجال﴾ أى مقيمون بين أظهر الكفار بمكة ﴿مؤمنون﴾ أى [عريقون فى الإيمان فكانوا ٥ لذلك أهلا للوصف بالرجولية ﴿و نسآء مؤمنٰت﴾ أى -[3]] كذلك[4] حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة ، على أن ذلك شامل لمن جبله الله على الخير و علم منه الإيمان و إن كان فى ذلك الوقت مشركا ﴿لم تعلموهم﴾ أى لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم بأعيانهم عن المشركين [6]لأنهم ليس[6] لهم قوة ١٠ التمييز منهم بأنفسهم و أنتم لا تعرفون أماكنهم لتعاملوهم بما هم له أهل و لا سيما فى حال الحرب و الطعن و الضرب ، ثم أبدل من " الرجال و النساء " قوله : ﴿ان تطؤهم﴾ أى تؤذوهم بالقتل[7] أو ما يقاربه من الجراح و الضرب و النهب و نحوه من الوطء الذى هو الإيقاع بالحرب منه قوله صلى الله عليه و سلم " آخر وطأة وطئها الله بوج " يكون ١٥ ذلك الأذى منكم لهم على [ظن -[1]] أنهم مشركون أذى الدائس لمدوس

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : خص (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (٥) ليس فى مد (٦ - ٦) من ظ و مد . و فى الاصل : لان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

و تضغطوهم[1] و تأخذوهم أخذا شديدا بقهر و غلبة تصيرون به لا تردون[2] يد لامس و لا تقدرون على مدافعة ﴿ فتصيبكم ﴾ أى فيتسبب عن هذا الوطئ أن يصيبكم ﴿ منهم ﴾ أى من جهتهم و بسببهم ﴿ معرة ﴾ أى مكروه و أذى هو كالجرب فى انتشاره و أذاه، و إثم و خيانة بقتال ٥ دون إذن خاص، و بعدم الإمعان فى البحث، و غرم و كفارة ودية و تأسف و تعيير من لا علم له، ثم علق بالوطئ المسبب عنه إصابة المعرة إتماما للمعنى قوله: ﴿ بغير علم ج ﴾ أى بأنهم[3] من المؤمنين .

و لما دل السياق على أن جواب "لولا"[4] محذوف تقديره: لسلطكم عليهم و ما كف أيديكم عنهم، و لكنه علم ذلك، و علم أنه سيؤمن ١٠ ناس من المشركين فمن عليكم بأن رفع حرج إصابتهم بغير علم عنكم، و سبب لكم أسباب الفتح الذى كان يتوقع بسبب تسليطكم[5] عليهم بأمر سهل، و كف أيديكم و لم يسلطكم عليهم ﴿ ليدخل الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ فى رحمته ﴾ أى إكرامه و إنعامه ﴿ من يشآء ج ﴾ من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام، و من المؤمنين بأن يستنقذهم منهم ١٥ على أرفق وجه . و لما كان ذلك[6]، أنتج قوله تعالى: ﴿ لو تزيلوا ﴾ أى تفرقوا فزال أحد الفريقين عن الآخر زوالا[7] عظيما بحيث لا يختلط صنف

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تضعفوهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لا ترد (٣) من مد، و فى الأصل: بإيمانهم (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تسلطكم (٦) زيد فى الأصل: كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى مد: زولا .

بغيره فيؤمن وطئ المؤمنين له بغير علم ﴿ لعذبنا ﴾ أى بأيديكم بتسليطنا أو بمجرد أيدنا من غير واسطة ﴿ الذين كفروا ﴾ أي أوقعوا ستر الإيمان .

و لما كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من أهل الأرض ، صرح بما دل عليه السياق فقال : ﴿ منهم ﴾ أى الفريقين و هم الصادون ٥ ﴿ عذابا أليما ﴾ أى شديد الإيجاع بأيديكم أو من عندنا لنوصلكم إلى قصدكم من الاعتمار و الظهور على الكفار ، ففيه اعتذار[1] و تدريب على تأدب بعضهم مع بعض ، و فى الإشارة إلى بيان سر من أسرار منع الله تعالى لهم من التسليط[2] /عليهم حث العبد[3] على أن لايتهم[4] الله فى قضائه / ٨٦١ فربما عسر عليه أمرا يظهر له أن السعادة كانت فيه و فى باطنه سم ١٠ قاتل ، فيكون منع الله له منه رحمة فى الباطن و إن كان نقمة فى الظاهر ، فالزم التسليم مع الاجتهاد فى الخير و الحرص عليه و الندم على[5] فواته و إياك [6]و الاعتراض[6] ، و فى الآية أيضا [أن -[7]] الله تعالى قد يدفع عن الكافر لأجل المؤمن .

و لما بين شرط استحقاقهم للعذاب ، بين وقته ، و فيه بيان لعلته ، ١٥ فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما ترآى من الحق فى مرأى عقولهم ﴿ فى قلوبهم ﴾ أى قلوب أنفسهم ﴿ الحمية ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتداد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : التسلط (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتعبد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاياتيهم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى الاعراض (٧) زيد من مد .

المنع الشديد و الأنفة و الإباء الذى هو فى شدة حره و نفوذه فى أشد الأجسام كالسم و النار . و لما كان مثل هذه الحمية قد تكون موجبة للرحمة بأن تكون لله ، قال مبينا معظما لجرمها: ﴿حمية الجاهلية﴾ التى مدارها مطلق المنع[1] أى سواء كان بحق أو بباطل ، فتمنع من الإذعان
٥ للحق ، و مبناها التشفى[2] على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب[3] تخطى حدود الشرع ، [4]و لذلك[4] أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت [العتيق -[5]] الذى الناس فيه سواء ، و من الإقرار بالبسملة ، فأنتجت لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى و طاشوا و خفوا إلى الشرك الذى هو أبطل الباطل .

١٠ و لما كانت هذه الحمية مع الكثرة موجبة و لابد ذل من تصوب إليه و لاسيما إن كان قليلا ، بين دلالة على أن الأمر تابع لمشيئته لا الجارى العادة أنه تأثر عنها ضد ما تقتضيه عادة ، فقال مسببا عن هذه الحمية : ﴿فانزل الله﴾ أى الذى لايغلبه شيء و هو يغلب كل شيء بسبب[6] حميتهم ﴿سكينته﴾ أى الشيء اللائق إضافته إليه سبحانه من الفهم عن الله
١٥ و[7] الروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو و النصر عليه ، إنزالا كائنا ﴿على رسوله﴾ صلى الله عليه و سلم[8] الذى عظمته من عظمته ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشقى (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلذلك (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٨) زيد فى الأصل و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فهم عن الله مراده فى هذه القضية لجرى على أتم ما يرضيه ﴿وعلى المؤمنين﴾ رضى الله تعالى عنهم[١] العريقين فى الإيمان لأنهم أتباع رسوله صلى الله عليه و سلم و أنصار دينه فألزمهم قبول أمره الذى [نهمه عن الله و -[٢]] خفى عن أكثرهم حتى [فهمتموه -[٢]] صلى الله عليه و سلم عند نزول سورة الفتح و حماهم عن همزات الشياطين ، و لم يدخلهم ما دخل ٥ الكفار من الحمية ليقاتلوا غضبا لأنفسهم فيتعدوا حدود الشرع ﴿و ألزمهم﴾ أى المؤمنين إلزام إكرام أو تشريف ، لا إلزام إهانة و تعنيف ﴿كلمة التقوى﴾ و هى كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى و إعلاء كلمة الإخلاص المتقدم فى سورة القتال و هى لا اله إلا الله التى هى أحق الحق ، يقتضى التحقق بمدلولها من أنه لا فاعل إلا الله الثبات على كل ما أخبر به رسول الله ١٠ صلى الله عليه و سلم / من التوحيد و البسملة و الرسالة مع تغيير الكتابة / ٨٦٢ بكل منها لأجل الكفار فى ذلك المقام الدحض الذى لا يكاد يثبت فيه قدم ، و أضافها إلى التقوى التى هى اتخاذ ساتر يقى حر النار لجعلها وصفا لازما لهم غير منفك عنهم لأنها سببها الحامل عليها ، و يجمع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية و هى لا إله إلا الله[٣] فانها كلمة - ١٥ كما قال الرازى - أولها نفى الشرك و آخرها تعلق بالإلهية ، و هذا من أعلام النبوة ، فان أهل الحديبية الذين ألزموا هذه الكلمة ماتوا كلهم

---

(١) زيد فى الأصل : و هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : وحده لا شريك له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

على الإسلام ﴿ و كانوآ ﴾ أى جبلة و طبعا . و لما كان من الكفار من يستحقها فى علم الله فيصير مؤمنا . عبر بأفعل التفضيل فقال تعالى : ﴿ احق بها ﴾ أى كلمة التقوى من الكفار و الأعراب و غيرهم من جميع الخلق ، و لمثل هذا التعميم[1] أطلق الأمر بحذف المفضل عليه[2] .
٥ و لما كان الأحق بالشيء قد لا يكون أهله من أول الأمر قال تعالى: ﴿ و اهلها ط ﴾ أى ولاتها و الملازمون لها ملازمـــة العشير بعشيره و الدائنون لها و الآلفون لها.و لما كان الحكم بذلك لا يكون إلا لعالم قال عاطفا عـــلى ما تقديره : لما علم الله من صلاح قلوبهم و صفائها : ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط [3]بالكائنات كلها[3] علما و قدرة ﴿ بكل شيء ﴾
١٠ من ذلك و غيره[4] ﴿ عليما ع ﴾ أى محيط العلم[5] [6]الدقيق و الجلى[3] ، و الآية من الاحتباك : ذكر حمية الجاهلية أولا دليلا على ضدها ثانيا ، و كلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها أولا ، و سره أنه ذكر مجمع الشر أولا ترهيبا منه و مجمع الخير ثانيا ترغيبا فيه . و لما [6]قرر سبحانه و تعالى علمه[6] بالعواقب لإحاطة علمه و وجه أسباب كفه أيدى الفريقين و بين ما فيه من المصالح
١٥ و ما فى التسليط من المفاسد من قتل[7] من حكم بإيمانه من المشركين و إصابة

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : التنعيم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : علته.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غير (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : التام (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقرر علمه سبحانه و تعالى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قبل .

من لا يعلم[1] من المؤمنين ـ و غير ذلك إلى أن ختم باحاطة علمه المستلزم
لشمول قدرته، أنتج ذلك قوله لمن توقع الإخبار عن الرؤيا التى أقلقهم
أمرها و كاد بعضهم أن يزلزله ذكرها على سبيل التأكيد: ﴿ لقد﴾.

و لما كان للنظر إلى الرؤيا اعتباران: أحدهما من جهة الواقع و هو
غيب[2] عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين. و الآخر من جهة الإخبار ٥
و هو مع الرؤيا شهادة بالنسبة إليه سبحانه و تعالى، عبر بالصدق و الحق
فقال تعالى: ﴿ صدق الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له المحيط بجميع
صفات الكمال ﴿رسوله﴾ صلى الله عليه و سلم الذى هو أعز الخلائق عنده
و هو غنى عن الإخبار عما لا يكون أنه يكون، فكيف إذا كان المخبر رسوله
﴿ الرءيا ﴾ التى هى من الوحى لأنه سبحانه يرى الواقع و يعلم مطابقتها ١٠
فى أنكم تدخلون المسجد الحرام آمنين يحلق بعض و يقصر[3] آخرون،
متلبسا خبره و رؤيا رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿بالحق ج﴾ لأن مضمون
الخبر إذا وقع فطبق بين الواقع و بينه، كان الواقع يطابقه لا يخرم [4]شيء
منه[4] عن شيء منه[5] / ، و الحاصل أنك إذا نسبتها للواقع طابقته فكان صدقا، ٨٦٣ /
و إذا نسبت الواقع إليها طابقها فكانت[6] حقا. ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: علم له (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غيبا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقصير (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: منه شيء (٥) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: فى الحقيقة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و لما أقسم لأجل التأكيد لمن [1] كاد يتزلزل [1]، أجابه بقوله مؤكدا بما يفهم القسم أيضا إشارة إلى عظم الزلزال: ﴿ لتدخلن ﴾ أي بعد هذا دخولا [قد [2]] تحتم أمره ﴿ المسجد ﴾ أي الذي يطاف [3] فيه بالكعبة [3] و لا يكون دخوله إلا بدخول الحرم ﴿ الحرام ﴾ أي [4] الذي

٥ أجاره الله من امتهان الجبابرة و منعه من كل ظالم .

و لما كان لايجب عليه سبحانه و تعالى شيء و إن وعد به، أشار إلى ذلك بقوله تأديبا لهم أن يقول أحد منهم بعد ذلك: ألم يقل أننا ندخل البيت و نحو ذلك، و لغيرهم [5] أن يقول: نحن ندخل: ﴿ ان شآء الله ﴾ اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال، حال كونكم ﴿ امنين [4] ﴾

١٠ لاتخشون [إلا - [6]] الله منقسمين بحسب التحليق و التقصير إلى قسمين ﴿ محلقين رءوسكم ﴾ و لعله أشار بصيغة التفعيل الى أن فاعل الحلق [7] كثير، و كذا ﴿ و مقصرين [7] ﴾ غير أن التقديم يفهم أن الاول أكثر .

و لما كان الدخول حال الأمن لايستلزم الأمن بعده قال تعالى: ﴿ لا تخافون [1] ﴾ أى لايتجدد لكم خوف بعد ذلك إلى أن تدخلوا

١٥ عليهم عام الفتح قاهرين [8] لهم بالنصر [8] . و لما كان من المعلوم أن سبب هذا الإخبار إحاطة العلم، فكان التقدير: هذا أمر حق يوثق به غاية

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: كان مزلزلا (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ: به بالكعبة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لغيره (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الوثوق لأنه إخبار عالم الغيب و الشهادة، صدق سبحانه فيه، و ما ردكم عنه هذه الكرة على هذا الوجه إلا لأمور دبرها و شئون أحكمها و قدرها، قال عاطفا على " صدق[1] " مسببا عنه أو معللا: ﴿ فعلم ﴾ أي بسبب، أو لأنه علم من أسباب الفتح و موانعه و بنائه[2] على الحكمة ﴿ ما لم تعلموا ﴾ أي أيها[3] الأولياء ﴿ فجعل ﴾ أي[4] بسبب إحاطة علمه ﴿ من دون ﴾ ٥ أي أدنى رتبة [من - [4]] ﴿ ذلك ﴾ اى الدخول العظيم فى هذا العام ﴿ فتحا قريبا ﴾ يقويكم به من فتح خيبر و وضع الحرب بين العرب بهذا الصلح، و اختلاط بعض الناس بسبب[5] ذلك ببعض، الموجب لإسلام[6] بشر كثير تتقوون بهم، فتكون تلك الكثرة و القوة سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال، فتقل القتلى رفقا بأهل حرم الله تعالى إكراما لهذا ١٠ النبي الكريم صلى الله عليه و سلم عن إغارة قومه و إصابة من عنده[7] من المسلمين المستضعفين من غير علم.

و لما اخبر بهذه الأمور الجليلة الدقيقة المبنية على إحاطة العلم، عللها سبحانه و بين الصدق فيها بقوله تعالى: ﴿ هو ﴾ أي وحـــده ﴿ الذي ارسل رسوله[8] ﴾ اى الذي[9] لا رسول أحق منه باضافته إليه ١٥

---

(١) زيد فى الأصل: الوعد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بيانه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد. (٥) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بإسلام (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عندهم. (٨) وقع فى الأصل بعد: « باضافته اليه » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: رسولا.

- صلى الله عليه و سلم ﴿ بالهدى[1] ﴾ الكامل الذى يقتضى أن[2] يستقيم به أكثر الناس، و لو أنه أخبر بشيء يكون فيه أدنى مقال[3] لم يكن الإرسال[4] بالهدى ﴿ و دين الحق ﴾ أى الأمر الثابت الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع ﴿ ليظهره ﴾ أى دينه ﴿ على الدين كله[5] ﴾ دين ٥ أهل مكة [و -[5]] العرب عباد الأصنام، الذى يقتضى / إظهاره عليه[6] ٨٦٤/ دخوله إليها آمنا، و إظهاره على من سواهم من أهل الأديان الباطلة بأيدى صحابته الأبرار و التابعين[7] لهم باحسان إظهارا يتكامل بنزول عيسى عليه الصلاة و السلام مع الرفق بالخلق و الرحمة لهم، فلا يقتل إلا من لاصلاح له أصلا، و على قدر الجبروت يحصل القهر، فلأجل ذلك هو ١٠ يدبر أمره بمثل هذه الأمور التى توجب نصره و تعلى[8] قدره مع الرفق بقومه و جميل الصنع لأتباعه، فلا بد أن تروا من فتوح أكثر البلاد و قهر الملوك الشداد ما تعرفون به قدرة الله سبحانه و تعالى .

و لما كان فى سياق إحاطة العلم، و كان التقدير : شهد ربه سبحانه بتصديقه[9] فى كل ما قاله باظهار المعجزات على يده، بنى عليه قوله تعالى

(١) ليس فى الأصل (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : انه (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : عليهم (٧) زيد فى الأصل و ظ : و التابعى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : تعالى (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : بتصديق .

﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات[1] الكمال ﴿ شهيدا ه[1] ﴾ أى ذا رؤية و خبرة بطية كل شيء و دخلته لما له[2] الغنا فى أمره، و لا شهيد فى الحقيقة إلا هو سبحانه لأنه [2]لا إحاطة و خبرة و رقبة[3] إلا له سبحانه، و هو يشهد بكل ما أخبر به رسوله صلى الله عليه و سلم فى هذه الصورة خصوصا و فى غيرها عموما. ٥

و لما[4] ختم سبحانه بإحاطة العلم بالخفايا و الظواهر فى الإخبار بالرسالة، عينها فى قوله جوابا لمن يقول: من الرسول المنوه باسمه[5]: ﴿ محمد رسول الله[1] ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، فهو[6] الرسول الذى لا رسول يساويه لأنه رسول إلى جميع الخلق ممن أدرك زمانه بالفعل فى الدنيا و من تقدمه بالقوة فيها و بالفعل فى الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه، و قد أخذ ١٠ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه، و أخذ ذلك الأنبياء على أممهم، لا يكتتب الرحمة التى وسعت كل شيء إلا لمن وقع العلم بالمحيط بأنه يؤمن به. فما عمل عامل عملا صالحا إلا كان له مثل أجره، تقدم ذلك العامل أو تأخر، كان من أهل السماء أو من أهل الأرض،

---

(١) زيد فى الأصل: الجمال و الجلال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

(٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فيه (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاحاطة و حيره و رونته - كذا (٤) زيد فى الأصل: اخبر و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: و رسوله هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و هذا أمر لا يحصيه إلا الله سبحانه و تعالى ، و أشار بذلك إلى هذا الاسم بخصوصه فى سورة الفتح إلى أنه صلى الله عليه و سلم هو الختام - بما أشارت إليه الميم التي مخرجها ختام المخرج ، و هي محيطة بما أشارت إليه صورتها ، و كررت فى الاسم [1]بعدها غاية[1] التأكيد ، و هو ثلاث -
٥ كما أشار إليه اسمه : أحمد - إلى أنه مع كونه خاتما فهو فاتح بما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم "كنت أولهم خلقا و آخرهم بعثا" و اختصت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصريح المبشر به عليه[2] الصلاة و السلام بالبعدية فى قوله "رسول يأتى من بعدى اسمه احمد" و أشارت الميم أوله ايضا إلى بعثه عند الأربعين ، و ما بقى من حروفه و هى حمد
١٠ يفيد[4] له كمال[5] الحمد بالفعل فى السنة الثانية و الخمسين من عمره و هى الثانية [6]عشرة من نبوته[6] ببيعة الأنصار رضى الله عنهم ، و قد أشارت هذه السورة إلى كلمة الإخلاص تلويحا بما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحا و بطنت[7] سطوة الإلهية [8]و ظهرت[8] الرحمة المحمدية - كما أشارت القتال إلى الرسالة تلويحا [و صرحت بسطوة الإلهيه -[9]] بكلمة الإخلاص و الناشئة[10] عن

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعد دعائه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعدية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يبتدأ (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : كما (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عشر نبوته - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تطوب (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فظهرت (٩) زيد من ظ و مد . (١٠) فى ظ و مد : الناسبة .

القتال تصريحا، وقد تقدم فى القتال نبذة من اسرار الكلمتين [1] . و لما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى: ﴿ و الذين معه ﴾ أى بمعية [2] الصحبة من أصحابه و حسن التبعية من التابعين لهم باحسان . و لما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشمله فقال تعالى: ﴿ اشدآء على الكفار ﴾ فهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالأسد ٥ على فريسته ، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿ رحمآء بينهم ﴾ كالوالد مع الولد، لأن الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين ، و لامؤمن فى زمانهم إلا من كان من اهل دينهم ، فهم يحبهم و يحبونه بشهادة آية المائدة .

و لما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجبا ، بين الحامل عليه ١٠ بقوله : ﴿ ترٰهم ﴾ أى أيها الناظر لهم ﴿ ركعا سجدا ﴾ اى دائمى الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة امرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص و ضير [3] .

و لما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : ﴿ يبتغون ﴾ أى يطلبون بذلك و غيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم ١٥ على شهواتهم و حظوظهم ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة من الخير ﴿ من الله ﴾ اى الذى له الإحاطة بصفات الكمال و الجمال الذى اعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله و الرقة على أوليائه بما اعطاهم من

---

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمنعه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صبر .

رحمته التي هيأهم بها للاحسان إلى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لايرون سيدا غيره، و لامحسن سواه. و لما ذكر عبادتهم و طلبهم الزيادة منها و من غيرها من فضل الله الذي لايوصل إلى عبادته إلا بمعونته، أتبعه المطلوب الأعلى فقال: ﴿و رضوانا﴾
٥ أي رضاء منه عظيما.

و لما ذكر كثرة عبادتهم و أتبعها إخلاصهم فيها اهتماما به لأنه لايقبل عملا بدونه، دل على كثرتها بقوله: ﴿سيماهم﴾ أي علامتهم التي لاتفارقهم ﴿في وجوههم﴾ ثم بين العلامة بقوله: ﴿من اثر السجود﴾ فهي نور يوم القيامة - رواه الطبراني[1] عن أبي بن كعب رضي الله عنه
١٠ عن النبي صلى الله عليه و سلم[2] - هذا مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا من أثر الخشوع و الهيبة بحيث أنه إذا رئي أحدهم أورث لرائيه[3] ذكر الله، و إذا قرأ أورثت قراءته حزنا و خشوعا و إخباتا و خضوعا، و إن كان رث الحال رديء الهيئة، و لايظن أن من السيما ما يصنعه بعض المرائين من هيئة أثر سجود في جبهته، فإن ذلك من سيما الخوارج،
١٥ و في نهاية ابن الأثير [في تفسير -[4]] الثفن[5]: و منه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: رأى رجلا بين عينيه [مثل -[6]] ثفنة العنز، فقال: لو لم يكن هذا لكان خيرا - يعني كان على جبهته أثر السجود، / و إنما كرهها ٨٦٦ / خوفا من الرياء بها، و قد روى صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه

(١) سقط من ظ (٢) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٠٧ (٣) من مد، و في الأصل وظ: لمرايه (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع ١/ ١٥٥ (٦) زيد من مد و النهاية.

عن[1] النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال[2]: إنى لأبغض الرجل و أكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود[3].

و لما أتم وصفهم بهذا الأمر الذى لا يقدر عليه أحد إلا من صفاه الله من جميع حظوظه و شهواته، أشار إلى علوه فقال: ﴿ذلك﴾ أى هذا الوصف العالى جدا البديع المثال البعيد المنال ﴿مثلهم فى التورىة ﴾ ٥ فانه[4] قال فيها: اتانا ربنا من سينا و شرق لنا من جبل ساعير، و ظهر لنا من جبل فاران، معه ربوات[5] الاطهار على يمينه، أعطاهم و حببهم إلى الشعوب و بارك على جميع اطهاره و هم يتبعون آثارك. فظهوره من فاران صريح فى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم فانه لم يأت منها - و هى جبال مكة باتفاقهم - بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلى الله عليه و سلم، ١٠ و ربوات الاطهار إشارة إلى كثرة أمته، و أنهم فى الطهارة كالملائكة، و أيد ذلك جعلهم من أهل اليمين، و وصفهم بالتحبيب إلى الشعوب، فكل ذلك دال على ما وصفوا به منا من شهادة الوجود - هذا [مع -[6]] ما وجدته فى التوراة بعد تبديلهم لما بدلوا منها و إخفائهم كما قال [الله -[7]] تعالى لكثير[8]، و روى [9] أصحاب فتوح[9] البلاد فى فتح بيت المقدس ١٥ عن كعب الاحبار أن سبب إسلامه أن أباه [كان -[10]] أخبره أنه ذخر[11]

(١) فى ظ: ان (٢) سقط من ظ (٣) الحديث فى تلخيص مسند الفردوس تحت رقم ٤٧٤١ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فانها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: روات (٦) زيد من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى مد: الكثير (٩-٩) من مد، و فى الأصل: فتحوح أصحاب، و فى ظ: فتوج أصحاب (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ادخر.

عنه ورقتين جعلهما فى كوة و طين عليهما، و أمره أن يعمل بهما بعد موته، قال: فلما مات فتحت عنهما فاذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة و مهاجره[1] بطيبة ليس بفظ و لا غليظ و لاصخاب فى الأسواق، و لا يجزى السيئة بالسيئة، و لكن يجزى بالسيئة الحسنة و يعفو
٥ و يغفر و يصفح، و إن[2] أمته الحادون الذين يحمدون الله على كل شيء و على كل حال، و يذلل ألسنتهم بالتكبير، و ينصر الله نبيهم على كل من ناواه، يغسلون فروجهم بالماء، و يؤثرون على أواسطهم، و أناجيلهم فى صدورهم، يأكلون قربانهم[3] فى بطونهم و يؤجرون عليها، تراحمهم بينهم تراحم بين الأم و الأب، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من
١٠ الأمم، هم السابقون المقربون و الشافعون و المشفع لهم. و أصله فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و فى الدارمى عن كعب هذا، و لأصحاب الفتوح عن سمرة بن حوشب عن كعب قال: قلت لعمر رضى الله عنه و هو بالشام عند انصرافه: يا أمير المؤمنين! إنه مكتوب فى كتاب الله: إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل و كانوا أهلها
١٥ مفتوحة على رجل من الصالحين. رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، و علانيته مثل سره، و قوله لا يخالف فعله، و القريب و البعيد عنده فى الحق سواء، أتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متباذلون، فقال عمر: ثكلتك / أمك أحق ما تقول؟ قلت: أي و الذى ‎/٨٦٧

(١) من مد، و فى الاصل و ظ: مهاجرته (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الاصل: قرناهم.

أنزل التوراة على موسى و الذى يسمع ما نقول! إنه لحق، فقال عمر: فالحمد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا و رحمنا بمحمد صلى الله عليه و سلم و رحمته[1] التى وسعت كل شيء - هذا على أن المراد بالمثل الوصف، و يمكن أن يكون على حقيقته، و يكون الذى فى التوراة ما ترجمته "[2] على أعدائهم كقرن الحديد و فيما بينهم فى النفع و التواصل كالماء و الصعيد، ٥ و لربهم كخامة الزرع مع الريح و الصديق النصيح[3]، و فى الإقبال على الآخرة كالمسافر الشاحب و الباكى الناحب" فعبر عنه فى كتابنا بما ذكر .

و لما ذكر مثلهم فى الكتاب الأول، أتبعه الكتاب الثانى الذى هو ناسخ ليعلم أنه قد[3] أخذ على كل ناسخ لشريعته[4] أن يفهم لأمته ليتبعوهم إذا دعوهم فقال: ﴿ و مثلهم فى الانجيل ﴾ أى الذى نسخ الله ١٠ به بعض أحكام التوراة ﴿ كزرع ﴾ أى مثل زرع ﴿ اخرج شطأه ﴾ أى فراخه و ورقه و ما خرج حول أصوله، فكان ذلك كله مثله .

و لما ذكر هذا الإخراج سبب عنه قوله ﴿ فازره ﴾ أى فأحاط به الشطأ، فقواه و ظهره من غير نبتة نبتت عنه فتضعفه و [5]ساواه و حاذاه[5] و عاونه، و يظهر أن قراءة الهمزة بالمد[6] على المفاعلة أبلغ من قراءة ابن ١٥ عامر بالقصر، لأن الفعل إذا كان بين اثنين يتجاذبانه كان الاجتهاد[7]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رحمة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: التصحيح (٣) سقط من ظ و مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بشريعته (٥-٥) من مد، وفى الأصل: سواه وحده، و فى ظ: سواه و حاذاه.
(٦) راجع نثر المرجان ٦/٦٥٥ (٧) فى مد: الجهاد .

فيه أكثر، ثم سبب عن المؤازرة قوله: ﴿ فاستغلظ ﴾ أى فطلب المذكور من الزرع و الشطأ[1] الغلظ و أوجده[2] فتسبب عن ذلك اعتداله[3] ﴿ فاستوى ﴾ أى وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما [كأنه - [4]] كان بغاية الاجتهاد و المعالجة ﴿ على سوقه ﴾ أى قصبه، جمع ساق، ٥ و هو ما قام عليه الشيء، حال كون هذا المذكور من الزرع و الشطأ ﴿ يعجب الزراع ﴾ و يجوز كونه استئنافا للتعجب منه و المبالغة فى مدحه و إظهار السرور فى أمره، و إذا أعجبهم[5] و هم فى غاية العناية بأمره و التفقد لحاله و الملابسة له و معرفة معانيه كان[6] لغيرهم أشد إعجابا، ومثل لأنهم يكونون قليلين ثم يكثرون مع البهجة فى عين الناظر لما لهم ١٠ من الرونق [7]الذى منشأه نور الإيمان و ثبات الطمأنينة و الإيقان و شدة الموافقة[7] من بعضهم لبعض، و نفى المخالف لهم و إبعاده، و قد تقدم فى هذا الكتاب فى آخر المائدة أمثال ضربت فى الإنجيل بالزرع أقربها إلى هذا مثل حبة[8] الخردل فراجعه.

و لما أنهى سبحانه [مثلهم - [9]]، ذكر الثمرة فى جعلهم كذلك ١٥ فقال: ﴿ ليغيظ ﴾ معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام و هو جعلهم

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٢) من مد، وفى الأصل وظ: حده (٣) زيد فى الأصل: فقال تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) زيد فى الأصل: فى امره، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جة (٩) زيد من ظ و مد.

كذلك لأجل أن يغيظ ﴿بهم﴾ أى غيظا شديدا[1] بالغ القوة و الإحكام ﴿الكفار﴾ و ذلك أنهم لما كانوا أول الأمر قليلا، كان الكفار طامعين[2] فى أن لايتم لهم أمر، فكلما ازدادوا[3] كثرة مع تمادى الزمان زاد غيظ الكفار منهم، فكيف إذا رأوا مع الزيادة و القوة منهم حسنا و نضارة و رونقا و بهجة، فهو[4] فى الغيظ مما [لو -[5]] كانوا فى أول ٥ الأمر كثيرا لأنه كان يكون دفعه و يقصر زمنه، / فمن أبغض صحابيا /٨٦٨ خيف عليه الكفر لأنهم أول مراد بالآية، و غيرهم بالقصد الثانى و بالتبع[6]، و من أبغضهم كلهم كان كافرا، و إذا حملناه على غيرهم كان دليلا على أن كل[7] من خالف الإجماع كفر - قاله القشيرى.

و لما تم مثاهم و علة جعلهم كذلك، بشرهم فقال فى موضع وعدهم[8] ١٠ لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيبا فى التمسك به و ترهيبا من مجانبته: ﴿وعد الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الذين ءامنوا﴾ و لما كان الكلام فى الذين معه صلى الله عليه و سلم، و كانت المعية ظاهرة فى الاتحاد فى الدين لم تكن شاملة للمنافقين، فلم يكن الاهتمام[9] بالتقييد بمنهم هنا[9]

(١) فى مد: عظيما (٢) من مد، و فى الأصل: ذاعنين، و فى ظ: طاغين. (٣) زيد فى الأصل: مع، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: وهو (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بالتبيع (٧) ليس فى مد (٨) من مد، وفى الأصل وظ: وعدم (٩-٩) من مد، و فى الأصل: بالقصد هنا منهم، و فى ظ: بالقصد هنا.

كالاهتمام به فى سورة النور، فأخره و قدم العمل لأن العناية [به ـ[1]]
هنا أكثر، لأنه من سيماهم المذكورة[2] فقال: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا
لدعواهم الكون معه فى الدين ﴿الصّٰلحٰت﴾ و لما كان قوله «معه»[3] يعم
كما مضى من بعد الصحابة رضى الله تعالى عنهم، و كان الخلل فيمن بعدهم
٥ كثيرا، قيد بقوله: ﴿منهم﴾ أى من الذين معه صلى الله عليه و سلم
سواء كانوا من أصل الزرع أو فراخـــه التى أخرجها و هم التابعون[4]
لهم باحسان.

و لما كان الإنسان و إن اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق له من
العبادة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿مغفرة﴾ أى لما يقع منهم من الهفوات
١٠ أو الذنوب و السيئات ﴿و اجرا عظيما ع﴾ بعد ذلك الستر، و قد جمعت
هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع
ما فيها من البشائر[5] التصريحية باجتماع أمرهم و علو نصرهم، و ذلك أنه
لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم
إلى قصـــدهم من الدخول إلى مكة المشرفة و الطواف بالبيت العتيق،
١٥ و لم يكن ذلك بسبب خلل أتى من قبلهم كما كان فى غزوة أحد على
ما مضى من[6] بيانه فى آل عمران التى هى سورة التوحيد الذى كلمته

(١) زيد من مد (٢) من مـد، و فى الأصل و ظ: المذكور (٣) زيد فى
الأصل: يدل و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد،
و فى الأصل و ظ: التابعين (٥) من مـد، و فى الأصل و ظ: البشارة.
(٦) سقط من ظ.

كلمة التقوى عند الآية الثانية لهذه، بشرهم سبحانه بما فى هذه السورة
من البشائر الظاهرة تصريحا و بما فى هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع
حروف المعجم تلويحا إلى أن أمرهم لابد من تمامه، و اشتداد سلكه
و انبرامه، و اتساق شأنه و انتظامه، و خفوق ألويته و أعلامه، و افتتحها
بميم "محمد" و هى مضمومة، و ختمها بميم "عظيما" المنصوبة إشارة ٥
بما للميم من الختام بمخرجها إلى أن تمام الأمر قد دنا جدا[1] إبانه، و حضر
زمانه، و بما فى أولها من الضم إلى رفعة دائمة فى [حمد -[2]] كثير،
و بما فى آخرها من النصب إلى تمام الفتح و انتشاره، و قربه و اشتهاره،
على وجه عظيم، و شرف فى علو جسيم، و أومأ تدويرها إلى أنه أمر
لا انتهاء له، بل كلما ختم ابتدأ، و قد ظهر من هذا و ما فى صريح ١٠
الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين رد مقطعها على مطلعها
بالفتح للنبي صلى الله عليه و سلم و التمكين العظيم [لأصحابه -[3]] رضى الله
عنهم، و الرحمة و المغفرة و الفوز العظيم لجميع أتباعه و أنصاره و أشياعه
رضى الله تعالى عنهم أجمعين، و جعلنا[4] بمنه و كرمه منهم[5]، و هذا آخر
القسم الأول من القرآن، و هو المطول، و قد ختم - كما ترى - بسورتين ١٥
هما فى الحقيقة للنبي صلى الله عليه و سلم، و حاصلهما الفتح له بالسيف

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حمدا (٢) زيد من مد، و فى ظ: محمد.
(٣) زيد من مد (٤) زيد فى الأصل: الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ
و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من اتباعهم.

و النصر على من قاتله ظاهرا كما ختم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه و سلم بالحال على من قصده بالضر باطنا - [1] و الله الهادى للصواب و إليه المرجـــع و المآب و صلى الله عـــلى سيدنا محمد و آله و صحبه[1] . [2]



(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل بعده : و قد تم الجزء الرابع من المناسبات للشيخ العالم العلامة البقاعى عفا الله تعالى عنه و نفعنا به و بعلومه فى الدين و الدنيا و الآخرة و رضى الله عن العلماء العاملين و التابعين لهم أجمعين آمين .

و وافق الفراغ من كتابته فى يوم الأحد سابع عشرى محرم الحرام افتتاح سنة سبع و تسعين و ألف - يتلوه سورة الحجرات إن شاء الله تعالى .

/ ١

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

سورة الحجرات[2]

مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي صلى الله عليه و سلم بالأدب معه في نفسه و في أمته، و حفظ ذلك من إجلاله بالظاهر [ليكون –[3]] دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان [بالله –[3]] يشترط فيه فعل[4] الأعمال الظاهرة و الإذعان لفعلها بشرائطها و أركانها و حدودها لتكون[5] بينة على الباطن و حجة شاهدة له " الم احسب الناس ان يتركوا ٥ ان يقولوا امنا [و – [3]] هم لا يفتنون " فحاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله عليه و سلم في الأدب معه لأنها أول المفصل الذي هو[6] ملخص

---

(١) زيد في الأصل بعده: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و لا عدوان إلا على الظالمين ، و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين و المرسلين و على آله و صحبه و أهل بيته الطيبين الطاهرين (٢) التاسع و الأربعون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها ١٨ بلا خلاف . و من هنا ترافقنا نسخة مد فقط ، و أما نسخة م فانقطعت عنا – كما نبهنا عليه – الى سورة المجادلة ، و أما نسخة ظ فهي الأخرى انقطعت من هنا إلى سورة الرحمن (٣) زيد من مد (٤) في مد : نقل (٥) من مد ، و في الأصل : لكون (٦) زيد في الأصل : مقصود انه ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

القرآن كما كان مقصود الفاتحة التى هى أول القرآن مراقبة الله ، و ابتدئ ثانى[1] المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدئ ثانى[2] ما عداه بالحروف المقطعة ، و اسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما[3] دلت عليه [آيته - [4]] ﴿ بسم الله ﴾ الملك الجبار المتكبر الذى من أخل بتعظيم
٥ رسوله صلى الله عليه و سلم لم يرض عنه عملا ﴿ الرحمن ﴾ الذى من عموم رحمته إقامة الآداب للتوصل إلى حسن المآب ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أولى الألباب بالإقبال على ما يوجب [لهم - [4]] جميل الثواب[5] .

لما نوه سبحانه فى القتال بذكر النبى صلى الله عليه و سلم و صرح فى ابتدائها باسمه الشريف و سمى السورة به ، و ملأ[5] سورة الفتح بتعظيمه ،
١٠ و ختمها[6] باسمه ، و مدح أتباعه لأجله ، افتتح هذه باشتراط الأدب معه فى القول و الفعل للعد[7] من حزبه و الفوز بقربه ، و مدار ذلك معالى الأخلاق ، و هى إما مع الله سبحانه و تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه و سلم أو مع غيرهما و إن كان كل قسم لا يخلو عن لحظ الآخر ، و غيرهما إما أن يكون داخلا مع المؤمنين فى رتبة الطاعة أو خارجا
١٥ عنها ، و هو الفاسق ، و الداخل فى طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم ، فهذه خمسة أقسام ، فصل النداء بسببها خمس مرات ، كل مرة لقسم منها ، و افتتح بالله لأن الأدب معه هو

---

(١) من مد ، و فى الأصل : اى (٢) من مد ، و فى الأصل : ثانى (٣) من مد ، و فى الأصل : ما (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : النوال - كذا (٦) من مد ، و فى الأصل : ختم (٧) من مد ، و فى الأصل : المعتد .

الأصل الجامع للكل و الآس[1] الذى لا يبنى إلا عليه، فقال مناديا للمتسمين بأول أسنان القلوب تنبيها[2] على أن سبب نزولها من أفعالهم [لا - [3]] من أفعال أهل الكمال، فهو هفوة تقال، و ما [كان - [3]] ينبغي أن يقال[4]، و ليشمل الخطاب المعهود للأدنى - و لو مع النفاق - من فوقه من باب الأولى: ﴿ يٰٓأيها الذين ءامنوا ﴾ اى أقروا بالإيمان ﴿ لا تقدموا ﴾ / و حذف ٥ / ٢ المفعول ليعم[5] كل ما يصح تقديمه فيذهب [الوهم - [3]] كل مذهب، و يجوز أن يكون حذفه من قصد إليه أصلا، بل يكون النهى موجها إلى [6]نفس التقدمة[6] أى لا تتلبسوا[7] بهذا الفعل، و يجوز أن يكون من قدم - بالتشديد بمعنى أقدم و تقدم أى شجع نفسه على التقدم، و منه مقدمة الجيش، و هم متقدموه[8]، و أشار إلى تهجين[9] ما نهوا عنه و تصوير شناعته، و إلى أنهم ١٠ فى القبضة[10] ترهيبا لهم[11] فقال: ﴿ بين يدى الله ﴾ أى الملك الذى لا يطاق انتقامه.

و لما كان السياق للنهى عن التقديم و التقدم، و كان مقتضى الرسالة إنفاذ الأوامر و النواهى عن الملك من غير أن يكون من المرسل

---

(١) من مد، و فى الأصل: الامن - كذا (٢) من مد، و فى الأصل: بينهما (٣) زيد من مد (٤) فى مد: تقال (٥) من مد، و فى الأصل: يعم (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: التقديم (٧) من مد، و فى الأصل: لا تتسلبوا (٨) من مد، و فى الأصل: مقدموه (٩) من مد، و فى الأصل: التهجيس (١٠) من مد، و فى الأصل: العنعنة - كذا (١١) من مد، و فى الأصل: له.

إليهم اعتراض[١] أصلا ، و بذلك استحق ان لايتكلم بحضرته فى مهم و لا يفعل مهم إلا باذنه . لأن العبيد[٢] لما لهم من النقص لا استقلال لهم بشيء أصلا ، عبر بالرسول دون النبي بعد أن ذكر اسمه تعالى الأعظم زيادة فى تصوير التعظيم فقال : ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته ظاهرة
٥ جدا ، و لذلك قرن اسمه باسمه و ذكره بذكره ، فهو تمهيد لما يأتى من تعظيمه ، فالتعبير بذلك إشارة إلى أن النفس إذا خليت و فطرتها الأولى ، امتلأت بمجرد رؤيته هيبة منه و إجلالا له ، فلا يفعل أحد غير ذلك إلا بتشجيع منه لنفسه و تكليفها ضد[٣] ما تدعو إليه الفطرة الأولى القويمة ، فالمعنى : لاتكونوا[٤] متقدمين فى شيء من الأشياء و الله يقول الحق و يهدى
١٠ السبيل ، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يبلغ عنه لاينطق عن الهوى ، فعلى الغير[٥] الاقتداء و الاتباع ، لا الابتداء و الابتداع ، سواء كان النبي صلى الله عليه و سلم غائبا أو حاضرا بموت أو غيره . فان [٦]آثاره كعينه[٦] ، فمن بذل الجهد فيها هدى للأصلح[٧] ، "و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" .

و لما استعار للدلالة على القدره التعبير باليدين و صور البينة ترهيبا
١٥ من انتقام القادر إذا خولف ، صرح بذلك بقوله تعالى : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين [غضب - [٨]] الملك الأعظم وقاية ، فان التقوى

---

(١) من مد ، و فى الأصل : اعراض (٢) من مد ، و فى الأصل : الصيد .
(٣) من مد ، و فى الأصل : منه (٤) من مد ، و فى الأصل : لايكونون .
(٥) من مد ، و فى الأصل : المغير - كذا (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : اشارة كهيئة (٧) من مد ، و فى الأصل : للاصلاح (٨) زيد من مد .

مانعة من أن تضيعوا حقه و تخالفوا أمره و تقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه .

و لما كان سبحانه مع كل بعله، و أقرب إليه من نفسه، فكان مع ذلك غيبا محضا لكونه محتجبا برداء الكبر و إزار العظمة و القهر، وكان الإنسان لما غاب عنه نساء[1]، ذكره مرهبا[2] بقوله مستأنفا أو معللا مؤكدا[3] ٥ تنبيها على ما في ذلك من الغرابة و العظمة التي يحق للانسان مجاهدة نفسه لأجلها في الإيمان به[4] و المواظبة على الاستمرار على استحضاره، لأن أفعال العاصي أفعال من ينكره : ﴿ ان الله ﴾ أي الذي له الاحاطة بصفات[5] الكمال . و لما [كان -[6]] ما يتقدم[7] فيه إما قولا أو فعلا قال : ﴿ سميع ﴾ أي لأقوالكم قبل أن تقولوها[8] ﴿ عليم ﴾ أي باعمالكم[9] قبل ١٠ أن تعملوها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه و المخصوصين "بفضيلة مشاهدته[10]" و كريم عشرته فقال / "محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم" "إلى آخره"، فأثنى سبحانه عليهم و ذكر وصفه تعالى بذلك في التوراة و الإنجيل، و هذه ١٥

/٣

(١) من مد ، و في الأصل : بسا - كذا (٢) من مد ، و في الاصل : ترهيبا. (٣) زيد في الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٤) من مد ، و في الأصل : بها (٥) من مد ، و في الأصل : « و » (٦) زيد من مد . (٧) من مد ، و في الأصل : تقدم (٨) في مد : تقولها (٩) من مد ، و في الأصل : لاعمالكم (١٠-١٠) من مد ، و في الأصل : بمشاهدته (١١-١١) ليس ما بين الرقمين في مد .

خصيصة [١] انفردوا بمزية تكريمها [١] و جرت على واضح قوله تعالى "كنتم خير امة اخرجت للناس [٢] تأمرون بالمعروف" إلى آخره [٢]، و شهدت لهم بعظيم [٣] المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية [٤] قولا و عملا ظاهرا و باطنا على أوضح عمل و أخلص نية، و تنزيههم [٥]
٥ عما وقع من [٦] قبلهم فى [٧] مخاطبات أنبيائهم كقول بنى إسرائيل "يموسى ادع لنا ربك" [إلى - [٨]] ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال تعالى "يايها الذين 'امنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله" الآية [و - [٨]] "يايها الذين 'امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى و لا تجهروا له بالقول - إلى قوله: و الله غفور رحيم" فطلبوا بآداب تناسب علىّ
١٠ إيمانهم [٩] و إن اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس فى درجتهم و قد قيل "حسنات الأبرار سيئات المقربين" فكأن قد [قيل - [٨]] لهم: لا تغفلوا ما منح [١٠] لكم فى التوراة و الإنجيل، فانها [١١] درجة لم ينلها غيركم [١٢] من الأمم فقابلوها بتنزيه أعمالكم عن أن يتوهم فى ظواهرها أنها صدرت عن عدم اكتراث [١٣] فى الخطاب، أو [١٤] سوء قصد فى الجواب، و طابقوا بين [١٥] ظواهركم و بواطنكم [١٥]

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: انقدروا بتكريمها (٢-٢) ليس ما بين الرقمين فى مد (٣) من مد، و فى الأصل: بتعظيم (٤) زيد فى مد: و أخرى (٥) من مد، و فى الأصل: نزههم - كذا (٦) من مد، و فى الأصل: ممن (٧) من مد، وفى الأصل: من (٨) زيد من مد (٩) من مد، وفى الأصل: آدابهم. (١٠) من مد، و فى الأصل: صح (١١) من مد، و فى الأصل: فانهم. (١٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (١٣) من مد، و فى الأصل: اكتساب - كذا (١٤) من مد، و فى الأصل «و» (١٥ - ١٥) فى مد: بواطنكم و ظواهركم.

و(١) ليكن عنكم(١) منبثا بسليم سرائركم " ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى " ثم عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى " ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون " ثم أمروا بالتثبت عند زغة الشيطان، أو تقول ذى بهتان " يايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق ٥ بنبأ " الآية، ثم أمرهم بصلاح ذات بينهم و التعاون فى ذلك بقتال الباغين العتاة(٢) و تحسين العشرة و التزام(٣) ما يثمر الحب و التودد الإيمانى و التواضع، و أن الخير كله فى التقوى " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " و كل ذلك محذر لعلى صفاتهم التى وصفوا بها فى خاتمة سورة الفتح.

و لما ثبت إعظام(٤) الرسول صلى الله عليه و سلم بأن لايفتات عليه ١٠ (٥)بأن يتأهب(٥) ما هو وظيفته من التقدم فى الأمور و قطع المهمات، فلا يكلم إلا جوابا أو سؤالا فى أمر ضرورى لايمكن تأخيره، و كان من يكلمه لذلك ربما رفع صوته رفعا الأولى به غيره مما هو دونه، و كان من جملة أحواله أن يوحى إليه بالأمور العظيمة، و كان رفع الصوت إذ ذاك من المشوشات فى حسن التلقى للوحى مع ما فيه من ١٥ قلة الاحترام و الإخلال بالإجلال و الإعظام، قال ذاكرا لثانى الأقسام، و هو ما كان النظر فيه إلى مقامه صلى الله عليه و سلم بالقصد الأول،

(١-١) من مد، و فى الأصل: اكم عليكم (٢) من مد، و فى الأصل: العصاة. (٣) من مد، و فى الأصل: الزام (٤) زيد فى الأصل: سورة الفتح باعظام، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥-٥) من مد، و فى الأصل: ايتاهبوا.

مستنتجا مما مضى من وصفه بالرسالة[1] الدالة على النبوة ، آمرا بحفظ حرمته
و مراعاة الأدب فى خدمته و صحبته بتبجيله[2] / و تفخيمه ، و إعزازه و تعظيمه ، /٤
مكررا لندائهم بما ألزموا انفسهم به من طاعته بتصديقه و[3] استدعاء
لتجديد[3] الاستبصار و تطرية الندب إلى الإنصات و إشارة إلى أن المنادى
٥ له أمر يستحق أن يفرد بالنداء و يستقل[4] بالتوصية[5] : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾
مكررا للتعبير بالأدنى من أسنان[6] القلوب للتنبيه على أن فاعل مثل هذه
المنهيات و المحتاج فيها إلى التنبيه بالنهى قد فعل من هذا حاله
﴿ لا ترفعوآ اصواتكم ﴾ أى فى شيء من الأشياء ﴿ فوق صوت النبى ﴾
أى الذى يتلق عن الله ، و تلقيه[7] عنه متوقع فى كل وقت ، و هذا يدل
١٠ على أن أذى[8] العلماء الذين هيأهم الله لتلق فهم دينه عنه شديد[9] جدا ،
فان تكدير أوقاتهم يمنعهم عن كثير من ذلك .

و لما بين ما فى ذلك لأجل النبوة ، بين ما ينبغى فى نفسه من المزية فقال :
﴿ ولا تجهروا له بالقول ﴾ أى إذا كلمتوه سواء كان [10]ذلك بمثل[10] صوته
أو اخفض من صوته ، فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ، و يوقر[11]

---

(١) من مد ، و فى الأصل : بالراسلة (٢) من مد ، و فى الأصل : و تبجيله .
(٣-٣) من مد ، و فى الأصل : استدعاهم بتجديد (٤) من مد ، و فى الأصل :
يستقبل (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٦) من مد و فى الأصل : اسباب (٧) من مد ، و فى الأصل : بلقيه (٨) من مد ،
و فى الأصل : هذا اذا (٩) من مد ، و فى الأصل : شديدا (١٠-١٠) من مد ،
و فى الأصل : مثل ذلك (١١) من مد ، و فى الأصل : يوقره .

الكبراء . و لما شمل هذا كل جهر مخصوص، و هو ما يكون مسقطا للزية ، قال : ﴿ كجهر بعضكم لبعض ﴾ أى فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق[1] بين النبى صلى الله عليه و سلم و بين غيره . و لما نهى عن ذلك ، بين ضرره[2] فقال مبينا أن من الأعمال ما يحبط و لا يدرى أنه محبط ، ليكون العامل كالماشى فى طريق خطر لا [زال - [3]] يتوقى خطره ٥ و يديم حذره : ﴿ ان ﴾ أى النهى لأجل [خشية - [3]] أن ﴿ تحبط ﴾ أى تفسد فتسقط ﴿ اعمالكم ﴾ أى التى [هى - [3]] الأعمال بالحقيقه و هى الحسنات كلها ﴿ و انتم لا تشعرون ه ﴾ أى بأنها حبطت ، فان ذلك إذا اجترأ الإنسان عليه استخف به و إذ استخف بـه واظب عليه ، و إذا واظب عليه أوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر و هو لا يشعر . ١٠

و لما تقدم سبحانه فى الإخلال بشىء من حرمته صلى الله عليه و سلم و نهى عن رفع الصوت و الجهر الموصوف ، أنتج المخافة عنده على سبيل الإجلال، فبين ما لمن حافظ على ذلك الأدب العظيم ، فقال مؤكدا لأن [فى - [3]] المنافقين و غيرهم من[4] يكذب بذلك . و تنبيها على أنه لمحبة الله له و رضاه به أهل لأن يؤكد أمره و يواظب على فعله : ﴿ ان الذين يغضون ﴾ ١٥ أى يخفضون و يلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته ، قال الطبرى[5] : و أصل الغض الكف فى[6] لين ﴿ اصواتهم ﴾ تخشعا و تخضعا

---

(١) زيد فى الأصل : بينكم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل : صوره (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : ممن (٥) راجع تفسيره ٢٦ / ٦٩ (٦) من مد و التفسير ، و فى الأصل : من .

و رعاية للأدب و توقيرا .

و لما كان المبلغ ربما أنساه اللغط[1] و رفع الأصوات ما [كان -[2]] يريد أن يبلغه «[3]إنه بينت لي[3] ليلة القدر فخرجت لأخبركم بها فتلاحى رجلان فأنسيتها و عسى أن يكون خيرا لكم، قال: ﴿عند رسول الله﴾

٥ أي الذي من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام، لأنه [4]مبلغ من[4] الملك الأعظم و عبر بعند التي للظاهر إشارة إلى أن أهل حضرة الخصوصية لايقع منهم إلا أكمل الأدب .

/٥ و لما ابتدأ ذكرهم مؤكدا / تنبيها على عظيم ما ندبوا إليه، زاده إعظاما بالإشارة إليهم بأداة البعد فقال: ﴿ اولـٓئك ﴾ أي العالو الرتب[5]

١٠ لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن أرسله مولاهم[6] الذي لا إحسان عندهم[7] إلا منه ﴿الذين امتحن الله﴾ أي فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر بالمخالطة البليغة بالشدائد[8] على وجه يؤدي إلى المنحة[9] باللين و الخلوص من كل درن، و الانشراح و الاتساع ﴿قلوبهم﴾ فأخلصها ﴿للتقوىٰ﴾ أي الخوف المؤدي إلى استعداد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه،

١٥ و الامتحان: اختبار بليغ يؤدي إلى خبر، فالمعنى أنه طهر قلوبهم و نقاها

---

(١) من مد، و في الأصل: اللفظ (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد، و في الأصل: ان يثبت الى (٤-٤) من مد، و في الأصل: شانه - كذا (٥) من مد، و في الأصل: الرتبة (٦) من مد، و في الأصل: مولاه (٧) من مد، و في الأصل: عندكم (٨) من مد، و في الأصل: باسداد (٩) من مد، و في الأصل: المنجة .

كا

كما[1] يمتحن الصائغ الذهب و الفضة بالإذابة للتنقية و التخليص من كل غش [2]لأجل إظهار[2] ما بطن [3]فيها من التقوى[3] ليصير معلوما للخلق فى عالم الشهادة كما كان معلوما [له سبحانه -[4]] فى عالم الغيب، و هو خروجهم عن العادات البشرية و مفارقتهم لما توجبه الطبيعة، و هو حقيقة التوحيد، فان التقوى لاتظهر إلا عند المحن و الشدائد بالتكاليف و غيرها، و لاتثبت ٥ إلا بملازمة الطاعة فى المنشط و المكره و الخروج عن مثل ذلك .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد فى الإحسان محلا للنقصان، استأنف الإخبار عن جزائهم بقوله، معريا له من فاء السبب، إشارة [إلى -[4]] أن ذلك بمحض إحسانه: ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لهفواتهم و زلاتهم ﴿ واجر عظيم ه ﴾ أى جزاء لايمكن وصفه على محاسن ما فعلوه . ١٠

و لما نهى سبحانه عن الإخلال بالأدب، و أمر بالمحافظة على التعظيم، و ذكر وصف المطيع، أتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من أخل به، فقال مؤكدا لأجل أن حالهم كان حال من يدعى عقلا تاما: ﴿ ان الذين ينادونك ﴾ أى يجددون نداءك من غير توبة و الحال أن [5]نداءهم إياك[5] كان ﴿ من ورآء ﴾ إثبات هـذا الجار يدل على أنه ١٥ صلى الله عليه و سلم كان[6] داخلها، و لو سقط لم يفد ذلك، بل كان

(١) من مد، و فى الأصل: لما (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: لاظهار . (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: منها التقوى (٤) زيد من مد (٥-٥) من مد، و فى الأصل: نداءك إياهم (٦) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

يفيد أن نسبة الأماكن التى وراءها الحجرات كلها بالنسبة إليه و إليهم على حد سواء، و ذلك بأن يكون الكل خارجها[1]، و الوراء: الجهة التى تواريك و[2] تواريها من خلف أو قدام .

و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم من العظمة فى نفسه و فى ٥ تبليغ رسالات الله فى [3]هيئتها بمكان[3] من العظمة بحيث لايخفى على أحد. فليس لأحد أن يفتات فيها[4] عليه و لا أن يعجله عن[5] شيء، و كان نداؤه لذلك[6] من وراء حجرة واحدة كندائه من وراء كل حجرة جمع فقال: ﴿ الحجرٰت ﴾ و لم يضفها إليه إجلالا له، و ليشمل كونه فى غيرها أيضا، و المعنى: مبتدئين النـــداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك ١٠ و بينهم فتكون موازية لك منهم و لهم منك ، و هى جمع حجرة، و هى ما حوط من قطع الأرض بحائط يمنع ممن يكون خارجه من أذى [من -[7]] يكون داخله بقول أو فعل ، فانه يكون فيما يختص به من الاجتماع بنسائه أو إصلاح شيء من حاله ، لايتهيأ له بحضور الناس فيما يتقاضاه المروءة. و أسند الفعل إلى الجمع[8] و إن كان / المنادى بعضهم ١٥ للرضى به أو السكوت عن النهى .

/ ٦

و لما كان الساكت [قد لايكون راضيا قال: ﴿ اكثرهم ﴾ أى

---

(١) من مد ، و فى الأصل : خارجا (٢) من مد ، و فى الأصل : او (٣-٣) من مد ، و فى الأصل جهة المكان (٤) سقط من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : على (٦) من مد ، و فى الأصل : كذلك (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : الجميع .

المنادى و الراضى -[1]] دون [الساكت -[1]] لعذر[2] ﴿لا يعقلون ٥﴾ لأنهم لم يصبروا، بل فعلوا معه صلى الله عليه و سلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله، و العقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة فكيف إذا كانت رئاسة النبوة و الرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار.

و لما ذمهم بسوء عملهم، أرشدهم إلى ما يمدحون به من حسنه ٥ فقال: ﴿ و لوانهم ﴾ أى المنادى و الراضى ﴿ صبروا ﴾ أى حبسوا أنفسهم و منعوها عن مناداتهم، و الصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها و هو حبس فيه شدة، و صبر عن كذا - محذوف الفعل لكثرة دوره، أى نفسه ﴿ حتى تخرج ﴾ من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه مما يهمك من واردات الحق و مصالح الخلق[3]. و لما كان ١٠ الخروج قد يكون إلى غيرهم من المصالح، فلا يسوغ فى الأدب أن يقطع ذاك عليه قال: ﴿ اليهم ﴾ أى ليس لهم أن يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدهم فانك لاتفعل [شيئا -[1]] فى غير حينه بمقتضى أمر الرسالة ﴿ لكان ﴾ أى الصبر.

و لما كان العرب أهل معال[4] فهم بحيث لايرضون إلا الأحسن ١٥ فقال: ﴿ خيرا لهم ﴾ أى من استعجالهم فى إيقاظك وقت الهاجرة و ما لوقرعوا الباب بالأظافير كما كان يفعل غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم،

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: عذر قال (٣) من مد، و فى الأصل: الحق (٤) من مد، و فى الأصل: مقال.

و هذا على تقدير أن يكون ما ظنوا من ان فيه خيرا [١]فكانوا يعقلون[١]، ففى التعبير بذلك مع الإنصاف بل الإغضاء و الإحسان هز لهم [إلى - [٢]] المعالى و إرشاد إلى ما يتفاخرون به من المحاسن[٣] قال الرازى: قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه[٣] إلى الدرجات العلى ٥ و الخير فى الأولى و العقبى - انتهى . و أخيرية صبر فى الدين معروفة، و أما فى الدنيا فانهم لو تأدبوا لربهم زادهم النبي صلى الله عليه و سلم فى الفضل فأعتق جميع سبيهم و زادهم، و الآية من الاحتباك: حذف التعليل بعدم الصبر أولا [٤]لما دل[٤] عليه ثانيا، و العقل ثانيا لما دل عليه [من -[٥]] ذكره أولا .

١٠ و لما كان التقدير تأديبا لنا و تدريبا على الصفح عن الجاهل و عذره و تعليمه : و لكنهم لم يصبروا و أساؤا الأدب فكان ذلك شرا لهم و الله عليم بما فعلوا حليم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لإساءتهم الأدب على رسوله صلى الله عليه و سلم، عطف عليه استعطافا لهم مع إفهامه الترهيب: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور لذنب من ١٥ تاب من جهله ﴿ رحيم ه ﴾ يعامله[٦] معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمه .

و لما تابوا، أعتبهم الله فى غلظتهم[٧] على خير خلقه أن جعلهم أغلظ الناس على شر[٨] الناس : الدجال، فان النبي صلى الله عليه و سلم قال : إنهم

(١ - ١) من مد، و فى الأصل : كانوا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل : صاحبه (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل : دليلا (٥) من مد، و فى الأصل : معامله (٦) من مد، و فى الأصل : خلطهم (٧) من مد، و فى الأصل : اشر .

أشد

أشد الناس عليه .

و لما أنهى سبحانه ما أراد من النهى عن أذى الرسول صلى الله عليه و سلم فى نفسه، و كان من ذلك أذاه فى[1] أمته، فانه عزيز عليه ما عنتوا و كان من آذاه فيهم فاسقا . و كان[2] أعظم الأذى فيهم ما أورث كربا فأثار حربا ، و كان ربما اتخذ أهل الأغراض هذه الآداب ٥ ذريعة إلى [أذى -[3]] بعض المسلمين فقذفوهم بالإخلال بشيء منها فوقعوا هم فيها فيما قذفوا به غيرهم من الإخلال بحقه و التقيد / بولائه و رقه ، ٧/ و كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الطاهرة و المعالى الظاهرة ما يؤمن معه ان يوقع شيئا فى غير محله،أو يأمر بأمر من غير حله[4] - هذا مع ما له من العصمة ، قال منبها على ما فى القسم الثالث ١٠ من مكارم الأخلاق من ترك العجز بالاعتماد على أخبار الفسقة ، تخاطبا لكل من أقر بالإيمان على طريق الاستنتاج مما مضى ، نادبا إلى الاسترشاد بالعقل الذى نفاه عن أهل الآيـــة السالفة ، و العفو عن المذنب و الرحمة لعباد الله . مناديا بأداة البعد إشارة إلى أن من احتاج إلى التصريح بمثل هذا التنبيه غير مكتف بما أفاده من قواعد الشرع وضع ١٥ نفسه فى محل بعيد ، و تنبيها على أن ما فى حيزها[5] كلام له خطر عظيم و وقع[6] جسيم : ﴿ يٰٓأيها الذين ءامنوآ ﴾ و عبر بالفعل الماضى الذى هو

---

(١) من مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل : خيرها (٦) من مد ، و فى الأصل : رفع .

لادنى أسنان القلوب ، و عبر بأداة الشك إيذانا بقلة الفاسق فيهم و قلة مجيئه إليهم بخبر له وقع ، فقال : ﴿ان جآءكم﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿فاسق﴾ أى خارج من وبقة الديانة[1] أىّ فاسق كان ﴿بنبا﴾[2] أى خبر يعظم خطبه فيؤثر شرا[3] ، أىّ خبر كان مما يكون كذلك؟

٥ ﴿فتبينوآ﴾ أى عالجوا البيان و هو فصل الخطأ من الصواب ، استعمالا لغريزة العقل المنفى عن النادين[4] و اتصافا بالغفران و الرحمة ليرحمكم الله و يغفرلكم ، و هذه القراءة غاية لقراءة حمزة و الكسائى[5] بالمثلثة ثم المثناة الفوقية ، و السياق مرشد إلى أن [خبر -[6]] الفاسق كالنمام و الساعى بالفساد كما أنه لايقبل فلذلك لايرد حتى يمتحن ، و إلى أن خبر العدل

١٠ لا وقفة فيه ، و إلا لاستوى مع الفاسق ، فالتثبت معلل بالفسق ، فاذا انتفى و لم توجد علة أخرى توجب التثبت وجب القبول ، و المعلق على شيء بكلمة "إن" عدم [عند -[6]] عدمه ، و التبين بأحد شيئين : بمراجعة النبى صلى الله عليه و سلم إن كان حاضرا ، و بمراجعة آثاره من كتاب الله و سنته إلى أن تبين الأمر منهما [إن كان غائبا ، فانه لا تكون أبدا

١٥ كائنة إلا و فى الكتاب و السنة المخرج منها -[6]] .

و لما أمر بالتبين ، ذكر علته فقال : ﴿ان﴾ [أى -[6]] لاجل كراهة أن ﴿تصيبوا﴾ أى بأذى ﴿قوما﴾ أى هم مع قوتهم النافعة

---

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل : سره - كذا (٤) من مد، و فى الأصل : المارين (٥) راجع نثر المرجان ٦/٦٦٢ . (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد .

لأهل الإسلام براءه مما نسب إليهم ﴿ بجهالة ﴾ أى مع الجهل بحال استحقاقهم ذلك .

و لما كان الإنسان إذا وضع شيئا فى غير موضعه جديرا[1] بالندم، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فتصبحوا ﴾ أى فتصيروا، و لكنه عبر بذلك لأن أشنع الندم ما استقبل الإنسان صباحا وقت انتباهه و فراغه و إقباله ٥ على لذاته ﴿ على ما فعلتم ﴾ [أى - [2]] من إصابتهم ﴿ ندمين ﴾ أى عريقين فى الأسف على ما فات مما[3] يوقع الله فى نفوسكم من أمور ترجف القلوب و تخور الطباع، و تلك سنته فى كل باطل، فانه لكونه متزلزلا فى نفسه لاينشأ[4] عنه إلا الزلزال و الندم على ما وقع من تمنى أنه لم يقع، و هو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام[5] بما تدور مادته ١٠ عليه مما يرشد [إليه - [2]] مدن و دمن، و هوينشأ من تضييع أثقال الأسباب التى أمر الإنسان بالسعى فيها كما أشار إليه حديث "احرص على ما ينفعك و لاتعجز فان غلبك أمر فقل[6]: قدر الله و ما شاء فعل، و لاتقل: [لو أنى - [2]] فعلت كذا، فان "لو" تفتح / عمل الشيطان". ٨ /
و الفاسق المذكور فى الآية المراد به الجنس، و الذى نزل ذلك بسببه هو ١٥ الوليد بن عقبة، و لم يزل كذلك حتى أن عثمان رضى الله عنه ولاه الكوفة فصلى بالناس و هو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال: [هل أزيدكم

---

(١) من مد، و فى الأصل: جدير (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) من مد، و فى الأصل: بما (٤) من مد، و فى الأصل: لا يثبت (٥) من مد، و فى الأصل: دواما (٦) من مد، و فى الأصل: قال - كذا.

فعزله عثمان رضى الله عنه .

و لما كان إقدامهم على كثير من الأمور من غير -[1]] مشاورة لمن أرسله الله رحمة لعباده ليعلمهم ما يأتون و ما يذرون عمل من لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قريب منـــه ، وكان الإعراض عنه

٥ حيا و عن بذل الجهد فى استخراج الأمور من شريعته بعد موته أمرا مفسدا للبين إن لم يعتبر و يتنبه [له -[1]] غاية التنبه ، أخبرهم به منزلا لهم منزلة من [لا -[1]] يعلم أنه موجود معه مشيرا بكلمة التنبيه إلى [أن -[1]] من أخل[2] بمراعاة ذلك فى عداد الغافلين [فقال -[1]] : ﴿ و اعلموآ ﴾ أى أيها الأمة ، وقدم الخبر إيذانا بأن بعضهم[3] باعتراضه أو بإقدامه[4]

١٠ على ما لا علم له به يعمل عمل من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من إنعامه عليه به صلى الله عليه و سلم ، فهو يفيد توبيخ[5] من فعل ذلك : ﴿ ان فيكم ﴾ [أى -[1]] على وجه الاختصاص لكم و يا له من شرف ﴿ رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم المتصف بالجلال و الإكرام على حال هى أنكم تريدونه [أن -[1]] يتبع أذاكم ، و ذلك أمر شنيع جدا ، فانه لا يليق أن يتحرك

١٥ إلا بأمر من أرسله ، فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة ، فانكم تجهلون أكثر مما تعلمون ، و لإرادتهم أن لا يطيعهم فى جميع الأمور عبر بالمضارع فقال : ﴿ لو يطيعكم ﴾ و هو [لا -[1]] يحب عنتكم و لا شيئا يشق عليكم

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : انتحل - كذا (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى مد : اقدامه (٥) زيد فى الأصل : ذلك إى توبيخ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

﴿ فى كثير من الامر ﴾ أى الذى تريدونه على فعله من أنه يعمل
فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم و تستصوبونه ليكون فعله معكم
فعل المطواع[1] لغيره التابع له، فينقلب حينئذ الحال، و يصير المتبوع
تابعا و المطاع طائعا ﴿ لعنتم ﴾ [2]أى لاءمتم و هلكتم[2]، و من أراد دائما
أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه و سلم تابعا[3] لأمره فقد زين له الشيطان ٥
الكفران، فأولئك هم الغاوون، و سياق " لو " معلم قطعا أن التقدير :
و لكنه صلى الله عليه و سلم لا يطيعكم لكراهة[4] لما يشق عليكم لما هو متخلق به
من طاعة الله و الوقوف عند حدوده و التقيد فى جميع الحركات و السكنات
بأمره، مع ما له من البصر فى التميز بين الملبسات و الخبرة التامة بالأمور
المشتبهات، التى هى سبب هلاك الأغلب لكونها لا يعلمها كثير من الناس، ١٠
و التقييد[5] بالكثير معلم بأنهم يصيبون وجه الرشاد فى كثير من الأمور .

و لما كان التقدير حتما بما هدى إليه السياق : و لو خالفتموه فى
الأمور التى [لا -[6]] يطيعكم فيها لعنتم، استدرك عنه قوله : ﴿ و لكن الله ﴾
أى الملك الأعظم الذى يفعل ما يريد ﴿ حبب اليكم الايمان ﴾ فلزمتم
طاعته و عشقتم متابعته . و لما كان الإنسان قد يحب شيئا و هو يعلم ١٥
فيه عيبا، فيكون جديرا بأن يتزلزل[7] فيه، نفى ذلك بقوله :

(١) من مد، و فى الأصل : المطاوع (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل : لاءم و هلكم - كذا (٣) من مد، و فى الأصل : شائعا (٤) فى مد : مع كراهته .
(٥) من مد، و فى الأصل : التقيد (٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل : يزلزل .

﴿ و زينه فى قلوبكم ﴾ أى فلا شىء عندكم أحسن منه و [لا - [1]]
يعادله و لا يقاربه بوجه ﴿ و كره اليكم الكفر ﴾ و هو تغطية ما أدت
إليه الفطرة الأولى و العقول المجردة عن الهوى من الحق بالجحود
﴿ و الفسوق ﴾ و هو المروق من ربقة الدين، و لو من غير تغطية بل
٥ بغير تأمل ﴿ و العصيان ﴾ و هو الامتناع من الانقياد عامة[2] فلم تخالفوه،
و رأيتم خلافه هلاكا، فصرتم و المنة لله أطوع شىء للرسول صلى
الله / عليه و سلم، فعلم [من هذا - [1]] أن الله تعالى هو الفاعل وحده /٩
لجميع الأفعال من الطاعات و المعاصى و العادات و العبادات، لأنه خالق
لكل، و مدحوا لفعل الله بهم لأنهم الفاعلون فى الظاهر فهو واقع
١٠ موقع: أطعتم الرسول صلى الله عليه و سلم و لم تخالفوه[3]، [و إنما وضع - [4]]
فعل الله و هولا يمدحون عليه موضع فعلهم الذى يمدحون عليه للحث
على الشكر و الانسلاخ من العجب.

و لما أرشد السياق إلى متابعتهم على هذا الوجه، أنتج قوله مادحا لهم
ثانيا الكلام عن خطابهم إلى خطابه صلى الله عليه و سلم ليدل على عظم
١٥ هذه الأوصاف و بينه بأداة البعد على علو مقام المتصف: ﴿ اولٓئك ﴾
[أى - [4]] الذين أعلى الله القادر على كل شىء مقاديرهم ﴿ هم ﴾ أى
خاصة ﴿ الراشدون ﴾ أى الكاملون فى الرشد و هو الهدى على أحسن
سمت و تقدير، و فى تفسير الأصبهانى: الرشد الاستقامة على طريق الحق

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: عادة (٣) من مد، و فى
الأصل: لم تخالفوا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد.

مع تصلب فيه ـ انتهى . و الذى أنتج الرشاد متابعة الحق ، فان الله تكفل لمن تعمد الخير و جاهد نفسه على البر باصابة الصواب و إحكام المساعى المنافى للندم ، " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين " و قد دل السياق على أنهم كانوا فى خبر الوليد صنفين : صنف صدقه و أراد [1]غزوة بنى[1] المصطلق و أشار به ، و صنف توقف ، و أن ٥ الصنفين سلموا آخر الأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فهدوا[2] ، فالآية من الاحتباك و هى شبيهة به : دلت الشرطية فى " لو يطيعكم " على الاستدراكية ، و الاستدراكية فى " و لكن الله " على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة .

و لما ذكر التحبيب و التزيين و التكريه و ما أنتجه من الرشاد ، ١٠ ذكر علته إعلاما بأنه تعالى لايجب عليه شىء حثا على الشكر فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة و تطولا و امتنانا عظيما جسيما و درجة عالية ﴿ من الله ﴾ الملك الأعظم الذى بيده كل شىء ﴿ و نعمة ﴾ [أى ـ[3]] و عيشا حسنا ناعما و خفضا[4] و دعة و كرامة .

و لما كان التقدير : فالله منعم بفضل ، بيده كل ضر و نفع ، عطف ١٥ عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى محيط العلم ، فهو يعلم أحوال المؤمنين و ما بينهم من التفاضل ﴿ حكيم ﴾ بالغ الحكمة ، فهو يضع الأشياء فى أوفق محالها و أتقنها ، فلذلك وضع نعمته من الرسالة

(١ـ١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غترة ـ كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : مرشد (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : خصيبا .

و الإيمان على حسب علمه و حكمته[١] .

و لما كانت النميمة و نقل الأخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا و أوصلت إلى القتال ، و كان [٢]العليم الحكيم[٢] لاينصب سببا إلا ذكر مسببه و أشار إلى دوائه[٣] ، و كان لاينهى عن الشيء إلا من كان متهيئا له لما في جبلته من الداعي إليه ، فكان قد يواقعه و لو في وقت ، قال تعالى معلما لنا طريق الحكمة[٤] في دفع ما جرت إليه[٥] الأخبار الباطلة من القتال ، معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن [ما - [٦]] في حيزها لاينبغي أن يقع بينهم ، و لا أن يذكروه إلا على سبيل الفرض: ﴿ و ان طائفتن ﴾ أي جماعتان بالفعل أو القوة جديرتان كل جماعة منهما بأن يجتمع [على - [٦]] ما دهمها[٧] من الأمير بحيث تصير من شـــدة مراعاته كالطائفة حوله و المتحلقة به ، بحيث لايدرى من شدة اجتماعها على ذلك أولها من آخرها ﴿ من المؤمنين ﴾ أي ممن هو معدود في عداد العريقين في الإيمان سواء كان هو عريقا أو فاعلا ما يطلق[٨] عليه به الاسم فقط .

و لما كانت الشناعة و الفساد في قتال الجماعة أكثر ، عبر بضمير الجمع دون [٩]التثنية تصويرا[٩] لذلك بأقبح صورة فقال : ﴿ اقتتلوا ﴾ [أي - [٣]] فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا كالفرقة الواحدة ﴿ فاصلحوا ﴾ أي

---

(١) من مد ، و في الأصل : حكمه (٢ - ٢) في مد : الحكيم العليم (٣) من مد ، و في الأصل : رواية (٤) من مد ، و في الأصل : الحق (٥) من مد ، و في الأصل : به (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و في الأصل : دهمهما (٨) من مد ، و في الأصل : ينطلق (٩-٩) من مد ، و في الأصل : التبنية .

فأوقعوا الإصلاح ليحصل الصلح ، و لما كانت[1] العبرة في الصلح إذا وقع بين الطائفتين ما يسكن به الشر و إن تخلف شذان من الجانبين لايعبأ بهم، عبر بالتثنية دون الجمع فقال: ﴿ بينهما ج ﴾ أي بالوعظ و الإرشاد الدنيوي و الأخروي، و لا تظنوا أن الباغي غير مؤمن فتتجاوزوا فيه أمر الله . ٥

و لما كان البغي من أشنع الأمور فكان ينبغي أن لايلم به أحد، عبر بأداة الشك إرشادا إلى ذلك فقال: ﴿ فان بغت ﴾ أي أوقعت الإرادة السيئة الكائنة عن النفوس التي لا تأمر بخير ﴿ احدٰىهما ﴾ أي الطائفتين ﴿ على الاخرٰى ﴾ فلم ترجع إلى حكم الله الذي[2] خرجت عنه و لم تقبل الحق . و لما كان الإضمار هنا ربما أوهم لبسا فتمسك به متعنت ١٠ في أمر فساد، ازال بالإظهار كل لبس فقال: ﴿ فقاتلوا ﴾ أي أوجدوا و اطلبوا مقاتلة ﴿ التي ﴾ . و لما كان القتال لايجوز إلا بالاستمرار على البغي، عبر بالمضارع إفهاما لأنه متى زال البغي و لو بالتوبة[3] من غير شوكة حرم القتال فقال: ﴿ تبغي ﴾ أي توقع الإرادة و تصر عليها، و أديموا القتال لها ﴿ حتى تفيء ﴾ أي ترجع عما صارت إليه من ١٥ جر القطيعة الذي كأنه حر الشمس حين نسخه الظل إلى ما كانت فيه[4] من البر و الخير الذي هو كالظل الذي ينسخ الشمس، و هو معنى قوله

---

(١) في مد: كان (٢) من مد، و في الأصل: التي (٣) من مد، و في الأصل: بالتوصيه (٤) من مد، و في الأصل: اليه .

تعالى : ﴿ الىٓ امر الله ج ﴾ أى [التزام - [1]] ما أمر [2] به الملك الذى لا يهمل الظالم، بل لابد أن يقاصصه و أمره ما [3] كانت عليه [3] من العدل قبل البغى . و لما كانت مقاتلة الباغى جديرة بترجيعه، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فان فآءت ﴾ أى رجعت إلى ما كانت عليه من التمسك بأمر الله الذى هو العدل ﴿ فاصلحوا ﴾ أى أوقعوا الإصلاح ﴿ بينهما ﴾ . ٥

و لما كان الخصام يجر فى الغالب من القول و الفعل ما يورث للمصلحين أحنة على بعض المتخاصمين، فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض، قال : ﴿ بالعدل ﴾ و لا يحملكم القتال على الحقد على المتقاتلين فتحيفوا . و لما كان العدل فى مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغائن قال تعالى : ﴿ و اقسطوا ط ﴾ أى و أزيلوا القسط - بالفتح وهو الجور - بأن تفعلوا القسط بالكسر و هو العدل العظيم الذى لاجور فيه، فى ذلك و فى جميع أموركم، ثم علله ترغيبا فيه بقوله مؤكدا تنبيها على أنه من أعظم ما يتمادح به [4]، و ردا على من لعله يقول : إنه لايلزم نفسه الوقوف عنده إلا ضعيف : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى بيده النصر و الخذلان ﴿ يحب المقسطين ۝ ﴾ أى يفعل مع أهل العدل من الإكرام فعل المحب . ١٠ ١٥

و لما أمر بما قد يفضى إلى القتال، و كان الباغى ربما كان أقرب إلى الصلح من جهة النسب من المبغى عليه فروعى، و كان / القتال أمرا شاقا ربما حمل على الإحجام عن الإصلاح [5]، علل ذلك سبحانه بما قدم ١١ /

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل : اراد (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل : كان فيه (٤) من مد، و فى الأصل : نبه (٥) من مد، و فى الأصل : الصلح .

فيه قرابة الدين على قرابة النسب، وكشف كشفا [تاما - [1]] عن
أنه لايسوغ له [2] تركه لما يؤدى [3] إليه من [3] تفريق الشمل المؤدى إلى وهن
الإسلام و أهله المؤدى إلى ظهور الباطل المؤدى إلى الفساد الأعظم الذى
لا تدارك له فقال تعالى: ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى كلهم و إن تباعدت
أنسابهم و أغراضهم و بلادهم ﴿ اخوة ﴾ لانتسابهم إلى أصل واحد و هو ٥
الإيمان، لا بعد بينهم، و لايفضل أحـــد منهم على أحد بجهة غير
جهة الإيمان .

و لما كانت الاخوة داعية و لابد إلى الإصلاح [4]، سبب عنها
قوله: ﴿ فاصلحوا ﴾ .

و لما كانت الطائفة قد تطلق على ما هو أصل لان يطاف حوله ١٠
كما يطلق على ما فيه أهلية التحلق و الطواف، و كان أقل ما يكون
ذلك فى الاثنين، و أن مخاصمتها يجر إلى مخاصمة طائفتين بأن يغضب
لكل ناس من قبيلته و أصحابه، قال واضعا الظاهر موضع المضمر مبالغة
فى تقرير الامر و تأكيده، و إعلاما بأن المراد بالطائفة القوة لا الفعل
بحيث يكون ذلك شاملا للاثنين فما فوقهما: ﴿ بين اخويكم ﴾ أى المختلفين [5] ١٥
بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب، إلاتفعلوه تكن
فتنة فى الأرض و فساد كبير، بل الامر كما نقل عن أبى عثمان
الحيرى أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، و قرأ يعقوب [6] "اخوتكم"

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : الى - كذا .
(٤) من مد ، و فى الأصل : الاصطلاح (٥) من مد ، وفى الأصل : المتخالفين .
(٦) راجع نثر المرجان ٦/ ٦٦٨ .

بالجمع ، و قراءة الجماعة أبلغ لدلالتها على الاثنين فما فوقهما بالمطابقة ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذين هم عباده فى الإصلاح بينهما بالقتال و غيره ، لا تفعلوا ما صورته إصلاح و باطنه إفساد ، و أشار إلى سهولة الأمور عنده و نفوذ أمره و أن النفوس إنما تشوفها إلى الإكرام لا إلى كونه من معين ، فبنى للفعول قوله تعالى : ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا إذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم و من ينظركم من أن يكرمكم[1] الذى لا قادر فى الحقيقة على الإكرام غيره بأنواع الكرامات كما رحمتم إخوتكم باكرامهم عن إفساد ذات البين التى هى الحالقة ، و قد دلت الآية أن الفسق بغير الكفر لايخرج عن الإيمان ، و على أن الإصلاح من أعظم الطاعات ، و على وجوب نصر المظلوم لأن القتال لايباح بدون الوجوب ، قال القشيرى : و ذلك يدل على عظم وزر الواشى و النمام و المضرب فى إفساد ذات البين ، و قال : من شرط الأخوة أن لا تحوج أخاك إلى الاستعانة بك و التماس النصرة منك[2] ، و لا تقصر فى تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته[3] فيحتاج إلى مسألتك .

و لما نهى عن الإسراع بالإيقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع ، و ختم بما ترجى بـه الرحمة ، و كان ربما كان الخبر الذى أمر سبحانه بتبينه[4] صريحا ، نهى عن موجبات الشر التى يخبر بها فتكون سببا للضغائن التى يتسبب عنها الشر الذى هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله و توقعا للرحمة منه ،

(١) من مد ، و فى الأصل : يلزمكم - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بك (٣) من مد ، و فى الأصل : حاجتك (٤) من مد ، و فى الأصل : تنبيه .

فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكرا ما فى القسم الرابع من الآداب و المنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين فى حضورهم و[1] الإزراء بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم: ﴿ يٰۤايها الذين 'امنوا ﴾ أى أوقعوا الإقرار بالتصديق ﴿ لايسخر ﴾ / أى يهزأ و يستذل[2] . ‏/١٢

و لما كانت السخرية تكون بحضرة ناس ، قال معبرا بما يفهم أن ٥ من شارك أو رضى أو سكت و هو قادر فهو[3] ساخر مشارك للقائل[4] : ﴿ قوم ﴾ أى ناس فيهم قوة المحاولة ، و فى التعبير بذلك هز إلى قيام الإنسان على نفسه و كفها [عما تريده - [5]] من النقائص شكرا لما أعطاه الله من القوة : ﴿ من قوم ﴾ فان ذلك يوجب الشر لأن أضعف الناس إذا حرك للانتقاص قوى بما يثور عنده من حظ النفس . ١٠

و لما كان الذى يقتضيه الرأي الأصيل أنه لايستذل الإنسان إلا من أمن أن يصير فى وقت من الأوقات أقوى منه فى الدنيا أو [فى - [5]] الآخرة ، علل بقوله : ﴿عسىٓ ﴾ أى لأنه جدير و خليق لهم ﴿ان يكونوا﴾ أي المستهزأ بهم ﴿ خيرا منهم ﴾ فينقلب الأمر عليهم[6] و يكون لهم سوء العاقبة ، قال [ابن - [5]] مسعود رضى الله عنه[7] : البلاء موكل بالقول ١٥ و [لو - [5]] سخرت من كلب خشيت [أن - [5]] أحول كلبا ؛ و قال

---

(١) من مد ، و فى الأصل : من (٢) من مد ، وفى الأصل : يذل (٣) من مد ، و فى الأصل : و هو (٤) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : عليه (٧) راجع كتاب الزهد لابن المبارك ص ٢٠٧ .

القشيرى : ما استضعف[1] أحد أحدا إلا سلط[2] عليه ، و لا ينبغى أن تعتبر بظاهر أحوال الناس ، فان [فى - [3]] الزوايا خبايا ، و الحق سبحانه يستر أولياءه فى حجاب الظنة ، كذا فى الخبر « كم من أشعث أغبر ذى طمرين[4] لا يوبه له لو أقسم على الله لأبره » .

٥ و لما كان إطلاق القوم لمن كان[5] فيه أهلية المقاومة و هم الرجال ، قال معبرا بما هو من النسوة بفتح النون أى ترك العمل : ﴿ و لا نسآء من نسآء ﴾ ثم علل النهى بقوله : ﴿ عسىٓ ﴾ أى[6] ينبغى[7] أن يخفن[7] من ﴿ ان يكن ﴾ المسخور بهن ﴿ خيرا منهنۚ ﴾ أى الساخرات .

و لما كانت السخرية تتضمن العيب ، و لا يصرح فيها ، وكان اللمز ١٠ العيب نفسه ، رقى الأمر إليه فقال : ﴿ و لا تلمزوآ ﴾ أى تعيبوا على وجه الخـفية ﴿ انفسكم ﴾ بأن يعيب بعضكم بعضا باشارة أو نحوها ، فكيف إذا كان على وجه الظهور ، فانكم فى التواصل و التراحم كنفس واحدة ، أو يعمل الإنسان ما يعاب[8] به ، فيكون قد لمز نفسه أو يلمز غيره فيكون لمزه له سببا لأن[9] يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو ١٥ الذى لمز نفسه ﴿ و لا تنابزوا ﴾ أى ينبز بعضكم بعضا ، أى يدعو على وجه التعيير و التسفل ﴿ بالالقابۖ ﴾ بأن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه سواء

---

(١) من مد ، و فى الأصل : استغفر (٢) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : طريق .
(٥) سقط من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : ان (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : يعاقب (٩) من مد ، و فى الأصل : عن أن .

كان هو المخترع له أولا ، و أما ألقاب المدح فنعم هى كالصديق و الفاروق .

و لما كان الإيمان قيدا لأوابد العصيان ، وكان النبز و السخرية قطعا لذلك القيد ، علل بما يؤذن بأنه فسق ، معبرا بالكلمة الجامعة لجميع المذام تنفيرا[1] من ذلك فقال: ﴿ بئس الاسم الفسوق ﴾ أى الخروج من ربقة ٥ الدين ﴿ بعد الايمان ج ﴾ ترك الجار إيذانا بأن من وقع فى ذلك أوشك أن يلازمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاقة للنقائص ، و لا[2] سيما ما فيه استعلاء ، فمن فعل ذلك فقد رضى لنفسه أن يوسم بالفسق بعد أن كان موصوفا بالإيمان .

و لما كان التقدير: فمن تاب فأولئك هم الراشدون ، و كان المقام ١٠ بالتحذير أليق ، عطف عليه قوله : ﴿ و من لم يتب ﴾ أى يرجع عما نهى الله عنه ، فخفف عن نفسه ما كان شدد عليها ﴿ فاولٓـئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظلمون ۞ ﴾ أى العريقون فى وضع الأشياء فى غير مواضعها[3] .

و لما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بلقب له شيء غير قاصد به / عيبه ، ١٥ / ١٣ أو فعل فعلا يتنزل على الهزء غير قاصد به الهزء ، نهى تعالى عن المبادرة إلى الظن من غير تثبت لأن ذلك من وضع الأشياء فى غير مواضعها ، الذى هو معنى الظلم[4] فقال خاتما بالقسم الخامس منبها على ما فيه من

(١) من مد ، و فى الأصل : تنعيرا ـ كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : لما كان (٣) من مد ، و فى الأصل : مواضع (٤) من مد ، و فى الأصل : الظالم .

المعالي و النفائس : ﴿ يٰـأيها الذين ءامنوا ﴾ أى اعترفوا بالإيمان و إن كانوا فى أول مراتبه ﴿اجتنبوا﴾ أى كلفوا أنفسكم أن تتركوا و تبعدوا و تجعلوا فى جانب بعيد عنكم ﴿ كثيرا من الظن ﴾ أى فى الناس و غيرهم فاحتاطوا فى كل ظن و لا تمادوا معه حتى تجزموا[1] به فتقدموا بسببه على
٥ ما يقتضيه من الشر إلا بعد التبين لحقه من باطله بأن يظهر عليه أمارة صحيحة و سبب ظاهر ، و البحث عن ذلك الذى أوجب الظن ليس بمنهى عنه كما فتش النبى صلى الله عليه و سلم فى قصة الإفك و تثبت حتى جاءه[2] الخبر اليقين من الله ، و أفهم هذا أن كثيرا منه مجتنب[3] كما فى الاجتهاد حيث لا قاطع ، و كما فى ظن الخير بالله تعالى ، بل [قد - [4]] يجب كما
١٠ [قال - [4]] تعالى " و لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا " و قد أفاد التنكير شياع النهى فى كل ظن ، فكان بمعنى "بعض" مع الكفالة بأن كثيرا منه[5] منهى عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره ، و لو عرف لأفهم أنه لا يجتنب إلا إذا اتصف بالكثرة ، قال القشيرى : و النفس لا تصدق ، و القلب لا يكذب ، و التمييز بين النفس
١٥ و القلب مشكل ، و من بقيت عليه من حظوظه بقية و إن قلت فليس له أن يدعى بيان القلب ، بل هو بنفسه [ما - [4]] دام عليه شيء من بقيته ، و يجب عليه أن يتهم نفسه فى كل ما يقع له من نقصان غيره ،

(١) من مد ، و فى الأصل : يخربوا (٢) من مد ، و فى الأصل : جاء (٣) من مد ، و فى الأصل : متنجب (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : منهم .

ثم

ثم علل ذلك مشيرا إلى أن العاقل من يكف نفسه عن أدنى احتمال من الضرر احتمالا مؤكدا لأن أفعال الناس عند الظنون أفعال من هو جازم بأنه[1] برىء من الإثم: ﴿ ان بعض الظن اثم ﴾ أى ذنب يوصل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن فى أصول الدين، و حيث يخالفه قاطع؛ قال الزمخشرى[2] رحمه الله تعالى: الهمزة فى الإثم عن الواو وكأنه يثم الأعمال ٥ أى يكسرها باحباطه.

و لما نهى عن اتباع الظن، أتبعه ما يتفرع عنه فقال: ﴿ و لا تجسسوا ﴾ أى تمعنوا فى البحث عن العورات و لا يكون ذلك إلا فى المستورين.

و لما كانت الغيبة أعم من التجسس، قال: ﴿ و لا يغتب ﴾ أى ١٠ يتعمد أن يذكر ﴿ بعضكم بعضا ﴾ فى غيبته بما يكره، قال القشيرى: و ليس تحصل الغيبة من الخلق إلا بالغيبة[3] عن الحق، و قال أبو حيان[2]: قال ابن عباس رضى الله عنهما: الغيبة إدام كلاب[4] الناس.

و لما كان تمزيق عرض الناس كتمزيق أديمهم و لا يكون[5] ذلك ساتر عظمة[6] الذى به قوامه[7] كما أن عرضه[8] ساتر عليه، و[9] كونه لا يرد ١٥ عن نفسه بسبب غيبته كموته[9] و أعمال الفم و الجوف فى ذلك كله،

(١) من مد، و فى الأصل: به (٢) راجع البحر المحيط ٨/١١٤ (٣) فى مد: من الغيبة (٤) من مد والبحر، وفى الأصل: كلام (٥) من مد، و فى الأصل: جعهم لأن (٦) من مد، و فى الأصل: عظمهم (٧) من مد، و فى الأصل: قوامهم (٨) من مد، و فى الأصل: عرضهم (٩ - ٩) من مد، و فى الأصل: كونهم لا يردون عن أنفسهم بسبب غيبتهم كموتهم.

و كأن هذا لو تأمله[1] العاقل كان منه على غاية النفرة، و لكنه لخفائه لايخطر بباله، جلاه له فى قوله تقريرا و تعبيرا بالحب عما[2] هو فى غاية الكراهة لما للمغتاب من الشهوة [فى الغيبة - [3]] ليكون التصور بذلك رادا له عنها / و مكرها فيها : ﴿ايحب﴾ و عم بقوله : ﴿احدكم﴾ و عبر بأن و الفعل تصورا للفعل فقال : ﴿ ان ياكل ﴾ و زاد فى التنفير بجعله فى إنسان هو أخ فقال : ﴿ لحم اخيه ﴾ و أنهى الامر بقوله : ﴿ميتا﴾ .

١٤ /

و لما كان الجواب قطعا : لايحب أحد ذلك ، أشار إليه بما سبب من قوله : ﴿ فكرهتموه ﴾ أى بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا ، لأن داعى العقل بصير عالم ، و داعى الطبع أعمى جاهل ، و قد رتب سبحانه هذه[4] الحكم أبدع ترتيب ، فأمر سبحانه بالتثبت . و كان ربما أحدث ضغينة ، نهى عن العمل بموجبه من السخرية و اللمز و التنابز و التمادى مع ما ينشره ذلك من الظنون ، فان أبت النفس[5] إلا تماديا مع الظن[6] فلا يصل إلى التجسس و البحث عن المعايب ، فان حصل الاطلاع عليها كف عن ذكرها ، و سعى فى سترها ، و فعل ذلك كله لخوف الله ، لا شيء غيره ، فان وقع فى شيء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : تعمده (٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : هذا (٥) من مد ، و فى الأصل : النفوس . (٦) من مد ، و فى الأصل : الذنب .

و لما كان التقدير: فاتركوه بسبب كراهتكم لما صورته، عطف عليه ما دل على العلة العظمى و هي[1] خوف الله تعالى فقال: ﴿ و اتقوا الله[2] ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين الملك الأعظم وقاية بترك ذلك و إصلاح ذات البين . و لما كان التقدير: فان الله يتوب عليكم إن تركتموه، علله بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك ٥ الأعظم ﴿ تواب ﴾ أى مكرر للتوبة، و هي الرجوع عن المعصية إلى [ما -[2]] كان قبلها من معاملة التائب و إن كرر الذنب، فلا ييأس أحد و إن كثرت ذنوبه و عظمت[3] ﴿ رحيم ﴾ يزيده على ذلك أن[4] يكرمه غاية الإكرام .

و لما ذكر سبحانه الأخوة الدينيه تذكيرا بالعاطف الموجب للاكرام، ١٠ المانع من الانتقام[5]، و نهى عن أمور يجر إليها الإعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآباء و العراقة فى النسب العالى، أسقط [ذلك -[2]] مبينا أن لانسب إلا ما يثمره الإيمان الذى بدأ به من التقوى، و عبر بما يدل على الذبذبة و الاضطراب إشارة إلى سفول رتبة من افتخر بالنسب، و إلى [أن -[2]] من [لم -[2]] يتعظ بما مضى فيعلو عن رتبة الذين ١٥ آمنوا فقد سفل سفولا عظيما: ﴿ يأيها الناس ﴾ أى كافة المؤمن و غيره ﴿ انا ﴾ على عظمتنا[6] و قدرتنا[6] ﴿ خلقنكم ﴾ أى أوجدناكم عن العدم

---

(١) من مد، و فى الأصل: هو (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: وجد الله، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل « و » . (٥) فى مد: الانتقاص (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد .

على ما أنتم عليه من المقادير فى صوركم و ما أنتم عليه من التشعب الذى[1] يفوت الحصر، و أخرجنا كل واحد منكم[2] ﴿من ذكر﴾ هو المقصود بالعزم و القوة ﴿و انثى﴾ هى موضع[3] الضعف و الراحة، لامزية لأحد منكم فى ذلك على آخر، و لا فخر فى نسب.

٥ و لما كان تفضيلهم إلى فرق لكل منها تعرف [به - [4]] أمرا باهرا، عبر فيه[5] بنون العظمة فقال: ﴿و جعلنكم﴾ أى بعظمتنا ﴿شعوبا﴾ تتشعب[6] من أصل واحد، جمع شعب بالفتح و [هو - [4]] الطبقة الأولى من الطبقات الست من طبقات النسب التى عليها العرب ﴿و قبآئل﴾ تحت الشعوب، و عمائر تحت القبائل، و بطونا تحت العمائر،
١٠ [و - [4]] أفخاذا تحت البطون[7]، و فصائل تحت الأفخاذ، و العشائر تحت الفصائل، خزيمة شعب، و كنانة / قبيلة، و قريش عمارة، و قصى بطن، و عبد مناف فخذ، و هاشم فصيلة، و العباس عشيرة، قال البغوى[8]: و ليس بعد العشيرة حى يوصف به - انتهى. و اقتصر على الأولين لأنهما أقصى ما يسهل على الآدمى معرفته فما دونه أولى، ثم ذكر علة التشعب ليوقف
١٥ عندها فقال: ﴿لتعارفوا﴾ أى ليعرف الإنسان من يقاربه فى النسب ليصل من رحمه ما يحق له، لا لتواصفوا و تفاخروا.

و لما كانت فائدة التفاخر بالتواصف[9] عندهم الإكرام لمن كان

---

(١) من مد، و فى الأصل: التى (٢) من مد، و فى الأصل: منهم (٣) فى مد: موطن (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل: به (٦) من مد، و فى الأصل: تشعبوا (٧) فى الاصل و م: العمائر (٨) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ١٩١ (٩) من من مد، و فى الأصل: بالوصف.

أخر . فكانت الآية السالفة التى ترتبت[1] عليها هذه آمرة بالتقوى كان التقدير: فتقوا الله فى أقاربكم و ذوى أرحامكم ، فقال مبطلا للتفاخر بالانساب معللا لما أرشد إلى تقديره السياق مؤكدا لاجل ما عندهم من ان الكرم إنما هو بالنسب : ﴿ ان اكرمكم ﴾ ايها المتفاخرون ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه و لا كريم إلا من أكرمكم بكرمه و لا ٥ كمال لاحد سواه ﴿ اتقكم ﴾ فذلك هو الذكر الذى يصح أصله باقتدائه بأبيه آدم عليه السلام فلم يمل إلى الأنوثة و إن كان أدناكم نسبا و لذلك[3] أكده ، و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم «خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » أى علموا[4] بأن[5] كانت لهم ملكة الفقه فعملوا بما علموا كما قال الحسن رحمه الله : إنما الفقيه العامل بعلمه. و قد ١٠ تقدم أن هذا [هو - ٩] المراد بقوله تعالى "هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون" لما دل عليه سياقها و سباقها ، و الاتقى لا يفتخر على غيره لانه لا يعتقد أنه أتقى ، قال الرازى فى اللوامع : أكرم الكرم التقوى ، و هو مجمع الفضائل الإنسانية ، و ألأم اللؤم الفجور ، و ذلك أن الكرم اسم للأفعال المحمودة ، و هذه الأفعال إنما تكون محمودة إذا كانت عن علم ، و قصد بها الله ، ١٥ و هذا هو التقوى ، فليس التقوى إلا العلم و تحرى الأفعال المحمودة - انتهى . و ذلك لأن[7] التقوى تثبت الكمالات و تنفى النقائص فيصير

---

(١) من مد ، و فى الأصل : رتب (٢) فى مد : أخبركم (٣) من مد ، و فى الأصل : كدلك (٤) فى مد : فعملوا (٥) من مد . و فى الأصل : فان (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : ان .

صاحبها بشريا ملكيا .

و لما كان هذا مركوزا فى طبائعهم مغروزا فى جبلاتهم متوارثا[1] عندهم أن الفخر إنما هو بالأنساب ، و أن الكرم إنما هو من طاب أصله ، و كان قلع ذلك من نفوسهم فيما أجرى به سبحانه العادة فى دار الأسباب يتوقف على تأكيد ، أكد سبحانه معللا قوله لإخباره بالأكرم : ﴿ان الله﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بالظواهر ﴿ خبير ه ﴾ محيط العلم بالبواطن و السرائر أيضا ، روى البغوى[2] بسند من طريق عبد الله ابن حميد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم طاف يوم الفتح على راحلته ليستلم الأركان بمحجنه ، فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ، ثم قام فخطبهم ثم حمد الله و أثنى عليه و قال : الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية و تكبرها بآبائها . [إنما] الناس رجلان : برتقى كريم على الله ، و فاجر شقى هين على الله - ثم تلا "يأيها الناس" الآية ، ثم قال : اقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم ، و أخرجه أبو داود[3] و الترمذى[4] [و حسنه - [5]] و البيهقى - قال المنذرى[6] ، باسناد [حسن ، و - [5]] اللفظ له - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال قال : إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية و فخرها بالآباء ، الناس : بنو آدم و آدم من تراب ، مؤمن تقى وفاجر شقى ، لينتهين أقوام يفتخرون

(١) من مد ، و فى الأصل : متوازيا (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/ ١٩٢ .
(٣) راجع السنن ٢ / ٣٠٠ (٤) راجع الجامع أبواب التفسير ٢ / ١٥٩ (٥) زيد من مد (٦) فى الترغيب و الترهيب .

برجال إنما هم لحم من لحم جهنم أو[1] ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع النتن بأنفها .

و لما أمر سبحانه باجلال رسوله صلى الله عليه و سلم و إعظامه، و نهى عن أذاه فى نفسه أو فى أمته، و نهى عن التفاخر الذى هو سبب التقاطع و التدابر، و ختم بصفة الخبر، دل عليها بقوله [مشيرا -[2]] إلى ٥ أنه لايعتد بشىء مما أمر بـــه أو نهى عنه إلا مع الإخلاص فقال: ﴿قالت الاعراب﴾ أى أهل البادية من بنى أسد و غيرهم الذين هم معدن الغلظة [و الجفاء -[2]] الذين تقدم تأديبهم[3] فى سورة الفتح، و ألحق التاء فى فعلهم إشارة إلى ضعفهم فى العزائم، قال ابن برجان: هم قوم شهدوا شهادة الحق [4]وهم لا[4] يعلمون ما شهدوا بـه غير أن أنفسهم ١٠ [ليست -[2]] تنازعهم إلى التكذيب: ﴿ امنـا ﴾ [أى -[2]] بجميع ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به فى هذه السورة و لنا النسب الخالص، فنحن أشرف من غيرنا من اهل المدر .

و لما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا اطلاع عليه لآدمى إلا باطلاعه سبحانه فكانوا كاذبين فى دعواه، قال: ﴿ قل ﴾ أى تكذيبا لهم مع ١٥ مراعاة الأدب فى عدم التصريح بالتكذيب: ﴿ لم تومنوا ﴾ أى لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا[5] بايمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع

---

(١) من مد، و فى الأصل: «و» (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: تذبذبهم (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل: هم (٥) من مد، و فى الأصل: لم تؤمنوا .

ما لله من الكمال الذى منه أنه لو لا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله و لرسوله - الذى كان ذلك على يديه - المن و الفضل •

و لما كان التقدير ما كان [1]الأصل فى[1] أن يكون الرد به و هو: فلا تقولوا: آمنا، فانه كذب، و عدل عنه للاحتراز عن النهى عن القول ٥ بالإيمان، عطف عليه قوله: ﴿ و لكن قولوا ﴾ لأنكم أسلمتم للدنيا لا للدين، و عدل عنه لئلا تكون شهادة لهم بالإسلام [2]فى الجملة[2]: ﴿ اسلمنا ﴾ أى أظهرنا الانقياد فى الظاهر للأحكام الظاهرة فأمنا من أن نكون حزبا للمؤمنين و عونا للشركين، يقال: أسلم الرجل - إذا دخل فى السلم، كما يقال: أشتى - إذا دخل فى الشتاء، و لم يقل: و لكن أسلمتم، لما فيه ١٠ من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للايمان المنفى عنه، فكان يكون تناقضا، و الآية من الاحتباك: نفى الإيمان الشرعى أولا يدل على إثبات الإسلام اللغوى ثانيا، [و الأمر بالقول بالإسلام - [3]] ثانيا يدل على النهى عن القول بالإيمان [أولا - [3]] •

و لما كانت "لم" غير مستغرقة، عطف عليها ما يستغرق [4]ما مضى ١٥ من[4] الزمان كله ليكون الحكم بعدم إيمانهم مكتنفا بأمرهم بالاقتصاد على الإخبار باسلامهم، فقال معلما بأن ما يجتهدون فى إخفائه [5]منكشف لديه[5] "الا يعلم من خلق": ﴿ و لما يدخل[6] ﴾ [أى - [3]] إلى هذا الوقت

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: و (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٣) زيد من مد (٤ - ٤) فى مد: ماضى (٥ - ٥) فى الأصل: منكشفا يديه، و فى مد: منكشفا لديه (٦) زيد فى الأصل: الايمان، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

ا يمان

﴿ الايمان ﴾ [أى - [1]] المعرفة التامة ﴿ [2]فى قلوبكم[3]، ﴾ فلا يعد إقرار اللسان إيمانا إلا بمواطأة القلب، فعصيتم الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و أحبطتم أعمالكم، و التعبير به « لما » يفهم أنهم آمنوا بعد ذلك، و يجوز أن يكون المراد بهذا النفى نفى التمكن فى القلب، لا نفى مطلق الدخول بدليل " انما المؤمنون " [دون " انما - [1]] الذين امنوا " . ٥

و لما كان التقدير: فان تؤمنوا[3] يعلم الله ذلك من قلوبكم غنيا عن قولكم، عطف عليه قوله ترغيبا لهم فى التوبة: ﴿ و ان تطيعوا الله ﴾ أى الملك الذى من خالفه لم يأمن عقوبته ﴿ و رسوله ﴾ الذى طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من الأمر الظاهرى فتؤمن قلوبكم ﴿ لا يلتكم ﴾ أى ينقصكم و يبخسكم[4] من لاته يليته، و هى لغة أهل الحجاز، و قرأ ١٠ البصريان[5]: [6]يألتكم من الألت و هو[6] النقص أيضا، و هى لغة أسد و غطفان، و هم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان[7]: قال مجاهد: نزلت فى [بنى] أسد بن خزيمة - انتهى . فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها، و عدل عن لغة الحجاز ﴿ من اعمالكم شيئا[8] ﴾ فلا حاجة إلى إخباركم عن ١٥ إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال و الأفعال، قال ابن برجان: فعموم الناس و أكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين، فان يعلموا علم ما شهدوا و عقدوا عليه عقدا[8] علما و يقينا فهم المؤمنون . و فى الآية احتباك من

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) ليس ما بين الرقمين فى الأصل (٣) من مد، و فى الأصل: لم تومنوا (٤) من مد، و فى الأصل: يحبسكم (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٦٧٦ (٦-٦) من مد، و فى الأصل: يلتكم من الات و هى (٧) فى البحر المحيط ٨ / ١١٧ (٨) سقط من مد .

وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، و ذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا [1]على بخسها[1] أو إحباطها أولا ، و سره أنه نفى أساس الخير أولا و رغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا [عليه - [2]] من الأعمال ثانيا [3] .

٥ و لما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، و لذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعطفا [لهم -[2]] إلى التوبة ، مؤكدا تنبيها على أنه مما يحق تأكيده[4] [لأن الخلائق - [2]] لايفعلون مثله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور للهفوات و الزلات لمن تاب و صحت نيته ، و لغيره إذا أراد ، فلا عتاب

١٠ و لا عقاب ﴿ رحيم ۝ ﴾ أى يزيد على الستر عظيم الإكرام .

و لما نفى عنهم الإيمان ، و كان ربما غلط شخص فى نفسه [فظن -[2]] أنه مؤمن[5] ، و ليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، و هى أمهات الفضائل : العلم و العفة و الشجاعة ، فقال جوابا لمن قال : فمن الذى آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ

١٥ ترغيبا فى الاتصاف بوصفه و إيذانا بأن المخبر عن نفسه بآية إيمانه[6] لا يريد إلا أنه راسخ : ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى العريقون فى الإيمان الذى هو حياة القلوب ، قال القشيرى : و القلوب لا تحيي إلا بعد ذبح النفوس ،

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : بخرها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى مد : توكيده (٥) من مد ، و فى الأصل : قال (٦) فى مد : انه .

و النفوس لا تموت و لكنها تعيش ﴿ الذين ءامنوا ﴾ أى صدقوا معترفين ﴿ بالله ﴾ معتقدين جميع ما له من صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ شاهدين برسالته، و هذا هو المعرفة التى هى العلم، و غايتها الحكمة، و هذا الإثبات هنا يدل على [أن - ١] المنفى فيما قبل الكمال لا المطلق، و إلا لقال "إنما الذين ءامنوا". ٥

و لما كان هذا عظيما و الثبات عليه أعظم، و هو عين الحكمة، أشار إلى عظيم مزية الثبات بقوله: ﴿ ثم ﴾ أى بعد امتطاء هذه الرتبة العظيمة [﴿ لم يرتابوا ﴾ أى ينازعوا - ١] الفطرة الأولى فى تعمد التسبب إلى الشك و لم يوقعوا الشك فى وقت من الأوقات الكائنة بعد الإيمان، فلا يزال على تطاول الأزمنة وحصول الفتن وصفهم [٢] بعدم الريب [٢] ١٠ غضا جديدا، و لعله عبر بصيغة الافتعال إشارة إلى العفو عن حديث النفس الذى لا يستطيع الإنسان دفع أصله و يكرهه غاية الكراهة [٣] و يجتهد فى دفعه، فاذا ان ؟ المذموم المشى معه و المطاولة منه حتى يستحكم.

١٥ و لما ذكر الأمارة الباطنة على وجه جامع لجميع العبادات المالية و البدنية قال [٤]: ﴿ و جاهدوا ﴾ / أى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى أن ١٨ / تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بألسنتهم من الإيمان ﴿ بأموالهم ﴾ و ذلك هو العفة ﴿ و انفسهم ﴾ أعم من النية و غيرها، و ذلك هو

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: بعد الرتب (٣) من مد، و فى الأصل: الاكراه (٤) فى الأصل و مد: فقال.

الشجاعة، و قـدم الأموال لقلتها فى ذلك الزمان عند العرب ﴿فى سبيل الله ط﴾ أى طريق الملك الأعظم بقتال الكفار و غيره من سائر العبادات المحتاجة إلى [1]المال و النفس[1] لا الذين يتخلفون و يقولون : شغلتنا أموالنا و أهلونا، قال القشيرى : جعل [الله - [2]] الإيمان مشروطا[3]

٥ بخصال ذكرها، و ذكر بلفظ "انما" و هى للتحقيق، تقتضى الطرد و العكس، فمن أفرد الإيمان عن شرائطه التى جعلها له فمردود [عليه - [2]] قوله، و الإيمان للعبد [الأمان - [2]]. فإيمان[4] لا يوجب الأمان لصاحبه فخلافه أولى به[5].

و لما عرف بهم بذكر أمارتهم على سبيل الحصر، أنتج ذلك حصرا

١٠ آخر قطعا لأطماع المدعين على وجه أثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به عندهم ترغيبا [6]فى مثل[6] حالهم فقال : ﴿أولـٓئك﴾ أى العالو الرتبة الذين حصل لهم استواء الأخلاق و العدل فى الدين بجميع امهات الأخلاق ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿الصٰدقون ﴿١٥﴾﴾ قالا و حالا و فعالا ، و أما غيرهم فكاذب .

١٥ و لما كانوا كـأنهم يقولون : نحن كذلك، امره صلى الله عليه و سلم بالإنكار عليهم و التوبيخ [لهم - [2]] دلالة على ما أشار إليه ختام الآية من إحاطة علمه الذى تميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال :

(١-١) من مد، و فى الأصل : النفس و المال (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل : مخلوطا (٤) من مد، و فى الأصل: كايمان (٥) من مد، و فى الأصل : لصاحبه (٦-٦) من مد، و فى الأصل : لمثل .

﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الأعراب بجهلا [لهم –[1]] مبكتا : ﴿ اتعلمون ﴾
[أى –[1]] أتخبرون إخبارا [عظيما –[1]] بليغا ، كأنهم لما آمنوا كان
[ذلك –[1]] إعلاما منهم ، فلما قالوا آمنا كان ذلك تكريرا ، فكان فى[2]
صورة التعليم ، فبكتهم بذلك ﴿ الله ﴾ اى الملك الأعظم المحيط قدرة
و علما ﴿ بدينكمْ ﴾ فلذلك تقولون : أمنا ، ففى ذلك نوع بشرى لهم لأنه ٥
أوجد لهم دينا و أضافه إليهم – قاله ابن برجان . و لما أنكر عليهم و بكتهم
وصل به ما يشهد له[3] فقال : ﴿ و الله ﴾ أى و الحال ان الملك المحيط
بكل شىء ﴿ يعلم ما فى السمٰوٰت ﴾ كلها على عظمها و كثرة ما فيها
و من فيها . و لما كان فى سياق الرد [عليهم –[1]] و التبكيت لهم كان
موضع التأكيد فقال : ﴿ و ما فى الارضْ ﴾ كذلك[4] . ١٠

و لما كان المقام للتعميم ، أظهر و لم يضمر لئلا يوهم[5] الاختصاص
بما ذكر من الخلق فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة
﴿ بكل شىء ﴾ أى بما ذكر و بما لم يذكر ﴿ عليم ۝ ﴾ .

و لما كان قولهم هذا صورته صورة المنة ، قال مترجما له مبكتا لهم
عليه معبرا بالمضارع تصويرا لحاله فى شناعته : ﴿ يمنون عليك ﴾ أى ١٥
يذكرون ذكر من اصطنع [عندك –[1]] صنيعة و أسدى إليك نعمة ،
إنما فعلها لحاجتك إليها لا لقصد الثواب عليها ، لأن المن هو القطع – قال
فى الكشاف : لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته [لا غير –[1]] ، من

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) من مد ، و فى الأصل : لهم (٤) من مد ، و فى الأصل : ذلك (٥) فى مد : يتوهم .

غير أن يعمد لطلب مثوبة ، ثم يقال : من عليه ضيعة - إذا اعتده عليه منة و إنعاما . و لما كان الإسلام ظاهرا فى الدين الذى هو الانقياد بالظاهر مع إذعان [الباطن -[1]] لم يعبر به ، و قال : ﴿ان اسلموا[1]﴾ أى أوقعوا الانقياد للأحكام فى الظاهر .

٥ و لما كان المن هو القطع من العطاء الذى لايراد عليه جزاء ، قال : ﴿ قل ﴾ أى فى جواب قولهم هذا : ﴿ لا تمنوا ﴾ معبرا بما من المن إشارة إلى أن الإسلام لايطلب جزاؤه إلا من الله ، فلا ينبغى عده صنيعة على أحد ، فان ذلك يفسده ﴿ علىّ اسلامكم ج ﴾ لو فرض أنكم [2] كنتم مسلمين[2] أى متدينين بدين الإسلام الذى هو انقياد الظاهر

١٩/ ١٠ / مع إذعان الباطن ، [أى -[1]] لا تذكروه على وجه الامتنان أصلا ، فالفعل و هو " تمنوا " مضمن " تذكروا " نفسه لامعناه كما تقدم [فى -[1]] " و لتكبروا الله على ما هداكم " ﴿ بل الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له المنة على كل موجود و لا منة عليه بوجه ﴿يمن عليكم﴾ أى يذكر أنه أسدى إليكم نعمة [3] ظاهرة و باطنة منها ما هو[3] ﴿ ان ﴾

١٥ أى بأن ﴿ هدنكم للايمان ﴾ أى بينه لكم أو وفقكم للاهتداء و هو تصديق الباطن مع الانقياد بالظاهر ، و التعبير عن هذا بالمن أحق مواضعه ، فانه سبحانه غير محتاج إلى عمل فانه لانفع يلحقه و لا ضر ، و إنما طلب الأعمال لنفع[4] العاملين أنفسهم ، و من عليهم بأن أرسل رسوله صلى الله

---

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : مسلمون (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل : المسلمين او ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

عليه و سلم فبين لهم فكذبوه بأجمعهم ، فلم يزل يقويه حتى أظهر فيه [آية -[1]] بجده و أظهر دينه على الدين كله ، و دخل فيه الناس[2] طوعا وكرها على وجوه من المجد يعرفها من [3]استحضر السيرة[3] ولاسيما من عرف أمر بنى أسد و غطفان الذين نزلت فيهم هذه الآيات ، وكيف كان حالهم فى غزوة خيبر [4]وغيره[4]. ٥

و لما كان [المراد -[5]] بهذا تجهيلهم و تعليمهم حقائق الأمور ، لا الشهادة لهم بالهداية ، قال منبها على ذلك : ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا أنتم عريقون فيه ﴿ صٰدقين ۝ ﴾ فى ادعائكم ذلك ، فانه على تقدير الصدق إنما هو بتوفيق الله و هو الذى خلق لكم قدرة الطاعة ، فهو الفاعل فى الحقيقه فله المنة عليكم ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : من لاحظ شيئا ١٠ من اعماله و أحواله فان رآها دون نفسه كان شركا ، و إن رآها لنفسه كان مكرا ، فكيف يمن العبد بما هو شرك أو مكر ، و الذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة ، هذا لعمرى فضيحة ، و المنة تكدر الصنيعة ، إذا كانت من المخلوقين ، و بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله . ١٥

و لما نفى عنهم ما هو باطن ، و ختم جدالهم سبحانه بهذه الشرطية ، فكان ربما توهم قاصر النظر جامد الفكر عدم العلم بما هو عليه ، أزال

---

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : استحفره .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد .

ذلك على وجه عام، و أكده لذلك فقال: ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ يعلم ﴾ أى بطريق ثبوت الصفة و تجريد التعلق و استمراره كلما تجدد محدث أو كان بحيث [1]يتجدد ﴿ غيب السمٰوٰت ﴾ أى كلها ﴿ و الارض[1] ﴾ كذلك.

٥ و لما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر و لم يضمر قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بذلك و بغيره مما لا تعلمون ﴿ بصير ﴾ أى عالم أتم العلم ظاهرا و باطنا ﴿ بما تعملون ﴾ من ظاهر إسلامكم و باطن إيمانكم فى الماضى و الحاضر و الآتى سواء كان ظاهرا أو باطنا سواء كان قد حدث فصار بحيث تعلمونه أنتم أو كان مغروزا فى جبلاتكم و هو

١٠ خفى عنكم - هذا على قراءة الخطاب[2] التفات[3] إليهم لاستنقاذ من توهم منهم هذا التوهم، و هى أبلغ، و على قراءة ابن كثير بالغيب يكون على الأسلوب الأول مما أمر النبى صلى الله عليه و سلم بابلاغه لهم، فهو سبحانه

/٢٠ / عالم بمن انطوى ضميره على الإيمان، و من هو متكيف بالكفران، و من يموت على ما هو عليه، و من يتحول حاله بابعاد عنه أو جذب إليه،

١٥ قال القشيرى رحمه الله تعالى: و من وقف ههنا تكدر عليه العيش إذ ليس يدرى ما غيبه فيه، و فى المعنى قال[4]:

---

(١) من مد، و فى الأصل: يحب (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٨٠ (٣) من مد، و فى الأصل: التفاتا (٤) سقط من مد.

أبكى و هل تدرين ما يبكينى أبكى حذارا أن تفارقينى

و تقطعى حبلى[1] و تهجرينى

انتهى . و فى ذلك أعظم زجر[2] و ترهيب لمن قدم بين [يدى -[3]] الله و رسوله و لو أن تقدمه فى سره . فانه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم ، فكأنه قيل : لا تقدموا بين يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم و جهركم ، ٥ فقد رجع[4] هذا [5]الآخر إلى الأول[5] ، و التف به التفاف الأصل بالموصل .



(١) من مد ، و فى الأصل : جبلى (٢) من مد ، و فى الأصل : زاجر (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : التفت (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : الأول إلى الآخر .

سورة ق و تسمى الباسقات[1]

مقصودها تصديق النبي صلى الله عليه و سلم في الرسالة التي معظمها الإنذار و أعظمه[2] الإعلام[3] بيوم الخروج بالدلالة على ذلك بعد الآيات المسموعة الغنية بإعجازها عن تأييد بالآيات المرئية الدالة قطعا على الإحاطة بجميع صفات الكمال، و أحسن من هذا أن يقال: مقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم[4] لبيان أنه لابد من البعث ليوم الوعيد، فتكتنف هذه الإحاطة بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل لأن ذلك هو سر الملك الذي هو سر الوجود و ذلك هو نتيجة مقصود البقرة، و الذي تكفل بالدلالة على هذا كله ما شوهد من إحاطة [مجد -[5]] القرآن بإعجازه في بلوغه في كل من جميع المعاني و علو التراكيب و جلالة المفردات و تلازم الحروف و تناسب النظم و رشاقة الجمع و حلاوة التفصيل إلى حد لا تطيقه القوى، و من إحاطة أوصاف الرسول الذي اختاره سبحانه لإبلاغ هذا الكتاب في الخلق، و ما شوهد من إحاطة القدرة بما هدى إليه القرآن من آيات[6] الإيجاد و الإعدام، و على كل من الاحتمالين دل اسمها "ق" لما في آياته[7] من إثبات المجد بهذا الكتاب، و المجد هو الشرف و الكرم[8]

---

(١) المحسوب من سور القرآن الكريم مكية و عدد آيها ٤٥ بالاتفاق (٢) من مد، و في الأصل: معظمه (٣) في مد: الانذار (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و في الأصل: الآيات (٧) في مد: آيته (٨) من مد، و في الأصل: الاكرام.

و الرفعة و العلو، و ذلك لا يكون إلا و الآتى به كذلك، و هو ملازم لصدقه فى جميع ما أتى به، و للقاف وحدها أتم دلالة على ذلك، أولا بمخرجها فانه من أصل [1] اللسان مما يلى الحلق و يحاذيه من الحنك الأعلى، فان ذلك إشارة إلى أن مقصود السورة الأصل و العلو، و كل منها دال على الصدق دلالة قوية، فان الأصل فى وضع الخبر الصدق، ٥ و دلالته على الكذب وضعية لاعقلية، و هى أيضا محيطة باسمها أو مسماها بالمخارج الثلاث. و الإحاطة بالحق لاتكون إلا مع العلو، و هو لا يكون إلا مع الصدق، و لإحاطتها سمى بها الجبل المحيط بالأرض، هذا بمخرجها، و أما صفتها فانها عظيمة فى ذلك فان لها الجهر و الشدة و الانفتاح و الاستعلاء و القلقلة، و كل منها ظاهر الدلالة على ذلك جدا، ١٠ / و أدل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد النخل، لما انفردت به / ٢١ عما شاركها من النبات بالإحاطة بالطول و كثرة المنافع، فانها جامعة للتفكه بالقلب ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب و بالاقتيات بالتمر و بالخشب و الحطب و القطا و الخوص النافع للافتراش و الليف النافع للحبال، و دون ذلك و أعلاه من الخلال، هذا مع كثرة ملابسة العرب الذين ١٥ هم أول مدعو بهذا الكتاب الذكر لها و معرفتهم بخواصها. و أدل ما فيها الطول مع أنه ليس لعروقها من الامتداد فى الأرض و التمكن ما لغيرها، و مثل ذلك غير كاف فى العادة فى الإمساك عن السقوط و كثرة الحمل و عظم الأقناء و تناضد الثمر، و لذلك سميت سورة الباسقات لا النخل

(١) و من هنا إلى ما سننبه عليه ليست نسخة مد واضحة.

﴿ بسم الله ﴾ الذى من إحاطة حمده بيانه ما لنبيه صلى الله عليه و سلم
من إحاطة الحمد، و لقدرته سبحانه من الإحاطة التى ليس لها حد
﴿ الرحمن ﴾ الذى عم خلقه برحمته حين أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه
و سلم بشرائعه، فهو أصدق العباد، و أظهر بعظيم معجزاته أن قدرته
٥ ما لها من نفاد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص بالفوز فى دار القرار
أهل الرغاد.

لما ختم سبحانه الحجرات باحاطة العلم قال أول هذه: ﴿ قٓ ﴾
إشارة إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علما و قدرة بما له من العلو
و الشدة و القوة و القيومية و القهر و نافذ القضاء و الفتح لما أراد من
١٠ المغلقات، بما اشارت إليه القاف بصفاتها و أظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه
مسماها من المخارج الثلاث: الحلق و اللسان و الشفاه.

و قد قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى سر افتتاح المفصل بهذا
الحرف فقال فى آخر كتابه فى هذا الحرف: اعلم أن القران منزل مثانى، ضمن
ما عدا المفصل منه الذى هو من قاف إلى آخر الكتاب العزيز و فاتحة
١٥ ما يختص بأولى العلم و الفقه من مبسوطات الحكم و محكمات الأحكام
و مطولات الأقاصيص، و متشابه الآيات، و السور المفتتحة بالحروف
الكلية للاحاطة لغيبية المتهجى المسندة إلى آحاد الأعداد، فلعلو رتبة
إراده و طوله ثنى الحق سبحانه الخطاب و انتظمه فى سور كثيرة العدد
يسيرة عدد الآى قصيرة مقدارها، ذكر فيها من أطراف القصص و المواعظ
٢٠ و الأحكام و الثناء و أمر الجزاء ما يليق بسماع العامة ليسهل عليهم

سماعه و ليأخذوا بحظ مما أخذه الخاصة و ليكرر على أسماعهم فى قراءة الأئمة له فى الصلوات المفروضة التى لامندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا مما يعولهم من مضمون سائر السور المطولات، فكان أحق ما افتتح به مفصلهم حرف ق الذى هو وتر الآحاد، و الظاهر منها مضمون ما يحتوى عليه مما افتتح بألف لام ميم، و كذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر ٥ أن يقرأ فى خطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص بهم، و فى مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه فى إقامة أمر العامة ما فيه كفاية، و شفعت بسورة المطهرة لخصوا بما فيه القهر و الإنابة، و اختصرت سورة نون من مقتضى السلم بما هو محيط بأمر /العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين. ١٠ / ٢٢

و لما كان جميع السور المفتتحة بالحروف المتضمنة للراتب التسع، و العاشر الجامع قواما و إحاطة فى جميع القرآن، لذلك كانت[1] سورة قاف و سورة ن قواما خاصا و إحاطة خاصة بما يخص العامة[2] من القرآن الذين يجمعهم الأرض بما أحاط بظاهرها من صورة جبل قاف، و ما أحاط بباطنها من صورة حيوان " نون " الذى تمام أمرهم بما بين مددى إقامتها ١٥ و لهذه السورة المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القرآن و تميزه عن سائر الكتب لتضمنها الإحاطة التى لا تكون إلا بما للخاتم الجامع، و اقترن بها من التفضيل فى سورها ما[3] يليق باحاطتها، و لإحاطة معانيها

(١) فى الأصل: كان (٢) تكرر فى الأصل (٣) و من هنا عادت نسخة مد واضحة .

و إتمامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع إلى مقتضاها، فهو صحيح فى إحاطتها و منزلها من أسماء الله و رتبها فى جميع العوالم، فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لانه كلما قصد وجها[1] من التفسير لم يخرج عن إحاطة ما تقتضيه، و مهما فسرت به من [أنها من -[2]] أسماء الله تعالى

٥ أو[3] من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من مثل الأشياء، و صور الموجودات أو[3] من أنها أقسام[4] أقسم بها، او فواتح عرفت بها السور، أو[3] أعداد تدل على حوادث و حظوظ من ظاهر الأمر أو باطنه على اختلاف رتب و أحوال مما أعطيه محمد صلى الله عليه و سلم من مقدار أمد[5] الخلافة و الملك و السلطنة و ما ينتهى إليه أمره من ظهور الهداية

١٠ و نحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك، و كل داخل فى إحاطتها، و لذلك[6] أيضا لاتختص بمحل مخصوص تلزمه علامة إعراب مخصوصة فمهما قدر فى مواقعها من هذه السورة جرا [7]أو نصبا[7] أو رفعا، فتداخل فى إحاطة رتبتها و لم يلزمها معنى خاص و لا إعراب خاص لما لم يكن لها انتظام، لأنها مستقلات محيطات، و إنما ينتظم ما يتم معنى - كل

١٥ واحد من المنتظمين بحصول الانتظام، و ذلك يختص من الكلم بما يقصر عن إحاطة مضمون الحروف حتى انه متى وقع[8] استقلال و إحاطة فى

---

(١) من مد، و فى الأصل: وجهها (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: و (٤) من مد، و فى الأصل: اختتام (٥) من مد، و فى الأصل: احد (٦) فى مد: كذلك (٧-٧) من مد، و فى الأصل: وبصلاة (٨) من مد، و فى الأصل: وضع.

كلمة لم يقع فيها انتظام .

و لما أشار[1] سبحانه إلى هذه الاحاطة بالقاف، أقسم على ذلك قسما هو فى نفسه دال عليه فقال: ﴿و القرآن﴾ أى الكتاب الجامع الفارق[2] ﴿المجيد ج﴾ الذى له العلو و الشرف و الكرم و العظمة على كل كلام، و الجواب أنهم ليعلمون ما أشارت إليه القاف من قوتى و عظمتى و إحاطة ٥ علمى و قدرتى، و ما اشتمل عليه القرآن من المجد باعجازه و اشتماله على جميع العظمة، و لم ينكروا شيئا من ذلك بقلوبهم، و مجيد القرآن كما تقدم فى أثناء[3] الفاتحة ما جربت[4] أحكامه من بين عاجل ما شهد و آجل ما علم بعلم ما شهد، و كان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى، و ما شهد[5] من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من ١٠ أمثاله و أشباهه، و إذا تأملت السورة وجدت آيها منزلة على جميع ذلك، فانه سبحانه ذكرهم [فيها - [6]] ما يعلمون من خلق السماوات و الأرض [و ما فيهما -[6]] و من مصارع الأولين و كذا السورة الماضية و لاسيما آخرها المشير إلى أنه أدخل على الناس الإيمان برجل واحد غلبهم بمجده و إعجازه لمجد منزله[7] بقدرته و إحاطة علمه - و الله الهادى، ١٥ و من أحاط علما بمعانيه و عمل ما فيه مجد عند الله و عند الناس .

---

(١) زيد فى الاصل: إليها، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الاصل: الفاروق (٣) ليس فى مد (٤) من مد، و فى الأصل: جرت.
(٥) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد من مد.
(٧) من مد، و فى الأصل: منزلة.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما كانت سورة الحجرات
قد انطوت على جملة من الألطاف التى خص الله[1] بها عباده المؤمنين
كذكره تعالى أخوتهم و أمرهم بالتثبت عند غائلة معتد فاسق "يايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ" الآية، و أمرهم بغض الأصوات عند نبيهم
٥ و أن لا يقدموا بين يديه و لا يعاملوه فى الجهر بالقول كمعاملة بعضهم
بعضا، و أمرهم باجتناب كثير من الظن و نهيهم عن التجسس و الغيبة،
و أمرهم بالتواضع فى قوله "يايها الناس انا خلقنكم من ذكر و انثى"
و أخبرهم تعالى [أن -[2]] استجابتهم و امتثالهم[3] هذه الأوامر ليست[4]
بحولهم، و لكن بفضله و إنعامه، فقال : " و لكن الله حبب اليكم الإيمان
١٠ و زينه فى قلوبكم و كره اليكم الكفر و الفسوق و العصيان" الآيتين. ثم
اعقب ذلك بقوله "يمنون عليك أن اسلموا" الآية، ليبين أن ذلك كله
بيده و من عنده، أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر و لم يحبب
إليه الإيمان و لا زينه فى قلبه، بل جعله فى طرف من حال من أمر
و[5] نهى فى سورة الحجرات مع المساواة فى الخلق و تماثل الأدوات
١٥ فقال تعالى "و القرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم" الآيات،
ثم ذكر سبحانه و تعالى وضوح الأدلة "افلم ينظروا إلى السماء فوقهم"
الآيات، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم " كذبت قبلهم قوم
[نوح -[2]] " ليتذكر بمجموع هذا من قدم ذكره بحاله [و -[2]]

(١) ليس فى مد (٢) زيد من مد (٣) فى مد : امتثال (٤) من مد، و فى الأصل : ليس (٥) من مد، و فى الأصل « او .

أمره و نهيه فى سورة الحجرات ، و يتأدب المؤمن بآداب الله و يعلم أن ما أصابه من الخير فانما هو من فضل ربه و إحسانه ، ثم التحمت الآى إلى[1] قوله خاتمة السورة " نحن أعلم بما يقولون و ما انت عليهم " الآيات - انتهى .

و لما كان هذا ظاهرا على ما هدى إليه السياق ، بنى عليه قوله دلالة ٥ أخرى على شمول علمه : ﴿ بل ﴾ [أى -[2]] أن تكذيبهم ليس لانكار شيء من مجده و لا لإنكار[3] صدقك الذى هو[4] من مجده بل لأنهم ﴿ عجبوآ ﴾ أى الكفار ، و أضمرهم قبل الذكر إشارة إلى أنه إذا ذكر شيئا خارجا عن سنن الاستقامة انصرف إليهم ، و العجب من تغير النفس لأمر خارج [عن العادة -[2]] . ١٠

و لما كان المقام لتخويف من قدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلم أو منّ عليه بالإسلام أو غيره ، أو لتخويف من أنكر البعث ، اقتصر على النذارة فقال : ﴿ ان جآءهم منذر ﴾ [5]أنذرهم حق الإنذار من عذاب الله عند البعث الذى هو محط الحكمة ، و عجب منهم هـذا العجب بقوله : ﴿ منهم ﴾ لأن العادة عندهم و عند جميع[6] الناس [أنه -[2]] ١٥ إذا كان النذير منهم لم يداخلهم فى إنذاره شك بوجه من الوجوه ، و هؤلاء خالفوا عادة[7] الناس فى تعجبهم من كون النذير - و هو أحدهم -

(١) من مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : انكار (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى مد : العرب (٧) من مد ، و فى الأصل : عنا داخلا فالعداده

خص بالرسالة دونهم ، و لم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم ، فكذلك أنكروا رسالته و فصل كتابه بألسنتهم نفاسة و حسدا لأنهم كانوا معترفين بخصائصه التى رفعه الله تعالى [1]عليهم بها[1] قبل الرسالة لحطهم عجبهم ذلك إلى الحضيض من دركات السفه و خفة الأحلام ، لأنهم عجبوا أن كان

٥ الرسول بشرا و أوجبوا [أن يكون ـ[2]] الإله حجرا ، و عجبوا من[3] أن يعادوا من تراب ، و تثبت له الحياة ، و لم يعجبوا أن يبتدؤا من تراب و لم يكن له أصل فى الحياة ، و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فقال ﴾ أى بسبب إنذاره بالبعث و عقبه / ﴿ الكٰفرون ﴾ فأظهر فى موضع الإنذار إيذانا بأنهم لم يخف عليهم شیء من أمره ، و لكنهم[4] ستروا تعديا بمرأى

١٠ عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة ، و عبر بما دل على النذارة لأنها المقصود الأعظم من هذه السورة ، و جميع سياق الحجرات ظاهر فيها : ﴿ هذا ﴾ أى كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا ، و كون ما أنذر به هو البعث بعد الموت ﴿ شیء عجيب ج ﴾ أى بليغ فى الخروج عن عادة أشكاله ، و قد كذبوا فى ذلك ، أما من جهة النذير

١٥ فان أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا إليهم ، و قليل منهم من كان غريبا ممن أرسل إليه ، و أما من جهة البعث فان أكثر ما فى الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه و إحياء الأرض [من ـ[2]] بعد موتها و ابتداء الإحياء لجميع موات الحيوان و إخراج النبات و الأشجار

/ ٢٤

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : عنهم بها (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد.
(٤) من مد ، و فى الأصل : لكنه .

و الثمار و غير ذلك مما [هو - [1]] ظاهر جدا .

و لما كان المتعجب منه مجملا ، أوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين في الإنكار ، بافتتاح إنكارهم باستفهام إنكاري: ﴿ ءاذا متنا ﴾ ففارقت أرواحنا أشباحنا ﴿ و كنا ترابا ج ﴾ لافرق بينه و بين تراب الأرض .

و لما كان العامل في الظرف ما تقديره: نرجع؟ دل عليه بقوله و الإشارة ٥ بأداة البعد [2] إلى عظيم [3] استبعادهم : ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر الذي هو في [4] تمييز ترابنا من بقية التراب [5] في غاية البعد ، و هو مضمون الخبر برجوعنا ﴿ رجع ﴾ أي رد إلى ما كنا عليه [6] ﴿ بعيد ه ﴾ [جدا - [1]] لأنه لايمكن تمييز ترابنا من بقية التراب . و لما كان السياق لإحاطة العلم بما نعلم و ما لانعلم ، توقع السامع الجواب عن هذا الجهل ، فقال مزيلا لسببه ، مفتتحا ١٠ بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ أي بل نحن على ذلك في غاية القدرة لأنا قد ﴿ علمنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ ما تنقص الارض منهم ج ﴾ أي من أجزائهم المتحللة من أبدانهم بعد الموت و قبله ، فانه [لو - [1]] زاد الإنسان بكل طعام يأكله و لم ينقص صار كالجبل بل نحن دائما في إيجاد و إعدام [5] تلك الأجزاء ، [و - [1]] ذلك فرع العلم بها كل جزء في وقته الذي ١٥ كان نقصه فيه قل ذلك الجزء [6] أو جل [7] ، و لم يكن شيء من ذلك إلا بأعيننا

---

(١) زيد من مد (٢ - ٣) من مد ، و في الأصل : و هو (٣ - ٣) ليس ما بين الرقمين في مد (٤) زيد في الأصل : هذا هو ، هذا أمر ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٥) من مد ، و في الأصل : عدم (٦) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في مد فحذفناها (٧) زيد في الأصل : في ذلك ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

بما لنا من القيومية و الخبرة النافذة فى البواطن فضلا عن الظواهر و الحفظ، الذى لا يصوب إلى جنابه عى و لا غفلة و لا غير، [1]و لكنه[1] عبر بمن لأن الأرض لا تأكل عجب الذنب، فانه كالبزر لأجسام بنى آدم .

و لما كانت العادة جارية عند جميع الناس بأن ما كتب حفظ، ٥ أجرى الأمر على ما جرت به عوائدهم فقال مشيرا بنون العظمة إلى غناه عن الكتاب: ﴿ وعندنا ﴾ أى على ما لنا من الجلال[2] الغنى عن كل شىء ﴿ كتٰب ﴾ أى جامع لكل شىء ﴿ حفيظ ﴾ أى بالغ فى الحفظ لا يشذ عنه شىء من الأشياء دق أو جل، فكيف يستبعدون على عظمتنا أن لا نقدر على تمييز ترابهم من تراب الأرض [و لم يختلط ١٠ فى علمنا شىء من جزء منه بشىء من جزء آخر فضلا عن أن يختلط شىء منه بشىء آخر من تراب الأرض -[3]] أو غيرها .

و لما كان التقدير: و هم / لا ينكرون ذلك من عظمتنا لأنهم معترفون ٢٥ / بأنا خلقنا السماوات و الأرض و خلقناهم من تراب و إنا نحن ننزل[4] الماء فينبت[5] النبات، أضرب عنه بقوله: ﴿ بل الذين كذبوا بالحق ﴾ أى ١٥ الأمر الثابت الذى لا أثبت منه ﴿ لما ﴾ أى حين ﴿ جآءهم ﴾ لما ثار عندهم من أجل تعجبهم من إرسال رسولهم من حظوظ[6] النفوس و غلبهم من الهوى، حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه و لا تدبر، و لا نظر فيه

(١-١) من مد، و فى الأصل: ثم (٢) زيد فى الأصل: اى (٣) زيد من مد .
(٤) من مد، و فى الأصل: نزلنا (٥) من مد، و فى الأصل: ليست .
(٦) من مد، و فى الأصل: حظوظى .

و لا تفكر . فلذلك قالوا ما لا يعقل من أن من قدر على إيجاد شيء من العدم و إبدائه لا يقدر على إعادته بعد إعدامه و إفنائه .

و لما تسبب عن انتسابهم فى هذا القول الواهى[1] و ارتهانهم فى عهدته اضطرابهم[2] فى الرأى : هل يرجعون فينسبوا إلى الجهل و الطيش و السفه و الرعونة أم يدومون عليه فيؤدى ذلك مع كفرهم بالذى خلقهم إلى ٥ أعظم من ذلك من القتال و القتل ، و النسبة إلى الطيش و الجهل ، قال معبرا عن هذا المعنى : ﴿فهم﴾ أى لأجل مبادرتهم إلى هذا القول السفساف ﴿فى أمر مريج ﴾ أى مضطرب جدا مختلط ، من المرج و هو اختلاط النبت بالأنواع المختلفة ، فهم [تارة -[3]] يقولون : سحر و تارة كهانة ، و تارة شعر ، و تارة كذب ، و تارة غير ذلك ، و الاضطراب موجب ١٠ للاختلاف ، و ذلك أدل دليل على الإبطال كما أن الثبات و الخلوص موجب للاتفاق ، و ذلك أدل دليل على الحقية[4] ، قال الحسن : ما ترك قوم[5] الحق[5] إلا مرج أمرهم - و كذا قال قتادة[6] ، و زاد : و التبس عليهم دينهم .

و لما أخبرهم أنهم قالوا عن غير تأمل أنكر عليهم ذلك موبخا لهم دالا على صحة ما أنكروه و فساد إنكارهم بقوله ، مسببا عن عجلتهم إلى الباطل ، ١٥ ﴿افلم ينظروا﴾ أى بعين البصر و البصيرة ﴿الى السمآء﴾ أى المحيطة بهم و بالأرض التى هم عليها . و لما كان هذا اللفظ يطلق على كل ما علا من سقف و سحاب و غيره و إن كان ظاهرا فى السقف المكوكب

---

(١) من مد ، و فى الأصل : الهاوى (٢) من مد ، و فى الأصل : اضرارا بهم .
(٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٥) من مد ، و فى الأصل : نوح (٦) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ١٩٤ .

حققه بقوله: ﴿ فوقهم ﴾ فان غيرها إنما هو فوق ناس منهم لا[1] فوق
الكل . و لما كان أمرها عجبا، فهو أهل لأن يسأل عن كيفيتـه دل
عليه بأداة الاستفهام فقال: ﴿ كيف بنينها ﴾ أى أوجدناها على ما
لنا من المجد و العزة مبنية كالخيمة إلا أنها من غير عمد ﴿ و زينها ﴾
٥ أى بما فيها من الكواكب الصغار و الكبار السيارة و الثابتة ﴿ و ما ﴾
أى و الحال انه ما ﴿ لها ﴾ و أكد النفى بقوله: ﴿ من فروج ﴾ أى
فتوق و طاقات و شقوق، بل هى ملساء متلاصقة الأجزاء، فان كانت
هذه الزينة من تحتها فالذى أوقع ذلك على هذا الإحكام الذى يشاهدونه
بما فيه من[2] المنافـع و الستر الذى لايختـل على مر الجديدين،
١٠ فهو من القدرة بحيث لايعجزه شيء، و إن كانت الزينة من فوقها
فكذلك، و إن كان بعضها من فوق و بعضها من تحت فالأمر عظيم،
و هذا يدل على أن السماء كرة مجوفة الوسط مقبية كالبيضة، فان نفى
الفروج فيها / على هذا الوجه المؤكد يدل على ذلك دلالة ظاهرة، و أفرد ٢٦ /
السماء و لم يجمع لأن بناءها على ما ذكر[3] و إن كانت واحدة يدل على كمال
١٥ القدرة، فان البناء المجوف لا يمكن بانيه إكمال[4] بنائه من غير أن يكون له
فروج، و إن اختل ذلك كان موضع الوصل ظاهرا للرائين ما فيه من فتور
و شقوق و قصور و ما يشبه ذاك[5]، و لم يمكنه مع[5] ذلك الخروج منه،

---

(١) من مد، و فى الأصل: هو (٢) فى الأصل: المعالى و، و لم تكن الزيادة
فى مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: كان كذلك، و لم تكن الزيادة فى مد
فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل: الكمال (٥-٥) من مد، و فى الأصل:
لم يمكن فيه بعد .

إن كان داخله لم يقدر على حفظ خارجه، و إن كان خارجه لم يتمكن من حفظ داخله[1]، و هذا الكون محفوظ من ظاهره و باطنه، فعلم أن صانعه منزه عن الاتصاف بما تحيط به العقول بكونه داخل العلم أو خارجه أو متصلا به أو منفصلا [عنه] ، أو محتاجا فى الصنعة إلى إله أو فى الحفظ إلى ظهير أو معين، و جمع الفرج للدلالة على إرادة الجنس بالسماء ٥ بعد ما أفاده إفراد لفظها، فيدل الجمع مع[2] إرادة الجنس على[3] التوزيع، مع الإفهام إلى أن البانى لو احتاج فى هـــذا الخلق الواسع الأطراف المتباعد الأكناف إلى فرج واحد لاحتاج[4] إلى فروج كثيرة. فان هذا الجرم الكبير لايكفى فيه فرج واحد لمن يحتاج إلى الحركة، فنزل كلام العليم[5] الخبير على مثل هذه المعانى، و لا يظن أنه غيرت فيه صنعة من ١٠ الصنع لأجل الفاصلة فقط، فان ذلك لا يكون إلا من محتاج، و الله[6] متعال عن ذلك، و يجوز - و هو أحسن - أن يراد بالفروج قابلية الإنبات لتكون - مثل الأرض - يتخللها المياه فيمتد فيها عروق الأشجار و النبات و تظهر منها، و أن يراد بها الخلل كقوله تعالى "ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور" أى خلل و اختلاف ١٥ و فساد، و هو لاينفى الأبواب و المصاعد - و الله أعلم.

---

(١) من مد، و فى الأصل: خارجه (٢) من مد، و فى الأصل: بعد (٣) زيد فى الأصل: الجنس، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل: احتاج (٥) زيد فى الأصل: الكبير، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: المتعال، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

و لما دل سبحانه على تمام قدرته و كمال علمه و غير ذلك من صفات الكمال بآية السماء[1]، أتبع ذلك الدلالة على أنه لا يقال فيه داخل العالم و لا خارجه لأنه متصل [به] و لا منفصل عنه، نبه على ذلك بالدلالة على آية الأرض، و أخرها لأن السما أدل على المجد الذى هذا سياقه، ٥ لأنها أعجب صنعة و أعلى علوا و أجل مقدارا و أعظم أثرا، و أن الأرض لكثرة الملابسة لها و الاجتناء من ثمارها يغفل الإنسان عن دلالتها، بما له فى ذلك من الصنائع و المنافع، فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى المحيطة بهم ﴿ مددنها ﴾ أى جعلناها بما لنا من العظمة مبسوطة لامسنمة. و لما كان الممدود يتكفأ، قال: ﴿ و القينا ﴾ بعظمتنا ﴿ فيها رواسى ﴾ أى جبالا ١٠ ثوابت كانت سببا لثباتها، و خالفت عادة المراسى فى أنها من فوق، و المراسى تعالجونها أنتم من تحت.

و لما كان سكانها لاغنى لهم عن الرزق، قال ممتنا عليهم: ﴿ و انبتنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ و عظم قدرتها بالتبعيض فقال: ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف من النبات تزاوجه أشكاله بأرزاقكم كلها ﴿ بهيج ﴾ أى هو ١٥ فى غاية الرونق و الإعجاب، فكان - مع كونه رزقا - متنزها.

و لما ذكر هذه الصنائع الباهرة، عللها بقوله: ﴿ تبصرة ﴾ أى جعلنا هذه الأشياء / كلها، أى لأجل أن تنظروها بأبصاركم، ثم تتفكروا ٢٧/ ببصائركم، فتعبروا منها إلى صانعها، فتعلموا ما له من العظمة ﴿ و ذكرى ﴾ أى و لتتذكروا بها تذكرا عظيما[2]، بما لكم من القوى و القدر فتعلموا

(١) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه مطموسة فى مد (٢) فى الأصل: عظمة.

بعجزكم

بعجزكم عن كل شيء من ذلك أن صانعها لايعجزه شيء، و أنه محيط بجميع صفات الكمال، [لو ألم -[1]] بجنابه شائبة من شوائب النقص لما فاض عنه هذا الصنع الغريب البديع .

و لما كان من لاينتفع بالشيء كأنه عادم لذلك الشيء، قصر الأمر على المنتفع فقال: ﴿ لكل عبد ﴾ يتذكر بما له من النقص و بما دل ٥ عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مربوب لصانعه . و لما كان الإنسان لما له من النقصان لايزال كلما أعلاه عقله أسفله طبعه، فكان ربما ظن أنه لايقبل إذا رجع، رغبه في الرجوع بقوله: ﴿ منيب ه ﴾ أي رجاع عما حطه عنه طبعه إلى ما يعليه إليه عقله، فيرجع من شهود هذه الأفعال إلى شهود هذه الصفات إلى علم الذات . ١٠

و لما كان إنزال الماء أبهر الآيات و أدلها على أنه أجلّ من ان يقال: إنه داخل العالم أو خارجه، أو متصل به أو منفصل عنه، مع أن به تكوّن النبات و حصول الأقوات و به حياة كل شيء، أفرده تنبيها على ذلك فقال: ﴿ و نزلنا ﴾ أي شيئا فشيئا في أوقات على سبيل التقاطر و بما يناسب[2] عظمتنا التي لاتضاهي بغيب، بما له من الثقل و [النبوع -[3]] ١٥ و النفوذ فنزل دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزالت المفقرة و عادت المنفعة مضرة ﴿ من السمآء ﴾ أي المحل العالي الذي لايمسك فيه الماء عن دوام التقاطر إلا بقاهر ﴿ مآء مبركا ﴾ أي نافعا جدا ثابتا لاخيالا محيطا

(١) في الأصل بياض ملأناه من مد لأن جانبا منها يظهر لبعض الحد .

(٢) ليس واضحا في مد (٣) زيد من مد من الجانب الواضح .

بجميع منافعكم .

و لما كان الماء سببا فى تكون الأشياء، و كان ذلك سببا فى انعقاده حتى يصير خشبا و حبا و عنبا، و غير ذلك عجبا، قال : ﴿ فانبتنا ﴾ معبرا بنون[1] العظمة ﴿ به جنّت ﴾ من الثمر و الشجر و الزرع و غيره مما
٥ تجمعه البساتين فتجن - أي تستر - الداخل فيها . و لما كان القصب الذى يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان و ساقه للبهائم، خصه بقوله : ﴿ وحب الحصيد ﴾ أى النجم الذى من شأنه أن يحصد من البر و الشعير و نحوهما، و أومأ بالتقييد إلى أن هذه الحبوب أشرف من حب اللآلئ الذى ينبته الله من المطر لأنها لقيام النبتة؟ و تلك للزينة، و لما
١٠ كان النخل من أعجبه ما يتكون منه مع ما له من المنافع التى [2]لايساويه فيها[2] شجر، و الطباق للزرع بالطول و القصر و الاتساق بالاقتيات للآدميين و البهائم، قال : ﴿ والنخل بسقت ﴾ أى عاليات طويلات على جميع الأشجار المثمرة ذوات أثمار طيبة ﴿ لها ﴾ مع يبس ساقها ﴿ طلع نضيد ﴾ أى مصفوف متراكم بعضه فوق بعض، و هو حشو طلعه،
١٥ و الطلع ذلك الخارج من أعلى النخلة كأنه فعلان مطبقان، و الحمل النضيد بينهما، و الطرف محدد، أو[3] الطلع ما يبدو من ثمر النخل أول ظهورها، و ذلك القشر يسمى الكفرى لتغطيته إياه على أحكم ما يكون و أوثق، و الطلع[4] / يشبه ما للناقة المبسق من اللبا المتكون فى ضرعها /٢٨

---

(١) فى الأصل : عن عظمة (٢-٢) فى الأصل : لايساويها، والتصحيح من مد (الجانب الواضح) (٣) من مد، و فى الأصل : و (٤) زيد فى الأصل : ما، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

قبل[1] التناج، ثم يصير بعد اتحاده فى البياض و هو طلع إلى الافتراق
حال الينوع إلى أحمر و اصفر و أخضر و غير ذلك من الألوان الغريبة،
و الأوصاف العجيبة، و هى محيطة المنافع بالتفكـــه على عدة أنواع
و الاقتيات و غير ذلك، و طلعها مخالف [2]لعادة اكثر[3] الأشجار فان ثمارها
مفردة، كل حبة منفردة عن أختها. ٥

و لما ذكر سبحانه بعض ما له فى الماء من العظمة، ذكر له علة هى
غاية فى المنة على الخلق فقال: ﴿ رزقا للعباد لا ﴾ أى أنبتنا به ذلك لأجل
أنه بعض ما جعلناه رزقهم.

و لما كان فى ذلك أعظم مـــذكر للبصراء بالبعث و لجميع صفات
الكمال، أتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال: ﴿ و حيينا به ﴾ ١٠
أى الماء بعظمتنا ﴿ بلدة ﴾ وسمها بالتاء إشارة إلى أنها فى غاية الضعف
و الحاجة إلى النبات و الخلو عنه، و ذكر قوله: ﴿ ميتا[4] ﴾ للزيادة فى
تقرير تمكن الحاجة فيها. و لما كان هذا خاصة من أوضح أدلة البعث،
قال على سبيل النتيجة: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الإخراج العظيم
﴿ الخروج ه ﴾ الذى هو لعظمته كأنه مختص بهذا المعنى، و هو بعث[5] ١٥
الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه فى الدنيا، لا فرق بين خروج
النبات بعد ما تهشم فى الأرض و صار ترابا كما كان من بين أصفره
[و أبيضه –[4]] و أحمره [5]و أخضره[5] و أزرقه إلى غير ذلك، و بين إخراج

---

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢ - ٢) فى مد: لا كثر (٣) من مد، و فى
الأصل: بعض (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد.

ما تفتت من الموتى كما كانوا فى الدنيا، قال أبو حيان[1]: ذكر تعالى فى
السماء ثلاثة: البناء و التزيين و نفى الفروج، و فى الأرض ثلاثة: المد
و إلقاء الرواسى و الإنبات، قابل المد بالبناء لأن المد وضع و البناء رفع،
و إلقاء الرواسى بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منها - أى على
٥ سطح ما هو فيه، و الإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، فلا شق
فيها، و نبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة و يبقى أصله،
و ما يزرع كل سنة أو سنتين و يقطف كل سنة، و على ما اختلط من
جنسين، فبعض الثمار فاكهة لا قوت، و أكثر الزرع قوت و الثمر
فاكهة و قوت .

١٠ و لما وصل الأمر إلى حد لاخفاء معه، فصح انهم يعلمون ذلك
و لم يحملهم على التصريح بالتكذيب به إلا المبادرة إلى ذلك بغلبة الهوى
من غير تأمل لعاقبته، فصار من باب لزوم الغلط، و كان السياق لإنكار
البعث الذى جاء به منذر من القوم المنذرين. كان كأنه قيل: إن إنكار
هؤلاء أعجب، فهل وقع هذا لأحد قط، فقال تعالى مسليا لهذا النبى
١٥ الكريم لأن المصيبة إذا عمت هانت، مبينا لمجد القرآن و لمجد آياته تحقيقا
الانذار و تحذيرا به لا للنصيحة: ﴿ كذبت ﴾ رسم الفعل بالتاء إشارة إلى
هوانهم فى جنب هذا المجد و لما كان هؤلاء الأحزاب المذكورون اقوتهم
و كثرتهم كأنهم أهل المجد قاطبة قد استغرقوا زمانها و مكانها. أسقط
الجار فقال: ﴿ قبلهم ﴾ .

٢٠ و لما لم تكن لهم شهرة يعرفون بها قال: ﴿ قوم نوح ﴾ و اشار

(١) راجع البحر المحيط ١٢٢/٨ .

إلى عظيم التسلية بأنهم / جاءهم منذر منهم، و كانوا فى القوة فى القيام فيما ٢٩ /
يحاولونه و الكثرة بحيث لايسع الأفهام جميع أوصافهم، فآذوا رسولهم
و طال أذاهم قريبا من عشرة قرون و لما كان آخر أمرهم أنه التقى
عليهم الماءان: ماء السماء، و طلع إليهم[1] ماء الأرض فأغرقهم، أتبعهم
من طائفتهم قصتهم بأن نزل بهم الماء فأوبقهم لما بين حاليهم من الطباق[2] ٥
دلالة على عظيم القدرة و الفعل بالاختيار فقال: ﴿ و اصحٰب الرس ﴾
أى البئر التى تقوضت بهم فخسفت مع ما حولها فذهبت بهم و بكل ما لهم
كما ذكرت قصتهم فى الفرقان. و لما كانت آية [قوم -[3]] صالح من
أعظم الدلالات على القدرة على البعث، وكان إهلاكهم مناسبا لإهلاك
من قبلهم، أما لأصحاب الرس فكان بالرجفة التى هى [على -[3]] مبدأ ١٠
الخسف، و أما لقوم نوح فلأن الرجفة تأثرت عن الصيحة التى حملتها
الريح التى من شأنها حمل السحاب الحامل للماء، أتبعهم بهم، و كانوا[4]
أصحاب بئر و لم يخسف بهم فقال: ﴿ و ثمودُ ۙ﴾ و لما اتفق قوم هود
عليه السلام و القبط بالإهلاك بالريح التى أثرت بها صيحة[5] ثمود، أولئك
مع الحجارة و الرمل و هؤلاء بالماء الذى فرقه الله بالريح عند ضرب ١٥
العصى، وكان لكل منهما من ضخامة الملك و عز السلطان ما هو مشهور
قدم أشدهما أبدانا و أوسعهما ملكا لأن إهلاكهم كان أدل دليل على
القدرة و أقرب[6] شبها بهلاك[6] ثمود فقال: ﴿ و عاد ﴾ و عطف عليه

(١) من مد، و فى الأصل: عليه. (٢) من مد، و فى الأصل: الطبقات.
(٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: كان (٥) سقط من مد
(٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: تشبيها بهلاك.

أقرب الطائفتين شبها بالهلاك بقوم نوح و أصحاب الرس فقال:
﴿ و فرعون ﴾ نص عليه لأنه ليس فى مادة هذا الغرق كافر غيره،
و النص عليه يفهم غيره، و ما تقدم [1]فى غير هذه السورة[1] غير مرة من
وصفه بأنه ملك قاهر و أنه استخفهم فأطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له،
٥ و أنه ليوافق ما قبله و ما بعده. و لما كان السياق للعزة و الشقاق،
فلم يدع داع إلى إثبات ذى الأوتاد. و لما كان هلاك المؤتفكات جامعا
فى الشبه بهلاك جميع من تقدم بالخسف و غمرة الماء بعد القلب فى
الهواء، أتبعهم بهم معبرا عنهم بأخصر من تسميه قبائلهم أو مدنهم لأنها
عدة مدن، و عبر بالإخوة دون القوم لأن السياق لتكذيب من هو منهم
١٠ لأنه أدخل فى التسلية فقال[2]: ﴿ و اخوان لوط ﴾ أى أصهاره الذين
جبروا بينهم و بينه مع المصاهرة بالمناصرة لملوكهم و رعاياهم على من
ناواهم بنفسه و عمه إبراهيم عليهما السلام كما مضى بيانه فى البقرة ما
صار كالاخوة، و مع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من
الجناية له و لأنفسهم و غيرهم.

١٥ و لما كان الشجر مظنة الهواء البارد و الروح، و كان أصحابه قد عذبوا
بضد ذلك قال: ﴿ و اصحٰب الايكة ﴾ لمشاركتهم لهم[3] فى العذاب بالنار،
و أولئك بحجارة / الكبريت النازلة من العلو و هؤلاء [بالنار - [4]] النازلة / ٣٠
من ظلة السحاب، و عبر عنهم بالواحدة و المراد الغيضة إشارة إلى أنها

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد، و فى الأصل: قوله.
(٣) سقط من مد (٤) زيد من مد.

من شدة التفافها كالشجرة الواحدة . و لما كان " تبع " مع كونه من قومه ملكا قاهرا ، و خالفوه مع ذلك ، و كان لقومه[1] نار [فى بلادهم - [2]] يتحاكون إليها فتأكل الظالم ، ختم بهم فقال : ﴿ و قوم تبع ﴾ مع كونه مالكا ، و هو يدعوهم إلى الله ، فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا ، بل هو واقع بمن شئنا من قوى ٥ و ضعيف ، لا يخرج شيء عن مرادنا .

و لما لم يكن هنا ما يقتضى التأكيد مما مر بيانه فى ص قال معريا منه : ﴿ كل ﴾ أى من هذه الفرق ﴿ كذب الرسل ﴾ أى كلهم بتكذيب رسولهم ، فان الكل متساوون فيما يوجب الإيمان من إظهار العجز و الدعاء إلى الله ﴿ فحق ﴾ [أى - [2]] فتسبب عن تكذيبهم لهم أنه ثبت عليهم و وجب ١٠ ﴿ وعيده ﴾ [أى - [2]] الذى كانوا يكذبون به عند إنذارهم لهم إياه ، فعجلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الازل فأهلكناهم إهلاكا عاما كاهلاك نفس واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بأمثاله عناية[3] و أتبعناه ما هو فى البرزخ و أخرنا ما هو فى القيامة إلى البعث ، باهلاكنا لهم على تنائى ديارهم و تباعد أعصارهم و كثرة أعدادهم ١٥ أن لنا الإحاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين و تأس بهم ، و لتحذر قومك ما حل بمن كذبهم إن أصروا .

و لما ذكر سبحانه التسلية بتكذيب هذه الأحزاب بعد ذكر

---

(١) من مد ، و فى الأصل : فى قومه (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : عباده .

تكذيب قريش و إقامة الأدلة القاطعة على ما كذبوا به و بطلان
تكذيبهم ، و ختم بحقوق الوعيد الذى شوهدت أوائله باهلاكهم ،
فثبت صدق الرسل و ثبتت القدرة على كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق
من الإيجاد و الإعدام أنكر عليهم التكذيب و وبخهم عليه تقريرا لحقوق
٥ الوعيد ، فقال مسببا عن تكذيبهم بعد ما ذكر أنه خلق جميع الوجود:
﴿ افعيينا بالخلق ﴾ أى حصل لنا على ما لنا من العظمة الإعياء ، و هو
العجز بسبب الخلق فى شيء من إيجاده و إعدامه ﴿ الاول[1] ﴾ أى من
السماوات و الأرض و ما بينهما حين ابتدأناه اختراعا من العدم ، و من
خلق الإنسان و سائر الحيوان مجددا ، ثم فى كل أوان من الأطوار
١٠ المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه
مما ليس له أصل فى الحياة ، و فى إعدامه بعد خلقه جملة كهذه الأمم
أو تدريجا كغيرهم ليظنوا بسبب العجز بالخلق الأول الذى هو أصعب
فى مجارى العادات من الإعادة أنا نعجز عن الإعادة ثانيا ، يقال : عيي
بالأمر - إذا لم يهتد [1]لأمره أو لوجه[1] مراده أو عجز عنه ، و لم يطق[2]
١٥ إحكامه .

و لما كان التقدير قطعا بما دلت عليه همزة الإنكار : لم نعي بذلك
بل أوجدناه على غاية الإحكام للظرف و المظروف و هم يعلمون ذلك
و لاينكرونه / و يقرون بتمام القدرة عليه ، [و فى طيه -[3]] الاعتراف   / ٣١

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لم يطاق .
(٣) زيد من مد .

بالبعث

بالبعث و هم لا يشعرون، أضرب عنه لقولهم الذى يخل باعتقادهم إياه فقال:
﴿بل هم فى لبس﴾ أى خلط شديد و شبهة [موجبة -[1]] التكلم بكلام
مختلط لا يعقل له معنى، بل السكوت عنه أجمل، قال على رضى الله عنه:
يا جار، أنه لملبوس عليك، اعرف بالحق تعرف أهله. و لبس الشيطان
عليهم تسويله لهم أن البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ٥
و الحكم بطريق الأولى ﴿من﴾ أجل ﴿خلق جديد ع﴾ أى الإعادة[2]. و لما
ذكر خلق الخافقين، أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيها فقال:
﴿و لقد﴾ أى [و -[1]] الحال أنا قد ﴿خلقنا﴾ بما لنا من العظمة
﴿الانسان﴾ و هو أعجب خلقا و أجمع من جميع ما مضى ذكره بما
فيـــه من الأنس و الطغيان، و الذكر و النسيان، و الجهل و العرفان، ١٠
و الطاعة و العصيان، و غير ذلك من عجيب الشأن، و وكلنا به من جنودنا
من يحفظه فيضبط حركاته و سكناته و جميع أحواله ﴿و نعلم﴾ أى و الحال
أنا نعلم بما لنا من الإحاطة ﴿ما توسوس﴾ أى تكلم على وجه الخفاء،
﴿به﴾ الآن و فيما بعد ذلك مما لم يتقدح بعد من خزائن الغيب إلى
[سر -[1]] النفس كما علمنا ما تكلم ﴿نفسه ج صلے﴾ و هى الخواطر التى تعترض ١٥
له حتى أنه هو ربما عجز عن ضبطها، فنحن نعلم أن قلوبهـــم عالمة
بقدرتنا[3] على أكمل ما زيد و بصحة القرآن و إعجازه و صدق الرسول
به صلى الله عليه و سلم و امتيازه، و إنما حملهم الحسد و النفاسة و الكبر

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: العادة (٣) من مد، و فى الأصل: بقدرتها.

و الرئاسة على الإنكار باللسان حتى صار ذلك لهم خلقا و تمادوا فيه حتى غطى على عقولهم، فصاروا فى لبس محيط [بهم - [١]] من جميع الجوانب.

و لما كان العالم بالشيء كلما كان قريبا منه كان علمه به [٢] أثبت ٥ و أمكن [٢]، قال ممثلا لعلمه و مصورا له بما نعلم أنه موجبه: ﴿ و نحن ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ اقرب اليه ﴾ قرب علم و شهود من غير مسافة ﴿من حبل الوريد﴾ لأن أبعاضه و أجزاءه تحجب بعضها بعضا، و لا يحجب علم الله شيء [٣]، و المراد به الجنس، [٤] و الوريدان عرقان [٤] كالحبلين [٥] مكتنفان لصفحتى [٥] العنق فى مقدمها متصلات من الرأس إلى الوتين و هو عرق ١٠ القلب، و هذا مثل فى فرط القرب، و إضافته مثل مسجد الجامع، و قد مضى فى [٦] تفسير سورة المائدة [٦] عند قوله "و الله يعصمك من الناس" ما ينفع هنا، قال القشيرى: و فى هذه الآية هيبة و فزع و خوف لقوم، و روح و أنس و سكون قلب لقوم [٧].

و لما كان سبحانه قد وكل بنا حفظة تحفظ أعمالنا و تضبط أقوالنا ١٥ و أحوالنا، فكان المعروف لنا أن سبب الاستحفاظ خوف الغفلة و النسيان، قدم سبحانه الإخبار بكمال علمه فأمن ذلك المحذور، علق بأقرب أو نعلم

---

(١) زيد من مد (٢-٢) فى مد: أمكن و أثبت (٣) من مد، و فى الأصل: شيئا (٤-٤) من مد، و فى الأصل: الوريدين عرقين (٥-٥) من مد، و فى الأصل: مكتنفين لصفحة (٦-٦) فى مد: سورة المائدة - و وقع بعده « من الناس » (٧) من مد، و فى الأصل: نوم.

قوله تأكيدا لما علم من إحاطة علمه من عدم حاجته، وتخويفا بما هو أقرب إلى مألوفاتنا ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ يتلق ﴾ أى بغاية الاجتهاد و المراقبة و المراعاة من كل إنسان خلقناه و أبرزناه إلى هذا الوجود ﴿ المتلقين ﴾ و ما أدراك ما هما؟ [هما - [1]] ملكان عظيمان حال كونهما / ﴿ عن اليمين ﴾ لكل إنسان [قعيد منهما - [1]] ﴿ و عن الشمال ﴾ ٥ / ٣٢ كذلك ﴿ قعيد ه ﴾ أى رصد وحبس مقاعد لذلك الإنسان بأبلغ[2] المقاعدة ونحن أقرب منهما و أعلم علما، و إنما استحفظناهما لإقامة الحجة بهما على مجارى عاداتكم و غير ذلك من الحكم .

و لما كانت الأفعال اللسانية و القلبية و البدنية ناشئة عن كلام النفس، فكان الكلام جامعا، قال مبينا لإحاطة علمه باحاطة من أقامه لحفظ ١٠ هذا الخلق الجامع فى جواب من كأنه قال: ما يفعل الملتقيان: ﴿ ما يلفظ ﴾ أى يرمى و يخرج المكلف من فيه، وعم فى النفى بقوله : ﴿ من قول ﴾ أى مما تقدم النهى عنه فى الحجرات من الغيبة و ما قبلها و غير ذلك قل أو جل[3] ﴿ الا لديه ﴾ أى الإنسان أو القول على هيئة من القدرة و العظمة هى من أغرب المستغرب ﴿ رقيب ﴾ من حفظتنا شديد ١٥ المراعاة له فى كل من أحواله ﴿ عتيد ه ﴾ أى حاضر مراقب غير غافل بوجه، روى البغوى[4] بسنده من طريق الثعلبي عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كاتب الحسنات على يمين

---

(١) زيد من مد (٢) فى مد : بليغ (٣-٣) فى مد : جل أو قل (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٩٥ .

الرجل، و كاتب السيئات على يسار الرجل، و كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح [1]أو يستغفر[1].

٥ و لما كان مثل إرسال الخافقين ثم الموت ثم النفخ بإرسال الملك في الدنيا إلى الناس لعرضهم فيصير الإنسان منهم ساعيا في التزين للملك بما يعجبه في[2] مقصود ذلك العرض في الأجل الذي ضربه لهم، فاذا جاء ذلك الوقت الذي هو كالموت أخذته الرسل فبا أواني؟ كما يفعل حال الموت بالميت، و من أحضروه منهم حبسوه على باب الملك لتكامل

١٠ المعروضين، فاذا كمل جمعهم و أمر بقيامهم للعرض [3]زعق لهم[3] المنادي بالبوق الذي يسمى النفير و هو كالصور، فلهذا قال تعالى مبينا لإحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره: فاضطرب ذلك الإنسان الموكل به في الوقت المأمور بالتردد فيه بما يرضى الله بالقول و الفعل على حسب إرادته سبحانه سواء كان موافقا للأمر أو مخالفا إلى أن آن أوان

١٥ الرحيل معبرا بالماضي تنبيها على أن الموت مع أنه لابد منه قريب جدا: ﴿ وجآءت ﴾ أي أتت و حضرت ﴿ سكرة الموت ﴾ أي حالته عند النزع و شدته و غمرته، يصير الميت بها كالسكران، لايعي و تخرج [بها - [4]] أحواله و أفعاله و أقواله عن قانون الاعتدال، مجيئا متلبسا[5]

(١-١) من مد و المعالم، و في الأصل: يستغفر الله أو يسبح (٢) من مد، و في الأصل: من (٣-٣) من مد، و في الأصل: دق (٤) زيد من مد، (٥) في مد: ملتبسا.

بالحق

﴿ بالحق[4] ﴾ أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه من بطلان الحواس و كشف الغطاء عن أحوال البرزخ من فتنة السؤال و ضيق المجال [1]أو سعة الحال[1]، و قيل للميت بلسان الحال إن لم يكن بلسان القال: ﴿ ذلك ﴾ أي هذا الأمر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجد ﴿ما﴾ أي الأمر الذي ﴿ كنت ﴾ ٥ جبلة و طبعا . و لما كانت نفرته منه و هربه من وقوعه بحفظ الصحة و دواء الأدواء في الغاية ، كان كأنه لاينفر إلا منه، فأشار الى / ذلك - ٣٢/ بتقديم الجار فقال: ﴿منه تحيد ه﴾ أي تميل و تنفر و تروع[2] و تهرب .

و لما كان التقدير: فأخذ ذلك الإنسان بالقهر من بين الأهل و الإخوان، و العشائر و الجيران، و ضم إلى عسكر الموتى و هم بالبرزخ ١٠ نزول[3]، و لانتظار بقيتهم حلول، و لم يزالوا كذلك حتى تكامل القادمون عليهم و الواصلون إليهم، عطف عليه قوله مبنيا لاحاطة من عالم الملكوت و العز و الجبروت: ﴿ و نفخ ﴾ أي بأدنى إشارة و أيسر أمر ﴿ في الصور[4] ﴾ و هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام الموت [العام -[4]] و البعث العام عند التكامل، و انقطاع أوان التعامل، ١٥ و هو بحيث لا يعلم قدر عظمه و اتساعه إلا الله تعالى، و هو عليه الصلاة و السلام التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه و سلم و حنى جبهته و أصغى سمعه ينتظر متى يؤمر، فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و في الأصل : تزيع (٣) من مد ، و في الأصل : نزد - كذا (٤) زيد من مد .

و أنسانا لها، و آمننا منها، و المراد بهذه[1] نفخة البعث .

و لما كان ذلك الأثر عن النفخ هو سر الوجود، و أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الوقت الكبير العظيم الأهوال و الزلازل[2] و الأوجال ﴿ يوم الوعيد ﴾ أى الذى يقع فيه ما وقع الإيعاد به .

٥ و لما كان التقدير: فكان من تلك النفخة صيحة هائلة و رجة شاملة[3]، فقام الناس عامة من قبورهم، و حصل ما فى صدورهم، عطف عليه قوله بيانا لإحاطة العرض: ﴿ و جآءت كل نفس ﴾ [أى -[4]] مكلفة [كائنا -[5]] ﴿ معها سآئق ﴾ يسوقها إلى ما هى كارهة للغاية لعلمها بما قدمت من النقائص ﴿ و شهيد ﴾ يشهد عليها بما عملت ،

١٠ و الظاهر من هذا أن السائق لا تعلق [له -[4]] بالشهادة أصلا، لئلا تقول تلك النفس: إنه خصم، و الخصم لا تقبل شهادته، و يقال حينئذ للفرط فى الأعمال فى أسلوب التأكيد جريا على ما كان يستحقه إنكاره فى الدنيا، و تنبيها على أنه لعظمه مما يحق تأكيده: ﴿ لقد كنت ﴾ أى كونا كأنه جبلة لك ﴿ فى غفلة ﴾ أى عظيمة محيطة بك ناشئة لك ﴿ من هذا ﴾

١٥ أى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الأسباب، و الجزاء بالثواب أو[6] العقاب لأنه على شدة جلائه خفى على من اتبع الشهوات ﴿ فكشفنا ﴾ بعظمتنا بالموت ثم بالبعث[7] ﴿ عنك غطآءك ﴾ الذى كان

---

(١) من مد، و فى الأصل: هذه (٢) من مد، و فى الأصل: الزلزال .
(٣) من مد، و فى الأصل: شامل (٤) زيد من مد (٥) ليس فى الأصل .
(٦) فى مد «و» (٧) فى مد: البعث .

 يحجبك

يحجبك عن رؤيته من الغفلة بالآمال [١]فى الجاه[١] و الأموال و سائر الحظوظ و الشهوات، تحقيقا لما له سبحانه من الإحاطة بالتقدير و التعجيز، و عن الواسطى: من كشف عنه غطاء الغفلة أبصر الأشياء كلها فى أسر القدرة و انكشف له حقائق الأشياء بأسرها، و هذا عبارة عن العلم بأحوال القيامة. ٥

و لما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام، عبر عنه بقوله: ﴿ فبصرك اليوم ﴾ أى / بعد البعث ﴿ حديد ﴾ أى فى غاية الحدة و النفوذ، فلذا تقر بما كنت تنكر. /٣٤

و لما أخبر تعالى بما تقوله له الملائكة أو من أراد الله من جنوده، و كان قد أخبر أن معبوداتهم من الأصنام و الشياطين و غيرها تكون عليهم ١٠ يوم القيامة ضدا، أخبر بما يقول القرين من السائق و الشهيد و الشيطان الذى تقدم حديثه فى الزخرف، فقال [عاطفا - [٢]] على القول المقدر قبل "لقد" معبرا بصيغة المضى تأكيدا لمضمونه و تحقيقا: ﴿ و قال قرينه ﴾ أى الشيطان الذى سلط على إغوائه [٣]و استدراجه[٣] إلى ما يريد - نقله الكرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما [٤] ﴿ هذا ﴾ أى الإنسان ١٥ الذى قرنتنى به . و لما كان الأمر فى كل من الطائع و العاصى فى غاية العجب، لأن الطائع ينابذ هواه فيكون ملكيا مجردا من حظوظه و نوازع نفوسه و ما بنيت عليه من النقائص و الشهوات، [و العاصى - [٢]] طوع

(١-١) من مد، و فى الأصل: بالجاه (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: باستدراجه (٤) و المشهور عنه أنه الملك - راجع اللباب ٦/١٩٦ .

يدى الشيطان، يصرفه فى اغراضه كيف يشاء، فيطيعه بغاية الشهوة مع علمه بعداوته، و أن طاعته لا تكون إلا بمخالفة أمر الله الولى الودود، و كان العاصى أكثر كثرة يكون الطائع فيها بالنسبة إليه كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود، و كان ذلك منابذا للعقل، أشار إلى هذه ٥ المنابذة بأداة من لا يعقل و إلى جميع ما فى أمره من العجب بلدى فقال: ﴿ ما لدىّ ﴾ أى [الأمر - [1]] الذى عندى من الأمر المستغرب جدا لكون المطيع عصانى، و هو مطبوع على النقائص و الحظوظ التى[2] يرى [أنها - [1]] حياته و لذته و راحته، و العاصى أطاعنى و هو يعلم[3] بعقله أنى شر محض، و ترك الخير المحض و هو عالم بأن فى ذلك هلاكه ١٠ ﴿ عتيد ﴾ أى حاضر مهيأ لما يراد منه.

و لما كانت العادة جارية بأن من أحضر إليه شيء تبادر إلى أمره بقول أو فعل، وصل بذلك ما هو نتيجته، و بدأ بالعاصى لأن المقام له، فقال ما يدل على أنه لا وزن له، فلا وقفة فى عذابه بحسابه و لا غيره، مؤكدا خطابا للمؤكد بالإلقاء أو خطابا للسائق و الشهيد، أو السائق وحده ١٥ مثنيا لضميره تثنية للامر كأنه قال: ألق ألق - تأكيدا له و تهويلا: ﴿ ألقيا ﴾ أى اطرحا دفعا من غير شفقة، و قيل: بل هو تثنية و أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبه، ألا ترى أن الشعراء أكثر شيء قيلا: يا صاحبيّ يا خليليّ، و السر فيه إذا كان المخاطب[4] واحدا إفهامه أنه يراد منه الفعل بجد عظيم تكون قوته

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: الذى (٣) سقط من مد.
(٤) من مد، و فى الأصل: الخطاب.

فيه معادلة لقوة اثنين ﴿ في جهنم ﴾ أي النار التي تلقى الملقى[1] فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر و العبوسة و التكره و التعصب. و لما كان المقصود تعليل إلقائه بوصف يعم غيره ليكون لطفا لمن أراد الله عصمته ممن[2] سمع هذا المقال و حجة على من أراد الله[3] إهانته : ﴿ كل كفار عنيد[4] ﴾ أي مبالغ /في ستر الحق[5] و المعاداة لأهله[6] من غير[6] حجة حية و أنفة ٥ ‏/ ٣٥

نظرا إلى استحسان ما عنده و الثبات عليه تجبرا و تكبرا على ما عند غيره ازدراء له كائنا من[7] كان ﴿ مناع[8] ﴾ أي كثير المنع ﴿ للخير ﴾ من المال و غيره من كل معروف يتعلق بالمال و القال و الفعال ﴿ معتد ﴾ متجاوز للحدود ﴿ مريب ﴾ أي داخل في الريب و هو الشك و التهمة في أمر الدين، و موقع غيره فيه ، ثم أبدل من " كل " قوله بيانا لمبالغته في ١٠ الكفر الذي أوجب له كل شر ﴿ الذي جعل ﴾ كفرا مضاعفا و عنادا و منعا للخير الذي يجب عليه في قلبه و لسانه و بدنه ، و تجاوزا للحدود دخولا في الشك و إدخالا لغيره فيه ﴿ مع الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بجميع صفات الكمال، فليس أمره خفيا عن كل ذي عقل ﴿ الها ﴾ .

و لما كان ربما تعنت متعنت فنزّل الآية على من يدعو الله بغير هذا ١٥ الاسم الأعظم ، صرح بالمراد بقوله : ﴿ اخر ﴾ و زاد الكلام أنه[9] مأخوذ

---

(١) من مد ، و في الأصل الملتقى (٢) من مد ، و في الأصل : لمن (٣) سقط من مد (٤) و قع في الأصل بعد « كائنا من كان » و الترتيب من مد (٥) من مد ، و في الأصل : العقل (٦-٦) في مد : بغير (٧) من مد ، و في الأصل : ماء. (٨) و قع في الأصل بعد «المنع» و الترتيب من مد (٩) من مد ، و في الأصل: كانه.

من التأخر الناظر إلى الردامة و السقوط عن [عين - ١] الاعتبار بالكلية .

و لما كان هذا قد جحد الحق الواجب لله لذاته مع قطع النظر عن كل شيء [٢]ثم ما[٢] يجب له من [جهة - ١] ربوبيته و إنعامه على كل موجود ، ثم من جهة إدامة إحسانه مع المعصية بالحلم ، و عاند فى
٥ ذلك و فى إثباته للغير ما لا يصح[٣] له بوجه من الوجوه ، سبب عن وصفه قوله : ﴿ فالقيه فى العذاب ﴾ [أى - ١] الذى يزيل [كل - ١] عذوبة ﴿ الشديد ه ﴾ .

و لما كان القرين قد قال ما تقدم مريدا به - جهلا منه - الخلاص من العذاب باظهار أنه ليس بأوصاف هذه النفس ، بل من كبار المؤمنين ،
١٠ فأجيب مقاله بالقاء تلك النفس معللا للأمر بالقائها بما شمل هذا القرين ، فتشوف السامع إلى ما يكون من حاله ، و كانت العادة جارية أن من تكلم فى شخص بما فيه مثله و لا سيما إن كان هو السبب فيه أو كان قد تكلم ذلك الشخص فيه ، فكان قياس ذلك يقتضى و لا بد أن تقول تلك النفس القول فيها ، و هذا عند الأمر بالقائها : ربنا هو أطغانى ، أجاب
١٥ تعالى عن هذا التشوف بقوله : ﴿ قال قرينه ﴾ مناديا باسقاط الأداة دأب أهل القرب إيهاما أنه منهم : ﴿ ربنا ﴾ أيها المحسن [إلينا - ١] أيتها[٤] الخلائق كلهم ﴿ مآ اطغيته ﴾ أى ما اوقعته فيما كان فيه من الطغيان ، فانه لا سلطان لى عليه و أنت أعلم بذلك ﴿ و لكن كان ﴾ بجبلته و طبعه

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) من مد ، و فى الأصل: لا يصلح (٤) فى مد : اينها .

﴿في ضلل بعيد ﴾ محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه ، فلذلك كان يبادر إلى كل ما يغضب الله ، و إن حركته إليه ان[1] فانه لا يحتاج إلى أدنى تحريك فيثور له ثورة من هو مجبول مركوز في طباعه .

و لما كان كأنه قيل : بم يجاب عن هذا ؟ و هل يقبل منه ؟ قيل : لا ﴿ قال ﴾ أي الملك المحيط علما و قدرة الذي حكم عليهم في الأزل : ٥ ﴿ لا تختصموا ﴾ أي لا توقعوا الخصومة بهذا الجد و الاجتهاد ﴿ لدىّ ﴾ أي في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي / فوق ما كنتم تدركونه من /٣٦ الأخبار عنها بكثير ، و أعجب بما يدرك حق الإدراك ، فقد أتم انكشاف ما كان يستغربه الخاصة بل خاصة الخاصة ، فمات بانكشافها نفع إيمان جديد ﴿ و قد ﴾ أي و الحال أنه قد ﴿ قدمت ﴾ أي تقدمت ، ١٠ أي أمرت و أوصيت قبل هذا الوقت موصلا و منهيا ﴿ اليكم ﴾ أي كل ما ينبغي تقديمه حتى لم يبق لبس و لا تركت لأحد حجة بوجه ، و جعلت ذلك رفقا بكم ملتبسا[2] ﴿ بالوعيد ﴾ أي التهديد و هو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفران و العدوان في الوقت الذي كانت فيه [هذه -[3]] الحضرة التي هي غيب الغيب و مستورة بستائر الكبرياء ١٥ و العظمة ، بل كان ما دونها من الغيب مستورا ، فكان الإيمان به نافعا .

و لما كانت الأوقات كلها عنده سبحانه حاضرة ، عبر سبحانه في تعليل ذلك بـ « ما » التي هي للحاضر دون " لا " التي للمستقبل فقال : ﴿ ما يبدل ﴾ أي يغير من مغير [ما كان من -[3]] كان بوجه من الوجوه بحيث يجعل

---

(١) ليس و اضحا في الأصل و مد (٢) من مد ، و في الأصل : مكتسبا (٣) زيد من مد .

له بدل فيكون فيه خلف ﴿ القول لدىّ ﴾ أى الواصل إليكم من حضرتى التى لا يحاط بأمر[1] غرابتها بأن من أشرك بى لا أغفر له و أغفر ما دون ذلك لمن أشاء ، و العفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لأن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد ، و أنه مشروط بشرائط ﴿ و مآ انا ﴾
٥ و أكد النفى فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ لا القرين و لا من أطغاه و لا غيرهم ، فأعذب من لا يستحق أو[2] أعفو عمن قلت : إنى لا أغفر له و أمرت جندى فعادوه فىّ . و لو عفوت عنه كنت مع تبديل القول قد سوّيتهم بإكرام من عادوه فىّ ليس إلا .

و لما كان هذا التقاول مما يهول امره و يقلع القلوب ذكره ، صور وقته
١٠ بصورة تزيد فى ذلك الهول ، و ينقطع دون وصفها القول ، و لا يطمع فى الخلاص منها بقوة و لا حول ، فقال ما معناه : [يكون ـ[3]] هذا كله ﴿ يوم ﴾ و لما كان المقصود الإعلام بأن النار كبيرة مع ضيقها ، فهى تسع من الخلائق ما لا يقع[4] تحت حصر ، و أنها مع كراهتها لمن يصلاها و تجهمها لهم تحب تهافتهم فيها و جلبهم[5] إليها عبر عنه على طريق الكناية
١٥ بقوله : ﴿ نقول ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى [لا ـ[3]] يسوغ لشىء[6] أن يخفى عنها ﴿ لجهنم ﴾ دار العذاب مع الكراهة و العبوسة و التجهم إظهارا للهول بتصوير الأمر المهدد به ، و تقريع الكفار ، و تنبيه من يسمع

---

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد ، وفى الأصل : « و » (٣) زيد من مد (٤) فى مد : يدخل (٥) من مد ، و فى الأصل : حبلهم (٦) من مد ، و فى الأصل : منها .

هذا

هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة : ﴿ هل امتلأت ﴾ فصدق قولنا " لاملأن جهنم من الجنة و الناس اجمعين " و ذلك بعد أن يلقى فيها من الخلائق ما لا يحيط به الوصف، فتقول : لا ، ﴿و تقول﴾ طاعة لله و محبة فى عذاب أعدائه و إخبارا بأنها لم تمتلئ لأن النار من شأنها أنها كلما زيدت حطبا زادت لهبا : ﴿هل من مزيده﴾ أى زيادة أو شيء من العصاة / ازادة، ٥ /٣٧ سواء [١] كان كثيرا أو قليلا [١] ، فانى أسع مايؤتى به إلىّ و لا تزال كذلك كما ورد فى الحديث« لا تزال جهنم يلقى فيها و تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه » أى يضربها من جبروته بسوط إهانة فينزوى بعضها إلى بعض و تقول: قط قط و عزتك ، ثم يستمرون بين دولتى الحر و الزمهرير، و قد جعل الله سبحانه لذلك آية فى هذه الدار باختلاف الزمان فى الحر ١٠ و البرد ، فاذا أفرط الحر جاءت رحمته [تعالى بالبرد و بالماء من السماء فامتزجا معا فكان التوسط ، و إذا أفرط البرد جاءت رحمته - [٢]] بالحر بواسطة الشمس، فامتزج الموجودان ، فكان له توسط، وكل ذلك [له - [٣]] دوائر موزونة بأقساط مقسطة معلومة بتقدير العزيز العليم - ذكر ذلك ابن برجان.

و لما ذكر النار و قدمها لأن المقام للانذار ، أتبعها دار الأبرار ، ١٥ فقال سارا لهم باسقاط [٣] مؤنة السير و طىّ شقة البعد : ﴿و ازلفت﴾ أى قربت بأيسر أمر مع الدرجات و الحياض الممتلئة ﴿ الجنة للتقين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ، فاذا رأوها تسابقوا إليها و تركوا ما كانوا فيه من

(١-١) من مد ، و فى الأصل : قليلا أم كثيرا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : بالاسقاط .

الموقف من منابر النور و كثبان المسك و نحو هذا ، و أما غيرهم من أهل الإيمان فقد يكون لهم على غير هذا الوصف ، فيساق إليها الذين اتقوا كما مضى فى الزمر. و لما كان القرب أمرا نسبيا أكده بقوله : ﴿غير بعيد ه﴾ أى إزلافا لا يصح وصفه ببعد .

٥ و لما كان التقريب قد لا يدرى الناظر ما سببه ، قال سارا لهم : ﴿هذا﴾ أى الإزلاف و الذى ترونه من كل ما يسركم ﴿ما﴾ أى الأمر الذى ﴿توعدون﴾ أى وقع الوعد لكم به فى الدنيا ، و عبر بالمضارع حكاية للحال الماضية ، و عبر عن الإزلاف بالماضى تحقيقا لأمره و تصويرا لحضوره الآن ليكون المضارع من الوعد فى أحكم مواضعه ، و أبهم الأمر لأنه أكثر تشويقا ، ١٠ و التعيين بعد الإبهام ألذ ، فلذلك قال بيانا للمتقين ، معيدا للجار[1] لما وقع بينه و بين المبدل منه من الجملة الاعتراضية جوابا لمن كأنه قال : لمن هذا الوعد ؟ فقال تعالى : ﴿لكل اواب﴾ أى رجاع إلى الاستقامة بتقوى القلب إن حصل فى ظاهره عوج ، فنبه بذلك على أنه من فضله لم يشترط فى صحة وصفه بالتقوى دوام الاستقامة ﴿حفيظ ج﴾ أى مبالغ فى حفظ ١٥ الحدود و سائر العهود بدوام الاستقامة و الرجوع بعد الزلة ، ثم أبدل من "كل" [تتميا - [2]] لبيان المتقين قوله : ﴿من خشى﴾ ولم يعد الجار لأنه لا اعتراض قبله كالاول ، و نبه على كثرة [خشيته - [2]] بقوله : ﴿الرحمن﴾ لأنه إذا خاف مع استحضار الرحمة العامة للطيع و العاصى كان خوفه مع استحضار غيرها اولى ، و قال القشيرى : التعبير بذلك

---

(١) من مد ، و فى الاصل : مجازا (٢) زيد من مد .

للاشارة إلى أنها خشية تكون مقرونة بالأنس يعني الرجاء كما هو المشروع، قال : و لذلك[1] لم يقل "الجبار" أو "القهار" قال : و يقال : الخشيه ألطف من الخوف، فكأنها قريبة من الهيبة ﴿ بالغيب ﴾ / أى مصاحبا له / ٣٨ من غير أن يطلب آية أو أمرا يصير به إلى حد المكاشفة، بل استغنى بالبراهين القاطعة[2] التى منها [أنه -[3]] مربوب، فلا بد له من رب، و هو ٥ أيضا بيان لبليغ خشيته .

و لما كان النافع من الطاعة الدائم إلى الموت، قال: ﴿ و جآء ﴾ أى بعد الموت ﴿ بقلب منيب ﴾ أى راجع إلى الله تعالى بوازع العلم، و لم يقل: بنفس، لطفا بالعصاة لأنهم و إن قصرت نفوسهم لم يكن لها صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم و صدق الندم . ١٠

و لما كان الإخبار بكونها لهم و إن كان أمرا سارا لا يقتضي دخولها فى ذلك الوقت، زاد سرورهم بالإذن بقوله معبرا بضمير الجمع بيانا لأن المراد من «من» جميع المتقين : ﴿ادخلوها﴾ أى يقال لهم: ادخلوا الجنة . و لما كان المراد استقبالهم بالإلذاذ بالبشارة قال: ﴿ بسلٰم ﴾ أى مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن أن يخاف، فأنتج ذلك قوله إنهاء ١٥ للسرور إلى غاية لا توصف: ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم جدا ﴿يوم﴾ ابتداء أو تقرير ﴿ الخلود ﴾ أى الإقامة التى لا آخر لها و لا نفاذ لشيء من لذاتها أصلا، و لذلك وصل به قوله جوابا لمن كأنه قال : على أى وجه خلودهم؟ : ﴿لهم﴾ بظواهرهم و بواطنهم ﴿ما يشآؤن﴾ أى يتجدد

(١) من مد، و فى الأصل : كذلك (٢) فى مد : القطعية (٣) زيد من مد .

مشيئتهم أو تمكن مشيئتهم [له -[1]] ﴿ فيها ﴾ أى الجنة ﴿ و لدينا ﴾ أى عندنا من الأمور التى فى غاية الغرابة عندهم و إن كان كل ما عندهم مستغربا ﴿ مزيد ه ﴾ اى مما لايدخل تحت أوهامهم يشاؤه[2] ، فان سياق الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم ، و التعبير بلدى يؤكد ذلك تأكيدا ٥ يناسبها بأن يكونوا كل لحظة فى زيادة لم يحط بها علم أخص الخواص ، فهم فى كل لحظة فى زيادة[3] على أمانيهم عكس ما كانوا فى الدنيا ، و بذلك تزداد علومهم ، فمقدورات الله لا تنحصر ، لأن معلوماته لاتنتهى .

و لما ذكر سبحانه أول السورة تكذيبهم بالقدرة على اعترافهم بما يكذبهم فى ذلك التكذيب ، ثم سلى و هدد بتكذيب الأمم السابقة ، ١٠ و ذكر قدرته عليهم ، و أتبعه الدلالة على كمال قدرتـه إلى أن ختم بالإشارة إلى أن قدرته لا نهاية لها ، و لا تحصر بحد و لا تحصى بعد ، ردا على أهل العناد و بدعة الاتحاد فى قولهم « ليس فى الإمكان أبدع مما كان » عطف على [ما -[1]] قدرته بعد "لحق وعيد" من إهلاك تلك الأمم ما هو أعم منه بشموله جميع الزمان الماضى و أدل على ١٥ شمول القدرة ، فقال : ﴿ و كم اهلكنا ﴾ أى بما لنا من العظمة . و لما كان المراد تعميم الإهلاك فى جميع الأزمان لجميع الأمم ، نزع الجار بيانا لإحاطة القدرة فقال : ﴿ قبلهم ﴾ و زاد فى دلالة التعميم فأثبته فى قوله : ﴿ من قرن ﴾ أى جيل هم فى غاية القوة ، و زاد فى بيان القوة فقال :

(١) زيد من مد (٢) ليس واضحا فى مد (٣) من مد ، و فى الأصل : زيادتهم .

/ ﴿هم﴾ اى اولئك القرون بظواهرهم و بواطنهم ﴿اشد منهم﴾ أى من ٣٩/
قريش ﴿بطشا﴾ أى قوة و أخذا لما يريدونه بالعنف[1] و السطوة و الشدة،
و حذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى
منهم، و إثباته فى ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك[2] مع الاتصاف
بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم. و لما أخبر سبحانه بأشديتهم سبب ٥
عنه قوله: ﴿فنقبوا﴾ اى أوقعوا النقب ﴿فى البلاد﴾ بأن فتحوا فيها
الأبواب الحسية و المعنوية و خرقوا فى أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه
و بالغوا فى السير فى النقاب، و هى طرق الجبال و الطرق الضيقة فضلا عن
الواسعة و ما فى السهول، بعقولهم الواسعة و آرائهم النافذة و طباعهم القوية،
و بحثوا مع ذلك عن الأخبار، و أخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم، وكان ١٠
كل منهم نقابا فى ذلك أى علامة فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر.

و لما كان التقدير: و لم يسلموا مع كثرة تنقيبهم و شدته من إهلاكنا
بغوائل الزمان و نوازل الحدثان، توجه سؤال كل سامع على ما فى ذلك
من العجائب و الشدة و الهول و الخارف سؤال تنبيه للذاهل الغافل، وتقريع
و تبكيت للعاند الجاهل، بقوله: ﴿هل من محيص﴾ أى معدل و محيد ١٥
و مهرب و إن دق، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا.

و لما ذكر هنا من المواعظ ما أرقص[3] الجماد، فكيف بمن يدعى أنه
من رؤس النقاد، أنتج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد و عناد المعاند:

---

(١) من مد، و فى الأصل: بالقبوة - كذا (٢) من مد، و فى الأصل: هنا.
(٣) من مد، و فى الأصل: افرض.

﴿ ان فى ذلك ﴾ أى [الأمر - ١] البديع من العظات التى صرفناها هنا على ماترون من الأساليب العجيبة و الطرق الغريبة فى الإهلاك و غيره ﴿ لذكرى ﴾ أى تذكيرا عظيما جدا . و لما كان المتذكر بمصارع المهلكين [تارة - ١] بأن يكون حاضرا فيرى مصارعهم حال الإيقاع بهم أو يرى ٥ آثارهم بعد ذلك ، و تارة يخبر عنها ، قال بادئا بالرائى[٢] لأنه أجدر بالتذكير: ﴿ لمن كان ﴾ أى كونا عظيما ﴿ له قلب ﴾ هو فى غاية العظمة و النورانية إن رأى شيئا من ذلك فهو بحيث يفهم مايراه و يعتبر به ، و [من - ١] لم يكن كذلك فلا قلب له لأن قلبه لما كان غير نافع كان عدما .

و لما [٣]كان قد[٣] بدأ بالناظر لأنه أولى بالاعتبار و أقرب إلى الادكار ، ١٠ ثنى بمن نقلت إليه الأخبار فقال : ﴿ او القى ﴾ أى إلقاء عظيما بغاية إصغائه حتى كأنه يرمى بشىء ثقيل من علو إلى سفل ﴿ السمع ﴾ أى الكامل الذى قد جرده عن الشواغل من الحظوظ و غيرها إذ سمع ما غاب عنه ﴿ و هو ﴾ أى [و - ١] الحال انه فى حال إلقائه ﴿ شهيد ﴾ أى حاضر بكليته ، فهو فى غاية مايكون من تصويب الفكر و جمع الخاطر ، ١٥ فلا يغيب عنه شىء مما تلى عليه / و ألقى إليه ، فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما أنتجه من القدرة على كل شىء ، و رأى مجد القرآن فعلم أنه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول ، و قبل كل ما يخبر به ، و من سمع شيئا و لم يحضر له ذهنه فهو غائب ، فالأول لعالم بالقوة[٤] و هو المجبول

/ ٤٠

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : بالقدرة .

على الاستعداد الكامل فهو بحيث لايحتاج إلى غير التدبر[1] لما عنده من الكمال المهيئ بفهم ما يذكر به القرآن، و الثانى القاصر بما عنده من كثافة الطبع فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل[2] بكليته، و يزيل الموانع كلها، فلذلك حسن جدا موقع "أو" المقسمة و علم منه عظيم شرف القرآن فى أنه مبشر للكامل و الناقص، ليس منه مانع ٥ غير الإعراض •

و لما دل على تمام علمه و شمول قدرته بخلق الإنسان إثر ما ذكره من جميع الأكوان، ثم باعدامه لأصناف[3] الإنسان فى كل زمان، ذكر بخلق ما أكبر منه فى المقدار و الإنسان بعضه على وجه آخر، فقال عاطفا على "و لقد خلقنا الانسان" و أكده تنبيها لمنكرى البعث و تبكيتا، ١٠ و افتتحه بحرف التوقع لأن من ذكر بخلق شيء [توقع الإخبار - [4]] عما هو أكبر منه : ﴿و لقد خلقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايقدر قدرها[5] و لا يطاق حصرها ﴿ السمٰوت و الارض ﴾ على ما هما عليه من الكبر و كثرة المنافع ﴿و ما بينهما﴾ من الأمور التى لاينتظم الأمر على قاعدة الأسباب و المسببات بدونها ﴿فى ستة ايام قلے﴾ الأرض فى يومين، ومنافعها ١٥ فى يومين، و السماوات فى يومين، و لو شاء لكان ذلك فى أقل من لمح البصر، و لكنه سن لنا[6] التأنى بذلك ﴿ و ما مسنا ﴾ لأجل ما لنا من

---

(١) من مد، و فى الأصل : التدبير (٢) من مد، و فى الأصل : لايقبل .
(٣) من مد، و فى الأصل : لاتصاف (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل : قدرتها (٦) من مد، و فى الأصل : له .

العظمة ﴿ من لغوب ﴾ أى إعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا، فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه، فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى، و أنتم تشاهدون الأمر فى الكل على حد سواء من نفوذ الأمر و تمام التصرف، من اللغب[1] و هو الإعياء، و الريش اللغاب و هو الفاسد.

٥ و لما دل سبحانه على شمول العلم و إحاطة القدرة، و كشف فيهما الأمر أتم كشف، و كان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو و بشارة للولى، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاصبر على ما ﴾ أى جميع الذى ﴿ يقولون ﴾ أى الكفرة و غيرهم. [و لما ـ[2]] كانت أقوالهم لاتليق بالجناب الأقدس، أمر سبحانه بما يفيد أن ذلك بارادته

١٠ و أنه موجب لتنزيهه و كماله، لأنه قهر قائله على قوله، و لو كان الأمر بارادة ذلك القائل استقلالا لكان ذلك فى غاية البعد عنه، لأنه موجب للهلاك، فقال: ﴿ و سبح ﴾ أى أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص متلبسا[3] ﴿ بحمد ربك ﴾ أى باثبات الإحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن / إليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها تفضيلا لك على ٤١ /

١٥ جميع الخلق فى جميع ما ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ بصلاة الصبح، و ما يليق به من التسبيح غيرها ﴿ و قبل الغروب ج ﴾ بصلاة العصر و الظهر كذلك، فالعصر أصل لذلك[4] الوقت و الظهر تبع لها.

و لما ذكر ما هو أدل على الحب فى المعبود لأنه وقت الانتشار

(١) من مد، و فى الأصل: التعب (٢) زيد من مد (٣) فى مد: ملتبسا.
(٤) فى مد: فى ذلك.

إلى

إلى[1] الأمور الضرورية التى بها القوام و الرجوع لقصد الراحة الجسدية بالأكل و الشرب و اللعب و الاجتماع بعد الانتشار و الانضمام مع ما فى الوقتين من الدلالة الظاهرة على طى الخلق ثم نشرهم، أتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع و المنام فقال: ﴿و من الّيل﴾ أى فى بعض أوقاته ﴿فسبحه﴾ بصلاتى المغرب و العشاء و قيام الليل لأن الليل وقت الخلوات و هى ألذ المناجاة – و لما ذكر الفرائض التى لامندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة و غيرها، أتبعها النوافل المقيدة بها فقال: ﴿و ادبار السجود﴾ أى الذى هو أكمل فى بابه و هو صلاة الفرض بما يصلى بعدها من الرواتب و التسبيح بالقول أيضا، قال الرازى: و اعلم أن ثواب الكلمات بقدر صدورها ١٠ عن جنان المعرفة و الحكمة و أن تكون عين قلبه تدور [2]دوران لسانه[2] و يلاحظ حقائقها و معانيها، فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور فى الوهم أو يرتسم فى الخيال أو ينطبع فى الحواس أو[3] يدور فى الهواجس، و الحمد يكشف عن المنة و صنع الصنائع و أنه المتفرد بالنعم – انتهى. و معناه أن هذا الحمد هو الحقيقة. فاذا انطبقت فى الجنان قامت باللسان، ١٥ و تصورت بالأركان، و حمل على الصلاة لأنها أفضل العبادات، و هى جامعة بما فيها من الأقوال و الأفعال لوجهى الذكر: التنزيه و التحميد، و هاتان الصلاتان المصدر بهما أفضل الصلوات فهما أعظم ما وقع

---

(١) من مد، و فى الأصل: فى (٢-٢) من مد، و فى الأصل: بدوران الانسان (٣) من مد، و فى الأصل: اى.

التسبيح بالحمد ، و المعنى - و الله أعلم - أن الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين ، و أن الصلاة أعظم ترياق للنصر و إزالة الهم ، و لهذا كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

و لما سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب [و - [1]] غيره

٥ من الأذى بالإقبال على عليّ حضرته و الانتظار لنصرته ، أتبعه تعزية الإشارة فيها أظهر بما صوره يوم مصيبتهم و قربه حتى أنه يسمع في وقت نزول هذه الآية ما فيه لهم من المثلات و قوارع المصيبات ، تحذيرا لهم و بشرى لأوليائه بتمام تأييده عليهم و نصره لهم في الدنيا و الآخرة فقال : ﴿و استمع﴾ أي اسمع بتعمدك للسمع بغاية جهدك باصغاء سمعك و إقبال

١٠ قلبك بعد تسبيحك بالحمد ما يقال لهم ﴿يوم [1] يناد المناد﴾ لهم في الدنيا يوم بدر أول الأيام التي أظهر الله فيها لأوليائه مجده بالانتقام من أعدائه ،

٤٢ / / و في الآخرة يوم القيامة في صورة [2] النفخة الثانية و ما بعده .

و لما كان المراد إظهار العظمة بتصوير تمام القدرة ، و كان ذلك

١٥ يتحقق باسماع البعيد من محل المنادى كما يسمع القريب سواء ، و كان القرب ملزوما للسماع ، قال مصورا لذلك : ﴿من مكان﴾ هو صخرة بيت المقدس ﴿قريب لا﴾ أي يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب ، يكونون في البقاع سواء لا تفاوت بينهم أصلا .

و لما عظم هذا المقام بما كساه من ثوب الإجمال أبدل منه إيضاحا

---

(١) وقع في الأصل بعد : واستمع و الترتيب من مد (٢) من مد ، و في الأصل : الصورة .

و زيادة فى التعظيم قوله : ﴿ يوم يسمعون ﴾ أى الذين ينادون ﴿ الصيحة ﴾ أى صيحة أصمتهم المستنفر لهم إلى بدر فى الدنيا ، فكانت صيحة قاضية بصممهم عن جميع تصرفاتهم، و صيحة النفخة الثانية فى الصور فى الآخرة فهما نفختا حشر إلى القضاء بين المحق و المبطل ﴿ بالحقّ ﴾ أى الأمر الثابت الذى كانوا يسمونه سحرا ، و يعدونه خيالا ، فيعلمون حينئذ أن الواقع ٥ قد يطابقه ، فكان حقا فانه قد طابقه الواقع ، فكان الإخبار به صدقا .

و لما عظمه سبحانه باجمال بعد إجمال ، إشارة إلى أن ما فيه من شديد الأهوال ، يطول شرحه بالمقال ، زاده تعظيما بما أنتجه الكلام فقال : ﴿ ذلك ﴾أى اليوم العظيم الذى يظهر به الجد و يعلو بضعفاء المؤمنين الجد ﴿ يوم الخروج ه ﴾ أى الذى لاخروج أعظم منه و هو خروجهم من بيوتهم ١٠ فى الدنيا إلى مصارعهم ببدر ، و من قبورهم من الأرض التى [خلقوا -[1]] منها إلى مقامعهم فى النار .

و لما بنيت دعائم القدرة و دقت بشائر النصرة و ختم بما يصدق على البعث الذى هو الإحياء الأعظم دالا عليه بما هو مشاهد من أفعاله ، و أكده لإنكارهم البعث ، فقال : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نحن ﴾ ١٥ خاصة ﴿ نحيي و نميت ﴾ تجدد[2] ذلك شيئا بعد شيء سنة مستقره و عادة مستمرة كما تشاهدونــه ، فقد كان منا بالإحياء الأول البدأ ﴿ و الينا ﴾ خاصا بالإماتة ثم الإحياء ﴿ المصير ه ﴾ أى الصيرورة و مكانها و زمانها بأن نحيي جميع من أمتناه يوم البعث و نحشرهم إلى محل الفصل ، فنحكم

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : نجد .

بينهم و ليس المعاد باصعب من المبدأ . فمن أقر به و أنكر البعث كان معاندا أو مجنونا قطعا .

و لما تحقق بذلك أمر البعث غاية التحقق ، صور خروجهم فيه فقال معلقا بما ختم به الابتداء مما قبله زيادة في تفخيمه و تعظيمه و تبجيله:

٥ ﴿ يوم تشقق الارض ﴾ و عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له ، و حذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل و سرعته ﴿عنهم﴾ أي مجاوزة لهم بعد

٤٣ / أن كانوا في / بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء، حال كونهم ﴿ سراعا ﴾ إلى إجابة مناديها، و أشار إلى عظمه بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أي الإخراج العظيم جدا ﴿ حشر ﴾ أي جمع بكره ، و زاد

١٠ في بيان عظمة هذا الأمر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار فقال: ﴿علينا﴾ أي خاصة ﴿ يسير ﴾ فكيف يتوقف عاقل فيه فضلا عن أن ينكره، و اما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه - انتهى .

و لما أقام سبحانه الأدلة على تمام قدرته و شمول علمه و ختم بسهولته عليه و اختصاصه به، وصل تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم بتهديدهم

١٥ على تكذيبهم بالعلم الذي هو أعظم التهديد فقال : ﴿نحن﴾ أي لا غيرنا و لا هم أنفسهم ﴿ اعلم﴾ أي من كل من يتوهم فيه العلم ﴿ بما يقولون ﴾ أي في الحال و الاستقبال من التكذيب بالبعث و غيره مع إقرارهم بقدرتنا .

و لما كان التقدير: فنحن قادرون على ردهم عنه بما لنا من العلم المحيط

٢٠ و أنت لهم منذر تنذرهم وبال ذلك ، عطف عليه قوله: ﴿ ومآ انت عليهم ﴾

و لما

و لما أفاد حرف الاستعلاء القهر و الغلبة صرح به مؤكدا فى النفى فقال : ﴿ بجبار ﻗﻒ ﴾ أى متكبر قهار عات تردم قهرا عما تكره منهم من الأقوال و الأفعال، إنما أنت منذر . و لما نفى عنه الجبروت ، أثبت لهم ما أفهمه واو العطف من النذارة كما قدرته قبله ، فقال مسببا عنه معبرا بالتذكير الذى يكون عن نسيان لأن كل ما فى القرآن من وعظ إذا تأمله الإنسان ٥ وجده شاهدا فى نفسه أو فيما يعرفه من الآفاق ﴿ فذكر ﴾ أى بطريق البشارة و النذارة ﴿ بالقرآن ﴾ أى الجامع بمجده لكل خير المحيط بكل صلاح ﴿من يخاف وعيدِ ع﴾ أى يمكن خوفه ، و هو كل عاقل ، و لكنه ساقه هكذا إعلاما بأن الذى يخاف بالفعل فيكشف الحال عن إسلامه هو المقصود بالذات ، وغيره إنما يقصد لإقامة الحجة عليه لا لدده ، ١٠ و لا يؤسف عليه و لا يتأثر بتكذيبه بل يعتقد أنه عدم لا تضر عداوته و لا تنفع ولايته ، و ما آذى إلا نفسه وكل من والاه فى الدنيا و الآخرة ، و هذا هو المجد للقرآن و لمن أنزله و لمن أتى به عنه بتمام قدرة من هو صفته و شمول علمه ، فقد انعطف هذا الآخر على [ذلك -[1]] الأول أشد انعطاف ، و التفت فروعه بأصله أتم[2] التفاف ، فاعترفت به [أولو -[1]] ١٥ براعة و أهل الإنصاف [والاتصاف -[1]] بالتقدم فى كل صناعة بالسبق الذى لا يمكن لحاقه أىّ اعتراف[3] - و الله الهادى للصواب .

---

(١) زيد من مد (٢) فى مد : أى (٣) فى الأصل و مد : اعترافه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات[1]

/ مقصودها الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحا و بشرت به /٤٤٤
تلويحا، ولا سيما آخرها[2] من مصاب الدنيا و عذاب الآخرة، و اسمها
الذاريات ظاهر فى ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع القسم لشدة
٥ الارتباط كالآية الواحدة[3] و إن كان خمسا، و التعبير عن الرياح بالذاريات
أتم إشارة إلى ذلك، فان تكذيبهم بالوعيد لكونهم لا يشعرون بشيء
من أسبابه و إن كانت موجودة معهم كما أن ما يأتى من السحاب من
الرحمة و النقمة أسبابه موجودة، وهى الرياح و إن كانوا لا يرونها،
و الريح من شأنها الذرء و هو التفريق، فاذا أراد الله جمعت فكان
١٠ ما أراد، فانها تفرق الآبخرة، فاذا أراد الله سبحانه جمعها لحملها ما أوجد
فيها فأوقرها به فأجراها إجراء سهلا، فقسم منها ما أراد تارة برقا و أخرى
رعدا، يصل صليل الحديد على الحديد، أو الحجر على مثله مع لطافة
السحاب، كل ما يشاهد[4] فيه من الأسباب، و آونة مطرا شديد الانصباب،
و مرة [5]بردا و مرة ثلجا[5] يرجى و يهاب، و حينا صواعق و نيرانا لها
١٥ أى التهاب، و وقتا جواهر و مرجانا بديعة الإعجاب، فتكون مرة

---

(١) الحادية والخمسون من سورة القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ستون بالاتفاق (٢) من مد، وفى الأصل: آخره (٣) من مد، وفى الأصل: واحدة.
(٤) من مد، و فى الأصل: يشا (٥-٥) فى مد: ثلجاوبردا.

سرورا و رضوانا ، و أخرى غموما و احزانا ، و غبنا و خسرانا ، على أنهم أخيل الناس فى بعض ذلك ، يعرفون السحاب الذى يخيل المطر و الذى لا يخيله و الذى مطره دان ، و الذى لم يأن له أن يمطر - إلى غير ذلك من أشياء ذكرها أهل الأدب و حملها أهل اللغة عنهم ، و كل ذلك بتصريف الملائكة عن أمر الله ، و لذلك - و الله أعلم - سن أن يقال عند سماع[1] الرعد[2] : ٥ "سبحان الله" سبوح قدوس ، بيانا لأن المصرف الحق هو الله تعالى "رب الملئكة" أى الذين أقيموا لهذا "و الروح" الذى يحمله هذا الجسم من مطر أو نار أو غيرهما و الله الموفق ﴿ بسم الله ﴾ المحيط بصفات الكمال فهو لايخلف الميعاد ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الخلائق بنعمة الإيجاد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد . ١٠

لما[4] ختم سبحانه ق بالتذكير بالوعيد ، افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه ، فقال مناسبا [5]بين القسم[5] و المقسم عليه : ﴿ و الذريٰت ﴾ أى الرياح التى من شأنها الإطارة و الرمى و التفريق و الإذهاب ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ ذروا ۙ ﴾ أى بما تصرفها فيه الملائكة ، قال الأصبهانى : الرياح تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش ، فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ١٥ ثم تهيج[6] عن عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال ، ثم من رؤس الجبال

(١) سقط من مد (٢) زيد فى الأصل : يقال ، و لم تكن الزيادة فى مد . فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : و لما (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : للقسم (٦) زيد فى مد : فتقع .

تقع فى البر، فأما الشمال [1]فانها تمر[1] تحت عدن فتأخذ من عرف طيبها فتمر
على أرواح الصديقين، ثم تأخذ حدها من كرسى بنات نعش إلى مغرب
الشمس، و تأتى الدبور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع / سهيل، ٤٥/
و تأتى الجنوب حدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، و تأتى الصبا
٥ حدها من مطلع الشمس إلى كرسى بنات نعش، فلا تدخل هذه فى
حد هذه [و لا هذه فى حد هذه ـ[2]].

و لما كانت غايـــة الذرو التهيئة للحمل، قال مسببا و معقبا:
﴿ فالحٰملٰت[3] ﴾ أى من السحب[4] التى فرقت الريح أصلها و هو الأبخرة،
و أطارته فى الجو أى جهة العلو ثم جمعته، فانعقد سحابا فبسطه مع الالتئام
١٠ لحمله الله ما أوجد فيه من مراده من الماء و الصواعق و غيرها ﴿ وقرا لا ﴾
أى حملا ثقيلا، و قد كان قبل ذلك لايرى [5]شىء منه[5] و لا من محموله،
فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد و إن لم تروا أسبابه، و لا يغرنكم
بالله الغرور.

و لما كان الحمل إنما هو [6]الوضع فى[6] الأماكن التى يراد ضرها
١٥ أو نفعها، و كان سير الغمام بعد الحمل فى ساحة الجو و باحة الأفق من غير
ممسك يرى أدل على القدرة، و لا سيما إذا كان مع الجرى الذى يضرب
[به ـ[2]] لسرعته المثل، و كذا جرى السفن فى باحة البحر بعد ثقلها

(١ـ١) من مد، و فى الأصل: فان (٢) زيد من مد (٣) وقع فى الأصل بالهامش.
(٤) من مد، و فى الأصل: السحاب (٥ ـ ٥) من مد، و فى الأصل: منه.
شىء (٦ـ٦) من مد، و فى الأصل: المواضع.

بالوسق

بالوسق قال: ﴿ فالجريت يسراً ﴾ أى جريا ذا سهولة .

و لما كان فى غاية الدلالة على تمام القدرة بغريق محمولها فى الأراضى المجتاحة و لاسيما إن تباعدت أماكن صبه و مواطن سكبه ، و كان ذلك التفريق [هو -[1]] غاية الجرى المترتب على الحمل المترتب على الذرو ، قال مسببا معقبا مشيرا بالتفعيل إلى غرابة فصلها لقطراتها و بداعة تفريقها ٥ لرحمتها من عـــذابها[2] ، و غير ذلك من أحوال الجاريات و تصريف الساريات: ﴿ فالمقسمت ﴾ أى من السحب[3] بما تصرفها فيه الملائكة عليهم السلام ، و كذا السفن بما يصرفها الله به من الرياح اللينة أو[4] العاصفة من سلامة و عطب و سرعة و إبطاء ، و كذا غيرهما من كل أمر تصرفه الملائكة بين العباد و تقسمه . ١٠

و لما كان المحمول مختلفا كما تقدم ، قال جامعا لذلك: ﴿ امراً ﴾ أى من الرحمة أو العذاب ، قال الرازى فى اللوامع: و هذه أقسام يقسم الله بها و لايقسم بها [الخلق لأن قسم -[5]] الخلق استشهاد على صحة قولهم بمن يعلم السر كالعلانية و هو الله تعالى ، و قسم الخلائق إرادة تأكيد الخبر فى نفوسهم فيقسم[5] ببعض بدائع خلقه على وجه يوجب الاعتبار ١٥ و يدل على توحيده ، فالرياح بهبوبها و سكونها لتأليف السحاب و تذرية الطعام و اختلاف الهواء و عصوفها مرة و لينها أخرى و السحاب بنحو وقوفها مثقلات بالماء من غـــير عماد و صرفها فى وقت الغنى عنها

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : عداها (٣) من مد ، و فى الأصل : الصحاب (٤) من مد ، و فى الأصل «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد .

بما لو دامت لأهلكت، و لو انقطعت لم يقدر احد على فطرة منها، و بتفريق المطر و إلا هلك الحرث و النسل، و السفن بتسخير البحر لجريانها و تقدير الريح لها بما لو زاد لغرق، و لو ركد لأهلك، و الملائكة تقسم الأمور بأمر ربها، كل ذلك دليل على وجود الصانع الحكيم، و الفاطر ٥ العليم، القادر الماجد الكريم.

و لما كانوا يكذبون بالوعيد، أكد الجواب بعد التأكيد بنفس القسم فقال: ﴿ انما ﴾ [أى الذى - [1]] ﴿ توعدون ﴾ أى من الوعد / للطائع و الوعيد للعاصى، و إن لم تروا أسبابه. و لما كان ما توعدوا /٤٦ به لتحقق وقوعه و قربه كأنه موجود يخاطبهم عن نفسه، عبر عن المصدر ١٠ باسم الفاعل فقال: ﴿لصادق لا﴾ أى مطابق الإخبار [به - [1]] للواقع، و سترون مطابقته له إذا وقع، و تعلمون أن ذلك الواقع حق ثابت لا خيال لمطابقته للخبر، قال ابن برجان: و اعلم أن الله عز و جل ما أقسم بقسم إلا مطابقا معناه لمعان فى المقسم من أجله بسراج منير يهدى به الله تعالى من يشاء، و إنما يعمى عن رؤية ذلك ظواهر أشخاص المحسوسات، و يصم ١٥ عن اسماع ندائها ضوضاء المشاهدات، و لو لا ذلك لنودوا بها من مكان قريب، و قال البيضاوى: كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث.

و لما كان أجل وعيدهم ما يتعلق بالجزاء يوم القيامة و كانوا ينكرونه، قال: ﴿ و ان الدين ﴾ أى المجازاة لكل أحد بما كسب يوم

(١) زيد من مد.

البعث، و الشرع الذى أرسلت به هذا النبى الكريم ﴿لواقع ﴾ لا بد منه و إن أنكرتم ذلك، فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك، ثم نقيم الناس كلهم للحساب.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما ذكر سبحانه المواعيد الأخراوية[1] فى سورة ق و عظيم تلك الأحوال من لدن قوله "و جاءت سكرة الموت بالحق" إلى آخر السورة، أتبع[2] سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه و صدقه فقال: "و الذاريات ذروا" [إلى -] قوله " انما توعدون لصادق و ان الدين لواقع" و الدين الجزاء. أى أنهم سيجازون [3]على ما[3] كان منهم و يوفون قسط أعمالهم "فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظلمون" " انما نملى لهم ليزدادوا اثما". و لما أقسم الله على صدق وعده و وقوع الجزاء، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء و ازدرائهم فقال " يسالون ايان يوم الدين" ثم ذكر تعالى حال الفريقين و انتهاء الطريقين إلى قوله " و فى الارض ايٰت للموقنين" فوبخ تعالى من لم يعمل فكره و لا بسط نظره فيما أودع سبحانه فى العالم من العجائب، و اعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم، و كل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله " و من كل شيء خلقنا" بقوله " كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون" أى إن هذا دأبهم و عادتهم حتى كأنهم تعاهدوا عليه و ألقاه بعضهم إلى بعض فقال

---

(١) من مد، و فى الأصل: الاخوية (٢) من مد، و فى الاصل: اتبعه.
(٣-٣) من مد، و فى الأصل: لما.

تعالى " تواصوا به ام هم قوم طاغون " أى عجبا لهم فى جريهم على التكذيب [و - ¹] الفساد فى مضمار واحد، ثم قال تعالى " بل هم قوم طاغون " أى أن علة تكذيبهم [هى - ¹] التى اتحدت فاتحد معلولها، و العلة طغيانهم و إظلام قلوبهم بما سبق " و لوشئنا لأتينا كل
٥ نفس هداها " ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد ²على طريقة² تخييره عليه السلام فى أمرهم من قوله تعالى " فتول عنهم فما انت بملوم " ثم أشار تعالى بقوله " و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " إلى أن إحراز أجره / عليه السلام إنما هو فى التذكار و الدعاء إلى الله تعالى، ٤٧ /
ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة " انما يستجيب الذين يسمعون "
١٠ ثم أخبر نبيه عليه الصلاة و السلام بأن تكذيبه ³سينالهم قسط³ و نصيب مما نال غيرهم⁴ ممن ارتكب⁵ مرتكبهم، و سلك مسلكهم، فقال تعالى " و ان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحٰبهم " إلى آخر السورة - انتهى .

و لما أخبر سبحانه عن ثبات خبره⁷، أتبعه الإخبار عن وهى كلامهم، فقال مقسما عليه لمبالغتهم فى تأكيد مضامينه مع التناقض بفعله⁶ الجميل
١٥ و صنعه الجليل، إشارة إلى أنهم [لم - ¹] يتخلقوا من أخلاقه الحسنى بقول و لا فعل : ﴿ و السمآء ذات الحبك ۝ ﴾ أى الآيات المحتبكة بطرائق النجوم

---

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : عليه لطريقه (٣-٣) من مد ، وفى الأصل : شىء له قطع (٤) من مد ، و فى الأصل : غيره (٥) زيد فى الأصل و مد : من (٦) من مد . و فى الأصل : خبرهم (٧) من مد ، و فى الأصل : بفعل .

المحكمة، الحسنة الصنعة، الجيدة الرصف و الزينة، حتى كأنها منسوجة، الجميلة الصنعة الجليلة الآثار، الجامعة بين القطع و الاختلاط و الاتفاق و الاختلاف[1]، و أصل الحبك الإحكام في امتداد و اطراد - قاله الرازى في اللوامع. ﴿ انكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ لفى قول ﴾ محيط بكم فى أمر القرآن [و - [2]] الآتى به و جميع أمر دينكم و غيره مما تريدون به ٥ إبطال الدين الحق ﴿ مختلف لا ﴾ كاختلاف طرائق السماء التى لاتكاد تنتظم، و لايعرف أولها من آخرها، و اختلاف هذه الأشياء المقسم بها من أول السورة[3] و اختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع، و إن كنتم تجتهدون فى تزيينه و تقريبه للأفهام و تحسينه فانه لايكاد إذا عرضه الناقد على الفكر[4] النافذ ينضبط بضابط و لايرتبط برابط، بل تارة ١٠ تقولون: هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق بالوزن المجرد و الروى المتحد، و العذوبة و الرشاقة، و تارة تقولون: هذا سحر فيلزمكم مع الإقرار بالعجز [عنه - [2]] أنه لاحقائق [له - [2]] و الواقع[5] أنه لايتأمله ذو فهم إلا رأى حقائقه أثبت من الجبال، و تارة تقولون: أضغاث أحلام، فيلزمكم أنه لاينضبط بضابط، و لايكون له ١٥ مفهوم يحصل. و لايعجز أحد عن تلفيق مثله، فقد أبطلتم قولكم: إنه شعر و انه سحر. و تارة تقولون: إنه كهانة فيلزمكم أن تعتقدوا منه

---

(١) من مد، و فى الأصل: الاحساب - كذا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: السوال (٤) من مد، و فى الأصل: الكفر (٥) من مد، و فى الأصل: الوقائع.

ما تعتقدون فى أقوال الكهان من الإخبار بالمغيبات و إظهار الخبء و فصل الحكم، فأبطلتم و ما مضى من قولكم أضغاث أحلام و سحر و شعر، و تارة تقولون : إنه جنون ، فقد نقضتم جميع أقوالكم الماضية و ناديتم على أنفسكم بالمباهتة، تقولون فى الآتى به : إنه شاعر و ساحر و مجنون وكاهن ٥ و كاذب ، و كل قول منها ينقض الآخر ، و انتم تدعون أنكم أصدق الناس و أبعدهم عن عار الكذب ، و انكم أعقل الناس و انصفهم، فقد تباعد أولا ما بين أقوالكم ، ثم ما بينها و بين أفعالكم، فكان اختلاف[1] طرائق النجوم دالا على مانع مختار تام العلم كامل القدرة ، و كذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك ، ١٠ فيها آيتان فى الآفاق و فى أنفسكم .

/ ٤٨ / و لما كان هذا الاختلاف مما لايكاد يصدق لأنه لايقع[2] فيه عاقل، بين سببه بأنهم مغلوبون عليه بقهر يد القدرة فقال : ﴿ يوفك ﴾ اى يصرف بأيسر أمر[3] و أسهله عن سنن الاستقامة . و يقلب من وجهه لقفاه ﴿ عنه ﴾ اى يصدر صرفه عن هذا القول مجازا لما يلزمه من عاره ، ١٥ فهو لأجل ذلك يقوله ﴿ من افك‍ه ﴾ أى قلبه قلب قاهر أى تبين بهذا الصرف الذى هو أعظم الصرف انه حكم فى الأزل حكما ثابتا جامعا ، فصار لايصد عنه قول و لا فعل إلا كان[4] مقلوبا وجهه إلى قفاه

(١) من مد ، و فى الأصل : اختلاط (٢) من مد ، و فى الأصل : يقدر .
(٣) زيد فى الأصل : و أسره ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تكرر فى الأصل .

لايمكن أن يأتى منه بشىء على وجهه، فكأنه لا مأفوك سواه لشدة أفكه و عجيب أمره.

و لما كان الكذب الإخبار بما لاحقيقة له و تعمد الافتراء، وكان الخرص الكذب و الافتراء و الاختلاف و كل قول بالظن، قال معلما بما لهم على قولهم هذا: قتلوا أو قتلتم - هكذا كان الأصل و لكنه ٥
أظهر[1] الوصف الذى استحقوه بقولهم: ﴿ قتل الخراصون لا ﴾ أى حصل بأيسر امر قتل الكذابين[2] و لا محالة من كل قاتل، و المتقولين بالظن المنقطعين للكلام من أصل لايصلح للخرص و هو القطع، و هم الذين يقولون عن غير سند من كتاب أو سنة أو أثارة من علم، و هو دعاء أو[3] خبر لأنه مجاب: ﴿ الذين هم ﴾ خاصة ﴿ فى غمرة ﴾ أى أعماق ١٠
من العمى و الضلال، غارقون فى سكرهم و جهلهم الذى غمرهم، و لذلك هم مضطربون اضطراب من هو يمشى فى معظم البحر فهو لايكاد ينتظم له أمر من قول و لا فعل و لا حال ﴿ساهون لا﴾ أى عريقون فى السهو و هو النسيان و الغفلة و الحيرة و ذهاب القلب إلى غير ما يهمه، ففاعل ذلك ذو ألوان متخالفة من هول ما هو فيه و شدة كربه ١٥

و لما حكم بسهوهم، دل عليه بقوله: ﴿ يسئلون ﴾ أى حينا بعد حين على سبيل الاستمرار استهزاء بقولهم: ﴿ ايان ﴾ أىّ متى و أى حين ﴿يوم الدين ه﴾ أى وقوع الجزاء الذى يخبرنا به، و لو لا أنهم بهذه الحالة

---

(١) من مد، و ليست الكلمة واضحة فى الأصل (٢) من مد، و فى الأصل: الكذابون (٣) من مد، و فى الأصل: و.

لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يبث عبيده أو أجراءه فى عمل من الأعمال إلا و هو يحاسبهم على أعمالهم، و ينظر قطعا فى أحوالهم، و يحكم بينهم فى أقوالهم و أفعالهم فكيف يظن بأحكم الحاكمين أن يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم و أبدع لهم هذين الخافقين ٥ و هيأ لأجلهم فيها ما لاضرورة لهم فى التزود للمعاد إلى سواه فيتركهم سدى و يوجدهم عبثا.

و لما تقرر أمر القيامة بالتعبير بساهون [1] قال: ﴿ يوم ﴾ أى تقول يوم ﴿ هم على النار يفتنون ﴾ أى يرمون فيحرقون و يعذبون و يصبحون ... من الاختلاف مقولا لهم على سبيل القرع و التوبيخ: ١٠ ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ ... العقوبة من الفتنة المحيطة ... و استعجالكم ما توعدون استهزاء و تكذيبا ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ أى تطلبون عجلته .... ﴿ ان المتقين ﴾ أى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا ﴿ فى جنّت ﴾ أى بساتين عظيمة يحن داخلها ... ﴿ و عيون ﴾ .... ﴿ اخذين ... ما ﴾ أى كل شيء ﴿ اتـهم ... ربهم ﴾ أى المحسن ١٥ إليهم ... بتمام علمه و شامل قدرته و هو لايدع لهم لذة إلا اتحفهم بها فيقبلونها بغاية الرغبة لأنها فى غاية النفاسة. و لما كان هذا أمرا عظيما يذهب الوهم فى سيه كل مذهب، علله بقوله مؤكدا لنسبة الكفار لهم إلى الإساءة: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى كونا هو كالجبلة. و لما كان الإنسان

---

(١) العبارة من هنا زيدت من مد، و بما أن العبارة مطموسة فيها فلذلك لم نتأكد من النص الوارد فيها كليا فوضعنا على الكلمات المهملة نقاطا.

إما

إما أن يكون مطيعا فى مجموع عمره او فى بعضه ... على الطاعة، و كانت الطاعة تجب ما قبلها، و تكون سببا فى تبديل السيئات حسنات فضلا منه سبحانه، فكان كل من القسمين مطيعا فى جميع زمانه، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ أى فى دار العمل، و قيل: أخذوا ما فرض عليهم بغاية لقبول لأنهم كانوا قبل فرض الفرائض يعملون على المحبة و هو معنى ٥ ﴿ محسنين ﴾ اى فى معاملة الخالق و الخلائق، يعبدون الله كأنهم يرونه، ثم فسر إحسانهم معبرا عنه بما هو فى غاية المبالغة بقوله: ﴿ كانوا ﴾ أى لما عندهم من الإجلال له و الحب فيه بحيث كأنهم مطبوعون عليه، و لغاية التأكيد وقع الإسناد إليهم مرتين ﴿ قليلا من اليل ﴾ الذى هو وقت الراحات و قضاء الشهوات، و أكد المعنى باثبات « ما » فقال: ١٠ ﴿ ما يهجعون ﴾ أى يفعلون الهجوع و هو النوم الخفيف القليل، فما ظنك بما فوقه لأن الجملة تثبت هجوعهم و هو النوم للراحة، و كسر التعب و ما ينفيه[1]، و ذكر الليل لتحقق المعنى فان الهجوع النوم ليلا، فالمعنى أنهم يحيون أكثر الليل و ينامون أقله. و لما كان المحسن لايرى نفسه إلا مقصرا، قال دالا على ذلك و على أن تهجدهم يتصل بآخر الليل مؤكدا ١٥ بالإسناد مرتين أيضا: ﴿ و بالاسحار ﴾ قال ابن زيد: السحر: السدس الأخير من الليل ﴿ هم ﴾ اى دائما بظواهرهم و بواطنهم ﴿ يستغفرون ﴾ أى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين و يسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله] و أنهم لايقدرون على أن يقدروه حق قدره و إن اجتهدوا لقول سيد الخلق "لا أحصى ثناء عليك" و إبراز الضمير دال ٢٠

(١) ليس واضحا فى مد.

على أن غيرهم لو فعل هذا ليلة لأعجب بنفسه ، و رأى أنه لا أحد أفضل منه ، و على أن استغفارهم فى الكثرة يقتضى أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتذلل من المصرين على المعاصى ، فان استغفارهم ذلك على /٤٩ / بصيرة لأنهم نظروا ما له سبحانه فى الآفاق و فى أنفسهم من الآيات ٥ و الحكم البالغة التى لاتحصى فعلموا أنه اهل لأن يطاع و يخشى فاجتهدوا و تركوا الهجوع ، و أجروا الدموع ، ثم قابلوا ذلك بنمه فاذا الأعمال فى غاية التقصير فأقبلوا على الاستغفار عالمين بأنه لايمكن أن يقدر حق قدره .

و لما ذكر معاملتهم للخالق ، أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا لحقيقة الإحسان فقال : ﴿ و فى امولهم ﴾ اى كل أصنافها ﴿ حق ﴾ أى ١٠ نصيب ثابت . و لما كان السياق هنا للاحسان ، فكان إحسانهم لفرط محبتهم إلى عباد الله لايوقفهم عن الواجب بخلاف ما فى "سأل" من سياق المصلين مطلقا ترك وصفه بالمعلومية فقال[1] : ﴿ للسآئل ﴾ أى الذى ينبه على حاجته بسؤال الناس و هو المتكفف ﴿ و المحروم ٥ ﴾ و هو المتعفف الذى لايجد ما يغنيه ، و لا يسأل الناس و لا يفطن له ليتصدق عليه ، ١٥ و هذه صفة أهل الصفة رضى الله عنهم ، فالمحسنون يعرفون صاحب [هذا - [2]] الوصف لما لهم [3]من نافذ[3] البصيرة و لله بهم من العناية .

و لما دل إقسامه بالسماء و ما قبلها من الذاريات على ما له فى العلويات من الآيات إلى أن ختم بالأموال التى تنبتها الأرض ، فكان

---

(١) زيد فى الأصل : معلوم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : بعد .

التقدير : فى السماوات آيات للمؤمنين دالات[1] على عظمته و استحقاقه للعبادة بغاية الخضوع رغبا و رهبا، عطف عليه قوله : ﴿ و فى الارض ﴾ مما فيها أيضا من الاختلاف بالمعادن الكثيرة المتباينة مع اتحاد أصلها و النبات و الحيوان و الجماد والبر و البحر و غير ذلك من الأسرار الدالة على الفاعل المختار ﴿ ايٰت ﴾ أى دلالات عظيمات هى مع وضوحها بعد ٥ التأمل خفيات ﴿ للوقنين لا ﴾ الذين صار الإيقان[2] لهم غريزة ثابتة ، فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها مع ما يلابسهم منها من الأسباب فيشغلهم و لا يرون أكثر أسباب ما فيها من الآيات فأداهم ذلك إلى الإيقان بما نبهت[3] عليه الرسل مما لاتستقل به العقول من البحث[4] و غيره ، قال القشيرى : من الآيات فيها أنها تحمل كل شىء ، فكذلك العارف يحمل ١٠ كل أحد و من استثقل أحدا أو تبرم برؤيته أحدا فلغيبته عن الحقيقة و مطالعة الخلق بعين التفرقة . و أهل الحقائق لايتصفون بهذه الصفة ، و من الآيات فيها أنه يلقى عليها كل قذارة و قمامه فتنبت كل زهر و نور و كذلك العارف يتشرب ما يلقى من الجفاء و لا يترشح إلا بكل خلق علىّ و شيمة زكية . ١٥

و لما اشار إلى ايات الآفاق ، أتبعها آيات الأنفس فقال : ﴿ و فىٓ انفسكم ط ﴾ اى من الآيات التى شاركتم بها الجماد ، ثم فارقتموه بالنمو ثم بالحس ثم فارقتم الحيوان الخسيس بالعقل الموصل إلى بدائع

---

(١) من مد ، و فى الأصل : دلت (٢) من مد ، و فى الأصل : الايمان (٣) من مد ، و فى الأصل : ثبتت (٤) من مد ، و فى الأصل : البعض .

العلوم و دقائق الفهوم . و لما كانت اظهر الآيات، سبب عن التنبيه
/٥٠ عليها الإنكار عليهم في ترك الاعتبار / بها فقال : ﴿افلا تبصرون ه﴾ أي
بأبصاركم و بصائركم فتأملوا ما في ذلك من الآيات و تفكروا هل ترون
أسباب أكثرها، فان كل هذه آيات دالة على قدرة الصانع على كل ما
٥ يريد و اختياره، و أنه ما خلق هذا الخلق سدى، فلابد أن يجمعهم إليه
للعرض عليه، فالموقنون لا يزالون ينظرون في أمثال هذا بعيون باصرة
و أفهام نافذة، فكلما رأوا آية اعتبروا بها، فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم، و إيقانا
مع إيقانهم، و أول نظرهم فيما أودعوا من الآيات الحاجة، فمن تأملها
علم أنه عبد، و متى علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج، و من أبصر
١٠ ذلك أبصر جميع الصفات و الأسماء فنفذ فهمه في شغاف الكائنات، فارتقى
إلى أعلى الدرجات .

و لما بان بما قدمته في "المقسمات امرا" ما في جهة العلو من الأسباب
الموجبة للنعمة و العذاب، قال : ﴿و في السمآء﴾ أي جهة العلو ﴿رزقكم﴾
بما يأتي من المطر و الرياح و الحر و البرد و غير ذلك مما رتبه سبحانه
١٥ لمنافع العباد ﴿و ما توعدون ه﴾ و جميع ما أتتكم به الرسل من الوعد و الوعيد
[1]و الصعقة و الزلزال[1] و غير ذلك من الأهوال و موجبات النكال، و كذا
الرحمة و الخير و النعمة و كل ما يتعلق به الآمال، فكما أنكم تصدقون بذلك
و أنتم لاترونه فكذلك صدقوا بالجنة و النار و إن لم تروها، فانه لا فرق
بين ماء ينزله[2] الله فيكون منه رياض و جنات و شوك و أدواء

(١-١) في مد : من الصواعق و الزلازل (٢) من مد، و في الأصل : ينزل .

و مرارات

[و - [1]] مرارات، و سموم و [2]عقارب و حيات [2]، وحشاش و سباع وحشرات، و بين ماء يعيد به الأموات، ثم يحشرهم إلى جنان و نيران، فكما أنه لا مرية فى إظهار هذا الغيب [فكذلك لا لبس فى إظهار ذلك الغيب - [1]]، و من المعنى أيضا أنك لا تشتغل برزق فانه فى السماء، و لا سبيل لك إلى العروج إليها، و اشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففى السماء ٥ الرزق و إليها يرفع العمل، فان أردت أن ينزل إليك رزقك فاصعد إليها الصالح من عملك، و لهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق " و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك ".

و لما أقسم بما له من المقدورات لمن وقف مع المحسوسات المشهورات، فترقوا بذلك إلى أعلى الدرجات، و انكشف ما له من ١٠ الكمال انكشافا تاما، و علم أن فى خزائنه سبحانه كل ما أخبرت عنه به الرسل من وعد و وعيد، سبب عنه قوله مقسما بنفسه الأقدس لكن بصفة مألوفة فقال: ﴿فو رب﴾ أى مبدع و مدبر ﴿السمآء و الارض﴾ بما أودع فيهما مما علمتموه و ما [3] لم تعلموه ﴿انه﴾ أى الذى توعدينه من الخير و الشر و الجنة و النار و تقدم الإقسام عليه أنـــه صادق ١٥ ﴿لحق﴾ أى ثابت يطابقه الواقع فقد جمع الحق مع [4] الصدق ﴿مثل مآ انكم﴾ أى و أنتم مساوون لبقية ما فى الأرض من الجمادات و غيرها ﴿تنطقون [4]﴾ نطقا مجددا فى كل وقت مستمرا، ليس [5] هو بخيال و لا سحر، / [6]أى أن [6] ٥١/أ

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل: حيات و عقارب (٣) من مد و فى الأصل: مما (٤) ليس فى الأصل (٥) فى مد: ما (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل.

ذلك لحق مثل ما ان هذا حق، فالذى جعل لكم قوة النطق من بين
ما فى الأرض بأسباب لاترونها و لا تحصونها، و مع ما عداكم من[1] ذلك
بأسباب [مثل ذلك - [2]] قادر على الإتيان بوعده من الرزق و غيره
ما دمتم تحتاجون إلى ذلك بما جعل فيكم من الحياة التى يصح بها العلم
٥ الناشئ عنه النطق المحوج إلى الرزق من أى جهة أرادوا، و إن لم تروا
أسبابه كما أنه لو أراد لأنطق جميع من فى السماوات و الأرض من
الجمادات بما يقيمه لها من الأسباب التى أقامها لكم و إن لم تروا ذلك.

و لما بين بما مضى من القسم و ما أتبعه من أنه أودع فى السماوات
و الأرض و ما بينهما أسبابا صالحة للاتيان بما وعدناه من الخير، و ما
١٠ توعدنا به من الشر و إن كنا لم نرها و هو قادر مختار، فصار ذلك
كالمشاهد، و لا وجه للتكذيب بوعد و لا وعيد، دل عليه و صوره بما
شوهد من أحوال الأمم و بدأ - لأن السياق للحسنين - برأس المحسنين
من اهل هذه الأنباء الذى أخبرته الملائكة عليهم السلام بما سيه معه
و إن كان على غير العادة. فتعجبت[3] زوجته من ذلك مع كونها أعلى نساء
١٥ ذلك الزمان. و أتبع قصته قصة لوط ابن أخيه عليهما السلام لاتصال
ما بين قصتيهما فى الزمان، و لمناسبة عذابهم لما أقسم به فى أول السورة،
فانه سبحانه امر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم و حملتها[4] كما تحمل السحاب
ثم كبتهم فرجمتهم، و الأرض فخسفت بهم، و الملائكة الموكلة بمثل ذلك،

(١) من مد، و فى الأصل: مثل (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: فتعجب (٤) من مد، و فى الأصل: حملتهم.

فعلوا جميع ما امروا به و راوهم فى قريتهم و قصدوهم[1] بالمكر لأنهم خفى عليهم أمرهم، و أتوا الخليل عليه السلام و هو أعلى ذلك الزمان و هم فى ذلك و لم يعلم اول الامر بشيء من حالهم و لا ظنهم إلا آدميين، فقال مفخما لأمر القصة بتخصيص الخطاب لأعلى الخلق و أنفذهم فهما إشارة إلى أنه لايفهم هذا حق فهمه سواه [2]على طريق الاستفهام على عادة ٥ العرب فى الإعلام بالأمور الماضية[2] و إن كان المخبر عالما بأن المخاطب لاعلم له بذلك لأن المقصود ليس إلا التنبيه على أن ذلك الأمر مما ينبغى الاهتمام به و البحث فيه ليعرف ما فيه . من الأمور الجليلة ؛ قال أبو حيان[3]: تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرأ إذا أردت أن تحدثه بعجيب فتقرره : هل سمعت ذلك أم لا ؟ فكأنك تقتضى بأن يقول : لا، و يستطعمك ١٠ [الحديث -[4]] - انتهى . ﴿هل اتىك﴾ يا أكمل الخلق ﴿حديث ضيف﴾ عبر عنهم بلفظ الواحد إشارة إلى اتحاد كلمتهم ﴿ ابرٰهيم ﴾ و هو خليلنا، و دل على أنه لم يعرف شيئا مما أتوا به دالا على أنهم جمع ﴿المكرمين﴾ أى الذين هم أهل الكرامة، و أكرمهم إبراهيم عليه السلام بقوله و فعله، ففى حديثه ذلك آية بينة على ما بين فى هـــذه السورة من قدرة الله ١٥ تعالى وصدق وعده و وعيده، مع ما فيه من التسلية لك و لمن تبعك، و البشارة باكرام المصدق و إهانة المكذب، قال القشيرى : و قيل : كان عددهم اثنى عشر ملكا، و قيل : جبريل عليه / السلام، و كان معه تسعة، /٥٢

(١) من مد، و فى الأصل : صدوهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد .
(٣) فى البحر المحيط ٨ / ١٣٨ (٤) زيد من البحر .

و قيل: [كانوا -[1]] ثلاثة[2]: ﴿اذ﴾ أى حديثهم حين ﴿دخلوا عليه﴾ أى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف ﴿فقالوا سلٰما[4]﴾ أى نحدث، ثم استأنف الإخبار عن جوابه بقوله: ﴿قال﴾ أى بلسانه: ﴿سلٰم ج﴾ أى ثابت دائم، فهو أحسن من تحيتهم.

٥ و لما كان ما ذكر من دخولهم و سلامهم غير مستغرب عند المخاطبين بهذا، و كانت القصة قد ابتدئت بما دل على غرابة ما يقص منها[3]، تشوف السامع إلى ما كان بعد هذا فأجيب بقوله: ﴿قوم﴾ أى ذوو قوة على ما يحاولونه و يقومون فيه ﴿منكرون ج﴾ أى حالهم لإلباسه أهل لأن ينكره المنكر، و قدم هذا على موضعه الذى كان أليق به فيما يظهر

١٠ بادى الرأى، و إيضاحا لأن السياق لخفاء[4] الأسباب على الآدمى و بعدها و إن كانت فى غاية الظهور و القرب و لو أنه فى غاية العلو [5]فان إنكاره[5] لهم كان متأخرا عن إحضار الأكل لكونهم لم يأكلوا، و هذا القول كان فى نفسه و لم يواجههم به.

و لما أشار إلى انه حين إنكاره لهم لم يعرف من أى نوع هم

١٥ و لا خصوص ما هم فيه، رتب على رده لسلامهم[6] أنه أسرع غاية الإسراع فى إحضار ما ينبغى للضيف على ظن أنهم آدميون فقال: ﴿فراغ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) راجع المعالم - سورة هود (٣) من مد، و فى الأصل: منه (٤) من مد، و فى الأصل: لخف - كذا (٥-٥) من مد، و فى الأصل: فانكاره (٦) من مد، و فى الأصل: لسلامه.

أى

أى ذهب فى [١] خفية و خفة [١] و مواضع سترة عن أعينهم كما هو من آداب الضيافة خوفا من أن يمنعوه أو يكدر عليهم الانتظار: ﴿ الى اهله ﴾ [اى – [٢]] الذين عندهم بقرة ﴿ فجآء بعجل ﴾ أى فتى من أولاد البقر ﴿ سمين ﴾ قد شواه و أنضجه ﴿ فقربه اليهم ﴾ و لما أخبر بما ينبغى [الإخبار به – [٣]] من أمر الضيافة إلا الأكل [٣]، كان من ٥
المعلوم أن التقدير: فكان كأنه قيل: فما ذا قال لهم حين لم يأكلوا؟ قيل: ﴿ قال ﴾ [أى – [٢]] متأدبا غاية التأدب [٤] ملوحا بالإنكار: ﴿ الا تاكلون ﴾ أى منه.

و لما كان كأنه قيل: فلم يأكلوا، سبب عنه قوله: ﴿ فأوجس ﴾ أى أضمر إضمار الحال فى [جميع – [٢]] سره ﴿ منهم خيفة ﴾ لأجل ١٠
إنكاره عدم أكلهم فانه لما رأى إعراضهم [٥] عن الطعام ذهب وهمه فى سبب إتيانهم إليه كل مذهب ﴿ قالوا ﴾ مؤنسين له: ﴿ لا تخف ﴾ وأعلموه بأنهم رسل الله ﴿ و بشروه بغلم ﴾ على شيخوخته و يأس امرأته بالطعن فى السن بعد عقمها، و هو إسحاق عليه السلام. و لما كان السياق لخفاء الأسباب كان فى الذروة وصفه بقوله: ﴿ عليم ﴾ أى مجبول جبلة مهيأة ١٥
للعلم و لا يموت حتى يظهر عليه بالفعل فى أوانه.

و لما كانا بعيدين عن قبول الولد، تسبب عن ذلك قوله، دالا

(١ – ١) فى مد: خفة و خفية (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: الاعلى (٤) من مد، و فى الأصل: الادب (٥) زيد فى مد: عن الا كل، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

على أن الولد إسحاق مع الدلالة على ان خفاء الأسباب لايؤثر فى وجود[1] المسببات : ﴿ فاقبلت ﴾ أى من[2] سماع هذا الكلام ﴿ امراته ﴾ و لما كانت قد امتلأت عجبا ، عبر بالظرف فقال : ﴿ فى صرة ﴾ أى صيحة وكرب من الصرير قد أحاط بها ، فذهب وهمها فى[3] ذلك كل مذهب ٥ ﴿ فصكت ﴾ أى ضربت بسبب تعجبها بأطراف أناملها فعل المتعجب ﴿ وجهها ﴾ لتلاشى أسباب الولد فى علمها / بسبب العادة مع معرفتها /٥٣ بأن العبرة فى الأسباب و إن كانت سليمة بالمسبب لا بها . قال البغوى[4] : و أصل الصك ضرب الشىء بالشىء العريض ﴿ و قالت ﴾ تريد أن تستبين الأمر هل الولد منها أم من غيرها : ﴿ عجوز ﴾ و مع العجز ﴿ عقيم ﴾ ١٠ فهى فى حال شبابها لم تكن تقبل الحبل ، قال القشيرى رحمه الله تعالى : قيل : إنها كانت يومئذ ابنة ثمان و تسعين سنة .

و لما كان [فى -[5]] هذا أشد تشوف إلى الجواب ، استأنف تعالى الجواب بقوله : ﴿ قالوا كذلك ﴾ أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة ﴿ قال ربك ﴾ أى المحسن إليك بتأهيلك لذلك على ما ذكرت من حالك ١٥ و بتأهيلك من قبل الاتصال بخليله صلى الله عليه و سلم . و لما كان محط تعجبها أن ذلك كان بأيام شبابها أولى ، عللوا إخبارهم تأكيدا له مؤكدين لأن قولها و فعلها فعل المنكر و إن كانت ما أرادت به إلا الاستثبات : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ العليم ﴾ الذى يضع الأشياء فى أحق مواضعها

---

(١) من مد ، و فى الأصل : الوجود (٢) من مد ، و فى الأصل : فى (٣) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٠٣ (٥) زيد من مد .

فرتب عظمة هذا المولود على كل من عقمك و عجزك ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿الحكيم ﴾ أى المحيط العلم فهو كذلك لايعجزه شيء لما تقدم من البرهان فى سورة طه أن إحاطة العلم مستلزم شمول القدرة .

و لما كان الخليل عليه السلام أعلم أهل زمانه بالأمور الإلهية ، علم أن اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التى يراهم فيها ليس لهذه البشارة ٥ فقط ، فلذلك استأنف تعالى الجواب لمن كان كأنه قال : ما كان من حاله و حالهم بعد هذا ؟ بقوله : ﴿قال﴾ أى قال مسببا عما رأى من حالهم : ﴿ [١]فما خطبكم﴾ أى خبركم العظيم ﴿ ايها المرسلون ﴾ أى لأمر عظيم ﴿ قالوا ﴾ قاطعين بالتأكيد بأن مضمون خبرهم حتم لابد منه ، و لا مدخل للشفاعة فيه : ﴿ انا ارسلنآ ﴾ أى بارسال من تعلم ﴿الى قوم مجرمين ﴾ ١٠ أى هم فى غاية القوة على ما يحاولونه و قد صرفوا ما أنعم الله به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله و وصل ما يحق قطعه ﴿لنرسل عليهم﴾ أى من السماء التى فيها ما وعد العباد به و توعدوا ﴿حجارة من طين ﴾ أى مهيأ للاحتراق و الإحراق ﴿ مسومة ﴾ أى معلمة بعلامة العذاب المخصوص . و لما [٢]كان قد[٢] رأوا اهتمامه بالعلم بخبرهم[٣] خشية من أن ١٥ يكونوا أرسلوا لعذاب أحد يعز عليه أمره ، أمنوا خوفه بوصف الإحسان فقالوا : ﴿عند ربك﴾ أى المحسن إليك بهذه البشارة و غيرها ﴿للمسرفين ﴾

(١) و من هنا يبتدئ الجزء ٢٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

[أى - [1]] المتجاوزين للحدود غير قانعين بما ابيح لهم .

و لما كان من المعلوم أن القوم يكونون تارة فى مدر و تارة فى شعر ، و علم من الآيات السالفة أن العذاب مختص بذوى الإسراف ، سبب عن ذلك مفصلا لخبرهم قوله تعالى معلما أنهم فى مدر : ﴿فأخرجنا﴾

٥ بما لنا من العظمة بعد أن ذهبت رسلنا إليهم و وقعت بينهم و بين لوط عليهم السلام محاولات معروفة لم تدع الحال هنا إلى ذكرها ، و الملائكة سبب عذابهم ، و أهل القرية المحاولون فى أمرهم لايعرفون ذلك ، و هذه العبارة إن كانت إخبارا لنا كانت خبرا عما وقع لنعتبر به ، و إن كانت لإبراهيم عليه السلام كان معناها أن الحكم الأعظم وقع باخراجهم

٥٤ / ١٠ / بشارة له بنجاتهم ﴿من كان فيها﴾ أى قراها . و لما كان القلب عماد البدن الذى [به - [1]] صلاحه أو فساده ، فكان عمله أفضل الأعمال لأنه به يكون استسلام الأعضاء أو جماحها ، بدأ به فقال : ﴿من المؤمنين ج﴾ أى المصدقين بقلوبهم لأنا لانسويهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم و ضعفهم و قوة[2] المخالفين و كثرتهم ، و سبب عن التعبس و الستر

١٥ و التعرض للظواهر و البواطن قوله : ﴿فما وجدنا﴾ أسند الأمر إليه تشريفا لرسله إعلاما بأن فعلهم فعله ﴿فيها غير بيت﴾ واحد و هو بيت لوط بن أخى إبراهيم عليه السلام ، و قيل : كان عدة الناجين منهم ثلاثة عشر . و لما كان الإسلام قد تطلق على الظاهر فقط و إن كان المراد هنا الأخص أخره فقال : ﴿من المسلمين ج﴾ أى العريقين فى الإسلام

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : قلة .

الظاهر

الظاهر و الباطن لله من غير اعتراض اصلا و هم إبراهيم و آله عليهم السلام فانهم أول من وجد منه الإسلام الأتم، و تسموا به كما مضى فى البقرة و سموا به أتباعهم، فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الإيمان الذى هو التصديق و الإسلام الذى هو الانقياد، قال البغوى[1]: وصفهم الله تعالى [2]بالإيمان و الإسلام[2] جميعا لأنه ما آمن مؤمن إلا و هو مسلم. يعنى لما ٥ بينها من التلازم و إن اختلف المفهومان، و قال الأصبهانى: [و -[3]] قيل: كان لوط و أهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر.

و[لما -[4]] و كان إبقاء آثار المهلكين أدل على قدرة من أهلكهم قال: ﴿ و تركنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيهآ ﴾ أى تلك القرى بما أوقعنا بها[5] من العذاب الذى كان مبدأه أنسب شيء بفعل الذاريات ١٠ [5]من السحاب[5] فانا قلعنا قراهم كلها و صعدت فى الجو كالغمام إلى عنان السماء و لم يشعر احد من أهلها بشيء من ذلك ثم قلبت و أتبعت الحجارة ثم خسف بها و غمرت بالماء الذى لايشبه شيأ من مياه الأرض كما أن خباثتهم[6] لم تشبه خباثة[7] أحد ممن تقدمهم من أهل الأرض ﴿ ءاية ﴾ أى علامة عظيمة على قدرتنا على ما نريد ﴿ للذين يخافون ﴾ كما تقدم ١٥ آخر ق أنهم المقصودون فى الحقيقة بالإنذار لأنهم المنتفعون به دون من

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/٢٠٤ (٢-٢) من مد و المعالم، و فى الأصل: بالاسلام و الايمان (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: فيها.
(٥-٥) فى مد: بالسحاب (٦) من مد، و فى الأصل: جنايتهم (٧) من مد، و فى الأصل: جناية.

قسا قلبه ولم يعتبر ﴿العذاب الاليم ﴾ اى ان يحل بهم كما حل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى إلى عنان السماء وقلبهم و أتباعهم الحجارة المحرقة ، و غمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه ، و ما ادخر لهم فى الآخرة أعظم .

٥ ولما قدم سبحانه أحق[1] القصص الدالة على قسمه و ما أقسم عليه بما فيها من خفاء الأسباب مع وجودها ، ثم ما فيها من إنزال ما به الوعيد من السماء [2]بالنار و الماء[2] الذى أشير إليه بالمقسمات ، مع الفرق بين المسلم و المجرم ، أتبعها قصة[3] من أيده بحاملات فيها مطر و برد و نار مضطرمة ، كما مضى بيانه فى الأعراف ، ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر

١٠ و نشفت أرضه و دخله فرعون و القبط ، و هو واضح الأمر فى أنه سبب

/٥٥ لهلاكهم و هم لايشعرون به ، / فقال عاطفا على المقدر فى قصة إبراهيم عليه السلام أو الظاهر فى " و فى الارض " أو على "فى" التى فى قوله " و تركنا فيها آية للذين يخافون " و هذا أقرب من غيره و أولى : ﴿ و فى موسى ﴾ أى فى قصته و أمره آية على ذلك عظيمة ﴿اذ ارسلنه﴾

١٥ بعظمتنا ﴿ الى فرعون ﴾ الذى كان قد[4] أساء إلى إبراهيم عليه السلام بعد عظيم [5]إحسانهم إليه[5] و إلى جميع قومه بما أحسن إليهم يوسف عليه السلام ﴿بسلطن مبين ﴾ أى معجزات ظاهرة فى نفسه منادية من شدة

---

(١) من مد ، و فى الأصل : اخر (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بالماء والنار .

(٣) من مد ، و فى الأصل : بقصة (٤) سقط من مد (٥ - ٥) من مد ؛ و فى الأصل : احسانه إليهم .

ظهورها بأنها معجزة، فكان فيها دلالة واضحة على صدق وعيده و مع ذلك فلم ينفعهم [1]علمها و لذلك سبب[1] عنه و عقب به قوله: ﴿فتولى﴾ أى كلف نفسه الإعراض بعد ما دعاه علمها [2]إلى الإقبال إليها[2]، و أشار إلى توليه بقوله: ﴿بركنه﴾ أى بسبب ما يركن إليه من القوة فى نفسه و بأعوانه و جنوده أو بجميع جنوده - كناية عن المبالغة فى الإعراض، ٥ ﴿و قال﴾ معللا بعجزه عما أتاه به و هو لا يشعر: ﴿سحر﴾ ثم ناقض كمناقضتكم[3] فقال بجهله عما يلزم على قوله: ﴿او مجنون ﴾ أى لاجترائه على مع ما لى من عظيم الملك بمثل هذا الذى يدعو إليه و يتهدد عليه.

و لما وقعت التسلية بهذا للأولياء، قال تعالى محذرا للأعداء: ﴿فاخذنه﴾ أى أخذ غضب و قهر بعظمتنا بما استدرجناه به و أوهناه ١٠ به من العذاب الذى منه سحاب حامل ماء و بردا و نارا و صواعق ﴿وجنوده﴾ [أى - [4]] كلهم ﴿فنبذنهم﴾ أى طرحناهم طرح مستهين بهم [مستخف لهم كما تطرح - [4]] الحصيات ﴿فى اليم﴾ أى [البحر - [4]] الذى هو أهل لأن [يقصد - [4]] بعد أن سلطنا[5] الريح ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه و نشفت أرضه، فأيبست ما أبرزت[6] ١٥ فيه من الطرق لنجاة أوليائنا و هلاك أعدائنا ﴿و هو﴾ أى و الحال أن فرعون ﴿مليم ﴾ أى آت بما هو بالغ فى استحقاقه الملامة، و يجوز

(١-١) من مد، و فى الأصل: عليهم و سبب (٢-٢) من مد، و فى الأصل: بالاقبال النهار (٣) من مد. و فى الأصل: مناقضتكم (٤) زيد من مد. (٥) من مد، و فى الأصل: تسلطنا (٦) من مد، و فى الأصل: ابرز.

أن يكون حالا من " اليم " بمعنى أنه فعل بهم فعل اللائم[1] من ألامه - إذا بالغ فى عذله ، و صار ذا لائمة أى لهم ، من آلام - لازما ، [و - [2]] أن يكون مخففا من لام المهموز فيكون المعنى : فهو مصلح أى فاعل فعل المصلحين فى إنجاء الأولياء و إغراق الأعداء[3] بالالتئام و الانطباق عليهم ،
٥ قال فى القاموس : اللوم العدل ، لام لوما و ألامه و لومه للمبالغة ، و ألام : أتى ما يلام عليه أو صار ذا لائمة ، و لأمه بالهمز كمنعه : نسبه إلى اللوم ، و السهم : أصلحه كألامه و لأمه فالتأم ، و لا يضر يونس عليه السلام أن يعبر فى حقه بنحو هذه العبارة[4] ، فان أسباب اللوم تختلف كما أن أسباب[5] المعاصى تختلف فى قوله " و عصوا رسله " " و عصى آدم
١٠ ربه " و بحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم و نفس المعاصى .

و لما أتم قصة من جمع له السحاب و الماء و النار و الريح ، أتبعها قصة / من أتاهم بريح ذارية لم يوجد قط مثلها ، و كان أصلها موجودا[6] بين ظهرانيهم و هم لايشعرون به ، بل قاربت الوصول إليهم و هم يظنونها مما ينفعهم : ﴿ و فى عاد ﴾ أى آية عظيمة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ ارسلنا ﴾
١٥ بعظمتنا ﴿ عليهم ﴾ إرسال علو و أخذ ﴿ الريح ﴾ فأتتهم تحمل سحابة سوداء و هى تذرو الرمل و ترمى بالحجارة على كيفية لا تطاق ﴿ العقيم ج ﴾ أى التى لا ثمرة لها فلا تلقح شجرا و لا تنشىء سحابا و لا تحمل مطرا و لا رحمة

/ ٥٦

---

(١) من مد ، و فى الأصل : لهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : العدا (٤) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) من هامش الأصل ، و فى الاصل : اصحاب (٦) فى الأصل : موجود .

فيها

فيها و لا بركة فلذلك أهلكهم هلاك الاستئصال ، ثم بين عقمها و إعقامها بقوله : ﴿ ما تذر ﴾ أى تترك على حالة ردية ، و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من شىء ﴾ و لما كان إهلاكها إنما هو بالفاعل المختار ، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ اتت عليه ﴾ أى إتيان إرادة مرسلها ، استعلاءها على ظاهره و باطنه ، و أما من إريدت رحمته[1] كهود عليه السلام و من ٥ معه رضى الله عنهم فكان لهم روحا و راحة لا عليهم ﴿ الا جعلته كالرميم ﴾ أى الشىء البالى الذى ذهبته الأيام و الليالى ، فصيره البلى إلى حالة الرماد ، و هو فى كلامهم ما يبس من نبات الأرض و دثر - قاله ابن جريج ، و خرج بالتعبير بـ "تذر" هود عليه السلام و من معه من المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين ، فانهم تركتهم على حالة حسنة لم يمسهم منها سوء كما أشير ١٠ إلى مثل ذلك بأداة الاستعلاء .

و لما تم ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريح الذارية ، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح و ما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال : ﴿ و فى ثمود ﴾ أى قوم صالح عليه السلام آية عظيمة كذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قيل لهم ﴾ ممن لا يخلف ١٥ الميعاد : ﴿ تمتعوا ﴾ أى بلبن الناقة و غيره مما مكناكم فيــه من الزرع و النخيل و الأبنية فى الجبال و السهول و غير ذلك من جلائل الأمور الذى أمرناكم به و لا تطغوا ﴿ حتى حين ﴾ أى وقت ضربناه لآجالكم ﴿ فعتوا ﴾ أى أوقعوا بسبب إحساننا إليهم العتو ، و هو التكبر و الإباء ﴿ عن امر ربهم ﴾ أى مولاهم الذى أعظم إحسانه إليهم فعقروا الناقة ٢٠

(١) فى الأصل : رحمة .

و ارادوا قتل نبيه عليه السلام ﴿ فأخذتهم ﴾ بسبب عتوهم اخذ قهر و عذاب ﴿ الصعقة ﴾ اى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح، فأوصلتها إلى مسامعهم[1] بغاية العظمة، و رجت ديارهم رجة ازالت أرواحهم بالصعق، و قوله: ﴿ و هم ينظرون ﴾ دال على أنها كانت فى غمام، و كان فيها نار، و يجوز - مع كونه من النظر - أن يكون أيضا من الانتظار، فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة أيام، و جعل لهم فى كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه اليوم الرابع ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ استطاعوا ﴾ أى تمكنوا، و أكد النفى فقال: ﴿ من قيام ﴾ أى بعد مجيئها بأن عاجلتهم باهلاكها عن القيام.

و لما كان الإنسان قد لا يتمكن من القيام لعارض[2] فى رجليه و ينتصف من عدوه بما رتبه من عقله و يدبره برأيه قال: ﴿ وما كانوا ﴾ /٥٧ أى كونا ما ﴿ منتصرين ﴾ أى لم يكن فيهم أهلية للانتصار[3] بوجه، لا بأنفسهم و لا بناصر ينصرهم فيطاوعونه فى النصرة لأن تهيأهم لذلك سقط بكل اعتبار.

و لما أتم قصة من أهلكوا بما من شأنه الإهلاك و هو الصاعقة، أتبعهم قصة من أهلكوا بما من شأنه الإحياء، و هو الماء الذى جل ما يشتمل عليه العلامات التى أثارتها الذريات، و قد كانوا موجودين[4] فى الأرض و السماء - و أسبابه مهيأة - و هم لا يحسون بشيء من ذلك،

(١) فى الاصل: مسامعه (٢) فى الاصل: العارض (٣) فى الأصل: الابتصار.
(٤) فى الأصل: موجودا.

و أما عبادنا المؤمنون[1] فهيأنا لهم أسباب النجاة من السفينة و غيرها، و أعلمناهم بها، فكان كل ما أردنا و قاله عنا أولياؤنا فقال مغيرا للأسلوب تنبيها على العظمة بنفس الإهلاك لكونه بما من شأنه الإحياء و الإبقاء و التصرف فى الأسباب: ﴿و قوم﴾ أى و أهلكنا قوم ﴿نوح﴾ على ما كان فيهم من الكثرة و قوة المحاولة و القيام بما يريدونه، و يجوز ٥ أن يكون معطوفا على " فيها " أى و تركناهم آية، و يحسن هذا الإعراب أنهم هلكوا جميعا و كانوا جميع أهل الأرض، و عم عذابهم جميع الأرض، كانوا لهم الآية، و يؤيد هذا الإعراب قراءة أبى عمرو و حمزة و الكسائى[2] بالجر عطفا على ضمير «فيها».

و لما كان إهلاكهم على عظمه و انتشاره فى بعض الزمان، أدخل ١٠ الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه الأمم كلها، ثم علل إهلاكهم بقوله: ﴿انهم كانوا﴾ خلقا و طبعا، لا حيلة لغيرنا من أهل الأسباب فى صلاحهم ﴿قوما﴾ أى أقوياء ﴿فسقين ع﴾ أى عريقين فى الخروج عن حظيرة الدين.

و لما كان إهلاكهم بالماء الذى نزل من السماء، و طلع من الأرض ١٥ بغير حساب، كان ربما ظن ظان أن ذلك كان لخلل كان فيهما، ثم أصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ فى إتقانه فيختل[3]، قال عاطفا على ما نصب " يوم " مبينا[4] أن فعل ذلك

---

(١) فى الأصل: المومنين (٢) راجع نثر المرجان ٨/٥٤ (٣) فى الأصل: فيحيل.
(٤) فى الأصل: مبليا.

ما كان بالاختيار ، دالا على وحدانيته لتمام [القدرة ـ[1]] الدالة على ما تقدم من أمر البعث : ﴿ و السمآء بنينها ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ بايد ﴾ أى بقوه و شدة عظيمة لا يقدر قدرها . و لما كانت السماء أليق لعظمتها و طهارتها بصفات الإلهية ، قال ـ و أكد لما يلزم إنكارهم البعث من الطعن فى القدرة :

٥ ﴿ و انا ﴾ على عظمتنا مع ذلك ﴿ لموسعون ه ﴾ أى أغنياء و قادرون ذو سعة لا تتناهى ، أى قدرة ، من الوسع و هو اللطاقة ، و كذلك أوسعنا مقدار جرمها و ما فيها من الرزق عن أهلها فالأرض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الإلهية التى لا يصح فيها الشركة أصلا ، و مطيقون لما لا يحصى من أمثال ذلك ، و عما هو أعظم

١٠ منه مما لا يتناهى ، و محيطون بكل شيء قدرة و علما ، و جديرون [و ـ[2]] حقيقون / بأن يكون ذلك من أوصافنا فنوصف به لما يشاهد لنا من القوة /٥٨ على كل ما نريد ، فلسنا كمن يعرفون من الملوك لأنهم إذا فعلوا لا يقدرون على أعظم منه و إن قدروا [كان ـ[1]] ذلك منهم بكلفة و مشقة ، و سترون فى اليوم الآخر ما يتلاشى و ما تريدون فى جنبه ، و من اتساعنا جعلها بلا

١٥ عمد مع ما هى عليه من العظمة إلى غير ذلك من الأمور الخارقة للعوائد : ﴿ و الارض فرشنها ﴾ كذلك بما لنا من العظمة ، فصارت مهدة جديرة بأن يستقر عليها الأشياء و هى آية على تمهيدنا لأرض الجنة و شقنا لأنهارها و غرسنا لأشجارها ﴿ فنعم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال فى وصفنا : نعم ﴿ المهدون ه ﴾ أى نحن لكمال قدرتنا ، فما نزل من

---

(١) زيد و لا بد منه .

السماء شيء و لا نبع من الأرض شيء إلا بإرادتنا و تقديرنا و اختيارنا من الأزل لأنا إذا صنعنا شيئا علمنا ما يكون منه من حين إنشائه إلى حين إنباته ، و لا يكون شيء منه إلا بتقديرنا ، و ذلك تذكير بالجنة و النار ، فما فوقها من خير فهو آية على الجنة ، و ما فيها من جبال و وهاد وعر و خروبة فهو آية على النار . ٥

و لما كان الأشياء المتضادة من الشيء الواحد أدل على القدرة من هذا الوجه ، قال : ﴿ و من كل شيء ﴾ أي من الحيوان و غيره ﴿ خلقنا ﴾ بعظمتنا . و لما كان الفلاسفة يقولون : لا ينشأ عن الواحد إلا واحد ، قال ردا عليهم : ﴿ زوجين ﴾ أي مثله شيئين كل منهما يزاوج الآخر من وجه و إن خالفه من آخر ، و لا يتم نفع أحدهما إلا بآخر من ١٠ الحيوان و النبات و غيرها و يدخل فيه الأضداد من الغنا و الفقر ، و الحسن و القبح ، و الحياة و الموت ، و الضياء و الظلام ، و الليل و النهار ، و الصحة و السقم ، و البر و البحر ، و السهل و الجبل ، و الشمس و القمر ، و الحر و البرد ، و السماوات و الأرض ، و أن الحر و البرد من نفس جهنم آية بينة عليها ، و بناءهما على الاعتدال في بعض الأحوال آية على الجنة ١٥ مذكرة بها مشوقة إليها .

و لما كان ذلك في غاية الدلالة على أن كلا من الزوجين يحتاج إلى الآخر و أنه لا بد أن ينتهي الأمر إلى واحد لا مثل له و أنه لا يحتاج بعد ذلك التنبيه إلى تأمل كبير قال : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فأدغم تاء التفعل الدالة على العلاج و الاجتهاد و العمل فصار (؟) فتكونوا عند ٢٠

من ينظر ذلك حق النظر على رجاء من أن يتذكروا قليلا من التذكر فيهديكم إلى سواء السبيل .

و لما كان كل شيء مما سواه لابد له من ضد يضاده أو قرين يسد مسده ، و أما سبحانه فلا مثل له لأنه لوكان له مثل لنازعه ، فلم يقدر ٥ على كل ما يريد "لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا" و ثبت[1] أنه أهلك القرون الأولى بمخالفة الرسل عليهم الصلاة و السلام ، فثبت أن وراء المكلفين عذابا يحق لهم الفرار منه ، و ثبت أن كل شيء غيره محتاج إلى زوجه يثبت حاجة الكل إليه ، و أنه لا كفاية عند شيء في كل ما يرام منه ، [2]وجب أن لايفزع إلا إلى الواحد / الغنى فسبب عن ذلك /٥٩ ١٠ قوله : ﴿ ففروآ ﴾ أي أقبلوا و الجاؤا . و لما درب عباده في هذه السورة بصفة الربوبية كثيرا ، فتأهلوا إلى النفوذ في الغيب ، و كانت العبادة لاتكون خالصة إلا إن علقت بالذات لا لشيء آخر ، ذكر اسم الذات فقال : ﴿ الى الله ﴾ أي إلى الذي لامسمى له من مكافئ ، و له الكمال كله ، فهو في غاية العلو ، فلا يقر و يسكن احد إلى محتاج مثله فان المحتاج ١٥ لاغنى عنده ، و لايقر سبحانه إلا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية إلى أوج صفاته الروحانيـة ، و ذلك من وعيده[3] إلى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين ، فتنقل السياق بالتحذير و الاستعطاف و الاستدعاء ، فهو من باب " لاملجأ منك إلا إليك أعوذ بك منك " و استمر إلى آخر

(١) في الأصل : يثبت (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد مع بعض الطمس.
(٣) من مد ، و في الأصل : وعيد .

السورة فى ذكره إشارة إلى على أمره، ثم علل بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: ﴿انى لكم منه﴾ أى لا من غيره ﴿نذير﴾ أى من أن يفر أحد إلى غيره فانه لايحصل له قصده.

و لما أقام الدليل العقلى الظاهر جدا بما يعلمه أحد فى نفسه على ما قاله فى هذا الكلام الوحيد قال: ﴿مبين ج﴾ ففرار العامة من الجهل ٥ إلى العلم عقدا و سعيا، و من الكسل إلى التشمير حذرا و حزما، و من الضيق إلى السعة ثقة و رجاء، و فرار الخاصة من الخبر إلى الشهود، و من الرسوم إلى الأصول، و من الحظوظ إلى التجريد، و فرار خاصة الخاصة عما دون الحق إلى الحق إشهادا فى شهود جلاله و استغراقا فى وحدانيته، قال القشيرى: و من صح فراره إلى الله صح فراره مع الله - انتهى. و هو ١٠ بكمال المتابعة ليس غيره، و من فهم منه اتحادا بصفة أو ذات فقد ماحد طريق القوم فعليه لعنه الله.

و لما ثبت أنه لاملجأ إلا إلى الله الواحد المنزه عن الزوج، و ذلك هو الله الذى له الكمال كله، و كان ربما وقع فى وهم[١] أن [فى -[٢]] الوجود من غير الزوجين المعروفين من نفزع إليه كما نفزع إلى وزير الملك ١٥ و بوابـــه و نحو ذلك مما يوصل إليه، قال محذرا من سطواته[٣]: ﴿و لا تجعلوا﴾ أى بأهوائكم ﴿مع الله﴾ وكرر الاسم الأعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لأنه لم يشاركه فى التسمية به أحد و تنبيها على ما له من

---

(١) من مد، و فى الأصل: فهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: سهوانه.

صفات الكمال و تعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن، و قيل "معـــه" أن المراد النهى عن الجعل[1] من جهة الفرار لامن جهة غيرها ﴿الٰها﴾.

و لما كان المراد كمال البيان، [منع -[2]] مجاز التجريد منع تعنت من يطعن بتكثر الأسماء كما أشار إليه بقوله " قل ادعوا الله او ادعوا

٥ الرحمن" الآية بقوله: ﴿اٰخر﴾ ثم علل النهى مع التأكيد لطعنهم فى نذارته فقال: ﴿انى لكم منه﴾ أى لا من غيره فان غيره لايقدر على شيء ﴿نذير﴾ أى محذر من الهلاك الأبدى بالعقوبة التى لاخلاص منها إن فعلتم ذلك ﴿مبين ۚ﴾ أى لا أقول شيئا من واضح النقل إلا و دليله ظاهر[3] من صريح العقل. و لما ذكر قولهم المختلف الذى منه

١٠ تكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم و نسبته إلى السحر و الجنون و غير ذلك من الفنون، و منه الإشراك مع اعترافهم[4] بأنه لاخالق إلا الله و لا كاشف ضر غيره إلى غير ذلك من أنواع الاضطراب، و أخبر بهلا كهم[5] على ذلك و حذرهم منه و دل عليه إلى أن ختم بانذار من اتخذ إلها غيره / قال مسليا: ﴿كذٰلك﴾ أى مثل[6] قول قومك المختلف /٦٠

١٥ العظيم الشناعة، البعيد من الصواب، بما له من الاضطراب، وقع لمن قبلهم، و دل على هذا المقدر بقوله مستأنفا: ﴿مآ اتى الذين﴾ و لما كان الرسل إنما كان إرسالهم فى بعض الأزمان الماضية و لم يستغرقوا

---

(١) من مد، و فى الأصل: الجهل (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: الظاهر (٤) من مد، و فى الأصل: الاعتراف (٥) من مد، و فى الأصل: عدلا لهم (٦) زيد فى الأصل: قوله، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

جميعها بالفعل، أثبت الجار فى قوله : ﴿ من قبلهم ﴾ و عمم النفى بقوله :
﴿ من رسول ﴾ أى من عند الله ﴿ الا قالوا ﴾ و لو بعضهم برضا الباقين :
﴿ ساحر او مجنون ﴾ لأن الرسول يأتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم
إليها أهواؤهم، و الهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء
كانت " أو " للتفصيل بأن بعضهم قال واحـــدا و بعضهم قال آخر، ٥
أو كانت للشك لأن الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من
الناس، و المجنون بالضد من ذلك، ثم عجب منهم بقوله : ﴿ اتواصوا به ﴾
[أى - [1]] أوصى بهذا بعض الأولين و الآخرين بعضا .

و لما ساق هذا فى أسلوب الاستفهام إشارة إلى أنه قول ينبغى
السؤال عن سببه لما له من الخفاء، أجاب عنه بأنهم لم يتواصوا به لأن ١٠
الأولين ما اجتمعوا مع الآخرين : ﴿ بل هم ﴾ اجتمعوا فى وصف أداهم إلى
ذلك . و هو أنهم ﴿ قوم ﴾ أى ذوو [2] شماخة و كبر ﴿ طاغون ﴾ أى
عالون فى الكفر مسرفون فى [3] الظلم و المعاصى [3] مجاوزون للمقدار، و أشار
بالضمير إلى أن الطغيان أمر ذاتى لهم . فهو يمدح منه سبحانه بأنه هو
الذى قهرهم بسوقهم إلى هلاكهم بقدرته التامة و علمه الشامل . ١٥

و لما كان صلى الله عليه و سلم يكاد يتلف نفسه الشريفة - بأبى
هو و أمى - غما عليهم و أسفا لتخلصهم عن الإسلام و خوفا أن لا يكون
و فى بما عليه من التنبيه [4] و الإعلام، سبب تعالى عن حالهم قوله :

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل : ذو (٣ - ٣) فى مد : المعاصى
و الظلم (٤) من مد، و فى الأصل : البينة .

﴿فتول عنهم﴾ أى كلف نفسك الإعراض عن الإبلاغ فى إبلاغهم بالمجادلة و الصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الإبلاغ ﴿فمآ انت﴾ بسبب الإعراض بعد الإنذار ﴿بملوم ﴿ﮎ﴾﴾ أى بمستحق الملامة بسبب إعراض من اعرض منهم عنك، فانى إنما حكمت بذلك لأنى إنما قسمت الناس ٥ إلى مؤمن تنفعه الذكرى، و طاغ لاينفعه شىء، و لذلك قال: ﴿و ذكر﴾ أى بالرفق و اللين، و لما أصروا على التكذيب و الإعراض حتى أيس منهم، أكد ما سببه عن[1] التذكير بقوله: ﴿فان الذكرى﴾ أى التذكر بالنذارة البليغة ﴿تنفع المؤمنين ﴿ﮎ﴾﴾ أى الذين قدر الله أن يكونوا[2] عريقين [3]فى وصف[3] الإيمان و لابد من إكثار التذكير ليغلب ما عندهم ١٠ من نوازع الحظوظ و صوازف الشهوات، مع ما هم مجبولون عليه من النسيان.

و لما كان هذا ربما أوهم ان سواهم غير مقدور عليهم، قال مؤكدا بالحصر دالا على انه هو الذى قسم الناس إلى طاغين و مؤمنين بالعطف على ما تقديره: فما حكم عليهم بذلك الضلال و الهدى غيرى، ١٥ و ما أرسلت الرسل / و أنزلت الكتب إلا لاستخلاص المؤمنين و إقامة ٦١ / الحجة على الضالين: ﴿و ما خلقت الجن و الانس﴾ الذين أكثرهم كافرون[4] ﴿الا ليعبدون ﴿ﮎ﴾﴾ أى لينجروا تحت أقضيتى على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرونها لا لشىء يلحقنى أنا منه شىء من نفع أو ضرر، فانى

(١) من مد، و فى الأصل: على (٢) فى مد: يصيروا (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: بوصف (٤) من مد، و فى الأصل: كافرين.

بنيتهم على العجز و أودعتهم نوازع الهوى ، و ركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى ، فمن أطاع عقله كان عابدا لى فارا إلىّ مع جريه تحت الإرادة ، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب[1] ، و من أطاع الهوى كان عابدا لى مع مخالفته أمرى عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب ، وكل تابع لهواه[2] إذا حقق[3] النظر علم أن الخير فى غير ما ٥ هو مرتكبه ، فما ألزمه ما[4] هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر إرادتى ، فهذه عبادة لغوية ، و ذاك عبادة شرعية ، و قد مر فى آخر هود ما ينفع هنا ، و هذا كله معنى قول ابن عباس[5] : إلا ليقروا لى بالعبادة طوعا وكرها .

و لما حصر سبحانه خلقهم فى إرادة العبادة ، صرح بهذا المفهوم ١٠ بقوله : ﴿ مآ اريد منهم ﴾ أى فى وقت من الأوقات ، و عم فى النفى بقوله : ﴿من رزق﴾ أى شيء من الأشياء على وجه[6] ينفعنى من جلب أو دفع ، لأنى منزه عن لحاق نفع أو ضر ، كما يفعل[7] غيرى من الموالى بعبيدهم[8] من الاستكثار بغلاتهم و الاستعانة بقواتهم لأنى الغنى المطلق و كل شيء مفتقر إلىّ ﴿ و مآ اريد ﴾ أصلا ﴿ ان يطعمون ه ﴾ أى ١٥ [أن -] يرزقونى رزقا خاصا هو[10] الإطعام ، و فيه تعريض

(١) من مد ، و فى الاصل : الثبات (٢) من مد ، و فى الأصل : هواه (٣) من مد ، وفى الأصل : تحقق (٤) من مد ، و فى الأصل : مما (٥) راجع البحر المحيط ١٤٣/٨ (٦) من مد ، وفى الأصل : شيء (٧) من مد ، وفى الأصل : ينفع (٨) من مد ، وفى الأصل : عبيدهم (٩) زيد من مد (١٠) من مد ، وفى الأصل «و» .

بأصنامهم[1] فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها و يحصرون لها الأكل، وربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الأصنام. ثم لايصدهم ذلك، وهذه الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل، و التعبير بالإرادة دال على ما قلت إنه مقصود بالعبادة. و هو الجرى تحت الإرادة، تارة بموافقة
٥ الشرع و تارة بمخالفته.

و لما كان الاهتمام بأمر الرزق - و قد ضمنه سبحانه ـ شاغلا عن كثير من العبادة، و كان الإنسان يظن أن الذى حصل له ما حواه من الرزق سعيه، قال حاصرا ذلك مؤكدا إزالة لتلك الظنون معللا لافتا الكلام إلى سياق الاسم الأعظم الذى لم يتسم به غيره، نصا على المراد
١٠ و بالغا[2] من الإرشاد[2] أقصى المراد: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن شوائب النقص ﴿ هو ﴾ أى لاغيره ﴿ الرزاق ﴾ أى على سبيل التكرار لكل حى و فى كل وقت. ثم وصفه بما يبين هوان ذلك عنده فقال[3]: ﴿ ذو القوة ﴾ أى التى لا تزول بوجه ﴿ المتين ﴾ أى الشديد الدائم الشدة.

١٥ و لما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم، و دل على ذلك حتى بجميع قصد أحوالهم على إرادته، و ختم بقوته التى لا حد لها، سبب عن ذلك إيقاعه بالمتوعدين، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ أى الذين أوقعوا الأشياء فى غير مواقعها. و لما كان القسم على ما

(١) من مد، وفى الأصل: لأصنامهم (٢-٢) من مد، وفى الأصل: للارشاد.
(٣) من مد، و فى الأصل: ثم قال.

يوعدون

يوعدون بما يحمل المطر ، عبر عن نصيبهم الذى قدره / عليهم من ذلك / ٦٢
بقوله : ﴿ ذنوبا ﴾ أى خطا من العذاب طويل الشر . كأنه من طوله
صاحب ذنب وهو على ذنوبهم ﴿ مثل ذنوب اصحٰبهم ﴾ أى الذين[1]
تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل وهو فى مشابهته له كالدلو الذى يساجل
به دلو آخر ، وذلك دليل واضح على أن ما يوعدون صادق ، وأن ٥
الدين واقع ﴿ فلا يستعجلون ۵ ﴾ أى يطلبوا أن آتيهم به قبل أوانه
اللاحق به . فان ذلك لايفعله إلا ناقص ، وأنا[2] متعال عن ذلك لا أخاف
الفوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ، ولا بد أن أوقعه بهم فى الوقت
الذى قضيت به فى الأزل ، لأنه أحق الأوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم ،
وحينئذ تكون فيا له من تهديد ما أفظعه . ووعيد ما أعظمه وأوجعه ، ١٠
أمرا لايدفعه دافع ، ولا يمنع من وقوعه مانع . ولذلك سبب عنه قوله :
﴿ فويل ﴾ أى شر حال وعذاب يوجب الندب والتفجع ﴿ للذين كفروا ﴾
أى ستروا ما ظهر من هذه الأدلة التى لا يسع عاقلا إنكارها ﴿ من يومهم ﴾
أضافه إليهم لأنه خاص بهم دون المؤمنين ﴿ الذى يوعدون ۵ ع ﴾ فى الدنيا
والآخرة ، وقد انطبق آخرها على أولها بصدق الوعيد ، وثبت بالدليل ١٥
القطعى ذلك القسم الأكيد - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

* * *

(١) من مد ، وفى الأصل : الذى (٢) من مد ، وفى الأصل : انه .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثامن عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ٢٢/محرم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ = ٢٠/نوفمبر سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء التاسع عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الطور.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية